

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 30 NOVEMBER 1979.

بسم الله الرحمن الرحيم

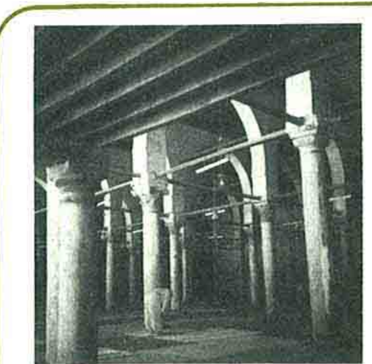


مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٣٠) ذو الحجة ١٣٩٩ هـ / نوفمبر ١٩[illegible] م

هذا العدد



● بقيت الفسطاط مقراً للحكم طوال مئة وثلاثة عشر عاماً وسبعة أشهر، أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة. وليها القائد عمرو بن العاص من قبل الخليفة عمر بن الخطاب، وكان آخر أمرائها صالح بن علي بن عبد الله من قبل أمير المؤمنين أبي العباس السفاح. طالع ص (٣٥)



● الخلق كله .. من أوله إلى آخره ومن بدايته إلى نهايته، يسير بموازين حساسة .. صحيح أن كفتي الميزان قد تترجحان قليلاً ذات اليمين وذات الشمال لكنهما لا بد إلى التوازن عائدتان .. حقيقة يعيش فيها العلماء ليل نهار، فكل شيء قد جاء بحساب ومقدار. طالع ص (١١٥)



● الهجرة عنصر من عناصر حركة السكان وانتقالهم لها صور مختلفة، والحج صورة منها. لكنه يختلف عن الهجرة السكانية العادية في دوافعه وفي تركيبه النوعي والعمري. إنه هجرة من نوع خاص لم تتناولها الدراسات السكانية من قبل. طالع ص (١٥)



د . عبد الله حسين باسلامة

● من مواليد مكة المكرمة في المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٧ م .

● بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة عين شمس بالقاهرة .

● الدكتوراه والتخصص بمدينة دسولدوف بألمانيا .

● حصل على شهادة الزمالة البريطانية في أمراض النساء والولادة .

● شهادة زمالة الجراحين الأمريكية (فخرية) .

● عمل أخصائي أمراض النساء والولادة بمستشفيات المملكة .

● عمل وكيلاً لكلية الطب بجامعة الرياض .

● يعمل حالياً عميداً لكلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وأستاذ مشارك أمراض النساء والولادة بالكلية .

مصطفى عكرمة

● من مواليد « الحفة » - سورية عام ١٩٤٣ م .

● خبير فني في الإرسال التليفزيوني - دمشق .

● أعماله الشعرية المطبوعة « جند الكرامة » مسرحية ، « هنا الأوائل » قصيدتان ، « ظمأ » ، ديوان « إلى الله » الجزء الأول ، « عبير الشوق » ديوان . هذا إلى جانب عدد من الأعمال المخطوطة .

د . عبد المجيد وافي

● من مواليد مصر .

● العالمية ، مع الإجازة - كلية اللغة العربية .

● دبلوم الفنون الجميلة العليا .

● عمل في التدريس الديني بمعاهد الأزهر ، كما عمل محاضراً في الحضارة الإسلامية .

● له مجموعة من البحوث الإسلامية ، والفنية .

● عمل بالصحافة . . وما زال .

● يعمل حالياً رئيساً لقسم البحوث والإشراف الفني بمجلة « منار الإسلام » التي تصدر في (أبو ظبي) .



د . حسين فوزي النجار

● أول دكتوراه في تاريخ الصحافة من جامعة القاهرة .

● درجة الزمالة في العلوم السياسية من جامعة هارفارد .

● زميل المركز الدولي للتربية بواشنطن .

● زميل أكاديمية العلوم السياسية بجامعة كلومبيا .

● عضو مجلس إدارة اتحاد كتّاب مصر .

● رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية .

● يعمل الآن أستاذاً غير متفرغ بجامعة أسيوط ، ومشرفاً على قسم الصحافة بكلية الآداب .

● أول كتبه « السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط » ١٩٥٠ م ، وآخر كتبه « الإسلام والسياسة » ١٩٧٨ م .

● له أربعون كتاباً في التاريخ والتراجم والعلوم السياسية والتربية والتعليم ، وعدد من البحوث بالعربية والإنجليزية .

● عمل أستاذاً زائراً بالجامعات الأمريكية ، ويقوم بالتدريس بجامعات مصر .



د . عمر فروخ

● من مواليد ١٩٠٦/٥/٨ في بيروت - لبنان .

● بكالوريوس علوم - الجامعة الأمريكية - بيروت .

● عمل مدرساً فترة من الزمن ، ثم تابع دراسته العليا في ألمانيا .

● درس في جامعة برلين ، وجامعة ليبزغ ، وجامعة ارلنجن ، وتخرج فيها برتبة دكتوراه في الفلسفة ، ثم عاد ليعمل في بلاده في التدريس .

● اشترك في عدد كبير من المؤتمرات الثقافية .

● عضو في عدد من الجمعيات والمجالس ، والمجامع العربية .

● حصل على وسام نجم باكستان رتبة قائد عظيم ، كما حصل على جائزة رئيس الجمهورية التي تمنحها جمعية أصدقاء الكتاب - بيروت ، ووسام الأرز الوطني (لبنان) رتبة فارس ، ووسام الاستحقاق (موريتانية) رتبة ضابط .

● يعمل حالياً أستاذاً بكلية الآداب في الجامعة اللبنانية (للإشراف على رسائل الماجستير) ، ورئيساً لجمعية البر والإحسان في لبنان .

● له عدد كبير من الكتب تأليفاً ، وترجمة في الفلسفة ، والدين ، والتاريخ ، والسيرة ، واللغة ، والحضارة . . . وغيرها . (كافة المعلومات عن هذه الكتب صدرت في كتيب بقلمه بعنوان : عمر فروخ . . وآثاره الثقافية في أربعين عاماً ، ١٩٣١ - ١٩٧١ م) اصدار دار العلم للملايين - بيروت .



في الوطن العربي :

- المملكة تحتفل باليوم العالمي لمحو الأمية .
- موسوعة للأحاديث النبوية الصحيحة .
- معرض للكتاب العربي في السودان .
- ندوة لمناقشة قضية الوثائق ، والتوثيق في الجزائر .
- معرض للفن التشكيلي القطري في تونس .
- انعقاد مؤتمر للطب النووي في أبو ظبي .

في العالم :

- وفاة الشيخ أبو الأعلى المودودي .
- ندوة إسلامية عن القدس في فرنسا .
- إنشاء مركز ثقافي إسلامي ومسجد في إسبانيا .
- ندوة إسلامية عن السيرة النبوية في أميريكا .
- معرض للفن المعاصر في باريس .



★ د. عبدالهادي التازي ★ ★ عبدالله جفري ★

السعودية

الاحتفال باليوم العالمي لمحو الأمية

احتفلت **المملكة** مع دول العالم **باليوم العالمي لمحو الأمية**، وذلك في إطار الجهود التي تبذلها من أجل القضاء على الأمية بمختلف الوسائل، وقد شملت الاحتفالات **حملات توعية** بمشكلة الأمية ومدى خطورتها على المجتمع، وأهمية **القضاء عليها خلال العشرين عاماً القادمة** كما حددتها استراتيجية المملكة لمحو الأمية.

تدعيم المكتبات

قررت **الإدارة العامة للمكتبات** تزويد هذه المكتبات بـ **(١٠) آلاف كتاب** وذلك رغبة في تطويرها وتشتمل على الكتب المتعددة خدمة للقارئ وطلاب العلم في جميع أنحاء المملكة.

مسابقات أدبية على مستوى المملكة

نظم مكتب رعاية الشباب بالأحساء ثلاث مسابقات أدبية على مستوى المملكة في مجال (الشعر المنظوم المقفى ــ والمقال ــ والقصة).

معرض للكتاب بمركز الرّس الصيفي

أقام **المركز الصيفي لرعاية الطلاب بثانوية الرّس** أكبر معرض للكتاب الإسلامي بمنطقة **القصيم**، احتوى على حوالي **سبعة آلاف كتاب ومجلد** في مختلف العلوم الدينية والأدبية وقضايا الفكر المعاصر وموقف الإسلام منها، وقد تم بيع الكتب التي ضمها المعرض بأسعار مخفضة عن المكتبات.

الرسالة الجديدة

أصبح من المؤكد صدور **أول عدد** من المجلة الأدبية «**الرسالة الجديدة**» التي سيرئس تحريرها **الأديب السعودي المعروف الأستاذ عبدالله جفري**، وذلك بعد أن تمت الاستعدادات الفنية والأدبية لصدورها في شهر محرم ١٤٠٠هـ .. المجلة سوف تطبع وتصدر من **لندن**.. وقد استقطب القائمون عليها عدداً كبيراً من الكتاب البارزين في الوطن العربي.

* كتب جديدة *

● «**شموخ القرية**»، الديوان الثاني للشاعر **معيض علي البخيتان**.

● «**شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب**»، تأليف **عبد الكريم حمد الحقيل**.

● «**الصمت والجدران**»، مجموعة قصص (قصيرة) **لسباعي عثمان**، صدرت عن **نادي الطائف الأدبي**.

● «**الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي**»، تأليف الشيخ **الأمين عوض الله**، صدر عن **دار المجمع العلمي بجدة**.

المغرب

الفكر الإسلامي والعلوم الأوروبية

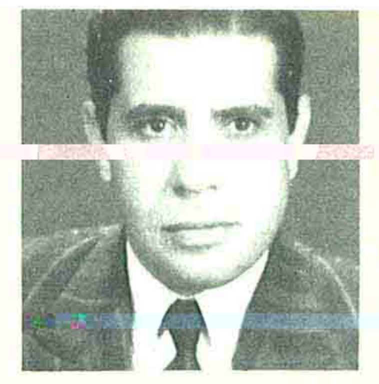
نظمت **جمعية الثقافة** بالتعاون مع **سفارة إيطاليا** أسبوعاً ثقافياً تحت شعار «**مساهمة الفكر الإسلامي في تطور العلوم والآداب الأوروبية**»، كما نظم (**بالجديدة**) ملتقى ثقافي تضمن قراءات شعرية وقصصية ومعارض تشكيلية ومحاضرات وندوات، ومعرض للكتاب الفلسطيني والمغربي.

ندوة حول التأليف في المسرح المغربي

نظم **فرع اتحاد كتاب المغرب (بالدار البيضاء)** ندوة حول **التأليف في المسرح المغربي** بمشاركة عدد من الكتاب والمخرجين المسرحيين.

محمد القباج إلى رحمة الله

انتقل إلى رحمة الله **محافظ الخزانة بالرباط** والكاتب المغربي **محمد ابن العباس القباج**، وقد كان لوفاته رنة أسى وحزن في الأوساط العلمية والأدبية بالمغرب، لأنها بوفاته خسرت رائداً من رواد النهضة



★ د. نعيم عطية ★

الأدبية والصحافية بالمغرب، وقد كان له مكانة علمية ودور أدبي كبير، وكان رحمه الله قد ألف كتابه المعروف بـ «**تاريخ الأدب العربي في المغرب الأقصى**» الذي يعد كنزاً تعتز به المكتبة العربية.

*** كتب جديدة ***

● «**بيوت واطئة**»، مجموعة قصصية **لمحمد زقراف**، صدرت عن **دار النشر المغربية**.

● «**يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين**»، دراسة صدرت عن **الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة**.

● «**دخان من الأزمنة المحترقة**»، المجموعة الشعرية الثانية **لمحمد الحبيب الفرقاني**، صدرت عن **دار النشر المغربية**.

● «**كتاب التاريخ الدبلوماسي للمغرب من القرن ٨ قبل الهجرة إلى القرن ١٤ الهجري**»، تأليف **الدكتور عبد الهادي التازي**.

● «**تمزقات**»، مجموعة قصصية للقاص **محمد صوف**، وتضم ثمان قصص.

العراق

*** كتب جديدة ***

● «**الحصار**»، مجموعة قصص للكاتب **محمود جنداري**، صدرت عن **وزارة الثقافة والفنون**.

● «**الرجال والشمس**»، مجموعة قصص قصيرة للقاص **ضياء خضير**، صدرت عن **وزارة الثقافة والفنون العراقية**.

● «**ديوان عبد المحسن الكاظمي**»، صدرت عن **وزارة الثقافة والفنون العراقية** المجموعة الثالثة والرابعة من هذا الديوان، من جمع **رباب الكاظمي**.

● «**ابن الأرض**»، مسرحية جديدة صدرت في بغداد للكاتب





★ خالد بن فهد ★

رسالة تقدير.. وعام الطفل

سعادة رئيس تحرير مجلة الفيصل الثقافية المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أكتب إليكم معبراً عن خالص التقدير لما تحويه مجلتكم الغراء من بحوث ودراسات وموضوعات تتسم بالإثراء للفكر الإنساني.

وأغتنم هذه الفرصة لأعرب لكم عن شكر اللجنة الوطنية السعودية لرعاية الطفولة لما لمسته من اهتمامكم البالغ بالطفل عامة، وبالعام الدولي للطفل بخاصة، ونشر المقالات التي تتناول مختلف ألوان النشاط في مجال الطفولة.

وفقكم الله وسدد خطاكم.

وكيل وزارة المعارف

نائب رئيس اللجنة الوطنية السعودية لرعاية الطفولة

خالد بن فهد بن خالد

●● **المجلة**: إذا كنا قد أخذنا على عاتقنا مسؤولية المساهمة في **عام الطفل العالمي** منذ بدايته بتقديم **الدراسات التربوية والصحية والثقافية والتاريخية والاجتماعية والتراثية والنفسية**، بحيث لا يخلو أي عدد من أعداد المجلة من دراستين أو أكثر، فإننا نشعر أننا نقوم بواجب عربي وإسلامي وإنساني. فالطفولة هي مستقبل البشرية، فإن أحسنا توجيهها وتوعيتها وتربيتها فقد نساعد على إيجاد أجيال قادمة لا تعرف الحقد والكراهية، أجيال لا تعاني الجوع والمرض، والفقر والتشرد، أجيال سليمة الأجسام والعقول لتكوين مجتمعات يسودها التكافل والتضامن، والتواد، وهذا ما يدعو إليه ديننا الإسلامي الحنيف.

وحين نتلقى **تقدير سمو الأمير خالد بن فهد بن خالد** كمسؤول له مكانته القيادية في حقل التربية ورعاية الطفولة من خلال هذه **الرسالة الكريمة** القليلة في سطورها، **الكبيرة في مضامينها**، حين نتلقى هذا التقدير نشعر بضخامة المسؤولية التي تقع على عاتق الصحافة، كما تجسد الدور الكبير الذي يجب أن تقوم به الصحافة في عملية التنمية.

والاهتمام بالطفولة من أبرز عناصر التنمية في المجتمعات الإنسانية.

ورسالة الأمير خالد - مع شكرنا العميق لما جاء فيها - تعكس متابعته لجهود المجلة المتواضعة، وهو ما نتمنى أن يدركه الجميع لا ليكون مصدر فخر واعتزاز، وإنما لما يتركه مثل هذا التقدير من شعور بأن الإنسان استطاع أن يقدم شيئاً - ولو بسيطاً - لبلاده وأمته وإنسانيته، وأن في وسط المسؤوليات الكبيرة رجال يتابعون، ويقدرون. وفق الله الجميع لما فيه الخير.

غياث السحراني ، ومن **منشورات وزارة الثقافة والفنون** .

● «**ملوك كندة من بني آكل المرار**» ، تأليف **المستشرق الإنجليزي جوفار أولندر** ، ترجمة وتحقيق **الدكتور عبد الجبار المطلبي** ، صدر عن جامعة بغداد .

فلسطين

*** كتب جديدة ***

● «**أغاني الأطفال في فلسطين**» ، **لعلي الخليلي** ، صدر عن **منشورات صلاح الدين** .

من منشورات دار الكاتب العربي بالقدس :

١ - «**صمت البحر**» ، رواية من نوع أدب المقاومة .

٢ - «**الحركة العمالية في فلسطين**» ، للدكتور **موسى البديري** .

٣ - «**الاحتلال والمناهج التعليمية**» ، **لعلي عثمان** وآخرين .

● «**أقمار في دروب الليل**» ، ديوان شعري **لجمال قعوار** ، من **منشورات الأسواربكا** .

مصر

موسوعة الأحاديث النبوية الصحيحة

قرر الأزهر تقديم هدية ثمينة للمسلمين بمناسبة **القرن الخامس عشر الهجري** ، وهي **موسوعة السنة النبوية** التي تضم كل **الأحاديث الصحيحة** التي رويت عن سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

في دائرة الضوء

● **الكتاب : أزهار الرياض في أخبار عياض .**

● **المؤلف : شهاب الدين المقري التلمساني .**

● **تحقيق : سعيد أعراب ، ومحمد بن تاويت .**

صدر **الجزء الرابع** من كتاب : «**أزهار الرياض في أخبار عياض**» لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ،

بتحقيق الأستاذين سعيد أعراب ومحمد بن تاويت ، وقد نشر تحت إشراف **اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المغرب والإمارات العربية المتحدة** .

وكانت الأجزاء الثلاثة الأولى من هذا الكتاب قد صدرت في السنة الماضية مصورة بالأوفسيت عن الطبعة المصرية الأولى التي ظهرت منذ أربعين سنة .

وكتاب «أزهار الرياض في أخبار عياض» **موسوعة أدبية** على جانب كبير من الأهمية ، إذ إنه **من نفائس الخزانة المغربية الأندلسية** ، يعتبر إلى جانب كتاب «**العقد الفريد**» لابن عبد ربه «**والاحاطة بأخبار غرناطة**» لابن الخطيب و «**نفح الطيب**» للمقري كذلك ، أحسن ما أنجبته العبقرية المغربية الأندلسية ، الأمر الذي يمكن أن نضاهي به الموسوعات العربية القديمة ، أمثال كتاب «**الأغاني**» لأبي الفرج **الأصفهاني** ، و «صبح الأعشى في صناعة الانشا» **للقلقشندي** ، وغيرهما من الكتب ذات النسق المتشابه والمنهج المتقارب والأسلوب المشترك .

وإذا كان المقري في كتابه هذا «أزهار الرياض» يركز الحديث على **القاضي عياض** ويترجم له في استفاضة واستيعاب ، فإننا نجد في ثنايا الكتاب بأجزائه الأربعة المطبوعة **صورة للحياة العقلية والثقافية في المغرب والأندلس وإفريقيا** بالمفهوم العربي القديم ، أو بلدان المغرب العربي باصطلاح اليوم .

ذلك أن المؤلف بأسلوبه المتميز ، كثيراً ما يستطرد ويتشعب به الحديث ، فيعرج على ذكر أمور ومسائل إن كانت تخرج عن الموضوع ، كما نقول اليوم ، فإنها تبرز لنا مظاهر مختلفة من الحياة والأدب والعلوم والفنون في تلك العهود الزاهرة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية .

لهذا ، وكعادة المقري وأنداده ،

* كتب جديدة *

● «**الإغراء الأخير**»، رواية **للدكتور نعيم عطية**، وهي روايته الثالثة.

الكويت

* كتب جديدة *

● «**تعلمت أن أشتهيك**» ديوان شعري ضم سبع عشرة قصيدة للشاعر **فتحي ذيب سلمان**.

● «**لذة المناجاة**»، تأليف **الشيخ طايس الجميلي**.

● «**حقوق الطفل في الكويت**ـ بالمقارنة مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والإعلان العالمي لحقوق الطفل»، **للدكتورة بدرية العوضي**، عن **منشورات مجلة «دراسات الخليج»**.

● «**الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**»، تأليف **أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر** الذي توفي سنة ٣٧٠ هـ، تحقيق **الدكتور محمد جبر الألفي**، صدر عن **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية**.

جاء كتابه أزهار الرياض في **صورة موسوعة متعددة المناحي مختلفة الأغراض، متشعبة الموضوعات، متنوعة، تجمع بين التاريخ والأدب، وتأخذ من العلم بطرف، ومن الثقافة العربية الشاملة بطرف آخر، وكأننا أمام مكتبة كاملة العدة والعدد.**

وعمل المحققين في هذا الجزء يقوم على أساس مقابلة النسخ المخطوط مع بعضها البعض، وترجيح الصحيح منها وهو عمل مضن وشاق، إذ يتطلب الرجوع إلى عدد من النسخ المخطوطة الموزعة هنا وهناك. ولكن المحققين الأستاذين سعيد أعراب ومحمد بن تاويت، استطاعا أن يبرزا عملهما في حلة علمية قشيبة زادت من قيمة الكتاب. وأثبتت من جهة أخرى فضل المدرسة المغربية في التحقيق على التراث العربي.

وهذا الجزء من أزهار الرياض يشتمل على أدعية ومناجاة للقاضي عياض، تمثل نمطاً رفيعاً من الأدب الديني وهو جانب مهم من جوانب شخصية القاضي عياض.

وإذا كان يقال: «**لولا عياض لما عرف المغرب**» فإنه يصح القول أيضاً إنه «**لولا أزهار الرياض للمقري لما عرف القاضي عياض**».

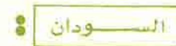
عبد القادر الإدريسي
الرباط ـ المغرب



★ د. بدرية العوضي ★



★ د. زكي نجيب محمود ★



السودان

معرض للكتاب العربي

أقيم في العاصمة السودانية أول معرض للكتاب العربي، وكان مخصصاً لعرض **منتجات (١٥) داراً لبنانية للنشر** وحوالي (٣٠) ألف كتاب من إصدارها، استمر هذا المعرض (٢٠) يوماً.

لبنان

الحياة الثقافية في طرابلس

كانت الحياة الثقافية في (**طرابلس**) بين عام ١٩٤٣ و١٩٧٩، عنواناً لرسالة تقدم بها **ممدوح زيادة** لكلية التربية **بالجامعة اللبنانية**.

مجلة تهتم بالثقافة فقط

تنوي إحدى دور النشر اللبنانية إصدار مجلة جديدة تهتم بالحياة الثقافية وبأسلوب ومضمون جديدين، وستركز على نتاج الشباب الجدد في لبنان والبلاد العربية.

* كتب جديدة *

● «**مع الشعراء**»، تأليف **الدكتور زكي نجيب محمود**، صدر عن **دار الشروق ببيروت**.

● «**التاريخ والوعي الطبقي**»، تأليف المفكر المجري **جورج لوكاش**، ترجمة **الدكتور حنا الشاعر**، صدر عن **دار الأندلس للطباعة والنشر**.

● «**ينابيع الرؤيا ـ دراسات نقدية**»، **لجبرا إبراهيم جبرا**، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت**.

● «**الصهيونية**»، تأليف **منير ماشوش**، صدر عن **دار المسيرة**.

● «**مقدمة في نظريات الثورة**»، تأليف **أ. س. كوهان**، ترجمة **فاروق عبد القادر**، صدر عن **المؤسسة العربية في بيروت**.

الوطن العربي

الجزائر

ندوة حول الوثائق

عقد بالجزائر العاصمة ندوة تدور حول (**الوثائق**) والمشاكل التي تعترض ميدان التوثيق ، والوسائل الكفيلة بالتغلب عليها ، وقد نظمت إدارة الأرشيف والوثائق معرضاً للصور والوثائق .

المهرجان الدولي الحادي عشر في (تيمقاد)

شهدت **مدينة (تيمقاد)** الأثرية عروضاً فنية ومسرحية وأدبية بمناسبة مهرجانها الحادي عشر ، وقد شارك في هذا المهرجان فرق محلية ووطنية ودولية .

مهرجان للموسيق التقليدية

أقيم (**بتلمسان**) مهرجان وطني للموسيقى التقليدية اشترك فيه عدد من الفرق الوطنية والأجنبية .

معرض للرسامين

نظم الاتحاد الوطني ـ للفنون التشكيلية ـ معرضاً ضم الأعمال الزيتية للفنانتين (**فليجاني خيره ـ والسيدة داود**) بقاعة **محمد راسم** .

عودة مجلة (التاريخ) للظهور

عادت مجلة التاريخ ـ التي يصدرها **المركز الوطني للدراسات التاريخية ـ إلى الظهور بعد انقطاع طويل** .

تونس

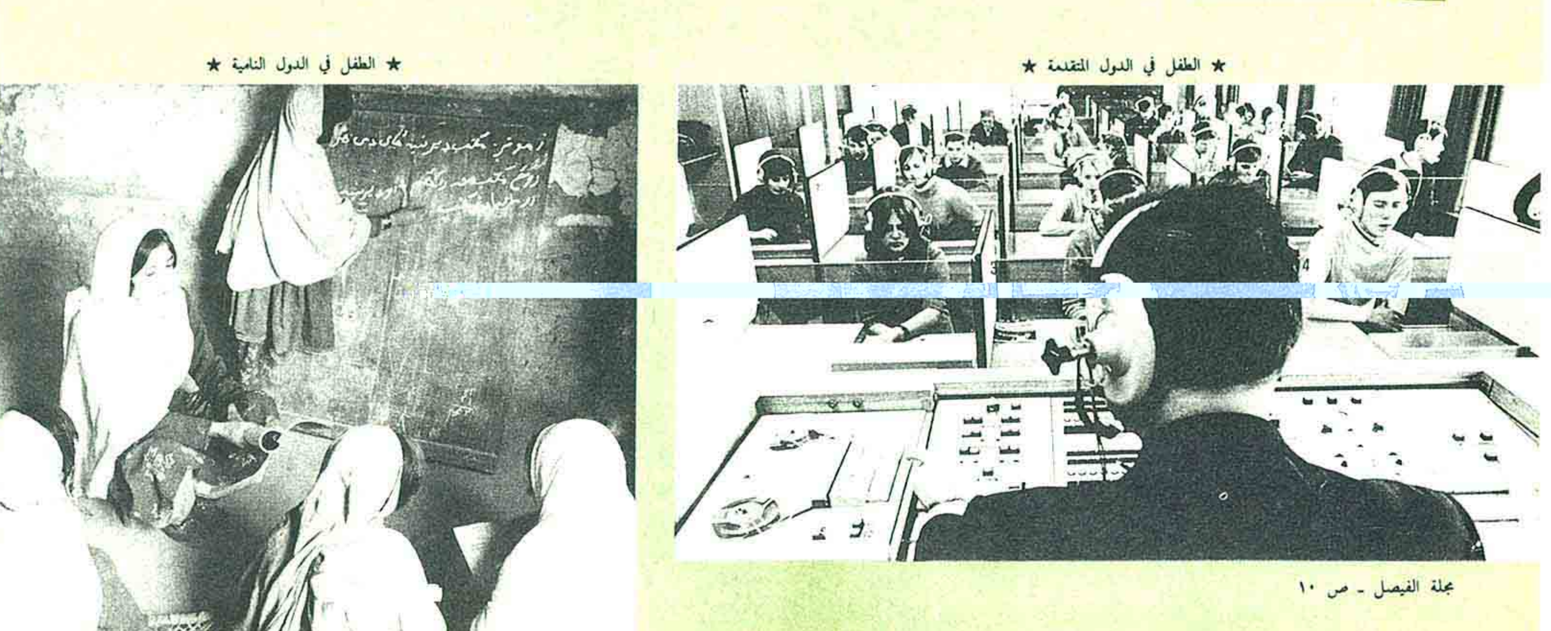
جائزة لمدير المعهد القومي للفنون والآثار

حاز **الدكتور صلاح الدين التلاتلي** على جائزة « **إفريقيا ـ البحر الأبيض المتوسط** » لسنة ١٩٧٩ م ، وذلك على كتابه « **قرطاج البونيقية** » وقد قدّم له هذه الجائزة **جمعية المؤلفين** .

مهرجان ثقافي

أقيم بمدينة « **حمام سوسة** » المهرجان الثقافي الثاني **للقنطاوي** اشتمل على عروض مسرحية وفنية ومسابقات أدبية في **القصة والشعر والرسم** ، ومسابقة في حفظ **القرآن الكريم** ، وكذلك مسابقات

لقطة



★ الطفل في الدول المتقدمة ★

★ الطفل في الدول النامية ★

رياضية .

معرض للكتاب العراقي

أقيم بقاعة (**يحيى**) بتونس العاصمة معرض **للكتاب العراقي** عرض فيه أكثر من ثلاثة آلاف كتاب باللغتين العربية والإنجليزية .

معرض لكتاب الأطفال

أقامت (**دار ابن خلدون الثقافية**) وذلك بمناسبة السنة العالمية للطفل ــ **معرضاً لكتاب الأطفال** ــ ضم مجموعة من القصص باللغتين العربية والفرنسية ، وقد ساهم في هذا المعرض عدد من دور النشر التونسية وكذلك الأجنبية .

معرض الفنانين التشكيليين

أقام عدد من الفنانين التشكيليين العرب معرضاً لهم (بنادي **قصر خير الدين**) بالعاصمة التونسية ، وقد ضم هذا المعرض أعمالا للفنانين في معظم الدول العربية وكذلك تركيا .

ندوة حول (الأدب النسائي)

نظم **نادي ابن رشيق الأدبي** ندوة تدور حول موضوع (**الأدب النسائي في تونس**) وقد حضر هذه الندوة بعض من الأديبات من بينهن نافلة وعروسية النالوتي .

جائزة بورقيبة في الطب

حاز كل من **الدكتور فتحي بن خليفة** من تونس **والدكتور العرباوي** من الجزائر على جائزة الرئيس بورقيبة في الطب .

معرض للفن التشكيلي القطري بتونس

تحت اشراف **اللجنة الثقافية القومية وسفارة دولة قطر بتونس** أقيم بقاعة (يحيى) **معرض للفن التشكيلي القطري ضم (٢٠) لوحة فنية لمجموعة من الرسامين القطريين .**

* كتب جديدة *

● «**أدب العلماء**» ج ٢ **للدكتور محمد السويسي** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب** .

● «**القصة الجزائرية القصيرة**» ، للدكتور **عبد الله خليفة ركيبي** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب** .

● «**في التدريس الأصيل**» ، تأليف **محمد الهاشمي زين العابدين** ، صدر عن **الشركة التونسية للنشر والتوزيع** .

● «**تطور النظريات والأفكار التربوية**» ، للدكتور **عمر محمد التومي** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب** .

كما صدر عن الدار التونسية للنشر والتوزيع :



★ جبرا إبراهيم جبرا ★ ★ د . محمد عزيز الحبابي ★

١ ـ «**رحلة القلصادي**» ، لأبي الحسن القلصادي الأندلسي المتوفي سنة ٨٩١ ، دراسة وتحقيق **محمد أبو الأجفان** .

٢ ـ «**صلعاء يا حبيبتي**» ، تأليف **عبد القادر بن الحاج نصر** .

٣ ـ «**الغصن على الحديد**» ، تأليف **محمد العزيز الحباني** .

٤ ـ «**ديوان الورغي**» ، تحقيق **عبد العزيز الغيزاني** .

٥ ـ «**التدريس الأصيل**» ، تأليف **الهاشمي زين العابدين** .

الإمارات العربية

مؤتمر للطب النووي

سيعقد في ١٥ ديسمبر (كانون الأول) من هذا العام ١٩٧٩ م ، مؤتمر للطب النووي في **أبو ظبي** يحضره خمسة وثلاثون طبيباً وعالماً من المتخصصين في أمراض الطب النووي وأمراض الغدد من مختلف أنحاء العالم ، وتستمر أعمال هذا المؤتمر ثلاثة أيام ، يشارك فيه المختصون بدول الخليج والدول العربية ، وسوف يبحث فيه **استخدامات الطب النووي لعلاج الأمراض المنتشرة في المناطق الحارة ، خاصة دول الخليج** ، إلى جانب مناقشة عدة أبحاث تتعلق بآخر ما وصل إليه الطب في معالجة أمراض الغدد .

ليبيا

* كتب جديدة *

● «**الحنين الظامئ**» ، تأليف **علي الرقيعي** ، صدر عن **الشركة العامة للنشر والتوزيع** ـ طرابلس ـ ليبيا .

● «**تجيئين كالماء وتذهبين كالريح**» ، تأليف **أحمد إبراهيم الفقيه** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب** بليبيا وتونس .

* كتب جديدة *

● « ١٩ أكتوبر ١٩٧٧ م » ، قصة جديدة **لبرنار نويل** ، صدرت عن **دار فلاماريون** ، وقد استوحى الكاتب أحداثها من مقتل اندرياس ياور ودفنه .

● « **فرنسا بلا بترول** » ، **لهنري أوجاك وجاكلين دوروفيل** ، تقديم **الفريد سوفي** ، صدر عن **كلمن لفي** .

● « **أرض تحترق** » ، مجموعة شعرية للشاعر **إيلي معكرون** ، صدرت عن **دار هارماتان بباريس** .

الباكستان

المودودي .. إلى رحمة الله

الشيخ أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في الباكستان ، والمفكر الإسلامي المعروف الذي فاز في هذا العام بجائزة الملك فيصل العالمية للخدمات التي قدمها للإسلام ، انتقل إلى رحمة الله في مستشفى « بافلو » في نيويورك عن ٧٧ عاماً ، وقد كان الشيخ المودودي يتلق علاجه من إصابة في الكبد والكلى ، والتهاب المفاصل .

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون (للقارئ الذي يرغب في معرفة تفاصيل حياة الشيخ المودودي الاطلاع على العدد ٢٢ من مجلة **الفيصل** الصادر في شهر ربيع الآخر ١٣٩٩ هـ / مارس ١٩٧٩ م) .

بريطانيا

دورة لتعليم اللغة العربية

تنظم **جامعة الملك عبد العزيز** ممثلة بمركز اللغة العربية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، **دورة لتعليم اللغة العربية** لأبناء **الجاليات الإسلامية** المقيمة بلندن ، ويبلغ عدد المشتركين أكثر من (٦٠) دارساً ، هذا وقد أعد برنامج حافل لإنجاح هذه الدورة .

* كتب جديدة *

● « **الشوارد المعدنية في المحاليل** » ، دراسة بقلم **جون بورغيس** ، صدرت عن **ماكميلان** .

● « **تعارف الخلايا** » ، بحث علمي أشرف عليه **أ . س . كورتيس** ، صدر عن **جامعة كامبردج لجمعية علم الحياة التجريبي** .

● « **الدارات الحديثة الموحدة والحاسب الإلكتروني** » ، تأليف **باري ح . وولارد** ، صدر عن **ماك غروهيل** .

● « **ارسال وتوليد الموجات الإلكترو ـ مغناطيسية** » ، تأليف **ك . ف . ساندر و : ج . أ . ل . ريد** ، صدر عن **جامعة كامبردج** .

● « **دور الفحم في تقنية الغد** » ، تأليف **تشارلز سيمونز** ، صدر عن **بيرغامون** .

● « **خمائر التربة** » ، دراسة من إعداد **ر . ج . بيرنز** ، صدرت عن **أكاديميك برس** .

● « **التنمية الإدارية ـ فحواها ـ سياساتها** » ، دراسة من إعداد **جون بورغدين وروَجر ستيوارت** صدرت عن **غاور برس** .

● « **النقود الشرقية وقيمتها** » ، ج ٢ ويشمل العالم القديم والوسيط من ٦٠٠ قبل الميلاد إلى ٦٥٠ بعد الميلاد ، تأليف **ميشيل متشينار** ، صدر عن **هاوكنز** .

فرنسا

معرض للفن المعاصر

أقيم في **متحف الفن الحديث بباريس** معرض للفن المعاصر شارك فيه مجموعة من الفنانين المعاصرين الفرنسيين والإيطاليين ، وقد ضم المعرض بعض اللوحات الحديثة التي رسمها الفنان الإيطالي **(دورازيو)** الذي تميز بألوانه المتدرجة ، والرسام الفرنسي **(مارتن بار)** الذي اشتهر برسم الأشياء الصغيرة .

ندوة إسلامية عن القدس

نظمت **الجمعية الإسلامية بمدينة (ديبون)** الفرنسية ندوة إسلامية ، استمرت زهاء خمس ساعات في المصلى التابع للجمعية عن **القدس** ، وقد لاقت هذه الندوة نجاحاً كبيراً ، حضرها المسلمون المقيمون في هذه المدينة ، كما حضرها مدير **مكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس** ، وقد بحث في هذه الندوة عدة مواضيع من أهمها : **أهمية مدينة القدس الشريف لدى كافة المسلمين** ، كما تطرق البحث في هذه الندوة إلى واقع المسلمين في فرنسا ومدى مساعدتهم .



★ سيد أبو الأعلى المودودي ★

أسبانيا

مركز ثقافي إسلامي ومسجد في مدريد

سيتم قريباً بناء **مركز ثقافي إسلامي ومسجد في مدريد**، وقد شارك في تقديم تكاليف هذا المشروع **المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية، والكويت، وليبيا**.

أمريكا

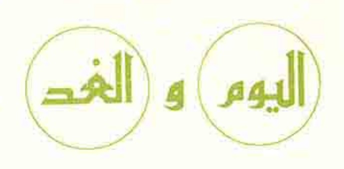
ندوة إسلامية عن السيرة النبوية

نظم مكتب **رابطة العالم الإسلامي** في أميركا وكندا بالتعاون مع عدد من **المراكز والجمعيات الإسلامية في نيويورك ونيوجرسي**، ندوة إسلامية عن **السيرة النبوية** في قاعة **جامعة كولومبيا** (بنيويورك)، تحدث في هذه الندوة نخبة من العلماء العاملين في الحقل الإسلامي في القارة الأميركية، وقد تناولت معظم الكلمات التي ألقيت في هذه الندوة **سيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم** منذ ولادته حتى لحق بالرفيق الأعلى، كما حث جميع المتحدثين في كلماتهم على التمسك بالإسلام واتباع تعاليم القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة.

نيبال

كتب إسلامية للمسلمين

قامت **الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي** بإرسال كميات من الكتب الدينية باللغة العربية والإنجليزية لتوزيعها على مسلمي نيبال رغبة في تنوير أذهان المسلمين هناك، وتعريفهم بمبادئ الإسلام وتعاليمه السمحة، وكان المجلس التأسيسي للرابطة قد أوصى بضرورة دعم ومساعدة المسلمين في دولة نيبال وإرسال كميات مناسبة من الكتب الدينية إليهم.



هاتف المستقبل بدون سلك

● رغبة في التحرر من البيت، اخترع هاتف لاسلكي ليعمل عمل الهاتف المستخدم حالياً الذي سيصبح تقليدياً، وسوف يكون الهاتف الجديد منافساً له.

حاسب يعمل بالضوء

● ابتكرت إحدى الشركات اليابانية **أغرب حاسب** ــ يعمل بواسطة أي ضوء ــ سواء أكان **ضوء الشمس، أو ضوء الحجرة، أو حتى ضوء عود الكبريت**، هذا **الحاسب لا يستخدم أية بطارية على الاطلاق** على خلاف الحاسبات الأخرى، إلا أنه مزود بخلايا شمسية مصنوعة من بلورات «السليكون» النقي والتي تشبه مثيلاتها التي تستخدم لتوليد الطاقة في الفضاء.

حافظ للأسطوانات وشاشة التلفزيون

● تم في **فرنسا** إنتاج مستحضر جديد أنتجته **شركة «بوش»** على شكل «**سبراي**» يستخدم لرش شاشة التلفزيون ليحفظها نظيفة نقية من الأوساخ والتراب العالق بفعل الكهرباء الموجودة في الشاشة، وكذلك يستخدم لإطالة عمر الأسطوانات وبقي إبرة «**البيك آب**» من الانقراض السريع، هذا السائل الغازي مصنوع من **مادتي الأثير الفوسفوري وسبيرتو الأثيليك**.

الاستغناء عن حمالة الحقائب

● ابتكرت حاملات جديدة تتكون من أربع ماصات هواء تركب على سقف السيارة، وعند وضع الحقائب فوقها تمتص الهواء الموجود في الفراغ ما بينها وبين الحقيبة لتلتصق بها الحقيبة بإحكام، وبهذا تبقى ثابتة مكانها طيلة مدة السفر. هذه الطريقة تمتاز بأنها لا تحتاج إلى ربط وإحكام، وتبقى الحقيبة خالية من أي أثر أو خدش قد يحدثه الحبل أو حزام الربط المستخدم حالياً في الحاملة التي تثبت على سقف السيارة.

مكافحة الحرائق بالعقول الإلكترونية

● في **هامبورج** بألمانيا الاتحادية ظهر أحدث **مركز للإطفاء يستخدم العقل الإلكتروني**، يتولى توجيه عربات الإطفاء نحو الأماكن المطلوب انقاذها بعد (٥٠) ثانية من تلقي الإشارة وكافة البيانات الخاصة بالحرائق.. **العقل الإلكتروني الجديد يقوم بتوجيه (٣٠) مركزاً فرعياً للإطفاء في مدينة هامبورج**.

أفكار منشورة أفكار منشورة



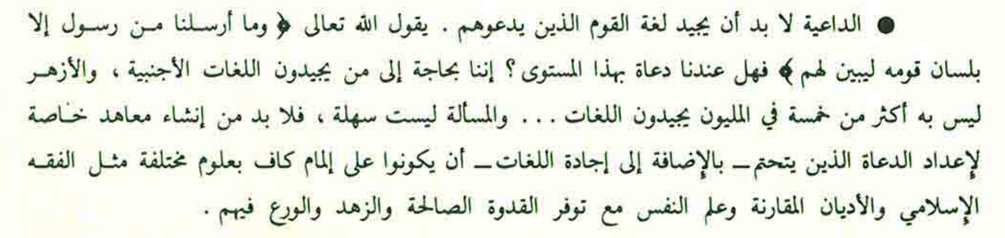
★ علي خليفة ★

● إن على دول (أوبيك) أن تغير من سياسة إنتاجها النفطي من كونها موجهة أساساً إلى الأسواق العالمية ، ومتأثرة بتطورات هيكل الطلب على الطاقة للدول الصناعية ، إلى سياسة إنتاج مبنية على رؤية طويلة المدى للتحول الاقتصادي الاجتماعي في مجتمعاتها .

علي الخليفة الصباح ـ وزير النفط الكويتي ـ جريدة « السياسة » الكويتية



★ خالد محمد خالد ★

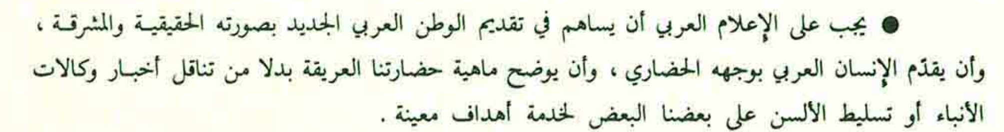


● الداعية لا بد أن يجيد لغة القوم الذين يدعوهم . يقول الله تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ فهل عندنا دعاة بهذا المستوى ؟ إننا بحاجة إلى من يجيدون اللغات الأجنبية ، والأزهر ليس به أكثر من خمسة في المليون يجيدون اللغات . . . والمسألة ليست سهلة ، فلا بد من إنشاء معاهد خاصة لإعداد الدعاة الذين يتحتم ـ بالإضافة إلى إجادة اللغات ـ أن يكونوا على إلمام كاف بعلوم مختلفة مثل الفقه الإسلامي والأديان المقارنة وعلم النفس مع توفر القدوة الصالحة والزهد والورع فيهم .

خالد محمد خالد ـ مجلة « اقرأ » السعودية



★ د . المنصف الشنوفي ★

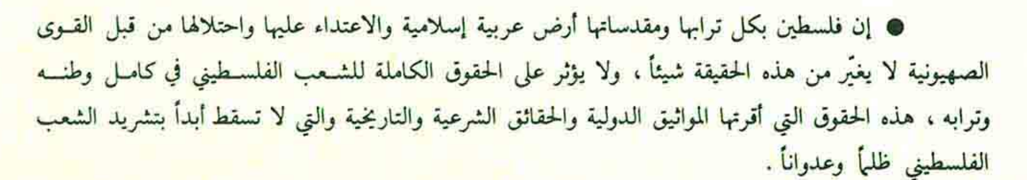


● يجب على الإعلام العربي أن يساهم في تقديم الوطن العربي الجديد بصورته الحقيقية والمشرقة ، وأن يقدّم الإنسان العربي بوجهه الحضاري ، وأن يوضح ماهية حضارتنا العريقة بدلا من تناقل أخبار وكالات الأنباء أو تسليط الألسن على بعضنا البعض لخدمة أهداف معينة .

الدكتور المنصف الشنوفي ـ عميد معهد الصحافة في تونس ـ مجلة « اليقظة » الكويتية



★ مفتي لبنان ★

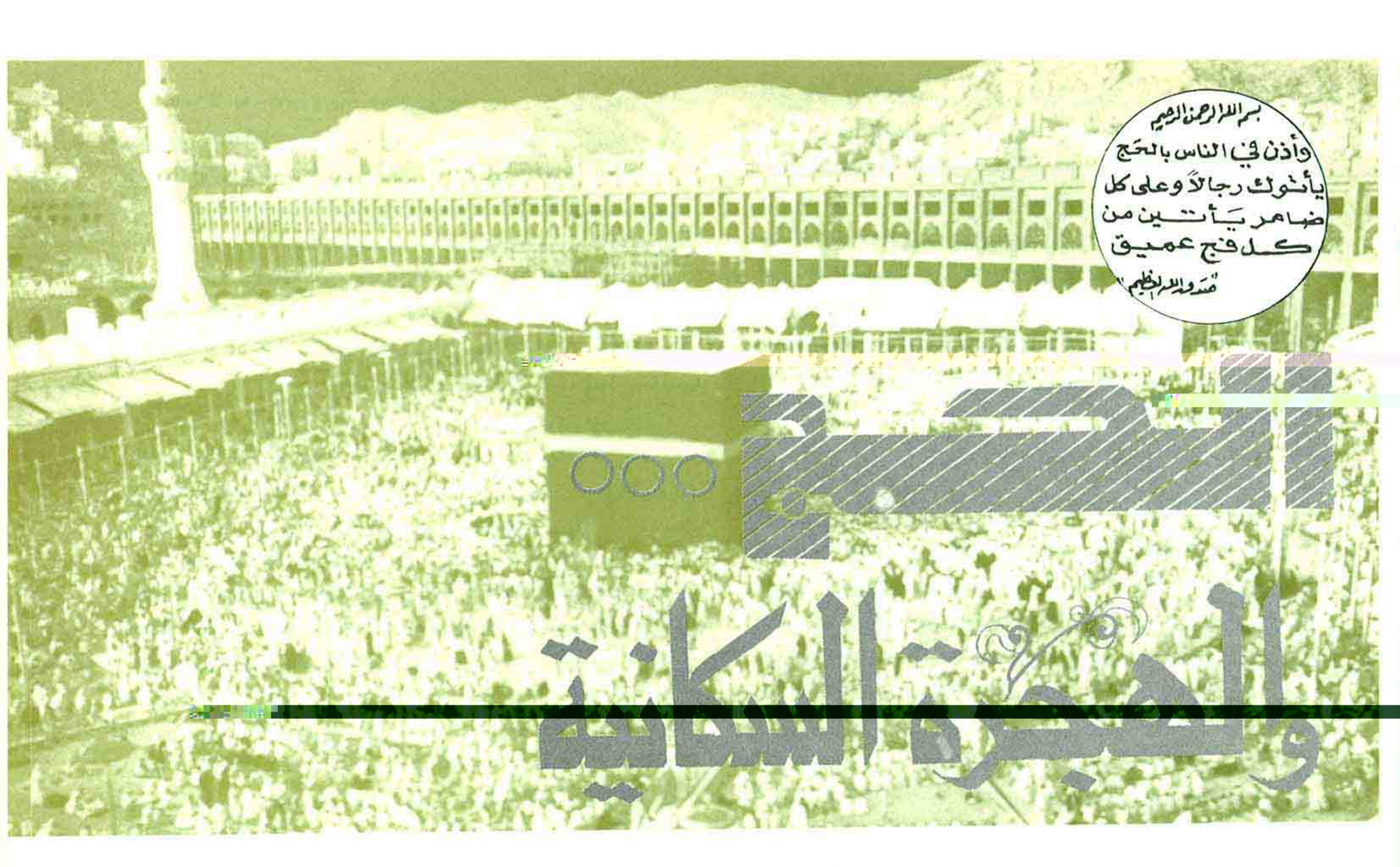


● إن فلسطين بكل ترابها ومقدساتها أرض عربية إسلامية والاعتداء عليها واحتلالها من قبل القوى الصهيونية لا يغيّر من هذه الحقيقة شيئاً ، ولا يؤثر على الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني في كامل وطنه وترابه ، هذه الحقوق التي أقرتها المواثيق الدولية والحقائق الشرعية والتاريخية والتي لا تسقط أبداً بتشريد الشعب الفلسطيني ظلماً وعدواناً .

حسن خالد ـ مفتي لبنان ـ مجلة « فلسطين »

● قلما يخطر ببال المرأة وغيرها أن هموم الرجل أعظم بكثير من همومها وأن حاجته إلى التحرر من بعضها أعظم بكثير من حاجتها إلى التحرر من بعض القيود التي تزعم أن المجتمع يفرضها عليها ، وحسبنا أن نذكر من تلك الهموم هم كسب الرزق ، فمسؤوليته لا تزال بحكم العادة والقانون تقع عليه ، حتى ولو كانت امرأته قادرة على العمل أو تعمل فعلاً ، أو حتى صاحبة ثروة طائلة موروثة أو مكتسبة ، فحياة الرجل تكاد أن تكون كفاحاً مستمراً في سبيل الرزق يكلفه الكثير من صحته الجسمية والنفسية ، ويضطره كثيراً إلى أن يضرب في الآفاق ، كما أنه يقضي عليه في بعض الأحيان .

د . محمود زايد ـ صحيفة « الشرق الأوسط »



دراسة في حركة السكان في العالم الإسلامي

إعداد: د. السيد خالد المطري

تعتبر الهجرة عنصراً من عناصر حركة السكان وانتقالهم، فالسكان ليسوا كتلة ثابتة جامدة غير متحركة، وإنما هم في حركة دائمة تتم بطريقتين: الأولى طبيعية عن طريق المواليد والوفيات، والثانية غير طبيعية عن طريق الهجرة. وإذا كانت المواليد والوفيات تعمل على توزيع السكان، فإن الهجرة تؤدي إلى إعادة هذا التوزيع.[1]

وللهجرة صور مختلفة، فقد تكون دولية أو داخلية، جماعية أو فردية، اختيارية أو اجبارية، دائمة أو مؤقتة، موسمية أو يومية. فما موقع الحج من هذه الصور جميعها؟

الواقع أن الحج صورة من صور هجرة السكان وتحركهم وانتقالهم من مكان إلى آخر. **ولا يقتصر الحج على صورة واحدة من صور الهجرة بل قد يشملها جميعاً**. فهو هجرة دولية تنقل أفواج الحجاج من محل إقامتهم المعتاد، عبر الحدود السياسية لدولهم، إلى داخل حدود المملكة العربية السعودية. وهو هجرة داخلية أيضاً تنقل السكان من أبناء المملكة العربية السعودية والمقيمين فيها من رعايا الدول الأخرى من محل إقامتهم المعتاد في قرى ومدن المملكة إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج استكمالا **للركن الخامس من أركان الإسلام. ويتم الحج بطريقتين**: فردية ينتقل فيها الحاج بمفرده إلى الأراضي المقدسة، أو جماعية تشمله مع غيره من الحجيج في أفواج وجماعات تنتقل بمحض اختيارها الحر المباشر دون اجبار أو قسر. **وتكون الهجرة إلى الحج موسمية تتم في موسم معين بين أوائل ذي القعدة وأواخر ذي الحجة من كل عام تقريباً**، وإن كانت هجرة بعض الحجاج تتحول إلى هجرة دائمة حينما يستقر هذا البعض في الأراضي المقدسة لا يعودون منها إلى بلادهم، إما بحثاً عن عمل أو قضاء للبقية الباقية من حياتهم بجوار المشاعر المقدسة **والحرمين الشريفين** خاصة من جانب كبار السن من الحجيج. وتشبه الهجرة الموسمية إلى الحج، في هذه الحالة، الهجرة الموسمية إلى العمل، التي يقوم بها المزارعون من بعض الدول للعمل في الأراضي الزراعية في الدول الأخرى أثناء موسم الحصاد، ثم يعودون عقب انتهاء هذا الموسم إلى بلادهم مرة أخرى، مع اختلاف كل من الهجرتين. وبذا يكون الحج صورة من صور الهجرة المؤقتة تستغرق شهراً أو شهرين أو نحوهما، يعود بعدهما الحجاج إلى محال إقامتهم المعتاد.

دوافع الهجرة إلى الحج وتركيبها

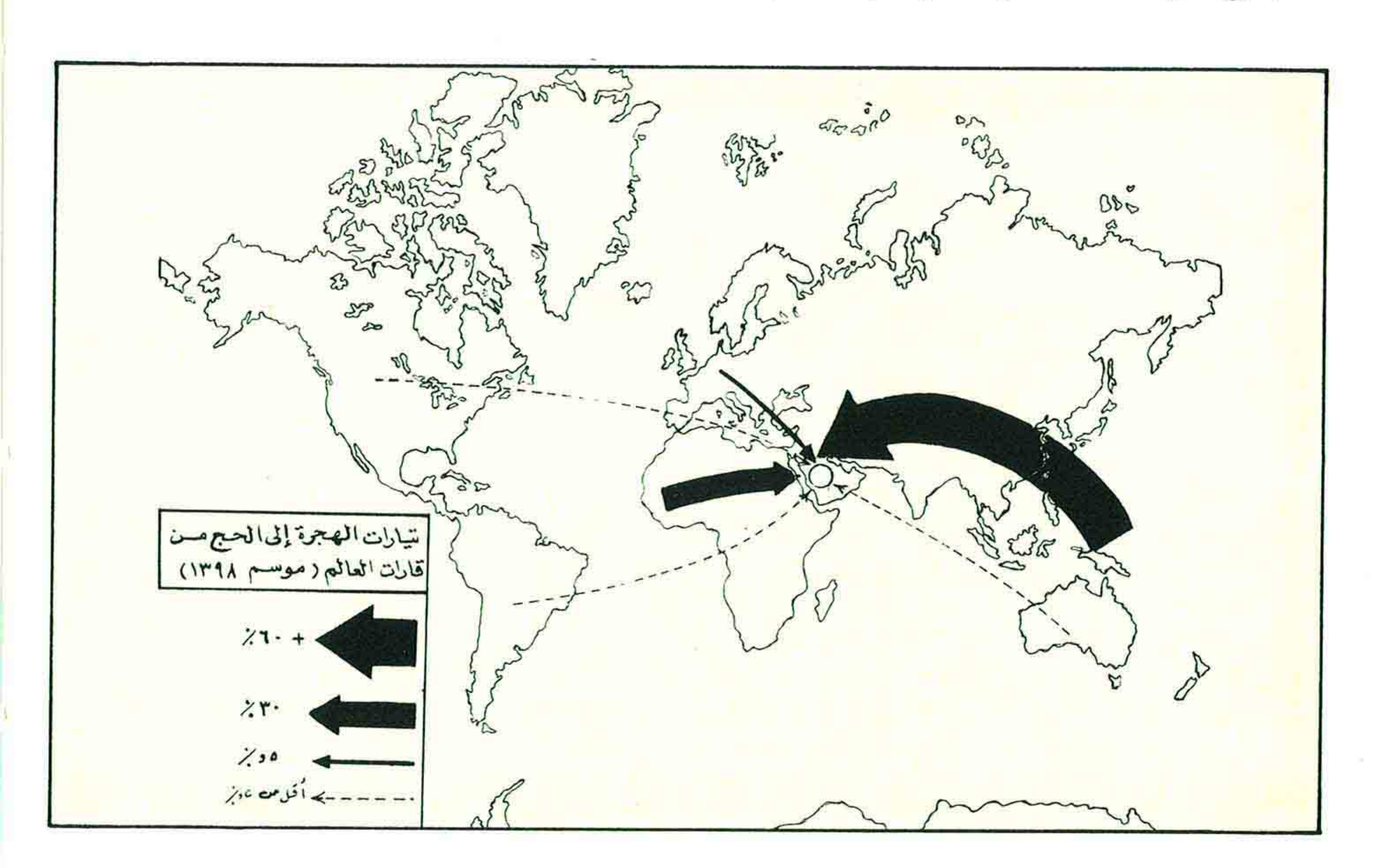
وإذا كان الحج على ذلك صورة من صور هجرة السكان وانتقالهم وتحركهم من مكان إلى آخر ، فإنه يختلف عن الهجرة السكانية العادية في دوافعه وفي تركيبه النوعي والعمري ، بحيث يمكن القول إنه **هجرة من نوع خاص** لم تتناولها الدراسات السكانية من قبل . ذلك أن دوافع الحج ومسبباته تختلف اختلافاً جذرياً عن دوافع الهجرة السكانية المعروفة : **فهي ليست دوافع سياسية** (كتغير الحدود السياسية بين الدول أو تبادلها للسكان بناء على اتفاقيات دولية ، أو الاضطهاد السياسي أو الديني أو الحروب) ، كما أنها **ليست دوافع اقتصادية (مثل الرغبة في تحسين المستوى الاقتصادي للأفراد) ، بل هي دوافع دينية روحية بحتة لا مادية** ، إذ يلعب عامل الجذب الديني دوراً أساسياً ووحيداً في اجتذاب أفواج الحجاج المسلمين من كافة بقاع العالم الإسلامي واللاإسلامي إلى البقاع المقدسة ، ليقضوا نسكهم وليستكملوا دينهم .

كذلك فإن **التركيب النوعي** لأفواج الحجيج لا يكون من الذكور وحدهم ، كما هو حال الهجرات السكانية الدولية التي شهدتها جهات كثيرة من العالم منذ بداية القرن التاسع عشر ، بل يشمل النوعين معاً الذكور والإناث بنسب متقاربة . كذلك فإن **التركيب العمري** لأفواج الحجيج لا يكون من الشباب وفئات السن المتوسطة القادرة على العمل والإنتاج ، كما هو حال الهجرات السكانية العادية ، بل يضم فئاتاً سنية متفاوتة ، تشمل الشباب متوسطي السن والشيوخ والكهول ، وبعض العجزة غير القادرين على الحركة والانتقال ، الذين يودون لو انتهت بهم رحلة الحياة في الأراضي المقدسة .

تسجيل الهجرة إلى الحج

يتم تسجيل الهجرة إلى الحج بطريقتين : مباشرة وغير مباشرة حسب نوعها . **فالهجرة الدولية إلى الحج** يتم تسجيلها بطريقة مباشرة ، وذلك بتسجيل أعداد الحجاج القادمين من خارج المملكة العربية السعودية في الموانئ البحرية والجوية ، وفي المداخل البرية للمملكة من واقع جوازات السفر بمعرفة مصلحة الجوازات والجنسية بوزارة الداخلية . كما تعتمد هذه الطريقة المباشرة على عدد تأشيرات الدخول إلى المملكة للحج التي تعطى للأجانب من سفارات المملكة في الدول المختلفة . وبهذا يمكن التمييز بسهولة بين القادمين للحج والقادمين للعمل والإقامة ، وكلها هجرات للأجانب .

أما **الهجرة الداخلية إلى الحج** ، أي انتقال المواطنين والمقيمين من قرى ومدن المملكة إلى الأراضي المقدسة ، فتتم بطريقة غير مباشرة وذلك بتسجيل جميع الحجاج الذين يدخلون مكة المكرمة من مداخلها المتعددة في فترة الحج ، واستبعاد الحجاج القادمين من خارج المملكة من مجموعهم ليكون الباقي هم مجموع الحجاج



من داخل المملكة . وتتم هذه العملية بطريقة متطورة بواسطة الأجهزة الحديثة التي تستخدمها السلطات في المملكة لأداء هذا الغرض .

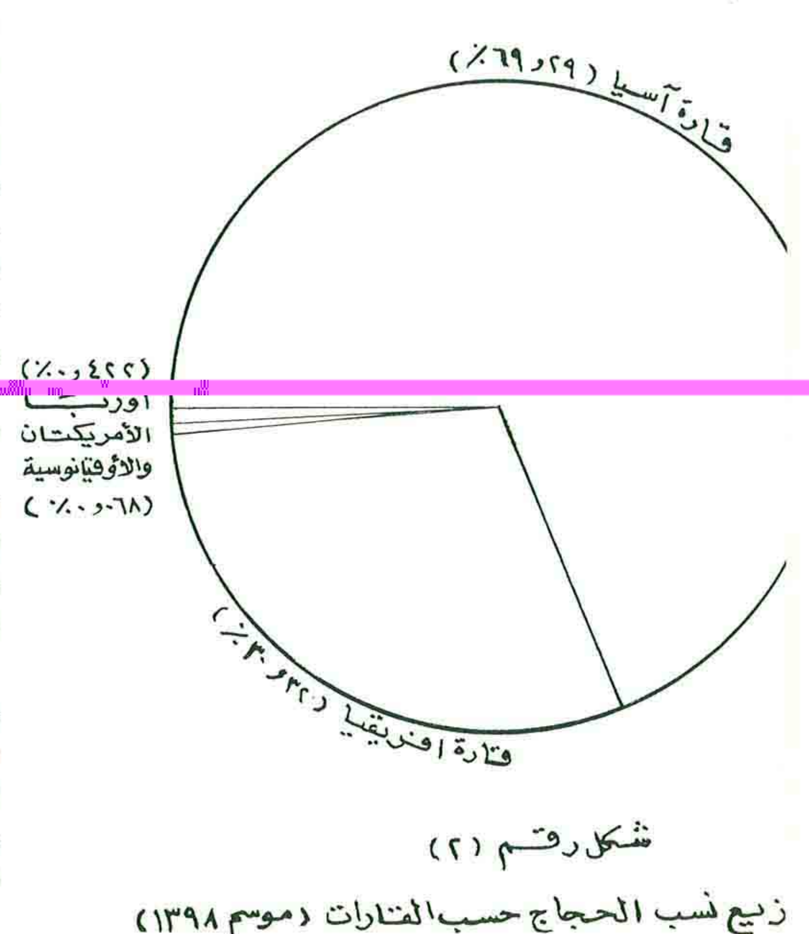
★ ★ ★

وسنتناول موضوع الهجرة إلى الحج من جوانب متعددة منها : موقف قارات العالم ودوله من المشاركة في هذه الظاهرة الدينية العالمية المتكررة بانتظام ، مع بيان دور الدول الإسلامية والدول غير الإسلامية في هذه الظاهرة ، ودور العالم العربي في المساهمة فيها ، باعتباره الموطن الذي نشأ فيه الإسلام وانتشر منه إلى بقاع العالم الإسلامي المختلفة ، ونسبة إرسال الدول للحجيج بالقياس إلى عدد سكانها المسلمين ، وأخيراً مستقبل الهجرة إلى الحج في العشرين عاماً القادمة على ضوء تطوره في الخمسين عاماً الماضية . وستكون أرقام الحجاج الدوليين في موسم ١٣٩٨هـ محوراً لهذه الدراسة .

مدى مشاركة قارات العالم في الهجرة إلى الحج

إن نظرة إلى **الشكلين رقم (١) ، و (٢)** توضح أن **قارة آسيا تشارك بالقدر الأكبر في حركة الحج الموسمية بين قارات العالم قاطبة** ، إذ تبلغ نسبة من ترسلهم إلى الحج ٦٩,٢٩٪ (أو ٥٧٥,٢٩٤ حاجاً) . ويتفق هذا تماماً مع كون آسيا **قارة الإسلام الكبرى في العالم ، إذ تضم أكثر من (٤٠٠) مليون مسلم من بين (٦٥٠) مليون مسلم في العالم** ، بنسبة ٧٤٪ تقريباً . كما يتفق هذا أيضاً مع وقوع البقاع المقدسة فيها وكونها أقرب القارات نسبياً إليها ، مما يجعل عوامل المسافة والزمن والتكلفة تلعب دوراً هاماً في تسهيل انتقال الحجاج منها إلى هذه المشاعر .

وتأتي **قارة إفريقيا** في المرتبة الثانية بعد آسيا من حيث مشاركتها في حركة



شكل رقم (٢)

زيع نسب الحجاج حسب القارات (موسم ١٣٩٨)

الهجرة إلى الحج كل عام ، إذ تشارك بنسبة ٣٠,٢٢٪ (٢٥٠,٨٥٦ حاجاً) من مجموع من أرسلتهم قارات العالم إلى حج العام الماضي . ويتفق ذلك أيضاً مع كون إفريقيا القارة البكر للإسلام التي ينتشر بين سكانها بخطى سريعة تدك معاقل الظلام والجاهلية المتمثلة في **العقائد الوضعية** ، والتي تضم أكثر من (٢٥٠) مليون مسلم أو نحو ٣٣,٥٪ من إجمالي المسلمين في قارات العالم أجمع .

وإذا كانت قارتا آسيا وإفريقيا أرض الإسلام التي تشمل الأغلبية الساحقة من المسلمين في العالم أجمع (٩٧,٥٪ من إجمالي مسلمي العالم) ، فليس غريباً إذاً أن تشارك القارتان في الهجرة إلى الحج بالأغلبية الساحقة (٩٩,٥١٪ ، أو ٨٢٦,١٥٠ حاجاً) من جملة من ترسلهم قارات العالم إلى الحج كل عام .

أما باقي قارات العالم فلا تشارك في الهجرة إلى الحج إلا بقدر زهيد لا يتجاوز ٠,٤٩٪ من إجمالي الحجاج . ويتفق ذلك كذلك مع انخفاض نسبة المسلمين في هذه القارات بالقياس إلى إجمالي مسلمي العالم (٢,٥٪) . وهنا تأتي **قارة أوروبا** في المقدمة ، تليها **قارة أمريكا الشمالية ، فأمريكا الجنوبية ، فأستراليا** .

والظاهرة الجديرة بالتسجيل هنا ، أن قارات العالم أجمع قد شاركت في حركة حج العام الماضي بإرسال أفراد من سكانها المسلمين وإن اختلفت أعدادهم . مما يؤكد أن الإسلام ظاهرة عالمية لا تخلو منها قارة من القارات ، مهما بعدت المسافات أو طال زمن الرحلة إلى الحج .

دول إرسال الحجاج

إذا ألقينا نظرة على **الشكل رقم (٣)** الذي يبين موقف دول العالم من إرسال الحجاج ومدى مشاركتهم في موسم العام الماضي ، لاتضحت لنا الحقيقتان التاليتان :

●● **الأولى :** أن الغالبية العظمى من موجة إرسال الحجاج العام الماضي قدمت من خمس عشرة دولة فقط من مختلف أنحاء العالم (الإسلامي وغير الإسلامي) ، أرسلت كل منها أكثر من عشرة آلاف حاج بنسبة أكثر من ١٪ من إجمالي الحجاج . وهذه الدول هي بالترتيب : **اليمن الشمالي - أندونيسيا - العراق - الباكستان - نيجيريا - سورية - إيران - مصر - ليبيا - الأردن - تركيا - الجزائر - المغرب - الهند والسودان** . وقد بلغ مجموع القادمين من هذه الدول ٧١٨,٤٠٢ من الحجاج ، أو بنسبة ٨٦,٥٣٪ من مجموع القادمين للحج في العام المنصرم . وهنا نلاحظ أن نيجيريا والهند تشغلان المركزين الخامس والرابع عشر على التوالي من حيث إرسال الحجاج بالرغم من أنهما دولتان غير إسلاميتان . بل إن نيجيريا هي أولى دول إفريقيا إرسالا للحجاج وتفوق كثيراً من الدول [illegible] مثل مصر وتركيا وإيران والسودان والجزائر والمغرب) في هذا الصدد ، مما يؤكد قوة التيار الديني الإسلامي في هذه الدولة غير الإسلامية .

أما الدول الأخرى التي شاركت في إرسال الحجاج في العام الماضي ، وعددها ١٠٣ دول ، فلم ترسل إلا ١٣,٤٧٪ أو ١١١,٨٣٤ حاجاً من مجموع الحجاج القادمين من دول العالم كله . مما يبين بجلاء أن ضخامة تيار الهجرة إلى الحج يتوقف كل عام على عدد القادمين من مجموعة محدودة من الدول بصرف النظر عن ديانتها الرسمية .

●● **الثانية :** أن تيار الهجرة إلى الحج شمل في العام الماضي ٣٤ دولة من قارة آسيا بنسبة ٢٩,٦٦٪ من مجموع الدول التي شاركت في هذا التيار ، في مقدمتها اليمن الشمالي ، بينما يشمل ٤٤ دولة من قارة إفريقيا بنسبة ٣٧,٢٩٪ من مجموع الدول في مقدمتها نيجيريا ، ١٧ دولة من قارة أوروبا بنسبة ١٤,٤٠٪ في مقدمتها بريطانيا ، ودولتان من قارة أمريكا الشمالية بنسبة ١,٧٠٪ في مقدمتها الولايات المتحدة ، و٥ دول من قارة أمريكا الجنوبية بنسبة ٤,٢٤٪ في مقدمتها ترنداد ،

ودولة أستراليا من القارة الأسترالية .

ويشير هذا إلى اتساع نطاق الدول التي يضمها هذا التيار في إفريقيا ، تليها آسيا فأوروبا فالأمريكتين . وتشكل دول قارتا آسيا وإفريقيا ٦٦,٩٥٪ من مجموع الدول التي شاركت في إرسال الحجاج هذا العام . كما ينبئ ذلك باحتمالات اتساع هذا التيار في المستقبل ليشمل دولا أخرى من قارات العالم المختلفة نتيجة لسرعة انتشار الدين الإسلامي ، خصوصاً بين سكان الدول التي لا زالت تعيش في ظلام العقائد الوضعية .

حجاج الدول الإسلامية والدول غير الإسلامية

يشكل الحجاج القادمون من الدول الإسلامية الأغلبية الساحقة من مجموع الحجاج الذين أرسلتهم دول العالم المختلفة لحج العام الماضي ، **(شكل رقم ٤)** . فقد بلغ نصيب الدول الإسلامية ٨٧,٠٧٪ (أو ٧٢٢,٩٣٥ حاجاً) ، في حين بلغ نصيب الدول غير الإسلامية ١٢,٩٣٪ (أو ١٠٧,٣٠١ حاجاً) ، وهو أمر طبيعي يتفق مع تركيز الأغلبية العظمى من المسلمين في دول العالم الإسلامي .

وإذا قارنا الدول الإسلامية بعضها بالبعض الآخر من حيث عدد من أرسلتهم من الحجاج في موسم العام الماضي **(شكل رقم ٥)** ، أمكننا تقسيم هذه الدول إلى ثلاث مجموعات على أساس نسبة إرسال كل دولة إلى إجمالي حجاج الدول الإسلامية ، وذلك على النحو التالي :

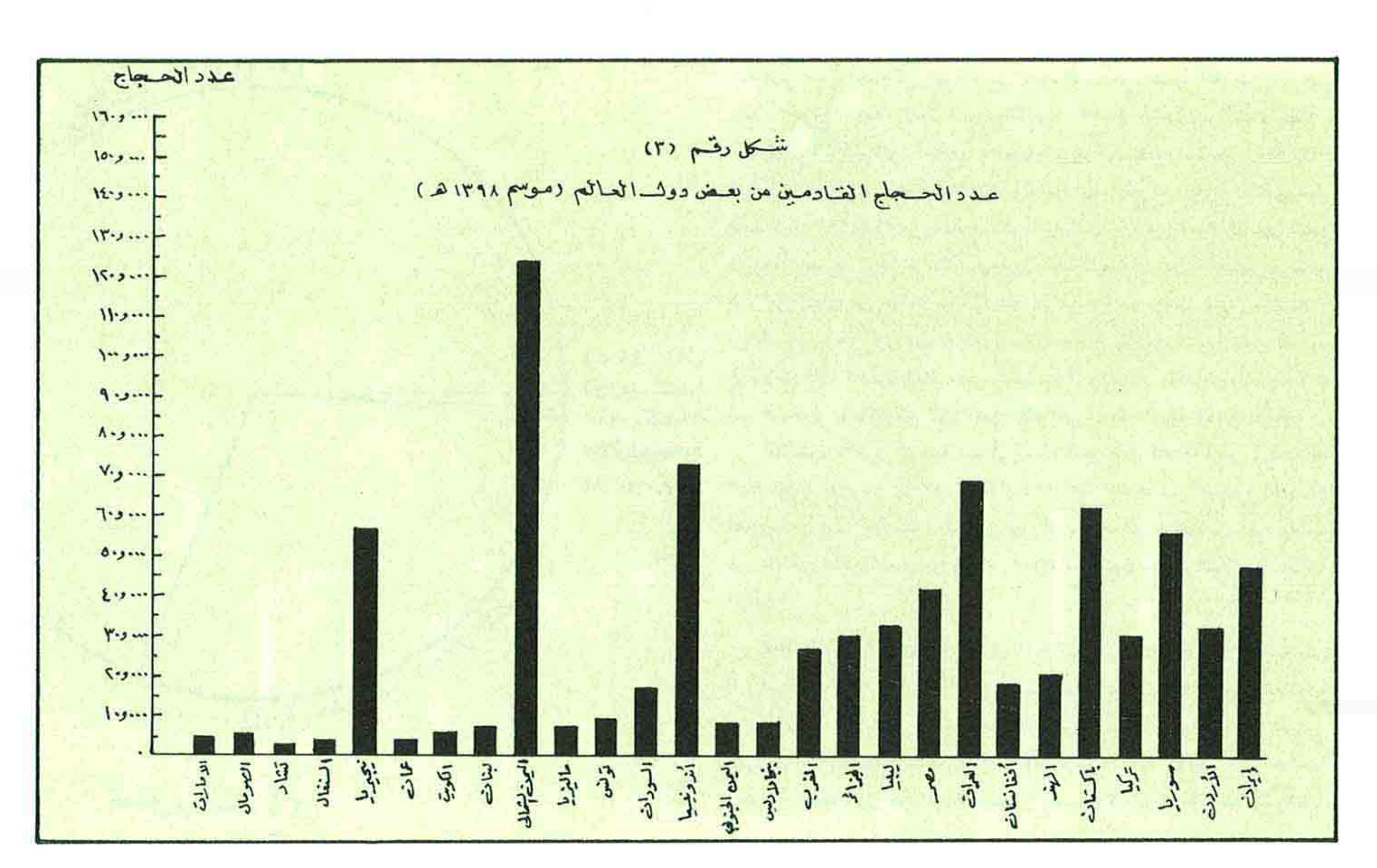
(أ) ـ **المجموعة الأولى** : وتشمل ١٢ دولة شاركت كل منها بأكثر من ٣٪ من إجمالي حجاج الدول الإسلامية ، وهي بالترتيب : اليمن الشمالي ـ أندونيسيا ـ العراق ـ باكستان ـ سورية ـ إيران ـ مصر ـ ليبيا ـ الأردن ـ تركيا ـ الجزائر والمغرب . وتبلغ نسبة من أرسلتهم هذه المجموعة ٨٦,٣١٪ (أو ٦٢٣,٩٢٠ حاجاً) من مجموع حجاج الدول الإسلامية . ويلاحظ هنا ارتفاع نسبة إرسال اليمن الشمالي للحجاج ، بينما ينخفض هذا التيار من كل من تركيا والجزائر والمغرب التي تأتي في مؤخرة هذه المجموعة من الدول الإسلامية .

(ب) ـ **المجموعة الثانية** : وتضم خمس دول فقط ، يشكل تيار الهجرة القادم من كل منها بين ١ ـ ٣٪ من إجمالي حجاج الدول الإسلامية ، وهي بالترتيب : السودان ـ تونس ـ أفغانستان ـ بنجالاديش واليمن الجنوبي . وتبلغ نسبة من أرسلتهم هذه المجموعة ٦,٧١٪ (أو ٣٤,٣٣١ حاجاً) من إجمالي تيار الحج في العام الماضي .

(جـ) ـ **المجموعة الثالثة** : وتشمل ١٣ دولة ساهمت كل منها بنسبة أقل من ١٪ من إجمالي حجاج الدول الإسلامية . وهذه الدول بالترتيب هي : ماليزيا ـ الكويت ـ الصومال ـ الإمارات العربية ـ عمان ـ السنغال ـ تشاد ـ مالي ـ البحرين ـ غينيا ـ قطر ـ موريتانيا وجيبوتي . وقد بلغت نسبة من أرسلتهم هذه المجموعة ٦,٩٨٪ (٤٨,٢٦٤ حاجاً) من إجمالي حجاج الدول الإسلامية .

وإذا كان انخفاض تيار الهجرة إلى الحج من جيبوتي وقطر والبحرين والإمارات والكويت وموريتانيا يفسره انخفاض عدد سكانها بالنسبة إلى عدد سكان باقي الدول الإسلامية ، فإن انخفاض هذا التيار من كل من مالي وتشاد والسنغال وغينيا والنيجر لا يتفق وارتفاع عدد سكانها .

أما إذا نظرنا إلى تيار الحج القادم من الدول غير الإسلامية في العام الماضي **(شكل رقم ٦)** فإننا نلاحظ أن هذا التيار يبلغ أقصاه من نيجيريا التي أرسلت ٤٩,٨٥٪ (أو ٥٦,٨٤٢ حاجاً) من إجمالي حجاج الدول غير الإسلامية ، تليها الهند التي شاركت بنسبة ١٧,٧٥٪ (أو ٢٠,٢٣٢ حاجاً) . وتلي هاتين الدولتين بالترتيب دول : أوغندا ـ بريطانيا ـ فولتا العليا ـ الكمرون ـ ساحل العاج ـ غانا ـ سنغافورة (وقد شاركت كل منها بنسبة ١٪ أو أكثر من إجمالي حجاج الدول غير الإسلامية) . ثم الفلبين . ويشكل تيار الحج هذا العام من الدول العشر المذكورة



حوالي ٨٣,١١٪ من إجمالي عدد القادمين من الدول غير الإسلامية . أما الدول غير الإسلامية الأخرى وعددها ٧٨ دولة فقد شاركت بأعداد بسيطة من الحجاج لا تتجاوز المئات وتشكل في مجموعها ١٦,٨٩٪ من إجمالي حجاج الدول غير الإسلامية .

ومما تجدر الإشارة إليه ظهور تيار للهجرة إلى الحج من دول عرفت بتعصبها الديني ، وقاست لفترة من تاريخها من الحروب والحركات الدينية البروتستانتية منها والكاثوليكية وغيرها . ومن أمثلة هذه الدول بريطانيا التي تأتي في المركز الرابع بين الدول غير الإسلامية التي أرسلت حجاجاً إلى بيت الله الحرام العام الماضي . وقد شاركت بنسبة ١,٤٧٪ (أو ١,٦٥٢ حاجاً) من إجمالي حجاج الدول غير الإسلامية . ومن أمثلتها أيضاً فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية واليونان التي شاركت بنسب : ٠,٤٥٪ - ٠,٣٥٪ - ٠,٢٨٪ من إجمالي حجاج الدول غير الإسلامية على التوالي .

يضاف إلى هذا ازدياد عدد القادمين للحج في العام الماضي من دول عرفت بتطرفها واتجاهها إلى الشيوعية ، أو من دول لا دينية . ومن أمثلتها يوغوسلافيا التي أرسلت ٩٥٣ حاجاً (بنسبة ٠,٨٥٪) من إجمالي حجاج الدول غير الإسلامية . وإن كان يلاحظ هنا أن دولة شيوعية مثل ألبانيا أغلب سكانها من المسلمين ، لا تظهر في خريطة الهجرة إلى الحج ولم ترسل حاجاً واحداً في العام الماضي ، في الوقت الذي أرسلت فيه روسيا زعيمة العالم الشيوعي ٢٥ حاجاً من سكان دول اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية .

وخلاصة القول في هذا المجال إن الناظر إلى خريطة تيارات الهجرة إلى حج العام الماضي يلاحظ اتساع نطاق العالم الذي يرسل بحجاجه إلى بيت الله الحرام . ففي **أقصى الشرق** يجد اليابان وكوريا الجنوبية وهونغ كونغ ، وفي **أقصى الغرب** يجد الولايات المتحدة وكندا وكولومبيا وفنزويلا ، وفي **أقصى الشمال** يجد السويد وألمانيا والدانمرك ، وفي **أقصى الجنوب** يجد أستراليا ودول جنوب شرقي آسيا وجنوب إفريقيا . **ولذلك يمكن القول بأن تيارات الهجرة إلى الحج تشمل العالم كله دانيه وقاصيه ، شرقه وغربه ، شماله وجنوبه ، الرأسمالي منه والشيوعي ، والحيادي ، تصب كلها في مركز الأرض وقطب الإسلام ، في بيت الله الحرام بمكة المكرمة حيث يجتمع الحجيج من أكثر من ١١٨ دولة من دول العالم .**

مشاركة الدول العربية في ظاهرة الهجرة إلى الحج

إذا انتقلنا بعد ذلك إلى دراسة موقف **الدول العربية** من المشاركة في موسم الحج ، المبين في **الشكل رقم (٧)** ، تبين لنا أن **تيار الهجرة إلى الحج القادم من الدول العربية يشكل أكثر من نصف إجمالي عدد القادمين من أنحاء العالم المختلفة** . فالدول العربية تساهم بنسبة ٥٧,٦٨٪ (أو ٤٧٨,٩١٨ حاجاً) من إجمالي عدد حجاج العام الماضي ، بينما يقدر تيار الهجرة إلى حج هذا العام من الدول الأخرى خارج نطاق العالم العربي بنحو ٤٢,٣٢٪ (أو ٣٥١,٣١٨ حاجاً) . **ويشير هذا إلى أن العالم العربي الذي كان الموطن الأول للإسلام منذ نشأته لا زال سكانه يشغلون المقدمة بالنسبة لزيارة بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج .**

فإذا قارنا تيار الهجرة إلى الحج في هذا العام من الدول العربية الإسلامية بتياره القادم من الدول الإسلامية غير العربية ، وجدنا أن الأول يشكل ٥٦,٧٧٪ (أو حوالي ٤٧٠,٢٧٨ حاجاً) من إجمالي حجاج الموسم الماضي ، بينما يشكل الثاني حوالي ٤٣,٢٣٪ (أو ٢٦٥,٩٠٠ حاج) من إجمالي عدد الحجاج . **ويؤكد ذلك مرة أخرى ، أن الحجاج العرب يشكلون أغلبية الحجاج ، كما يؤكد أن الدول العربية الإسلامية ، تمثل قلب العالم الإسلامي ومحور جاذبيته .**

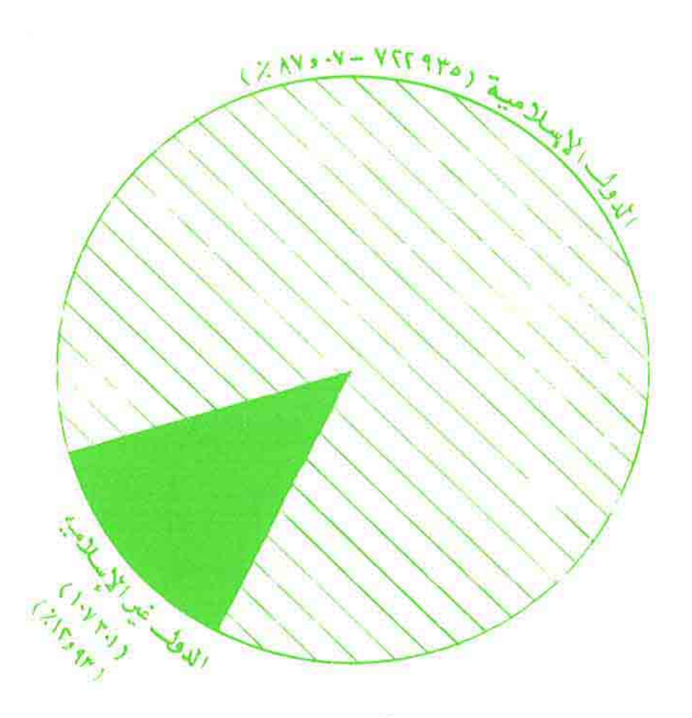
عدد حجاج كل دولة قياساً إلى عدد سكانها المسلمين

إذا انتقلنا بعد ذلك إلى محاولة الربط بين عدد الحجاج القادمين من كل دولة وعدد سكانها المسلمين ، لاتضحت لنا مجموعة من الحقائق المثيرة للانتباه يمكن استخلاصها من **الشكل رقم (٨)** ، تختلف تماماً عن الأولويات التي سبقت دراستها . ويمكن تلخيص هذه الحقائق في ثلاث :

●● **الأولى** : أن هناك مجموعة من الدول ارتفع فيها عدد الحجاج القادمين في العام الماضي بالقياس إلى إجمالي عدد المسلمين فيها ، شملت ١٥ دولة هي بالترتيب : الإمارات العربية المتحدة (٢٥ حاجاً من كل ألف مسلم بها ، أو ٢٥٠ حاجاً من كل عشرة آلاف مسلم) ، اليمن الشمالي (٢٢,٧ حاجاً/الألف) ، ليبيا (١٧,٣ حاجاً/الألف) ، الأردن (١٤,٥ حاجاً/الألف) ، قطر (١٣,٨ حاجاً/الألف) ، البحرين (١٠,٣ حجاج/الألف) ، سورية (١٠,٢ حجاج/الألف) ، العراق (٧,٤ حجاج/الألف) ، الكويت (٦,٩ حجاج/الألف) ، اليمن الجنوبي (٦,٢ حجاج/الألف) ، عمان (٥,٦ حجاج/الألف) ، لبنان (٤,٧ حجاج/الألف) ، جيبوتي (٤,١ حجاج/الألف) ، بروني (٣,٨ حجاج/الألف) ، أوغندا (٢,٢ حجاج/الألف) .

والملاحظ أن معظم هذه الدول ـ إن لم يكن جلها ـ من الأقطار قليلة السكان والتي لا يتجاوز عدد المسلمين فيها في أغلب الأحوال المليون نسمة ، بل إن عدداً كبيراً منها يقل عدد المسلمين فيه عن الخمسمائة ألف مسلم . كما يلاحظ أن غالبيتها من الدول المنتجة للبترول .

ومن هنا نستطيع تفسير ارتفاع عدد الحجاج القادمين من هذه الدول بزيادة دخل الفرد فيها ، أو بارتفاع نسبة المسلمين فيها إلى إجمالي عدد السكان ، أو بهما معاً .



شكل رقم (٤)
توزيع الحجاج على الدول الإسلامية والدول غير الإسلامية

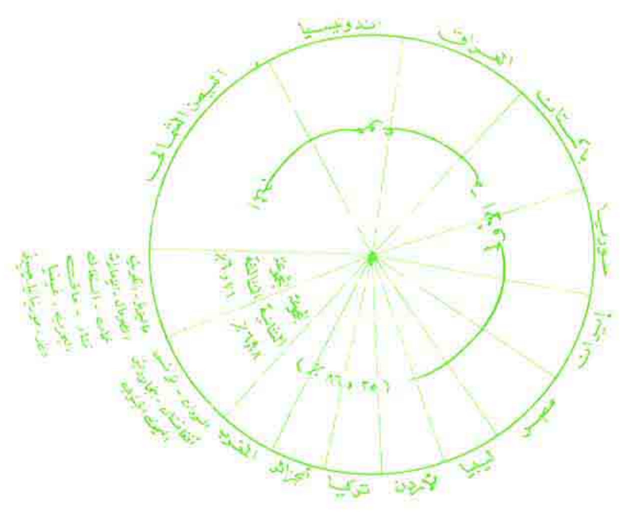
●● **الثانية** : وهناك مجموعة من الدول الإسلامية التي تتميز بارتفاع عدد السكان المسلمين فيها بالقياس إلى إجمالي عدد السكان إلى جانب ارتفاع عدد سكانها بصفة عامة ، ومع ذلك فإن هذه المجموعة من الدول لم تشارك في تيار الهجرة إلى الحج في العام الماضي إلا بعدد ضئيل جداً لا يتفق إطلاقاً وارتفاع عدد المسلمين فيها . وتشمل هذه المجموعة ٢٩ دولة ، ومن أمثلتها **مصر** (٣٦ مليون مسلم) وقد وفد ١,٣ حاجاً من كل ألف مسلم بها ، ويأتي ترتيبها الثامن والعشرين بين الدول التي شاركت في حج العام الماضي ، **باكستان** (٥٩,٨٠٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٠ حاجاً / الألف ، وترتيبها ٣٣) ، **النيجر** (٣,٤٠٠,٠٠٠ مسلم ، حاجاً واحداً / الألف ، وترتيبها ٣٢) ، **تشاد** (٢,٠٣٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٦ حاجاً / الألف ، والترتيب ٢١) ، **بنجالاديش** (٥٤,٨٠٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٥ حاجاً / الألف ، والترتيب ٢٣) ، **إيران** (٣٠ مليون مسلم ، ١,٦ حاجاً / الألف والترتيب ٢٢) ، **أندونيسيا** (١١٢,٨٠٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٧ حجاج / الألف ، والترتيب ٣٩) ، **أفغانستان** (١٧,٨٠٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٥ حجاج / الألف ، والترتيب ٤١) ، **الجزائر** (١٣,٠٥٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٢ حاج / الألف ، والترتيب ٤٤) ، **تركيا** (٣٥,٩٠٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٨ حجاج / الألف ، والترتيب ٣٧) ، **ماليزيا** (٧,٦٠٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٩ حجاج / الألف ، والترتيب ٣٤) ، **غينيا** (٢,٨٨٨,٠٠٠ مسلم ، ٠,٧ حجاج / الألف ، والترتيب ٣٨) ، **ومالي** (٢,٩٦٨,٠٠٠ مسلم ، ٠,٩ حجاج / الألف ، والترتيب ٣٦) .

وتفسر قلة مشاركة هذه الدول في تيار الحج في العام الماضي بمجموعة من الأسباب منها : انخفاض دخل الفرد ، وعدم قدرة الكثير من سكانها على تحمل نفقات الحج ومنها بعد المسافة نسبياً بينها وبين المشاعر المقدسة ، إلى جانب القيود التي تضعها بعض هذه الدول على سفر مسلميها للحج كتحديد العدد أو القرعة أو غيرهما .

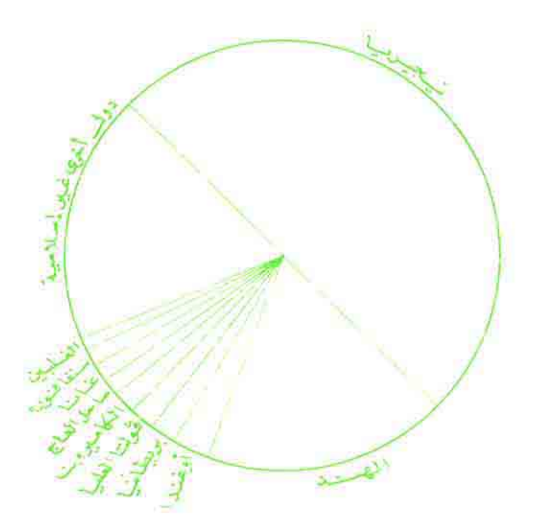
●● **الثالثة** : وهناك مجموعة ثالثة من الدول التي تتميز بقلة عدد المسلمين فيها بالقياس إلى إجمالي عدد سكانها ، ومع ذلك فقد شاركت في تيار الهجرة إلى الحج في العام الماضي بنسبة طيبة قد تجاوز تلك النسبة التي شاركت بها بعض دول المجموعة الإسلامية السابقة . ومثال هذه الدول : **اليونان** (١٩٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٦ حاجاً / الألف ، والترتيب ٢٠) ، **سنغافورة** (٨٢٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٤ حاجاً / الألف ، والترتيب ٢٥) ، **يوغوسلافيا** (٢,٦٤٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٤ حجاج / الألف ، والترتيب ٤٢) ، **نيجيريا** (٣٨,٧٤٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٢ حاجاً / الألف ، والترتيب ٣٦) ، **فولتا العليا** (١,٥٠٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٠ حاجاً / الألف ، والترتيب ٣٠) ، **غانا** (١,١٠٠,٠٠٠ مسلم ، ١,١ حاجاً / الألف ، والترتيب ٢٩) ، **ساحل العاج** (١,٤٤٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٩ حجاج / الألف ، والترتيب ٣٥) ، **سيريلانكا** (٩٢٧,٤٣٠ مسلماً ، ١,٠ حاجاً / الألف ، والترتيب ٣١) .

ويفسر ارتفاع نسبة مشاركة هذه الدول في تيار الهجرة إلى الحج في العام الماضي بمجموعة من الأسباب منها : غزو الإسلام لقلاع الجاهلية والإلحاد في هذه الدول وقوة المد الإسلامي فيها ، والملاحظ أن بعض هذه الدول توجد في أوروبا الجنوبية وبعضها يوجد في إفريقيا الغربية على وجه الخصوص .

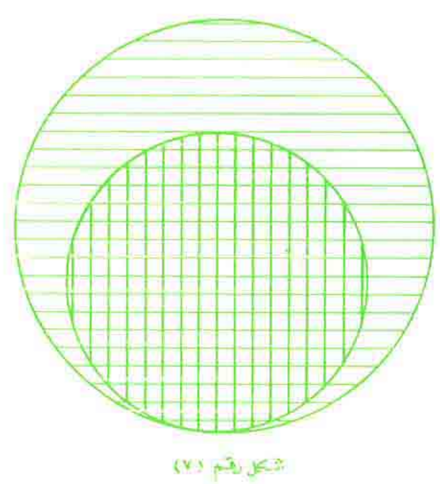
* * *



شكل رقم (٥)
نسب الحجاج القادمين من الدول الإسلامية



شكل رقم (٦)
نسب الحجاج القادمين من الدول غير الإسلامية



شكل رقم (٧)
نسب حجاج الدول العربية والدول غير العربية (موسم ١٣٩٨ هـ)



تطور الهجرة إلى الحج في الخمسين عاماً الماضية

بلغ عدد الحجاج الذين أرسلتهم دول العالم المختلفة لأداء فريضة الحج في العام

الماضي رقماً يقارب المليون حاج . وهنا يثور السؤال : هل يتزايد تيار الهجرة إلى الحج بصورة مضطردة متوالية ، أم أنه يتزايد حيناً وينقص حيناً آخر . وإذا كان الاتجاه العام هو اطراد التزايد فإلى متى يستمر هذا التزايد وإلى أي حد .

إن مراجعة أرقام الحجاج طوال الخمسين عاماً الماضية (١٣٤٩ ـ ١٣٩٨هـ) توضح مجموعة من الحقائق يمكن استخلاصها من **الشكل رقم (٩)** على النحو التالي :

١ ـ تتميز هجرة الحجيج بالتذبذب الواضح من سنة إلى أخرى ، فقد ظلت أرقام الحجاج غير مستقرة طوال ١٥ سنة من ١٣٤٩ إلى ١٣٦٤هـ تتأرجح بين الزيادة تارة والنقص تارة أخرى . ولم تظهر هذه الأرقام ارتفاعاً عاماً عن سنة الأساس[٢] ١٣٤٩هـ إلا ابتداء من عام ١٣٦٥هـ حيث واصلت أعداد الحجاج الارتفاع المستمر دون نقصان بعدها .

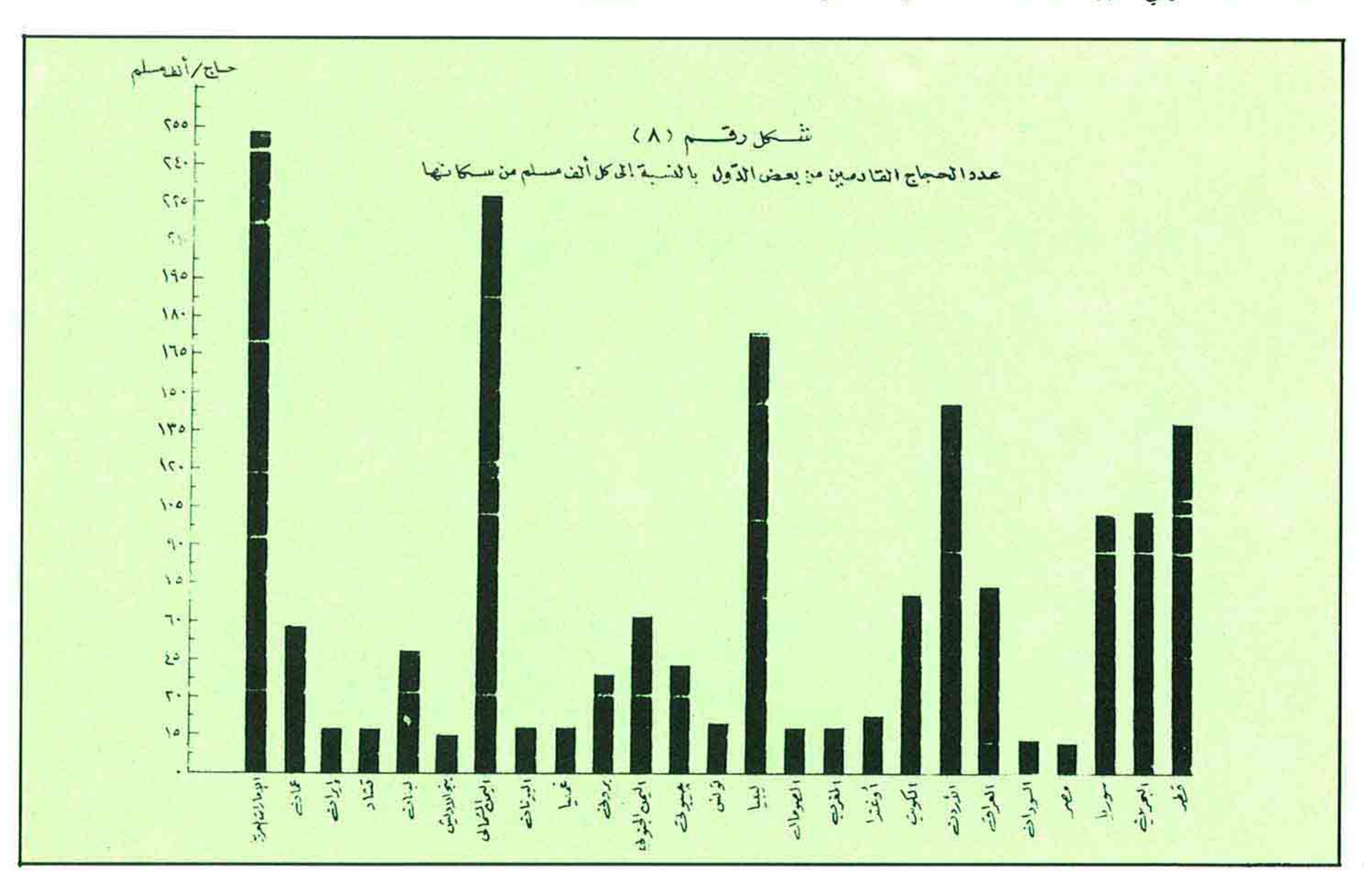
٢ ـ لم تتضاعف أعداد الحجاج عن سنة الأساس طوال ١٨ سنة من ١٣٤٩هـ إلى ١٣٦٧هـ ، إذ ظلت أعدادهم في هذه المدة الزمنية أقل من ١٠٠٪ (٩٣,٦٪) مما كانت عليه من قبل . لكنها تضاعفت بعد عام ١٣٦٧هـ بصورة سريعة تأرجحت من ضعفين إلى ٢٢,٥ ضعفاً خلال العشرين سنة (١٣٦٨ ـ ١٣٩٨هـ) .

٣ ـ حدثت أقل تيارات الهجرة إلى الحج بعد عشر سنوات من سنة الأساس في عام ١٣٥٩هـ حيث وصل عدد الحجاج في ذلك الموسم إلى ٩٠٢٤ حاجاً فقط بنقص قدره ٧٦,٩٪ عن سنة ١٣٤٩هـ . بينما حدثت أعلى تيارات الهجرة إلى الحج في عام ١٣٩٤هـ حيث بلغ عدد الحجاج ٩١٨,٧٧٧ حاجاً من خارج المملكة ، أي أكثر من ٢٢,٥٣ ضعفاً عن عددهم في عام ١٣٤٩هـ .

٤ ـ يمكن القول بوجود فترات دورية من النقص في أعداد الحجاج تتراوح من ٣ إلى ٥ سنوات تعقبها فترات زيادة في أعدادهم ، مما يشير إلى وجود دورية في ظاهرة الهجرة إلى الحج . ومن أمثلة ذلك فترة التناقص (٥ سنوات) من سنة ١٣٥٠ ـ ١٣٥٤هـ ، والتي أعقبتها فترة زيادة (٣ سنوات) من ١٣٥٥ إلى ١٣٥٧هـ ، وفترة التناقص (٥ سنوات) من ١٣٥٨ ـ ١٣٦٤هـ باستثناء سنة ١٣٦٢هـ التي تلتها فترة زيادة استمرت ١٣ سنة من ١٣٨٢ إلى ١٣٩٤هـ عدا سنة ١٣٩٣هـ وفترة النقص (٣ سنوات) من ١٣٩٥ ـ ١٣٩٧هـ التي تلتها فترة الزيادة الحديثة التي تبدأ مع عام ١٣٩٨هـ .

٥ ـ كذلك يمكن القول بأن لوقوع **موسم الحج في شهور الصيف أو الشتاء** أثر واضح على أعداد الحجاج ، مما يؤكد الدورية السابق ذكرها . ودليل ذلك وجود قمم عددية للحجاج هي السنوات التي يقع موسم الحج فيها في شهري **ديسمبر ويناير** (كانون الأول وكانون الثاني) ، تتلوها وتسبقها سنوات انخفاض تتراوح من ٢٠ ـ ٢٢ سنة (وهي الفترة اللازمة تقريباً لحدوث الدورية في فصول السنة) . ومن أمثلة ذلك قمة سنة ١٣٩٤هـ (٢٢,٥ ضعف سنة الأساس) التي حدث موسم الحج فيها في هذين الشهرين ، فقد أعقبتها ٤ سنوات أقل منها عدداً بسبب الانتقال من الشتاء إلى الصيف ، وسبقتها ٢٠ سنة (من ١٣٧٥ ـ ١٣٩٤هـ) من الانخفاض كذلك بسبب الانتقال من الشتاء إلى الصيف . كذلك قمة سنة ١٣٧٤هـ (٥ أضعاف سنة الأساس) والتي أعقبتها ٤ سنوات من الانخفاض بسبب الانتقال من الشتاء إلى الصيف . وقمة سنة ١٣٥٦هـ (حوالي ضعف سنة الأساس) وقد أعقبتها ١١ سنة من الانخفاض بسبب التحول من الشتاء إلى الصيف ، وسبقتها ٧ سنوات من الانخفاض بسبب الانتقال من الشتاء إلى الصيف كذلك .

ولا شك أن وقوع بيت الله الحرام وأماكن المشاعر بين المدارين في المنطقة الحارة من العالم وانتشار الأراضي الصحراوية الحارة وقلة الأمطار ، وهبوب رياح السموم الجافة الحارة مع قلة الرطوبة ، يؤدي إلى التأثير في قدرة الحجاج على بذل المجهود ، ولذا تتكاثر أعدادهم في مواسم الشتاء حيث تنخفض درجة الحرارة وتعتدل نسبة الرطوبة وتزداد المقدرة على بذل المزيد من الجهد في الانتقال بين المشاعر المقدسة .



٦ ــ يبلغ متوسط معدل الزيادة السنوية في أعداد الحجاج خلال فترة الخمسين سنة السابقة (١٣٤٩ ـ ١٣٩٨هـ) حوالي ٤٠,٥٪ ، وهي نسبة مرتفعة جداً تتسبب في تضاعف عدد الحجاج بمعدلات سريعة جداً .

فإذا كان الأمر كذلك ، **فما هي العوامل التي أدت إلى هذا التطور الهائل في أعداد الحجاج؟**

لا شك أن العوامل الرئيسية في هذه الزيادة السريعة والهائلة ـ إلى جانب **انتشار الإسلام** بين أعداد جديدة كل عام ـ ترجع إلى تلك **التحسينات العديدة والمتنوعة التي أدخلتها حكومة المملكة العربية السعودية وتدخلها كل عام باستمرار بقصد تسهيل انتقال وإقامة الحجاج في المشاعر المقدسة** ، وتوفير كافة الخدمات الضرورية لجعل الرحلة إلى الحج أكثر سهولة ويسراً . ويشمل ذلك التحسينات في **طرق المواصلات** وإنشاء شبكة هائلة من الطرق والجسور والأنفاق تربط المشاعر المقدسة بعضها بالبعض الآخر ، مع **توفير مياه الشرب والمساكن** وتنظيم حركة **المرور** ، وتوفير **المواد الغذائية** للحجاج . وبصفة عامة **تجنيد كافة أجهزة الدولة بمستوياتها المختلفة للمشاركة في رعاية الحجيج وخدمتهم .**

كما ترجع هذه العوامل إلى التطورات في السرعة التي أدخلت في السنوات الأخيرة على **وسائل الانتقال المختلفة الجوية والبحرية والبرية** ، الأمر الذي ساعد على انتقال أعداد كبيرة من الحجاج ـ دون مشقة وفي فترة زمنية قياسية ـ من بلادهم التي كانت تعد ـ في فترة ما ـ نائية بعيدة عن الأراضي المقدسة . فقد أدت التطورات الكبيرة التي شهدها النقل الجوي بالطائرات في السنوات الأخيرة إلى تقدم وسائل النقل الأخرى ، إذ بلغ عدد من نقلوا جواً إلى المملكة (٥٠٥,٨٠٨)[٣] حجاج في عام ١٣٩٨هـ ، بنسبة ٦٠,٩٪ من جملة الحجاج . كما أدت التحسينات في الطرق البرية والسيارات إلى تقدم النقل البري للنقل البحري ، فقد بلغ عدد من قدموا براً إلى المملكة في الموسم الماضي (٢٥٥,٦٣٧) حاجاً بنسبة ٣٠,٨٪ من جملة القادمين معظمهم من الدول المتاخمة للمملكة العربية السعودية ، في حين احتل النقل البحري المركز الأخير بعدد (٦٨,٧٩١) حاجاً بنسبة ٨,٣٪ فقط . هذا في حين بلغت نسبة من نقلتهم هذه الوسائل الثلاث في موسم حج ١٣٨٥هـ : ٣٠٪ - ٣٤,٩٠٪ - ٣٥,١٠٪[٤] على التوالي . **وهنا يمكن ملاحظة تأثير عاملي الزمن والمسافة في ازدياد أعداد تيارات الهجرة إلى الحج .**

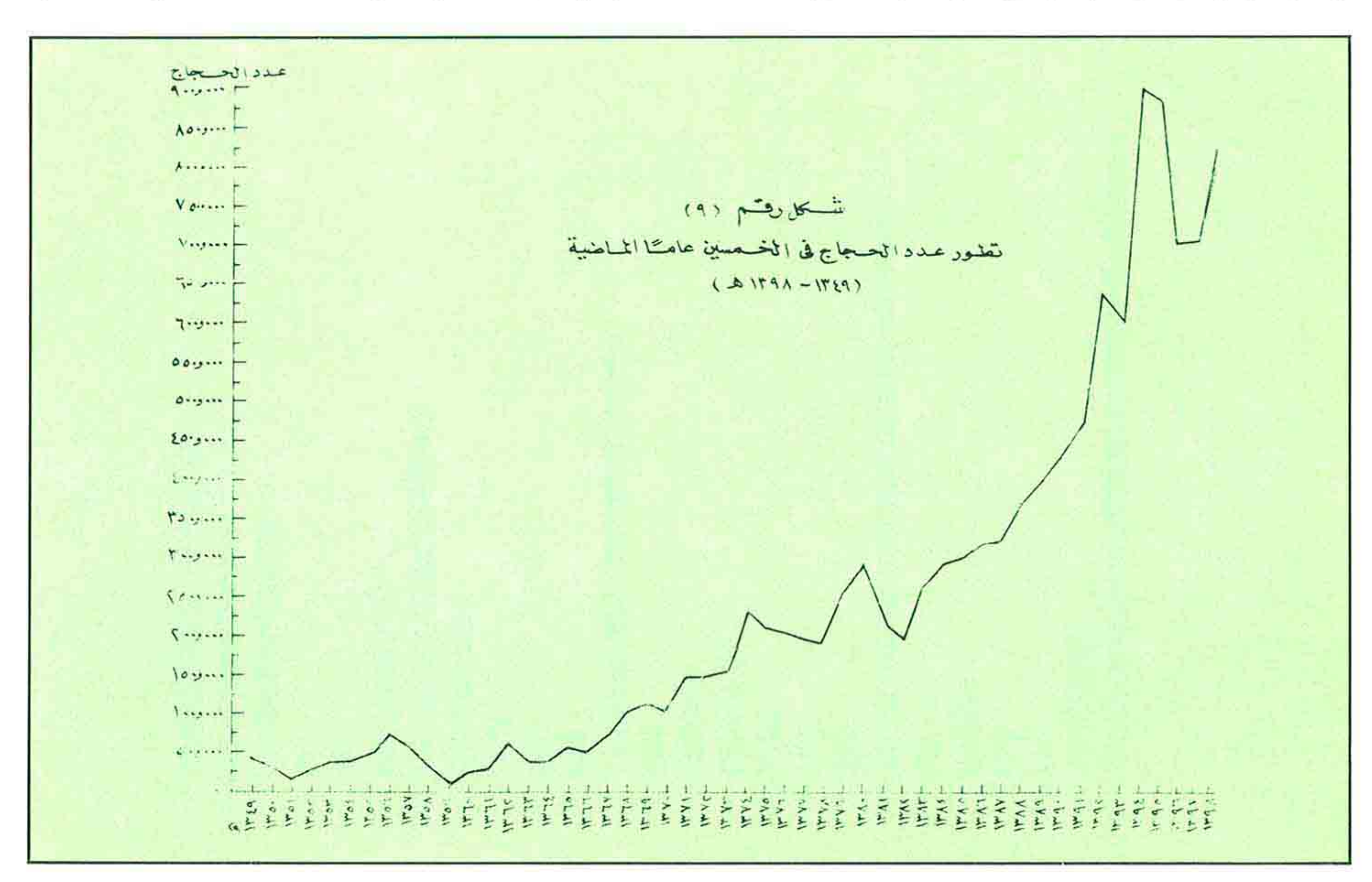
ويضاف إلى هذه العوامل **عدم وضع قيود معينة** (مالية - إدارية أو غيرهما) على دخول حجاج دول معينة (كاليمنيين الشماليين) إلى المملكة لأداء فريضة الحج[٥] . وقد انعكس هذا في ازدياد حجاج اليمن الشمالية في العام الماضي بصورة بارزة .

مستقبل الهجرة إلى الحج

والآن ، وبعد هذا التحليل لموسم حج العام الماضي والأعوام السابقة ، **ما هو مستقبل الحج في الأعوام المقبلة؟**

من واقع العرض السابق يمكن التركيز على النقط التالية :

●● أولا : انخفاض نسبة الحجاج القادمين من الدول الإسلامية الكبرى (كتركيا وباكستان وأندونيسيا ومصر وبنجالاديش وغيرها) بالقياس إلى عدد سكانها المسلمين وإلى من ترسلهم الدول الأخرى الإسلامية وغير الإسلامية . فقد اتضح أن هذه الدول لا ترسل إلا أقل من حاج واحد من بين كل ألف مسلم بها بسبب القيود والعقبات المختلفة السابق الإشارة إليها والتي تحول بين مسلمي هذه الدول وبين المشاركة بنسب عالية في تيار الهجرة إلى الحج . فإذا تذكرنا ما سبق أن أوضحناه من أن ضخامة تيار الهجرة إلى الحج يتوقف على عدد القادمين من مجموعة محدودة من الدول الإسلامية لأمكننا القول ـ بدون أدنى شك ـ إن إزالة مثل هذه القيود



والعقبات مستقبلاً يؤدي إلى ارتفاع نسبة مشاركة هذه الدول في الهجرة إلى الحج ، وبالتالي زيادة أعداد الحجيج بصورة هائلة ، خاصة وأن هذه الدول تضم نحو ٣٨٠ مليون مسلم (أو حوالي ٦٥٪) من إجمالي عدد المسلمين في العالم كله .

فإذا افترضنا رقماً متوسطاً لإرسال الحجاج من هذه الدول ، وهو (١٠) حجاج من بين كل ألف مسلم بها ، لأمكن القول بأن عدد الحجاج القادمين من هذه الدول سيزيد على ٣,٨٠٠,٠٠٠ حاج بعد عشرين سنة ، يضاف إليهم الحجاج القادمين من الدول الإسلامية الأخرى وغير الإسلامية ، ليصل العدد إلى نحو ٤,٥ ملايين حاج أو نحو ستة أضعاف عدد الحجاج في هذا الموسم .

●● **ثانياً** : ارتفاع متوسط الزيادة السنوية للحجاج في الخمسين عاماً الماضية ، حيث تبلغ ٤٠,٥٪ تقريباً . فإذا افترضنا استمرار هذا المعدل خلال السنوات العشرين المقبلة ـ رغم الدلائل التي تشير إلى زيادة المعدل عن هذا الحد كثيراً في السنوات العشر الأخيرة ـ لأمكننا القول بأن **عدد الحجاج بعد عشرين سنة سيصل إلى نحو تسعة أضعاف عدد حجاج العام الماضي ، أي حوالي ٧,٥ ملايين حاج** ، كما يبين ذلك **الشكل رقم (١٠)** .

فإذا أخذنا بمتوسط الافتراض السابق ، أمكننا القول بأن عدد الحجاج سيصل إلى نحو ٦ ملايين حاج من خارج المملكة في العشرين عاماً القادمة ، يضاف إليهم أعداد الحجاج من داخل المملكة .

وعلى ذلك يمكننا القول بأن ظاهرة الهجرة إلى الحج ستشهد خلال الأعوام العشرين القادمة تزايداً هائلاً في أعداد الحجاج تفوق بكثير ما حدث في الأعوام الخمسين الماضية ، الأمر الذي يتطلب من السلطات المشرفة على الحج أن تضع ـ من الآن ـ الاستعدادات اللازمة لمواجهة هذه الأعداد الضخمة من الحجاج ، مع تمنياتنا لها بالتوفيق .

★ ★ ★

الهوامش

١ ـ محمد صبحي عبد الحكيم ومحمد السيد غلاب ؛ «السكان ـ ديموجرافيا وجغرافيا» ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ١١٧ .

٢ ـ اتخذت سنة ١٣٤٩هـ سنة للأساس لسببين : الأول أنها تمثل رقماً متوسطاً تقريباً بالنسبة للسنوات السابقة واللاحقة لها ، والثاني أنها بداية الخمسين سنة التي حسبت في الجدول .

٣ ـ جريدة الجزيرة ، السعودية ، الثلاثاء ١٣٩٨/١٢/١٤هـ ، ص ٥ .

٤ ـ مجلة الفيصل ، العدد ١٨ ، ذي الحجة ١٣٩٨هـ ، ص ٢٩ .

٥ ـ حديث خاص أجراه الباحث أثناء موسم حج ١٣٩٨هـ ، مع بعض الحجاج اليمنيين في منى يوم السبت ١٣٩٨/١٢/١١هـ .

المراجع

١ ـ دولت صادق ومحمد عبد الرحمن الشرنوبي : «الأسس الديموغرافية لجغرافية السكان» ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٦ .

٢ ـ صلاح الدين الشامي وزين عبد المقصود : «جغرافية العالم الإسلامي» ، الإسكندرية ، ١٩٧٤م ، ص ٢٢٥ ـ ٣٣٦ .

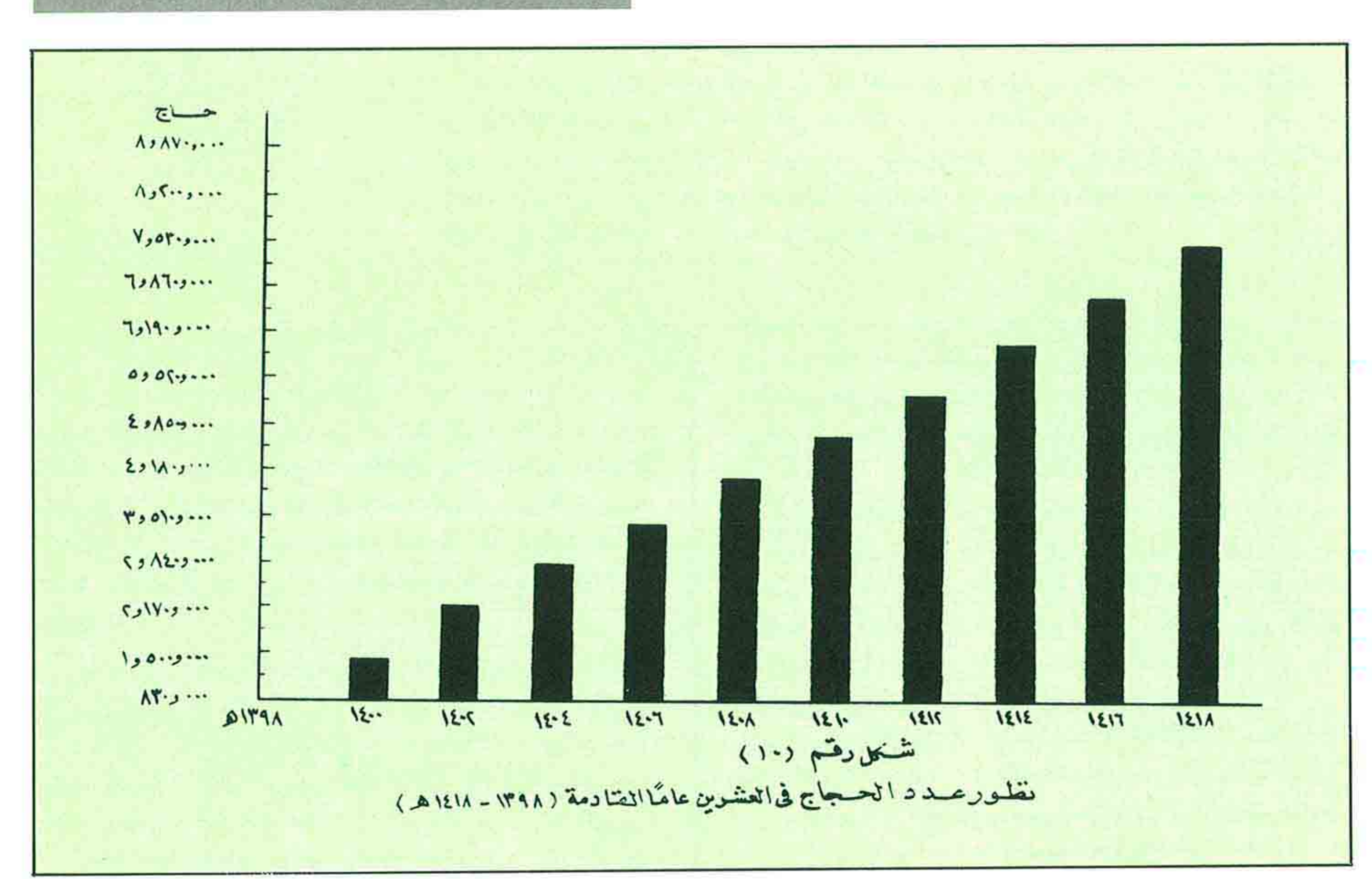
٣ ـ محمد صبحي عبد الحكيم ومحمد السيد غلاب ؛ «السكان ـ ديموجرافيا وجغرافيا» ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ١١٧ .

٤ ـ محمد عبد الغني سعودي : «إفريقيا» ، القاهرة ١٩٧٦م ، ص ٨١ .

٥ ـ وكالة وزارة الداخلية السعودية للجوازات والأحوال المدنية : «إحصائية الحجاج القادمين من خارج المملكة لعام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م مكة المكرمة ٩٨/١٢/٧هـ .

٦ ـ Encyclopedia Americana, New York, 1976, different Volumes.

٧ ـ United Nations, Demographic Year Book.



شكل رقم (١٠)

تطور عدد الحجاج في العشرين عاماً القادمة (١٣٩٨ ـ ١٤١٨هـ)



تجديد .. في المسلمين



الجيّد من كل شيء هو القديم الذي يظل على الدهر جديداً .

أما التغيير فإنه يتناول فروع الأحكام ولا يتناول أصولها . حينما يؤلف أحد الأساتذة كتاباً جديداً في الهندسة المستوية ، فإنه يخط لكتابه خطة جديدة لتقريب قضايا الهندسة المستوية من أذهان التلاميذ ، ولكنه لا يغير الأشكال الهندسية ولا يبدل قواعد الهندسة .

ومع أن العلوم الاجتماعية أو العلوم النقلية ـ بتعبير ابن خلدون ـ كالدين واللغة والتاريخ ليست [illegible] الاجتماعية تشبه العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية من حيث المنهج المخطوط .

وفي الدين خاصة ينظر المصلح مرة إلى الدين نفسه ، ومرة إلى الناس الذين يؤدون فروض هذا الدين . وعمل المصلح الاجتماعي في الدين أن يقرّب تعاليم الدين من أذهان الناس ، على طبقاتهم ، لا أن يجعل من الدين نفسه حقل اختبار فكأنه ينشر على الناس في كل يوم ديناً جديداً .

ثم إن التجديد الذي يحاوله المصلح في بيئته الاجتماعية إنما يتناول جانب المعاملات ، تلك المعاملات أو الصلات الاجتماعية بين البشر والتي تتغير بتغير الأزمان . وأما العبادات فإن الدين نفسه قد جعل لها نطاقاً من الرُخَص (بضم ففتح) يلجأ إليها المؤمن بحسب الأحوال التي نص عليها الدين نفسه . وأما العقائد فإنها الأسس التي تجعل كل دين مختلفاً من كل دين آخر من حيث أصوله ومن حيث انطباقه على الحياة . والإسلام في هذا أيسر الأديان وأقربها إلى العقول وإلى الحياة .

الإسلام .. وحركات التجديد

بعد هذه المقدمة الوجيزة التي تضع لموضوع هذا المقال إطاراً أحب أن آتي إلى عدد من الموازنات وإلى عدد من الآراء التي أخذت تكثر في أيامنا كثرة خرجت عن الفائدة منها . **إن الخطأ الذي يرتكبه الكاتبون في التجدد في الإسلام راجع إلى أن هؤلاء الكاتبين قد وقعوا تحت تأثير الحركة الدينية والاصلاح البروتستانتي في مطلع العصور الحديثة ، فأرادوا أن يجرّبوا تطبيق تلك الحركة على الإسلام . والموضوعان مختلفان جداً من ناحيتين :**

● أولى تينك الناحيتين أن **القرآن الكريم** كتاب منزل وصل إلينا كما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نقرأه اليوم كما كان رسول الله يقرأه على المسلمين الأولين . أما **التوراة والأناجيل** الموجودة بأيدي الناس ، فهي من عمل الناس . فالتوراة التي أنزلت على **موسى عليه السلام** مرفوعة أو منسية ، وأما التوراة الموجودة اليوم بأيدي الناس فقد كتبت في زمن متأخر جداً عن أيام موسى .

وكذلك الإنجيل الذي نزل على **عيسى عليه السلام** مرفوع . وأما **الأناجيل الأربعة** الموجودة اليوم بأيدي الناس فقد اختارها **رجال الكنيسة** من بين أربعمائة إنجيل كتبها الناس في عهود مختلفة . هذه الأناجيل الأربعة تسميها الكنيسة « **الأناجيل القانونية** » ، وكان أصحابها قد كتبوها بين عامي ٦٠ و ١١٠ للميلاد ، أي بعد أن رفع الله عيسى بمدة تتراوح بين ثلاثين سنة وثمانين سنة (راجع مثلاً « لا روس ٣ » ، الجزء الثاني ، الصفحة ١١٠) .

ثم إن هذه الأناجيل الكنسية الأربعة تتضمن سيرة عيسى بحسب ما فهم كاتبوها تلك السيرة ، وليس فيها شيء من العقائد الموحَّدة (بالبناء لاسم المفعول) ولا من الأحكام المقنَّنة . **أما العقائد والأحكام في النصرانية فقد وضعها رجال الكنيسة في أزمنة متأخرة .** من أجل ذلك لما جاء **مارتن لوثر الألماني** مثلاً ، في عام ١٥٢٠ للميلاد (٩٢٧ للهجرة) ، بعد **ابن تيمية** بمائتي سنة وبعد **أحمد بن حنبل** بسبعمائة سنة ، لم يجد بدّاً من أن يعرض للأصول النصرانية التي كانت **الكنيسة الكاثوليكية** قد وضعتها للناس مخالفة للعقل وللحياة ، ولكن ضامنة لمغانم الكنيسة ورجالها كبيع **الغفرانات** مثلاً (إعفاء من الذنوب وتطويب بقاع في الجنة في مقابل مبالغ يدفعها الذين يريدون النجاة من الجحيم ودخول السماء) . وكنت أتفاوض مع أستاذي **يوسف هل** (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠ م) ـ أيام

لا تجديد في الإسلام

بقلم د. عمر فروخ

دراستي في ألمانية (١٩٣٥ ـ ١٩٣٧ م) ـ هذا الأمر، فقال لي: لا شك في أن لوثر كان، وهو يضع مذهبه البروتستانتي، يطالع مصحفاً بين يديه.

ولقد **كان القرآن الكريم قد نقل إلى اللغة اللاتينية منذ القرن الثاني عشر قبل لوثر بنحو أربعة قرون**. والدلائل على ذلك كثيرة في تبديل عدد من الآراء الكنسية المبثوثة في النصرانية معروفة في أماكنها. ولا أرى أن أذكر منها هنا شيئاً كيلا تطول هذه المقدمة فوق ما قدّرت لها. ومع ذلك فمن الخير أن أورد هنا عدداً من رؤوس الموضوعات التي اعترض بها لوثر على الكنيسة الكاثوليكية: الإنسان ينجو في الآخرة بعمله الصالح لا بحلّ الأسقف له من ذنوبه ـ لا مكان للصور في الكنيسة والعبادة ـ ليس للبابا عصمة في نفسه ولا له سلطة على النصارى ولا قدرة على غفران الذنوب ـ لا إكليركية (طبقات لرجال الدين) ـ لا رهبان، ورجال الدين كلهم يستطيعون أن يتزوجوا ـ أنكر القربان (قول الكنيسة الكاثوليكية بأن الخمر تنقلب بصلاة من الكاهن فتصبح دم المسيح وينقلب الخبز فيصبح لحم المسيح) ـ لا يكون للكاهن ثوب خاص ولا مكان خاص لإقامة **القداس** (الصلاة)، فكل إنسان يستطيع أن يقيم الصلاة ويقودها (يؤم الناس فيها).

وفي الإسلام مذاهب: **المذهب المالكي والمذهب الحنفي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي والمذهب الجعفري** ثم كان هنالك مذاهب بادت (أي بطل العمل بها **كمذهب الأوزاعي و المذهب الظاهري**). **وجميع هذه المذاهب في الإسلام أبواب اجتهاد وليست فرقاً تجعل من الدين الواحد أدياناً كثيرة**. إن الكاثوليك في النصرانية لا يقبلون أن يقال «المذهب الكاثوليكي» في مقابل المذهب الارثوذكسي والمذهب البروتستانتي، ولكنهم يقولون: «الدين الكاثوليكي».

الخلاف بين الإسلام والنصرانية

من كل ما تقدم نرى أن الخلاف بين الإسلام والنصرانية واسع جداً. وإذا كان القول بالتجديد في النصرانية ممكناً، فإن هذا القول غير جائز في الإسلام. إن المصلحين (أو المجددين النصارى) ـ وكانوا كثاراً منذ مطلع النصرانية ـ كانوا يجددون في الدين النصراني نفسه. أما في الإسلام فكان الإصلاح أو التجديد، يتناول ردّ المسلمين إلى حقيقة الإسلام. **كان المصلحون النصارى يريدون انقاذ الناس من قبضة الكنيسة ورجالها، أما المصلحون في الإسلام فكانوا يريدون أن يفهموا الناس حقيقة الإسلام**.

إن اختلاف الفقهاء في المذاهب التي وضعوها (من المذاهب الحيّة والمذاهب البائدة) كانت أبواب اجتهاد لا يوجب العمل بها تحريم حلال أو إحلال حرام ولا يوجب إيماناً خاصاً أو كفراً. إن القول بالاشهاد على عقد الزواج في المذاهب السنيَّة والقول بالاشهاد على الطلاق في المذهب الجعفري رأيان يمكن قبولهما لأن الغاية منهما «حفظ حقوق الذرّية إذا وقع اختلاف بين الزوجين». ولا يكون المسلم مذنباً إذا انتقل من أحد هذين إلى الثاني منهما. ولكن يخشى إذا فعل ذلك أن يضيع حقاً يجب (عند الاختلاف بين الزوجين) لأحد الزوجين أو للأولاد (**وفي قانون الأحوال الشخصية للدروز في لبنان نص على أن الاشهاد يكون على عقد الزواج وعلى ايقاع الطلاق**).

وجميع الخلافات في المذاهب الإسلامية هي في المعاملات وفي تفسير أوجه العبادة. وليس فيها شيء يتعلق بالله تعالى ولا برسول الله. أما في النصرانية فالخلاف يتعلق بالله مباشرة كقول الكاثوليك مثلاً (تعالى الله عن قولهم): إن المسيح هو الله بالذات. أما غيرهم (مثل الارثوذكس والبروتستانت، فيما أظن) فيقولون إن المسيح ابن الله. وهذا خلاف قديم في النصرانية ذكره الله تعالى في القرآن الكريم:

● **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾** (٥: ١٧، المائدة راجع ٧٢).

● **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالتِ النصارى المسيحُ ابن الله، ذلك قولُهم بأفواههم يضاهئون قولَ الذين كفروا من قبلُ، قاتلهمُ الله أنّى يُؤفكون﴾** (٩: ٣٠، التوبة).

من أجل ذلك كله أصبح بإمكاننا اليوم أن نقول إن الإسلام نفسه ليس بحاجة إلى تجديد، ولكن المحتاج إلى التجدد وإلى التجديد هم جانب من المسلمين، وجانب كبير من فقهاء المسلمين.

أسباب عجز المسلمين اليوم

إن العجز الذي ينوء به المسلمون اليوم في وجه خصومهم آت من ثلاثة جوانبَ هي من حيث مكانتها في أسباب هذا العجز:

●● **الجهل** (وفيه خمسة أوجه).

●● **الضعف السياسي** وفيه أربعة أوجه).

●● **الأحزاب** (وفيها ثلاثة أوجه).

تجديد في المسلمين
لا تجديد في الإسلام

.. [illegible] أمثلة على عدد من أوجه هذين الجانبين .

أما فيما يتعلق بالجهل فإنّي أريد الاستغناء عن هذه الكلمة لأنها تسيء إلى نفر كثيرين من الناس وسأجعل مكانها كلمة « **العلم** » ، فلعل الكره ، عند بعض الناس ، « لقلة العلم » أقل من كرههم « للجهل » .

(١) العلم المفقود

إذا نحن استعرضنا حال العالم الإسلامي اليوم وجدنا أول أسباب تخلفه « **الأمية** » أو جهل القراءة والكتابة . وكيلا تكون المقارنة ضيقة تثير انتقاداً ربما كان صحيحاً من بعض وجوهه أسرع إلى القول بأن **الأميّة بين المسلمين أكثر انتشاراً منها بين أهل أسوج ونروج وسويسرا** (إذا كان في هذه البلاد الثلاثة أميّة منتشرة) .

وسيرد عليّ هنا نفر من المسلمين رداً أعرفه . سيقول هؤلاء إن في المسلمين اليوم أعلاماً من العارفين في الرياضيات والطبيعيات والتاريخ والاقتصاد أو من البارعين في الطب والهندسة والفلك .

هذا صحيح ولكن الأمم لا تعد عالمة بنفر قليلين أو كثيرين من العلماء من أفرادها . ولكن الأمم تعدّ عالمة إذا كان العلم سمة شائعة في مجموعها . **ليس الدليل على العلم والرقي أن يكون للأمة طائرات تحمل أسماءها وأعلامها [illegible] الطائرات [illegible] إذا دخل [illegible] العطب [illegible] أجزائها أن يكون في الأمة من يستطيع أن يصلح ذلك العطب بنفسه وبأداة صنعها بنفسه** . من أجل ذلك ليس في المسلمين اليوم حضارة طائرات (مقدرة على صنعها) بل مدنية طائرات (إمكان لاستخدامها) .

(٢) العلم الناقص

أشد ما في الجهل من الأذى اعتقاد الإنسان أن العلم يتجزأ . يجب على أبناء كل أمة أن يعرفوا فضائل حضارة أممهم ووجوه حياتها . ولكن هذا الواجب لا يكون تاماً إلا إذا عرف أبناء تلك الأمة ما عند غير أممهم من العلوم . **إن المسلمين الأولين لما خرجوا بالفتح وبالنور إلى العالم المعروف كله يومذاك (آسية وإفريقية وأوروبة) كانت لهم علومهم في اللغة والفقه والتاريخ والأدب نثراً ونظماً وحكمة** . غير أنهم لما احتكوا بغيرهم من الأمم ، أخذوا منها الرياضيات ، والفلك والهندسة والطبيعيات والطب المزاجي (العلمي) والموسيقى أيضاً . ثم إن المسلمين قد طوروا هذه العلوم وزادوا فيها زيادات جعلت عدداً من تلك العلوم علوماً عربية خالصة أو كالخالصة ، كما اتفق في الجبر والكيمياء والفلك ثم في الطب . **ولم يعتقد المسلمون يومذاك أن أخذ العلوم الصحيحة عن النصارى والمجوس وعن اليهود والصابئة مما يضرّ بالإسلام أو بالمسلمين** .

والتخلف الكبير في المسلمين اليوم أنهم يأخذون عن الغرب ما يضر ويتركون من علوم الغرب (بالغين المعجمة) ما ينفع . يأخذ كثيرون منا البحوث الجنسية والخرافية والجدلية (الايديولوجية) .

(٣) العلم المنحرف

وفي العلم اتجاهان : الاتجاه المادي أو الفن العلمي أو العلم الفني (ما يسمى بالتعبير الفرنجي : **تكنولوجيا**) . ومن واجب كل أمة أن تأخذ من هذا آخر ما توصل إليه علماء جميع الأمم . وأما الاتجاه الثاني فهو **التراث الروحي** الذي يجب أن يبقى نقياً صافياً لأن الأمم تبقى ما دام تراثها هذا باقياً . **وأعظم الأدلة على العلم المنحرف وأوجزها جهل المسلمين باستخراج البترول من أرضهم وجهل تصنيعه وبيع الطن المتري منه بأربعة عشر دولاراً و بستة عشر دولاراً ، بينما كل حفنة منه تساوي ألف دولار (إذا صنع منها لعب للأطفال) أو مليون دولار (إذا صنع من بعضها صمامات للقلوب المرضى) ولكن كثيرين من هؤلاء المسلمين يعرفون الانغماس في المعاصي الأوروبية بدقائقها ويعرفون الأفلام الخاصة** .

(٤) العلم القاصر

هذا أعظم ما في المسلمين اليوم من البلاء . إنه العلم القاصر في الفقهاء الذين هم قادة الأمة ومعلمو دينها وحافظو شريعتها وباعثو نهضتها .

إن الفقهاء المسلمين اليوم مقتصرون في العلم على جانب واحد ، على الفقه يديرون كلامهم فيه على الألفاظ وعلى التخريج الشخصي (لا أقصد في كتبهم بل في معاملتهم مع الناس) . وستجد في هذا المقال (وإن طال الكلام) أمثلة مؤلمة من ذلك . ستجد أن أعظم الناس حاجة إلى التجديد (أو إلى التعتيق الصحيح) جماعة الفقهاء الذين يتولّون شرح الذين

للناس ، وذلك إذا قسنا معظم الفقهاء اليوم (من الناحية العملية لا من النواحي النظرية) بالفقهاء بالأمس من أمثال **الأوزاعي ومالك وجعفر وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وابن القيم (ابن قيم الجوزية) وابن تيمية** والمئات من أمثال هؤلاء العظماء . لم يكن هؤلاء بارعين في الفقه فقط . ولكننا إذا درسنا المذاهب التي وضعوها (والمذاهب في الإسلام أبواب اجتهاد) أدركنا وشيكاً أن هؤلاء الفقهاء كانوا يصدرون في فقههم عن علم بالتاريخ وبالاجتماع والاقتصاد والرياضيات والفلك أيضاً . أما إذا نحن أتينا إلى **الإمام الغزالي** وإلى **ابن حزم** قبله وإلى **ابن رشد** بعده ، فإننا نرى أن آلتهم من الفلسفة ومن العلوم الرياضية والطبيعية والعلوم الاجتماعية كانت تامة أو شبه تامة .

لنأخذ عدداً من الأمثلة من الأئمة الأولين . وسأجعل هذه الأمثلة من الجوانب المشهورة في الفقه والحياة .

— لما جعل **الشافعي** البلوغ (في الصبيان والبنات) في سن باكرة (في التاسعة) كان يصدر عن علم بطبائع البلاد وباختلاف أحوال المناخ . ولا شك في أنه كان يعرف أن الفتاة في جنوب **مصر** وفي جنوب **الحجاز** تدرك مدرك النساء قبل الفتاة في شمالي **الشام** وشمالي **التركستان** . وكذلك لما مدّ **الإمام أحمد بن حنبل** «البلوغ» (بلوغ الرشد) في الصبيان إلى أن يتموا علمهم ، وفي البنات إلى أن يتزوجن ، كان يصدر عن معرفة بأحوال الاجتماع الإنساني وبالمسلك العمليّ في الحياة . فما قيمة الحكم الشرعي ببلوغ الرشد في فتى في الخامسة عشرة من عمره الجدي وعمره العقلي أو عمره التعليمي خمس سنوات ؟ أو أي الطفلين أحق أن يكون راشداً : أطفل ذكي متعلم في الحادية عشرة أم طفل متخلف أمي في الثامنة عشرة ؟

لم يكن هنا بين الشافعي وأحمد تناقض ولا خلاف . ولكن كل واحد منهما قد تناول موضوع «الرشد» من جانب (في مكان واحد من مذهبه) ولعله مس سائر الجوانب من ذلك (في أماكن أخرى) .

قلت إن المذاهب أبواب اجتهاد . فإذا كنت قاضياً ثم تقدم أناس إليّ بدعوى «في بلوغ الرشد» لم أتقيد بلفظ الشافعي أو بلفظ أحمد ، بل عمدت إلى تطبيق أحد قوليهما أو جمعت بين قوليهما فيما يتعلق بالقضية المعروضة علي . إن فقهاءنا الكبار قد وضعوا في أيدينا معياراً ، مقياساً لقياس الأحوال [illegible] لم يفرضوا علينا أحكاماً «غائبة» .

وكذلك لما وضع الفقهاء قواعد التوريث (**تقسيم الإرث**) ثم تكلموا على **العَوْل** (بفتح العين : زيادة أنصبة الوارثين على مقدار التركة[1]) وعلى **الرد** (وهو ضد العول ، وذلك أن تنقص الأنصبة عن المفروض للوارثين[2]) ، مما يدل على شيء من المعرفة بالحساب . أما إذا نحن جئنا إلى **مالك بن أنس** وإلى «اعتباره» عمل أهل المدينة في «**الأدلة الشرعية**» التي تستمد منها الأحكام ، أدركنا أنه كان ذا بصر نافذ في علم الاجتماع . ثم لا ريب في أن **الإمام أبا حنيفة** ، لما تكلم على **بيع السَلَم**[3] وعلى عادات أهل البلاد[4] ، وكان عارفاً بقواعد العمران وبقواعد الاقتصاد أيضاً . **إن الفقه جانب من جوانب التشريع هو أهم الجوانب فيه بلا شك . ولكن علم الاجتماع وعلم الاقتصاد والتاريخ والجغرافية (كما سنرى) والسياسة (أقصد علم السياسة) والرياضيات والطبيعيات وغيرها «أدوات مساعدة» في التشريع وفي غير التشريع أيضاً . إن الفقيه المسلم اليوم بحاجة إلى فنون كثيرة من فنون المعرفة حتى يكون فقيهاً نافعاً .**

ولا أريد أن أتكلم على فقه الغزالي وابن حزم وابن رشد وعلى صلة فقههم بالعلم (أي بالعلم الرياضي والطبيعي) لأن ذلك يدعو إلى استطراد (تشعب في الموضوع) لا تدعو الحاجة إليه هنا .

— من المشاكل المؤلمة اثبات هلال رمضان .

في كل عام تحدث مفاجئات في اثبات هلال رمضان :

* إعلان رؤية الهلال قبل أن يرى في قطر ما من أقطار البلاد الإسلامية .
* تأخير إعلان ذلك .
* الاختلاف في بدء الصوم في بلد إسلامي دون بلد إسلامي وفي البلد المسلم الواحد .

كل ذلك يرجع إلى خطأ في فهم الشرع ثم إلى المنافسة في النفوذ السياسي . ننتظر الإذاعات في ذلك فتتأخر (أحياناً إلى ما بعد منتصف الليل) وننهض في الصباح فإذا أهل بيت صائمون وجيرانهم إلى جنبهم غير صائمين ، لأنه اتفق أن الأولين سهروا فسمعوا الإذاعة عن بدء شهر الصوم ، بينما آوى الآخرون إلى فراشهم باكراً فلم يسمعوا الخبر .

أولا : لماذا يتأخر إعلان ولادة الهلال ؟ إذا ولد الهلال بعد غياب الشمس فإن رؤيته تمكن في الدقائق القليلة بعد الغروب . فلماذا التأخر إلى نصف الليل أو إلى ما قبله بقليل أو إلى ما بعده بقليل ؟ (مع أن الخبر يمكن أن يدور في العالم كله في بضع دقائق) .

وجواب ذلك سهل : هنالك عدد من الدول تريد أن يكون فضل الإعلان لها . وربما أعلنت دولة أن الهلال قد «ثبتت رؤيته عندها بالوجه الشرعي» ، ثم بعد

تجديد في المسلمين لا تجديد في الإسلام

دقائق أعلنت دولة ثانية أن رؤية الهلال لم تثبت لديها شرعاً . ولكن الدولة التي لم تثبت عندها رؤية الهلال قد تريثت في إعلان نفيها ساعات طوالا لا مبرر لها .

ونقول لهم « اعملوا بالحساب » فيقولون : لا يجوز العمل بالحساب ، لأن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته . . . » غير أن رسول الله قد قال شيئاً آخر أيضاً . إنه قال : « نحن أمة أميّة لا نكتُب ولا نحسُب (بضم السين) ، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته . . . » ، ثم يستشهدون أيضاً بآيات من القرآن الكريم استشهاداً خاطئاً ، لا أحب أن أتوسع فيه هنا ولا أن أتطرق إليه ، لأن القوم سيجادلون في ذلك جدالا لفظياً لا فائدة منه . ولكني سأتناول نقطتين علميتين :

● هم يقولون : إن العمل بالحساب (في الصوم) لا يجوز ، مع أنهم لا يعملون إلا بالحساب في الصلوات الخمس (مع أن الصلاة مقدمة في أركان الإسلام على الصيام) .

● ونسألهم كيف ثبتت عندكم رؤية الهلال بالوجه الشرعي ؟

فيقولون : جاء فلان وشهد لدينا وأقسم يميناً على أنه شاهد الهلال . ونعود لنسألهم : كيف علمتم أن دعواه في رؤية الهلال صادقة ؟ فيجيبون : قلنا إنه أقسم يميناً .

ولقد اتفق لي أن فاوضت نفراً من رجال الفقه الرسميين وغير الرسميين ، وكتبت إلى بعضهم ، وأجاب بعضهم على رسائلي ، فلم تخرج أجوبتهم عما سردت آنفاً . ولما تشددت في تصديق الخبر عن رؤيته للهلال ولم أصدق يمينه (لأنه ادعى أنه رأى الهلال ولم يكن هنالك في سماء البلاد الإسلامية هلال) ، قال لي أحدهم : وكيف تريد منا أن نستوثق من هذا الرجل بغير اليمين ؟ فقلت كنت أسأله :

* أين كنت لما رأيت الهلال ؟
* هل كان الهلال ظاهراً إلى يمينك أم إلى شمالك ؟
* كم دام بقاء الهلال بعد غياب الشمس ؟
* كم كان ارتفاعه فوق الأفق لما لمحته أول مرة ؟
* إلى أي جهة كان اتجاه طرفيه ؟

ومن الغريب أن الخبر إذا جاء من **سورية** نسبت رؤيته إلى رجل من **حماة** (وقد قيل لي إن هذا الرجل الذي كان في كل عام يرى الهلال في حماة قد توفي منذ مدة) . أما إذا جاء الخبر من **المملكة العربية السعودية** فيقال في الأكثر إن الهلال رؤي في بُريدة . وكل الناس يعرفون أن حماة في منخفض من الأرض لا تصلح منها رؤية الهلال ، وأن إلى غرب بريدة تلال جبلية تعلو خمسمائة متر . ولقد كان الأولى أن يُرى الهلال في سورية من **اللاذقية** أو **طرطوس** (على ساحل البحر) ، وأن يرى في المملكة العربية السعودية من **جدة** أو **رابغ** .

وبعد هذا كله ، فإذا كان الهلال الجديد لم يـر في الغرب (في **بيروت أو القاهرة أو تونس أو الرباط**) ، فكيف يمكن (في الحسبان الفلكي) أن يرى في المشرق ؟

ومحاولة رؤية الهلال في المساء خطأ كبير لأسباب فلكية (غرق الهلال في شفق المغيب) ومحلية (تكاثر الضباب أو الغيم في سماء البلد أحياناً) . أما المنهج الصحيح فهو أن يخرج المفتي نفسه أو من ينتدبه المفتي من العلماء بالفلك والحساب ليلتمس الهلال في « الصباح » (الرؤية في الصباح تكون أوضح ، لأن السماء عادة تكون أصفى آفاقاً) . فإذا رُؤي الهلال يطلع قبل طلوع الشمس ، فمعنى ذلك أنه سيغيب قبل غياب الشمس (ولا فائدة من التماسه في مساء ذلك النهار) . وأما إذا لم يطلع الهلال قبل طلوع الشمس ، فيكون حينئذ من الممكن أن يرى قبل مغرب الشمس من ذلك اليوم .

هذا حكم الفقه (والفقه هو العلم بحقائق الأمور) في رؤية الهلال .

إن الأمر هنا واضح . إن الحاجة ليست إلى تجديد في الإسلام (فالإسلام قديمه لا يزال ولن يزال جديداً ، لأن أحكامه صحيحة نقلاً وعقلاً) . أما التجديد فيجب أن يكون في نفر من الناس يتولَّوْنَ شؤون الإسلام والمسلمين .

وبما أن هذا المقال قد طال ، فإنني سأشير إلى العاملين الباقيين إشارتين عارضتين .

الضعف السياسي

أما الضعف السياسي فحجة قائمة على الضعيف . إن العالم الإسلامي اليوم ضعيف سياسياً (بحكم في كثير من البلاد ذات الكثرة الإسلامية : الحبشة ، السنغال ، لبنان ، الخ الخ حاكم غير مسلم) وضعيف مادياً . وكذلك يغشى عالمنا الإسلامي اليوم **ضعف روحي** (من ضيق في الأفق كالأخذ بأشكال العبادات والعادات مع غفلة عن كل ما يستره المستقبل عنا) . ثم إنه **ضعيف اقتصادياً** (لغرقه في الترف الذي هو مضيعة للمال وتبديد للجهود وضعف للفرد وللمجموع) .

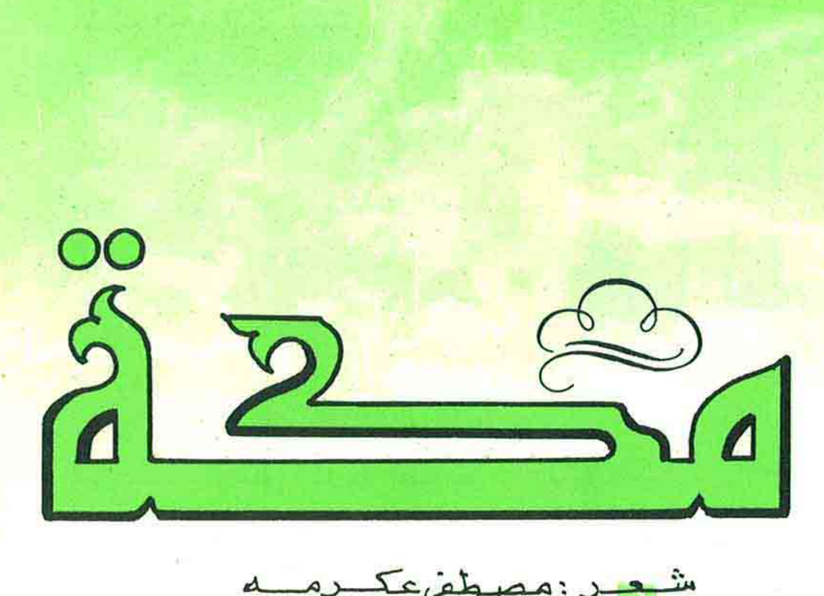
الهوامش

(١) إذا مات رجل وترك ابنتين وأباً وأماً وزوجاً فللبنتين الثلثان ، وللأب والأم الثلث (لكل واحد منهما السدس) وللزوجة الثمن ، فيكون مجموع الأنصبة واحداً وثمناً . حينئذ يرجع القاسم للتركة وينقص هذا الثمن من حصص الوارثين ، ينقص من كل وارث على مقدار ما هو مفروض له في الأصل .

(٢) فإذا ترك هذا الرجل ابنتين وأباً وزوجاً ، كان مجموع أنصبتهم ثلثين مع سدس مع ثمن أو ثلاثة وعشرين على أربعة وعشرين (أي أقل من واحد صحيح) فيرد الباقي حينئذ على هؤلاء الورثة .

(٣) بيع السَّلَم (بفتح ففتح) : الضمان (كما يسمى ذلك في أيامنا) وهو أن يبيع إنسان ثمر بستانه قبل أن ينضج ذلك الثمر . ولم يكن ذلك مألوفاً في الإسلام قبل أبي حنيفة . قيل إن موسم الزيتون في التركستان تلف وخاف الناس الهلاك . فجاء وفد منهم إلى الخليفة المنصور وشكا إليه ذلك . استشار المنصور أبا حنيفة فأقر أبو حنيفة هذا البيع على الطريقة التالية : سأل مزارعاً : بكم بعت زيتونك في العام الماضي ؟ فقال مثلاً : بأربعة آلاف درهم . ثم سأله : وقبل العام الماضي ؟ فأجاب بأربعة آلاف وخمس مائة . . . حتى سأل عن بضعة أعوام . بعدئذ استخرج أبو حنيفة معدل تلك السنوات واقترح أن يباع الموسم القادم من الزيتون بأربعة آلاف ومائتين درهم . ثم قال لذلك المزارع : إذا زاد ثمن الموسم القادم عن ذلك فسامح المشتري . أما إذا نقص الموسم القادم عن ذلك فيجب على المشتري أن يسامحك .

(٤) كان أبو حنيفة يقول : إن الإسلام جاء (في المعاملات) بما ينفع الناس . فإذا كان الناس قد تواضعوا (اتفقوا فيما بينهم) على خطة ترضيهم (ولم تكن مخالفة للإسلام) فمن العقل أن نقرهم عليها .

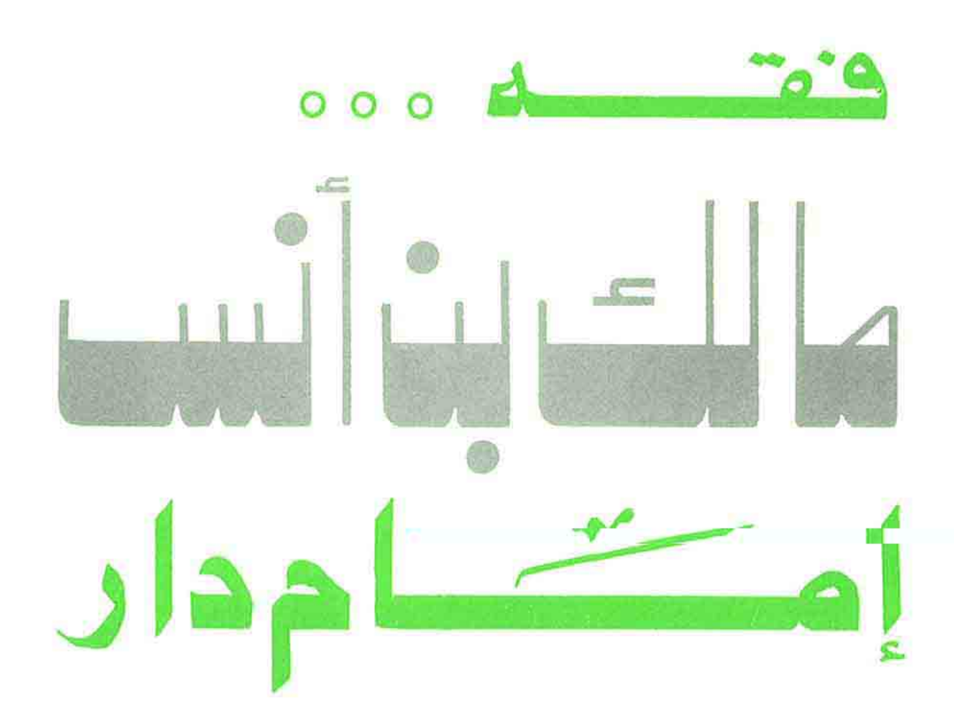


مكة

شعر: مصطفى عكرمه

طفْ بي بمكةَ إني هدّني تعبي
واتركْ عناني فإني هاهنا أربي
وَدَعْ فؤاديَ يَمرَحْ في مرابعها
ففي مرابعها يغدو فؤاد صبي
هنا أمرِّغ خدِّي صبوةً، وجوىً
فتهتفُ الحورُ: بشرى خدِّكَ التُّربِ
فإن رأيتُ دموعي أنبتتْ حجراً
فتلك مني دموع الفرحةِ العَجَب
هنا بمكةَ آيُ اللهِ قد نزلتْ
هنا تربَّى رسولُ اللهِ خيرُ نبي
هنا الصحابةُ عاشوا يصنعون لنا
مجداً فريداً على الأيّام لم يشِبِ

كم هزَّني الشوقُ يا خيرَ الديارِ! وكم
عانيتُ بُعدَكَ وَجْداً دائمَ السببِ!
إلا إليكِ أرى الأشواقَ تقعد بي
وعند ذكركِ أشواقي تحلّقُ بي
وعند ذكركِ أنسى أنني بشرٌ
وكالملائكِ أحيا في المدى الرحِبِ
فتبدِعين كياني من تقىً، وهدىً
فلا أحسُّ بما ألقاه من وَصَبِ
ما غيرَ زورةِ بيت الله ترجعُ لي
شبابَ روحي إذا امتدّتْ يدُ النوبِ
ربّي حنانيْكَ فاكتبْها، وخذ بيدي
كي يهتف القلبُ: يا فوزي، ويا طربي



الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي الصحابي الجليل . إمام دار الهجرة . ولد بالمدينة سنة ٩٣ هـ وعاش بها طوال حياته فلم يخرج منها إلا حاجاً ومات سنة ١٧٩ هـ . نشأ في بيت علم فكان جده من كبار التابعين وأحد الكتاب الذين نسخوا المصاحف أيام عثمان ، وكان عمه من المشتغلين بالعلم أيضاً .

وجّهته أمّه إلى طلب العلم على ربيعة الرأي وقالت له : تعلّم من أدبه قبل علمه ثم تتلمذ على محمد بن المنكدر . وكذا على الإمام جعفر الصادق .

حفظ **القرآن الكريم** في صدر حياته ، ثم حفظ **الحديث** ، كما برع في **الفقه** ، فقد ألمّ بفقه فقهاء المدينة السبعة «**سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وخارجة بن زيد ، وعبيد بن عبد الرحمن بن حارثة ، وسليمان بن يسار ، وعبد الله بن عتبة**» .

وبرع مالك في الفقه والحديث حتى **أجمع العلماء على إمامته في الحديث** ، وقرر علماء الحديث أن أصح الأحاديث ما روته السلسلة الذهبيّة : مالك عن الزهري عن سالم عن ابن عمر ، ومالك عن نافع عن ابن عمر ، ومالك عن ابن الزناد عن الأعرج عن ابي هريرة .

اشتغل بتدريس الحديث والفقه ، واختار مجلس درسه حيث كان يجلس **عمر بن الخطاب** ، كما اختار لنفسه سكناً دار **عبد الله بن مسعود** ، وكان إذا خرج للتدريس يتوضأ ويتطيّب ويلبس ثياباً جديدة ويصلي ركعتين ، وقد كان هادئ الطبع حسن الصوت . ذا مهابة كثير الصمت . لا يسارع إلى إبداء الرأي وإنما يفكّر التفكير الطويل . يروى عنه أنه قال : ربّما وردت عليّ مسألةٌ مَا فأقضي فيها عامة ليلتي . وقال : ما كان شيء أشد عليّ من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام لأن هذا هو القطع في حكم الله . ولقد أدركنا أهل العلم في بلدنا ، وأن أحدهم إذا سئل عن المسألة كأنّما الموت أشرف عليه .

وكان يَفِدُ إلى حلقة درس مالك الكثير من الفقهاء : منهم **الشافعي ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، والأوزاعي ، وسفيان ابن عيينة ، والليث بن سعد** ، كما كان يفد على درسه الأمراء **كالمهدي والهادي أو الرشيد أو الأمين أو المأمون** .

وكان في فقهه واقعياً يكره افتراض المسائل ، وقد تأثر في فقهه بالبيئة التي هو فيها فطريقته في الاستنباط مشبَّعة بالرأي ، ولم يكن مجال الرأي عنده منحصراً في القياس كما هو عند غيره من فقهاء مدرسة الحديث الآخذين بالقياس .

وكان يزن الأحكام الفقهية بميزان المصالح وما يلائم مقاصد الشارع العامة ، وكان ينقد ما ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من أخبار الآحاد نقد الصَّيْرفيّ البارع فهو يقول بالنسبة لما رواه أبو هريرة عن النبي أنه قال : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب .كيف يؤكل صيده ويكره لعابه !! لا أدري ما حقيقة هذا الخبر ؟! .

وكان فقه مالك بعضه تخريجاً للأحاديث ، وبعضه بياناً لما كان مجمعاً عليه في المدينة ، وبعضه بياناً لما كان عليه فقه التابعين بها وبعضه ما انتهى إليه اختياره من مجموع آرائهم وبعضه أخذه بالقياس على ما علم أو بناه على المصلحة التي كان يعتبرها المقياس الضابط عند انعدام النص .

ولقد وصف مالك فقهه في كتابه **الموطأ** فقال : وأما أكثر ما في الكتاب فرأي لعَمْري ما هو برأيي ، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المقتدى بهم الذين أخذت عنهم ، وما قلت الأمر عندي . فهو ما عمل الناس به عندنا وجرت به الأحكام ، وما قلت فيه بعض العلم فهو شيء استحسنته من قول العلماء ، وأما ما لم أسمعه منهم فاجتهدت ونظرت على مذهب من لقيته حتى وقع ذلك موقع الحق أو قريباً منه حتى لا نخرج عن مذهب أهل المدينة وآرائهم .

تأثر مالك في فقهه كثيراً بشيخه ربيعة الرأي ، **وكان أساس الرأي الذي تلقاه عنه التوفيق بين النصوص المختلفة ومصالح الناس** ، ومع أخذ مالك بالرأي وتوسّعه فيه فإنه لم يصل إلى ما وصل إليه **أبو حنيفة** في هذا فضلاً عن اختلاف المنهج .**فالمصلحة عند مالك هي الأساس والمقياس الضابط عند انعدام النص** .



بقلم : د. محمد سلام مدكور

ومالك وإن لم يدوّن لنفسه أصولا وإنما ذكر منهاجه الفقهي إجمالا في مثل ما قدمناه عنه ، فإننا نستطيع ـ القول من خلال النظر في كتابه (الموطأ) . وما دوّن عنه من فروع فقهية في المدوّنة ـ بأنه فقيه رأي كما هو فقيه أثر ، وأن المصلحة عنده مقياس ضابط وأنه اشتق **فقه الرأي** من الحياة والإنسانية ، وأن حصيلة مالك من الأثر وإن كانت واسعة ، وأحكامه المبنية على نصوص السنّة كثيرة ، فمنشأ هذا أنه أقام في موطن الحديث طوال حياته .

كان رضي الله عنه أوّل من عني عناية شديدة بدراسة رجال الحديث فينتقي الرواة الثقات ولا يأخذ الحديث من صاحب هوى يدعو إلى بدْعَةٍ ولا ممن يكذب في أحاديث الناس ، وإن كان لا يتهم على حديث رسول الله . فهو لا يكتفي بالعدالة والضبط بل لا بد أن يكون الراوي عنده ممن يزن ما ينقل إليه .

ومن ناحية متن الحديث ، فقد كان يستأنس برواية غيره دائماً ولذلك كان ينفر من الغريب مهما يكن حال رواته قال ابن عبد البر : « **إن مالكاً كان من أشدّ الناس تركاً لشذوذ العلم وأشدهم انتقاداً للرجال وأقلهم تكلّفاً وأتقنهم حفظاً ولذلك صار إماماً** » وقد أثر عن مالك قوله : إن هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون منه . لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله : فما أخذت عنهم شيئاً ، وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أميناً ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن .

ويعدّ الإمام مالك أوّل من دوَّن الحديث فقد جمعه في كتابه الموطأ الذي توخّى فيه القويّ من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وصنّفه على أبواب الفقه . ومكث في جمعه وتبويبه قرابة الأربعين عاماً . وقد عرف مالك بالدّقة في نقد رواية الحديث ورواته حتى عُدَّ القدوة التي تعرف بعلمه أقدار الرجال . فإذا حدَّث عن رجل لا يعرفونه فهو حجة .

وكان رضي الله عنه يرى الاختلاف الفقهي ضرورياً لتكون الأحكام متوافقة مع عرف كل إقليم ما دامت لم تخالف نصاً ، ولذا فإنه **رفض أن يكون كتابه الموطأ مرجعاً للناس في كل الأقطار .** وقال للرشيد عندما طلب منه ذلك : يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة الله على هذه الأمة . كل يتبع ما صح عنده وكل يريد الله . . وقال : إن لكل قوم سلفاً وأئمة فإن رأى أمير المؤمنين قرارهم على حالهم فليفعل .

بغضه للخوض في الغيبيَّات

كان رضي الله عنه لا يحب الكلام فيما ليس وراءه عمل مما أثاره **المعتزلة والجبرية** وغيرهم من الأمور الغيبيَّة . ويروى أن رجلاً سأل مالكاً عن معنى الاستواء في قوله جل شأنه ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ فقال : الاستواء معلوم والكيف منه غير معقول والسؤال عن هذا بدعة والإيمان به واجب . ويروي **الرازي** عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن الدليل على وجود الله فقال : اختلاف اللغات والأصوات والنغمات .

وكان **يكره التأويل** ويطلب إمرار النصوص كما جاءت **ويكره الجدل في الدين** ولو كان هذا البحث إمعانا في التنزيه ، **ويرفض الرد العقلي على البدع** ويقول : هو ردّ بدعة ببدعة . يروى عن **أشهب** تلميذ مالك أنه سأله هل يفيد قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ أنهم ينظرون إلى الله ؟ . قال : نعم بأعينهم . قال أشهب : إن قوماً يقولون إن « ناظرة » بمعنى منتظرة . فقال : كذبوا بل ينظرون إلى الله أما سمعت قول موسى « . . أرني أنظر إليك » أفترى موسى سأل ربه محالا ؟! فقال : لن تراني ـ أي في الدنيا لأنها دار فناء ـ ومن هذا ترى أنه فهم النص كما هو دون تأويل فيه .

وكان يرى أن الايمان اعتقاد قول وعمل وأنه يزيد وينقص لأن ما يقبل الزيادة يقبل النقصان غير أنه لما وجد آيات القرآن ذكرت الزيادة فقط دون النقصان كف عن القول بالنقصان وقال : الإيمان يزيد وقد ذكر الله زيادته في غير موضع . فدع الكلام في نقصانه وكف عنه .

بغضه للمجادلة

وكان مالك يكره المجادلة لأنها تدفع في كثير من الأحوال إلى التعصب . ويروى أن الرشيد طلب إليه مرة أن يناظر أبا يوسف الفقيه الحنفي فقال له : إن العلم ليس كالتحريش بالبهائم والديكة . وكان يرى أن شيوع الجدل بين المسلمين يفسد عليهم أمور دينهم .

بعده عن السياسة والتملّق للحكّام

كان مالك قوياً في الحق لا يتملّق الحكّام ولا ينتقل إلى رجال الجاه والسلطان . يروى أن الخليفة هارون طلب أن ينتقل الإمام مالك إلى قصره ليقرأ موطأه على ولديه الأمين والمأمون فقال مالك : أعزّ الله أمير المؤمنين إن هذا العلم منكم خرج فإن أعززتموه يعز وإن أذللتموه ذل العلم

يؤتى ولا يأتي . ويروى أنه كان إذا دخل على الوالي بدأه بالسلام ثم وعظه وحثّه على مصالح المسلمين .

وكان يكره الخوض في السياسة وإن كان لا يخلو من نزعة تقرّبه من **الأمويين .** ولذا فإن الأمويين بالأندلس جعلوا فقهه هو القانون الملزم لدولتهم وحملوا الناس عليه .

ومع مكانة مالك العلمية فإنه لم يسلم من أذى الحكام فقد **ضربه جعفر بن سليمان والي المدينة بالسياط** وذلك لمّا أوْشى به مروّجو الفتن وقالوا : إنه يوجه الناس إلى أنهم في حل من بيعتهم إلى **أبي جعفر المنصور** لأنها تمت على كره منهم وقالوا إن ذلك لم يصدر منه صراحة وإنما يفهم ضمناً من فتواه بعدم وقوع طلاق المكره . وقيل إن سبب هذه المحنة أمر آخر . ولما اشتد سخط أهل المدينة وغضبهم استدعاه الخليفة إلى مجلسه واعتذر له بعدم علمه وأمر بنقل هذا الوالي من **المدينة** إلى **العراق .**

منهج مالك في الأخذ من الأدلة

يقول **القاضي عياض** عن **أصول أدلة مالك** : وجدت مالكا رحمه الله ناهجاً في هذه الأصول مناهج مرتّباً لها . مقدّماً **كتاب الله** ثم **الآثار** ثم **القياس والاعتبار** تاركاً منها لما لم يتحمله الثقات العارفون وما وجد الجمهور الجم الغفير من أهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه . وأنه كان عند نظره في النصوص القرآنية يقدم نصوصه ثم ظواهره ثم مفهوماته ، كما يحكى عنه أنه تناول السنة على ترتيب متواترها ومشهورها وآحادها ثم ترتيب نصوصها وظواهرها ومفهومها وأن الإجماع عنده يتحقق بإجماع أهل المدينة .

ويدخل في استدلال مالك بالقرآن استدلاله بشرع من قبلنا إذا ورد في القرآن ولم يرد به حكم معارض له . فهو وإن لم يذكره الأصوليون من المالكية صراحة إلا أنه واضح في فقه مالك اعتباره في هذه الحالة مصدراً له .

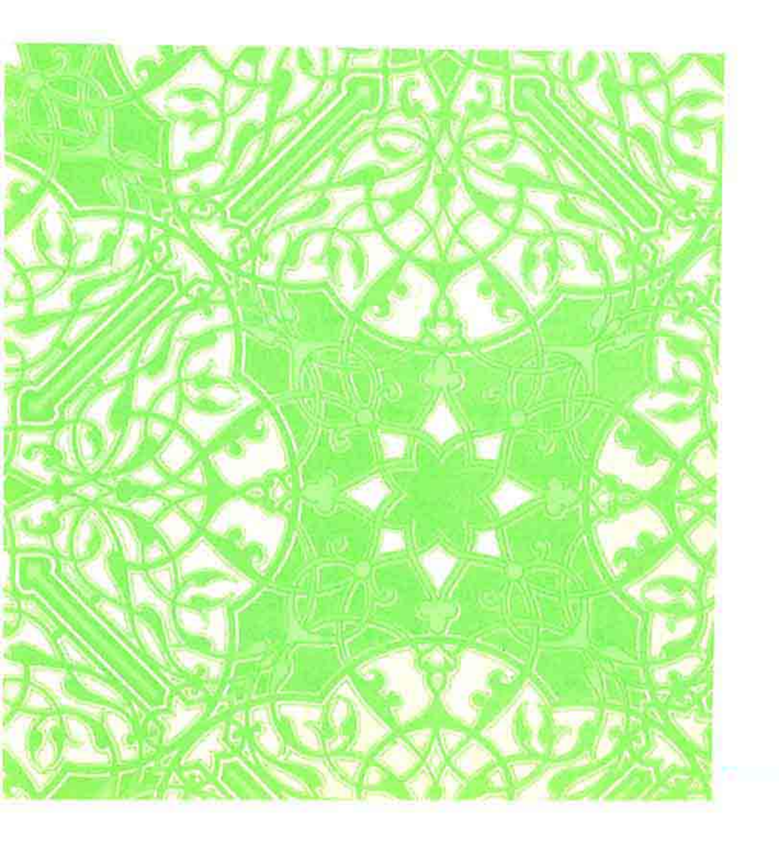
وينص القرافي المالكي على أن **أصول المذهب المالكي : القرآن والسنة والإجماع ، وإجماع أهل المدينة ، والقياس وقول الصحابي ، والمصلحة المرسلة ، والعرف والعادة ، وسدّ الذرائع ، والاستصحاب ، والاستحسان .** أما **الشاطبي المالكي** فقد حصرها في كتابه الموافقات في أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والرأي . فهو يعتبر عمل أهل المدينة وقول الصحابي من قبيل السنة ، وأما الأدلة الأخرى فإنه يشملها عنده الرأي . وقال الشاطبي في الاعتصام : إن مالكاً يترك الدليل للعرف . ولاحظ الشاطبي أنّ مالكاً يعتمد في فقهه أكثر ما يعتمد على ما ورثه عن شيوخه وما عرفه عن الصحابة والتابعين من أحكام حيث قال : **ومالك هو الذي رضي لنفسه في فقهه بالاتباع بحيث يخيّل لبعضهم أنه مقلد لمن قبله .**

وإذا كان مالك لم يدوّن له منهجاً خاصاً غير أننا نجزم بأنه فقيه رأي كما هو فقيه أثر ، وأنه دائماً يحكّم ما عليه عمل أهل المدينة في فقهه ، كما يزن غالباً الأمور بميزان المصلحة . وعند نظره في النصوص نجده يقدّم النص ، ثم الظاهر ، ثم المفهوم ، ثم التنبيه على العلّة[1] ، وأنه يدرس ما يجد من الوقائع مما لم يرد فيه نص في ضوء ما علم وبعقْل متفتّح لاعتبار المصالح في نطاق القواعد العامة للشريعة .

فالنص عنده في الدلالة أقوى من الظاهر ، وعند التعارض يقدم النص لأنه لا يحتمل التأويل ، وبالتالي فإنه يقدم الظاهر على المفاهيم عموماً ، ويقدّم فحوى الخطاب « **مفهوم الموافقة** » على دليل الخطاب « **مفهوم المخالفة** » ويتجه إلى أن دلالة اللفظ العام ــ المجرد عن القرائن ــ على العموم من قبيل الظاهر لا من قبيل النص فتكون دلالته بناء على ذلك ظنية .

مخصّصات العموم عند مالك

يقول القرافي : **إن مخصصات العموم عند مالك خمسة عشر هي** : العقل والإجماع والكتاب بالكتاب ، والقياس الجلي والخفي لو كان العام قرآناً أو سنّة متواترة ، والسنّة المتواترة بمثلها ، والكتاب بالسنّة المتواترة ، والكتاب بخبر الآحاد ، والعادات ، والشرط ، والاستثناء ، والصفة ، والغاية ، والاستفهام والحس . وإن كان العقل والحس مجرد قرائن ، كما أن الاستثناء والشرط والصفة والغاية ما هي إلا قيود لا يتم



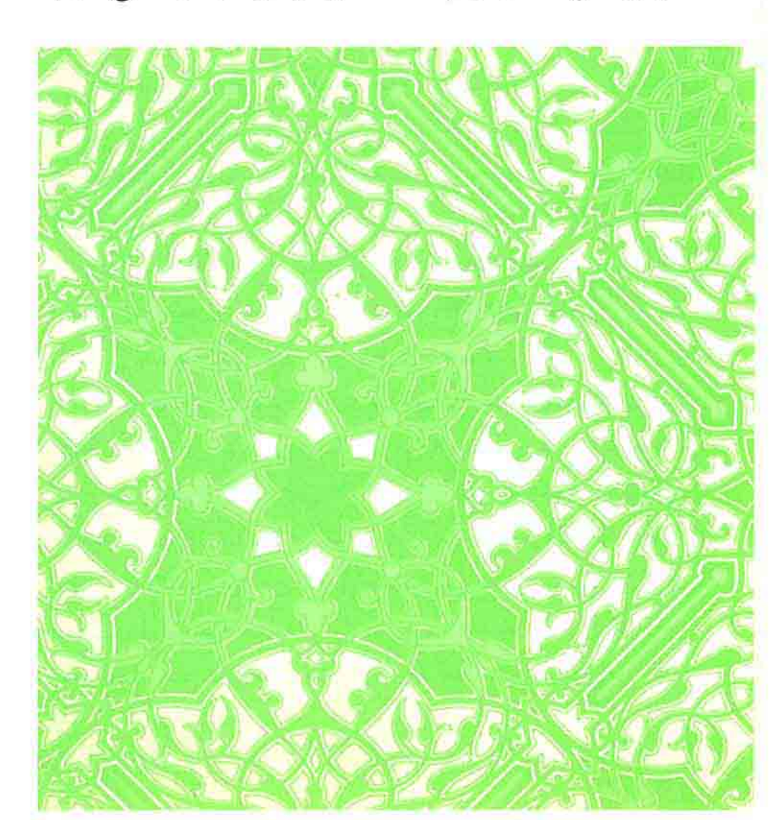
الكلام إلا بها . وإن كان تقييد العام بها ليس موضع خلاف .

ومن صور تخصيص عموميات القرآن بالإجماع ، إخراج نكاح الأخت الرضاعية من عموم قول الله تعالى في سورة النساء في آية النكاح ﴿ **أو ما ملكت أيمانكم** ﴾ ، فقد أجمع الصحابة والتابعون على إخراج الأخت الرضاعية من هذا العموم وهو ما يؤيده العقل .

كما أن تخصيص الكتاب بخبر الواحد أمر واضح إذ دلالة العام المجرد عن القرائن على العموم ظنية حسب منهجه . فالظني يخصص الظني ولا حرج في ذلك . أما تخصيص عموم الكتاب بالقياس جلياً كان أو خفياً وسواء كان أصله خبر آحاد أم حديثاً متواتراً ، فإن الفقه المالكي يكاد أن يكون انفرد بالقول به ، إذ القياس أصل معتبر ، والقاعدة أنه إذا تعارض أصلان أحدهما فيه احتمال الدلالة والآخر لا احتمال فيه كان إعمالهما معاً أولى من إهمال أحدهما . أما العادة التي تخصص عمومات الكتاب فهي العادة القولية التي توجه الاستعمال في عصر نزول النص . يقول القرافي المالكي : من له عرف وعادة في لفظ حمل لفظه على عرفه . وذكر بعض المالكية أن المصالح المرسلة تخصص عمومات الكتاب أيضاً ومن ذلك قول مالك بعدم إلزام المرأة الشريفة بالإرضاع إذا قبل طفلها الإرضاع من غيرها وذلك محافظة على جمالها .

ويقدّم مالك ظاهر القرآن على خبر الآحاد ما لم يعضده أمر آخر كعمل أهل المدينة أو الإجماع أو القياس لأنه يشترط لابتناء الحكم على خبر الآحاد ألا يخالف ظاهر القرآن . فقد ردّ حديث أبي هريرة « إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب » لمعارضته لظاهر قوله تعالى : « فكلوا مما أمسكن عليكم » وضعَّف الحديث وقال : يؤكل صيده فكيف يكره لعابه !؟ .

ومن الصور التي بنى فيها الحكم على خبر الآحاد برغم معارضته لظاهر النص لأن الخبر عضّده أمر آخر ، ما رواه أبو هريرة من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « أكل كلّ ذي ناب من السباع حرام »



وما رواه ابن عباس من أن الرسول نهى عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير ، مع أن ذلك معارض لظاهر قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به . . ﴾ وعلل مالك أخذه بالحديث برغم هذه المعارضة بقوله ـ كما في الموطأ ـ (وهو الأمر عندنا) أي ما عليه عمل أهل المدينة .

موقف مالك من الحديث

يتجه الإمام مالك إلى الحديث والأثر أكثر من اتجاهه إلى الرأي ، وتوسع في اعتبار الحديث حتى أخذ **بالمنقطع والمرسل والموقوف** لكنه مع هذا يتشدد في رواية الحديث ، ويشترط في الراوي فوق العدالة ألا يكون سفيهاً فيه حمق وجهل ، وألا يكون صاحب بدعة يدعو إليها وأن يكون معروفاً بالضبط والفهم . ولذلك فإنه يرد غريب الحديث ويقبل المرسل ما دام يطمئن إلى شخص مُرسله . وقد كان الأخذ بذلك سمة العصر . وكان يرى أن الحديث المستفيض الذي اشتهر في طبقة التابعين أعلى درجة من خبر الآحاد .

وكان رضي الله عنه يشترط للأخذ بخبر الآحاد ألا يخالف عمل أهل المدينة لأنه كشيوخه من قبل يعتبرون عمل أهل المدينة بمنزلة رواية جماعة عن جماعة فيكون أولى بالاعتبار من رواية الآحاد ، وحتى مع صحة الخبر فإن أهل المدينة أدرى بالسنَّة وأعلم بها فمخالفتهم لخبر صحيح من أخبار الآحاد دليل على أنه منسوخ ، ومع هذا فإنه إذا وجد طريقاً للجمع بين الخبر وما عليه عمل أهل المدينة لجأ إليه ، كما أنه يقدم القياس على خبر الواحد إذا كان القياس تؤيده قاعدة قطعية .

الإجماع وعمل أهل المدينة

نظرة مالك للإجماع تختلف بعض الشيء عن غيره إذ يرى أنه يتحقق بإجماع أهل المدينة ، وبالتالي فإنه يتحقق باتفاق جميع المجتهدين في الأمة بعد عصر الرسول . **واعتزاز مالك بعمل أهل المدينة وما يجمعون عليه أمر واضح جداً في فقهه** كما روي عنه أنه قال : الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة . وقد تبع مالك في تقديم عمل أهل المدينة على الخبر شيخه ربيعة الرأي فقد روى عنه أنه قال : ألف عن ألف أحب إلي من واحد عن واحد .

وعمل أهل المدينة مقدم عند مالك ما دام طريقه النقل **عن النبي صلى الله عليه وسلم** قولا كان أو فعلًا أو تقريراً ، أو ترك شيء قام سبب وجوده ولم يفعله . وأما ما كان طريقه الاجتهاد فقيل إنه لا يدخل فيما يترك من أجله القياس ويقدم على الخبر . وقيل إنه وإن لم يكن حجة فإنه يكون مرجحاً .

فمالك **يعتبر ما أجمع عليه أهل المدينة ملزماً** . أما إذا اختلف الصحابة أو التابعون في المدينة فإنه لا يخرج عن جملة آرائهم وإنما يرجح رأياً على آخر ، لموافقته لتخريج من الكتاب أو السنَّة أو لكثرة القائلين به أو لموافقته لقياس قويّ ، ويعبّر عن ترجيحاته بقوله : هذا أحسن ما سمعت ، أو أحب ما سمعت إليَّ .

اعتزاز مالك بقول الصحابي

كان مالك يتبع ما أثر عن الصحابة والتابعين ولو كان رأياً لواحد ، وهذا كثير في فقه مالك فهو دائماً يقدم الآثار على القياس . وكان يلحق قول الصحابي بالسنة ويعتز به إذ يرى أن الصحابي قد يكون سمع ذلك من النبي أو من صحابي آخر أو يكون فهمه من آية قرآنية فهماً خفي علينا ، أو يكون ذلك قد اتفق عليه ملؤهم ولم ينقل إلينا إلا قول المفتي وحده . بل لقد ورد ما يدل على أنه ترك خبر الآحاد الذي رواه **سعد ابن أبي وقاص** الخاص بالتمتع بالعمرة إلى الحج أخذاً بقول عمر إذ قد نهى عن ذلك فيما رواه الضحّاك . وقال مالك : قول الضحّاك أحب إلي من قول سعد ، وعمر أعلم برسول الله .

منهجه في الرأي

طرق الرأي عند مالك متعددة منها **القياس** الذي كان يأخذ به عند انعدام النص والإجماع وقول الصحابي . بل إنه توسّع في القياس حتى إنه كان يقيس بعض المسائل التي تقع على ما أجمع عليه أهل المدينة ، وما أثر من فتاوى الصحابة كما كان يقيس أيضاً على الفروع الثابتة بالقياس والاستنباط ما يكون مماثلاً لها في مجموع أوصافها . مع أن عامة الأصوليين يشترطون في القياس أن لا يكون حكم الأصل ثابتاً بالقياس وإنما فقط بالنص أو الإجماع . وكذلك فإن الإمام مالكاً **أدخل القياس في الكفارات والحدود** مع أن الحنفية وهم أئمة الرأي لا يقيسون فيها مطلقاً وكذلك فإنه يقيس على الرخص المستثناة لأنها رخص ينقدح فيها سبب عام فوجب عنده تعدية ذلك إلى الغير كما جاء في بداية المجتهد لابن رشد المالكي .

ومن طرق الرأي عنده **الاستحسان** الذي توسع فيه وقال : إنه تسعة أعشار العلم ، وتوسع فيه . وما نحسب مالكاً استعمل الاستحسان بالمعنى الأصولي الدّقيق لأن عصره والبيئة التي كان فيها لا يسمحان بذلك . وإنما استعمله بالمعنى الملائم لبيئته . وهذا لا يمنع من أن فقهاء المالكية جاءوا من بعده فنظروا فيه واستعملوه بالمعنى الأصولي الدقيق .

ومن طرق الرأي عند مالك اعتبار **الذرائع** . وقد انضبطت عنده قاعدة الأخذ بالذرائع التي أخذها عن شيوخه بالمدينة واعتمد عليها كثيراً في فقهه وخاصة في المبايعات سواء بالنسبة لسد الذرائع أو لفتحها . ومن صور ذلك قوله بتوريث من طلقها زوجها في مرض موته بغير رغبتها لأنه متّهم في هذا بمحاولة فراره من إرثها فيه . ويرى سد الذرائع إن كانت تفضي إلى مفسدة لأن المفاسد ممنوعة ، كما يرى فتحها إن كانت تفضي إلى مقصد هو قربة وخير وتأخذ الوسيلة حكم المقصود .

ومن طرق الرأي عنده **الاستصحاب** . لأن الثابت بيقين يبقى ولا يزول بالشك فمن ادعى أنه اشترى كلباً على أنه كلب صيد ثم ادعى على أنه غير مُعلَّم قبلت دعواه استصحاباً للأصل حتى يثبت عدم صدقه لأن الأصل عدم معرفة الكلب المصيد دون تدريب . ومن تزوج فتاة على أنها بكر ثم ادعى عند دخوله بها أنها غير بكر لا تقبل دعواه إلا بدليل آخر استصحاباً للأصل .

ومن طرق الرأي عنده اعتباره **للمصلحة المرسلة** فقد أخذ بها في المعاملات خاصة واعتبرها دليلاً مستقلاً . واشترط للعمل بها أن تكون ملائمة لمقاصد الشرع ولا تنافي أصلاً من أصوله وأن تكون معقولة في ذاتها وأن يكون الأخذ بها حفظ أمر ضروري أو رفع حرج لازم في الدين . يقول الشاطبي : إن مالكاً في قسم العادات الذي هو جار على المعنى المناسب الظاهر للعقول ، قد استرسل فيه استرسال المدلّ العريق في فهم المعاني المصلحية .

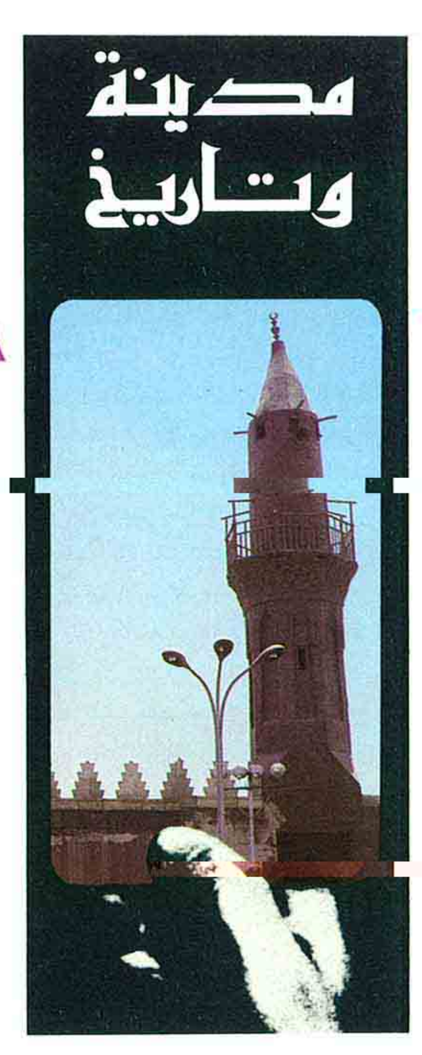
اعتباره للعرف

وقد اعتبر الإمام مالك العرف مصدراً عند انعدام النص . كما خصص به النص العام وقيد به المطلق وترك من أجله القياس وكل ما هو محمول على العادات إذا تغيرت العادة تغيرت الأحكام في الفقه المالكي ، وكذلك بالنسبة للدعاوى فإنه إذا كان القول قول من ادعى شيئاً لأنه العادة ثم تغيرت العادة ولم يبق القول قول مدعيه تغير الحكم تبعاً لذلك .

هذا هو منهج مالك الفقهي ومنه يبين أنه بقدر ما كان يتمسك بعمل أهل المدينة ويأخذ بالسنة المتواترة والمستفيضة والآثار مما روي عن الصحابة والتابعين فإنه أفسح المجال للرأي إلى حد يفوق فقهاء **مدرسة الرأي** في بعض الطرق ، ولذا فإن من المؤرخين من عدّه من فقهاء الرأي .

وقد كان رحمه الله إماماً جمع في فقهه بين الكمال الديني ومراعاة مصالح الناس . فكان محل ثناء فقهاء الرأي وفقهاء الحديث ، فقال عنه **أبو حنيفة النعمان** : ما رأيت أسرع منه بجواب صادق . وقال عنه **الشافعي** : إذا جاء الأثر عن مالك فشدّ به وإذا ذكر العلماء فمالك النجم ولم يبلغ أحد من العلماء مبلغ مالك لحفظه وإتقانه ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك . ويقول عنه **أحمد بن حنبل** : مالك سيد من سادات أهل العلم وهو إمام في الحديث والفقه .

رحم الله مالكاً ، فقد كان مدرسة فقهية دانت لفقهه كثير من الأقطار الإسلامية حتى اليوم واستفادت من فقهه كثير من التشريعات الأوروبية . **وقد كان رضي الله عنه يبغض التعصب وينهى تلاميذه عن التعصب له** ويقول عند تقريره لمسألة واستنباط لحكم : انظروا فيه فإنه دين وما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة يقصد الرسول صلوات الله عليه . . وإلى لقاء آخر أقدم لقراء مجلة **الفيصل** فقه أبي حنيفة إمام مدرسة الرأي .



الفسطاط

المدينة والعاصمة والأثر

بقلم : د. حسين فوزي النجار

كثيراً ما نذكر الفسطاط مدينة آبدة عفا عليها الزمن ولم تعد غير ذكرى في التاريخ ، فإن كان الزمن قد عفا على معالمها ولم يبق على رسومها ، فقد بقيت تنفرج وتمتد حيث تستوي أمامها الأرض لتبق على مدى الأيام عاصمة الديار المصرية ، سواء كان مقر الحاكم المعسكر أو القطائع أو القاهرة ، فما كانت جميعاً غير امتداد طبيعي للفسطاط ، كامتداد القاهرة اليوم في أحيائها الجديدة خارج أسوارها القديمة نحو الشمال أكثر مما هو تجاه الجنوب .

★ صورة من بقايا معالم مدينة الفسطاط ★

الفسطاط

المدينة والعاصمة والأثر

ولعل الرؤى التي غالت **عمرو بن العاص** حين فكر في اتخاذ قاعدة لحكمه في مصر ، أو التي دعت **الخليفة عمر** أن يأمره بألا يدع بينه وبين المسلمين ماء حين رأى عمرو أن يتخذ من الإسكندرية عاصمة للديار المصرية ، كما كانت على عهد الرومان بعد أن تم له فتحها ، هي الرؤى التي غالت من قبل فراعنة مصر حين اتخذوا من **منف عاصمة الشمال والجنوب** لتكون قاعدة المملكة الموحدة ، وهي التي غالت الرومان من بعد حين أقاموا **حصن بابليون** عبر النيل إلى الشمال الشرقي من (منف) عاصمة الفراعنة . **فحيث قامت (منف) ، وحيث أقيم حصن بابليون ، وحيث خطت الفسطاط والمعسكر والقطائع ثم القاهرة ، كان النيل يستقبل دلتاه العظيمة ويتخللها كأعراف نخلة تشعب السعف منها في خضرة زاهية بطلع نضيد جذعها في النوبة وساقها في الصعيد وفروعها في الوجه البحري ، فقاعدة للبلاد تقوم عند التقاء النهر بدلتاه لابد وأن تمسك بناصية الوجهين معاً ، وتشرف على الجنوب كما تطل على الشمال .**

وحين قام « **جب** » في أسطورة « **ايزيس** » ـ كما تقص علينا « **لوحة شباكا** » ـ بتقسيم أرض مصر ، أو مملكة أوزيريس بين « **ست** » و « **حورس** » ، فجعل لـ « حورس » الدلتا أو مملكة الشمال ولـ « ست » الصعيد أو مملكة الجنوب ، وكانت تلك البقعة من النهر التي قامت عليها (منف) وأقيم عليها حصن بابليون وخطت على صفحتها مدينة الفسطاط ، هي الحد الفاصل بين مملكتي ست وحورس ، حتى رأى جب ـ كما تقص اللوحة الخبر ـ في أن تتوحد المملكتان تحت تاج حورس ، وكانت هي البقعة التي يمكن أن تقوم فيها قاعدة للديار المصرية .

وقد كشفت حفريات جامعة القاهرة عن حضارة مصرية قديمة سبقت عصر الأسرات في المنطقة التي تمتد من حلوان حتى المعادي في الوقت الحاضر ، وكأنما أراد الله لتلك البقعة من أرض مصر أن يكون لها في تاريخها ما ليس لأي بقعة أخرى من بقاعها ، ففيها كشفت حفريات جامعة القاهرة عن حضارة مصرية قديمة سبقت عصر الأسرات ترجع مخلفاتها في **حلوان** إلى **العصر النيوليتي** أو العصر الحجري الحديث ، ثم انبثقت إلى الشمال منها في المعادي الحالية حضارة أكثر تقدماً ، حتى قيل إنها كانت عاصمة مصر حين حققت وحدتها الأولى في عصر ما قبل الأسرات[1] ، فلما كان عصر الأسرات كانت (منف) المواجهة لها على الضفة الغربية للنيل عاصمة القطرين أو مصر الموحدة ، ولما أصبحت (**طيبة**) حاضرة الدولة الحديثة بقيت (منف) قاعدة الجند ومرفأ الأسطول ، ولم تفقد حظوتها في العصر الروماني ، وإن أدبر عنها السلطان ونأى عنها الحكم ، وغدا حصن بابليون مقر الحاكم ومنتجع الحامية الرومانية ، فبقيت ملتقى القوافل الضاربة نحو مصر عبر الصحراء الشرقية .

وحين قدر للفسطاط أن تخلف (منف) على مكانتها وأن تصبح حاضرة الديار بدل الإسكندرية ، كان ذلك مؤتلفاً مع واقع التاريخ المصري ، حين قامت حواضر مصر على مدى آلاف السنين من قبل في تلك البقعة التي تصل ما بين شطري الوادي .

وكانت الأرض فيما وراء حصن بابليون ، وكان من أسمائه أيضاً « بابليون آن ـ خيمي » باللغة القبطية أي « **بابليون مصر** »[2] مزارع فسيحة ، تضرب حدائقها وكرومها نحو الشمال ، وفيما يليها إلى الجبل الشرقي كنائس وأديرة تمتد إلى المكان الذي أقيم فيه جامع **أحمد بن طولون** . وقلعة الكبش فيما بعد ، ويقول « **بتلر** » إن بعض هذه الكنائس وتلك الأديرة قد بقيت إلى اليوم ، بعضها داخل سور القاهرة وبعضها خارجه[3] . كما يقول إنه قد بقي من الحصن حتى أوائل القرن العشرين ما يدل على ما كانت عليه هيئته وعظيم خطره ، فقد كان للقبط فيه من أول عهد المسيحية عدة كنائس ، وكانت كل أسواره لهم إلا ما كان منها للملكانيين ، وهو ما قامت عليه كنيسة « **مار جرجس** » ، ومن كنائسه الباقية كنيسة « **المعلقة** » وكنيسة « **أبو سرجه** » .

وقد عرف الحصن بأسماء عديدة وإن غلب عليها اسم « **قصر الشمع** » ، ولعله عرف أيضاً باسم « **حصن مصر** » ، وكانت المنطقة التي أقيم فيها تعرف باسم مصر وأصبحت تعرف الآن بمصر القديمة ، تمييزاً لها عن القاهرة التي ما زالت تعرف عند الكثيرين باسم مصر .

تأسيس الفسطاط (٢١ هـ ـ ٦٤٢ م)

في تلك الأرض ، فيما وراء حصن بابليون من الشمال والشرق ما بين البساتين والكنائس ، نزل **عمرو بن العاص** بجنده ضارباً الحصار حول الحصن ، وإلى جواره أقام قبته التي سميت « **فسطاط عمرو** » أي خيمته ، ويقول **القلقشندي** ، إنها بضم الفاء ويقال فيها **فستاط** ، وفسطاط بتشديد السين ، ويجيز **الجوهري** كسر الفاء فيها جميعاً ، وفي **لسان العرب** أن الفسطاط مجتمع أهل الكورة حول مسجد جماعتهم ، ويرى بتلر أن الفسطاط مسمى أعجمي ، وقد اختلف العرب فيه ، فهم يقولون إجمالا إن معناه الخيمة من الأدم أو من الجلد ، وكان عمرو يتخذ لنفسه خيمة منها ، أو يقولون إن معناها الموضع حيث يجتمع الناس .

وقد جاء في رواية أن كل مدينة فسطاط[4] ، فيقول **ابن الفقيه** إنه كان يطلق على البصرة اسم الفسطاط ، كما يقال إن كلمة فسطاط أخذت عن كلمة Fossatum البيزنطية الأصل ، ومعناها المعسكر أو المدينة المحصنة وإن العرب سمعوها في الشام وفي مصر فأدخلوها لغتهم[5] .

ولما فتح العرب حصن بابليون وأزمع عمرو السير إلى الإسكندرية أمر بنزع الفسطاط فإذا بيمام قد فرخ ، فقال : « **لقد تحرم منا بحرم** » وأمر بأن يبقى الفسطاط حتى يطير الفراخ ، وأوصى به صاحب القصر ، فلما تم له فتح الإسكندرية ، قيل إنها راقت له لتكون مقر حكمه وقال : « **مساكن قد كفيناها** » ، وكتب إلى عمر يستأذنه في المقام بها ولتكون مقر حكمه ، وسأل عمر الرسول : **هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟** ، فأجابه : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب إلى عمرو « **لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف** » .

ولعل الإسكندرية عروس الدنيا حينذاك قد راقت لعمرو ، فهي عاصمة مصر منذ خطها **الاسكندر المقدوني** ، فكانت مقام البطالسة وحاضرة ملكهم وهي مقر الحاكم الروماني وهي عروس البحر المتوسط أو بحر الروم ، كما كان يعرف ، وقد حوت من القصور والمتنزه ودور العلم ومحافل الثقافة ما تزهى به على الدنيا كلها حتى

بيزنطة حاضرة الروم وعاصمة الإمبراطورية .

فلما نزل عمرو على رأي الخليفة لم يجد خيراً من المكان الذي نزل عليه بجنده وضرب فيه فسطاطه ، فعلى الجانب الآخر من النيل قبل هذا المكان وعلى بضعة أميال إلى الجنوب ، كانت (منف) حاضرة مصر القديمة ، وملتقى الشمال والجنوب من أرض الوادي ، فإذا قامت (منف) عبر النيل للقادم من الشرق ففي النيل وقاء لها من غارات بدو الصحراء أو الشعوب الآسيوية ، أما وقد أصبح الشرق كله من الجزيرة العربية إلى الشام والعراق ملكاً للعرب ، **فإن عاصمة للحكم العربي في مصر مما لا يصح أن يقوم دونها ما يعوق اتصالها بحاضرة الدولة الكبرى في الحجاز ، ومما يوجب أن تقوم وسطاً بين البلاد تشرف على جنوب الوادي كما تطل على شماله .**

وكان أن اختط عمرو الفسطاط **أول حواضر مصر الإسلامية** لتصبح من بعد النواة الأصيلة للمدينة الكبرى القاهرة التي يغلب عليها حتى عند أهلها اسم مصر ، وهو ما يسمى به الفسطاط أحياناً وما زال ـ كما قلنا ـ يحمل اسم مصر ، فالقاهرة التي تقوم اليوم هي في الواقع من إنشاء **عمرو بن العاص** ولم ينشئ من جاءوا بعده غير أحياء أضيفت إليها كما تضاف إليها الآن أحياء جديدة ، وكما أضيف إليها خلال القرن الماضي من الأحياء ما كان من قبل خلاء أو صحارى ، أو بركاً ، **فالفسطاط هي بحق أصل القاهرة الحالية**[٦] .

وإذا كان مقالنا قاصراً على الفسطاط فبوصفها البداية التي بقيت قائمة لحاضرة من حواضر الإسلام الكبرى ، وهي أكبر الحواضر التي أنشأها المسلمون العرب ، وهي القاهرة ، أو مصر كما يجري بها اللسان .

وقد أنشأ العرب في فتوحهم عدداً من المدن الجديدة ، فأسسوا مدينة **البصرة** (١٤هـ ـ ٦٣٥م) ، **والكوفة** (١٦هـ ـ ٦٣٧م) ، **والقيروان** (٥١هـ ـ ٦٧٠م) ، وهو تقليد جروا عليه إبان فتوحهم الأولى وفي كل مكان جديد كانوا ينزلون به أو تكون لهم فيه دولة جديدة ، فكانت **بغداد** كما كانت القاهرة حواضر جديدة لدول جديدة ، وعلى ما جرى عليه العرب في بناء المدن الجديدة بدأ عمرو ببناء المسجد العتيق أو **جامع عمرو** ، حيث كانت رايته وحيث قام فسطاطه وإلى جواره بنى داره وولى على الخطط أربعة من المسلمين يختطون للقبائل مقامها : هم **معاوية بن حديج النجيبي وشريك بن سمي الغطيفي ، وعمرو بن قعزم الخولاني ، وجبريل بن ناشره المعافوري** ، ونسبت الخطط الجديدة إلى أصحابها وسميت بأسمائهم ، فقيل خطة تجيب وخطة مهرة وخطة لخم ، كما كانت هناك خطة الفارسيين ، وكانوا من جند (باذان) عامل كسرى على اليمن ، كما كان بنو الأزرق ، وبنو يشكر ، وإليهم ينسب **جبل يشكر** الذي بني عليه مسجد أحمد بن طولون فيما بعد ، ومن أكبر الخطط وأوسعها كانت خطة أهل الراية وكانوا خليطاً من القرشيين وأهل المدينة وقبائل أخرى لم تكن أعدادهم تكفي لأن ينفردوا بخطة أو راية ، وكان عمرو قد جعل لهم راية من غير نسبة فعرفوا بأهل الراية ، وكانوا نواة الجيش تتحلق حولهم كل القبائل براياتها[٧] وإليهم كان ينسب مسجد عمرو فيقال أحياناً **مسجد أهل الراية** .

وينسب **البلاذري تخطيط الفسطاط إلى الزبير بن العوام** الذي اتخذ له داراً فيها ، كما يقول إن تأسيسها كان بعد فتح حصن بابليون ، إلا أن أكثر المؤرخين يقولون إنه كان بعد فتح الإسكندرية وهو الأرجع .

ويحدد **المقريزي** موقعها فيقول :

« **اعلم أن موقع الفسطاط الذي يقال له اليوم مدينة مصر ، كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقي الذي يعرف بجبل المقطم ، ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع والمعلقة ، ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصر ملوك الروم عند مسيره من الإسكندرية ، ويقيم فيها ما يشاء ثم يعود إلى دار الإمارة** » .

★ مئذنة جامع ابن طولون ★



★ جامع عمرو بن العاص من الداخل ★

وكان النيل يومها يجري إلى جانبها ، فكانت أسوار حصن بابليون الغربية تطل عليه مباشرة لا يفصلها عن مجراه فاصل ، فكانت السفن - **كما يقول المقريزي** - تصل إلى بابه الغربي وهو الباب الذي كان يعرف باسم الباب الحديدي ، فلما قامت الفسطاط كان النيل يحدها غرباً ، ويجري إلى جوارها تماماً ، ويستمر في سيره حتى الموقع الذي يقوم عليه مسجد **السيدة زينب** الحالي . ثم انحسر عنها إلى مجراه الحالي غرباً حوالي خمسمائة متر هي التي تقوم الآن بين **كورنيش النيل وخط حديد حلوان** وعلت الأرض فضمت أسوار الحصن كما طمس كثير من آثار الفسطاط القديمة حتى بدأ الكشف عنها أخيراً .

وكان امتداد خططها من الجنوب إلى الشمال حوالي خمسة كيلومترات فيما بين حصن بابليون وجبل يشكر الذي أقيم عليه مسجد ابن طولون فيما بعد ، ومن الشرق إلى الغرب حوالي كيلومتراً واحداً ، من موقع **عين الصيرة** الحالي حتى مجرى النهر القديم .

ولما كانت هذه المساحة أكثر سعة من حاجة الجند العربي إليها فقد قيل إن الخطط كانت فسيحة ومتباعدة بعضها عن بعض ، وإن كان من المرجح أنها وسعت هذه المساحة حتى تتسع للقاطنين الجدد من غير العرب ممن نزحوا إليها بقصد التجارة أو إقامة الصناعات التي تحتاجها المدينة الجديدة ، كما قيل إنها كانت تضم عدداً من الكنائس والأديرة التي أقيمت من قبل ، وإن استبعد المتأخرون إقامة كنائس في مناطق خالية من السكان .

وفي مواجهة الفسطاط كانت **جزيرة الروضة** تتوسط النهر ، وتمسك بزمامه فتوفر الأمن والمنعة لحصن بابليون ، وتحمي جانبه الغربي المطل على النهر ، ويقال إن العرب قاموا بغزوها أثناء حصارهم للحصن ، ولكنها رواية ينقصها السند ، وبعد خروج الروم من مصر هدم عمرو بعض أسوارها وحصونها ، وبقيت عاطلة حتى اتخذها أحمد بن طولون مقراً لخزائنه وبنى لنفسه قصراً بها (٨٧٦م) ، واحتلت مكانة مرموقة كدار للصناعة وأقيم مقياس النيل في الطرف الجنوبي منها (٧١٦م) ، ما زال قائماً بدل المقياس القديم في حصن بابليون .

جامع عمرو

كان أول ما أقام عمرو من الفسطاط جامعه العتيق ، وعرب بمسجد أهل الراية ، وجامع الجوامع ، وبالجامع العتيق ، وجامع عمرو ، وهو الاسم الذي بقي له حتى يومنا هذا ، حيث تقام الصلاة جامعة يوم الجمعة يحضرها كبار رجال الدولة ، ويقال إن أرضه كانت ملكاً **لعبد الرحمن قيسيه بن كلثوم** حل بها قبل بناء الجامع وكانت ذات أشجار وكروم ، وقد نزل عنها لبناء المسجد صدقة للمسلمين ، وكان المسجد في البداية بناء متواضعاً - خمسون ذراعاً - وتركت الأرض أمامه فضاء ، ومد الطريق حوله ، وجعلت له ستة أبواب ، في كل جانب من جوانبه بابان عدا جدار القبلة ، ومنها بابان يواجهان دار عمرو في الجانب الشرقي منه ، وكانت تمتد بطول المسجد من الجنوب إلى الشمال وبينها وبينه طريق عرضه سبعة أذرع ، واشترك في تحرير قبلته ثمانون من الصحابة ، وقيل ثمانية منهم **الزبير بن العوام والمقداد**



★ .. والجامع من الخارج ★

ابن الأسود وعبادة بن الصامت، لكن القبلة جاءت منحرفة كثيراً نحو الشرق، بغير ما هي عليه اليوم، وكان يحددها عمد قائمة بصدر الجدار، واتخذ عمرو فيه منبراً يخطب عليه فلما علم عمر أمره كتب إليه يقول: «**أما بعد فإنه قد بلغني أنك اتخذت منبراً ترق به على رقاب المسلمين أما حسبك أن تقوم قائماً والمسلمون تحت عقبيك، فعزمت عليك إلا ما كسرته» فكسره عمرو وأزاله**[8]. وخطب عمرو أول خطبة للجمعة أوردها ابن عبد الحكم[9] في تاريخه.

وتقلبت الدنيا على تاج الجوامع، أو جامع عمرو كما تقلبت على أمة الإسلام قوة وضعفاً، لكنه بقي قائماً بقاء الإسلام في العالمين، فلم ينله ما نال الفسطاط من إحن الدهر وخمول الذكر، فحين ولي **مسلمة ابن مخلد** أمر مصر مده وزاد في بنائه وفرشه بالحصير بدل الحصباء، وجعل له منائر نقش عليها اسمه، وبنى في كل ركن من أركانه صومعة، وزاد في عدد مؤذنيه وأمرهم أن يؤذنوا للفجر إذا مضى نصف الليل، وفي ولاية **عبد العزيز بن مروان** هدم بعض أجزائه وأعاد بناءها، وفي خلافة **الوليد بن عبد الملك** أمر واليه **قرة بن شريك** أن يهدم المسجد ويعيد بناءه من جديد، وتم بناؤه على الصورة التي أصبح عليها، مع بعض الزيادات التي زيدت عليه من بعد وطليت جدرانه بالفسيفساء، فلما جاء **الحاكم بأمر الله** نزع الفسيفساء وطلاه بالجير الأبيض، وبقي جامع عمرو، أو تاج الجوامع، علماً على تاريخ مصر الإسلامية حتى وقتنا هذا.

خليج أمير المؤمنين

وفي الفسطاط كانت **فرضة خليج أمير المؤمنين** الذي يربط النيل بالبحر الأحمر، وهو القناة القديمة التي حفرها **الفرعون نخاو**، ثم طمست وأعاد حفرها **بطليموس الثاني**، لكنه فصلها من النيل عند **فاقوس**، وكانت تنفصل عنه من قبل عند **بوبسطة، أو تل بسطة**، كما يعرب الآن بجوار **مدينة الزقازيق**، ثم طمست مرة أخرى بعد أن أهمل الرومان أمرها حتى أعاد حفرها **الإمبراطور تراجان** وسميت **قناة تراجان**، وعدت عليها العوادي من جديد حتى أصبحت بعد القرن الثاني للميلاد غير صالحة للملاحة، ثم اختفت آثارها حتى احتاج عمرو بن العاص إلى من يدله على موضعها، ودله قبطي إليه فأجازه برفع الجزية عنه[10]، وتم حفر الخليج في أقل من عام بادئاً من فرضته إلى الشمال من حصن بابليون حتى بلبيس، فإذا جاوزها انحرف شرقاً إلى **بحيرة التمساح** شاقاً مجراه خلالها ليخرج منها جنوباً إلى **البحيرات المرة**، فالبحر الأحمر عند السويس، وبقي الخليج قائماً حتى ردم في أواخر القرن التاسع وامتد مكانه شارع عرف بشارع الخليج المصري ثم غير اسمه إلى **شارع بور سعيد** حالياً.

وقد فكر عمرو أن يصل به إلى البحر الأبيض فيصل بين البحرين، كما كان من قبل على عهد نخاو وبطليموس الثاني، لكن الخليفة عمر نهاه عنه حتى لا يكون معبراً لأسطول الروم إذا ما فكروا في غزو مصر، ولم يكن للعرب حتى ذلك الوقت خبرة بالبحر أو الملاحة ولم يكن لهم أسطول.

الفسطاط حاضرة الحكم

استقام الأمر لعمرو بن العاص في ولاية مصر ، وأقام بفسطاطه يدير أمورها وأعاد **البطريق بنيامين** إلى رياسته الدينية ، وكان قد اعتصم من اضطهاد الروم بالصحراء فلما كتب عمرو الأمان لقبط مصر خص فيه بنيامين بقوله :

« فليأت البطريق الشيخ آمنا على نفسه وعلى القبط الذين بأرض مصر ، والذين في سواها لا ينالهم أذى ولا تخفر لهم ذمة » .

ورجع البطريق بنيامين إلى مقر كرازته بالإسكندرية وهو يلهج بالثناء على عمرو بعد أن لقيه وأعجب كل من الرجلين بالآخر ، وأخذ يقول لأتباعه :

« عدت إلى بلدي الإسكندرية فوجدت بها أمناً من الخوف واطمئناناً بعد البلاء ، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم » .. ومنذ ذلك الوقت عاش أقباط مصر ومسلموها في رباط لا تنفصم عراه .

ولا ندري ما دار بخلد عمرو بن العاص حين ابتنى داراً بالفسطاط للخليفة عمر ، وكتب إليه يقول : **« إنا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع »** . وأجابه عمر : **« أنَّى لرجل بالحجاز أن تكون له دار بمصر »** وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين فكان له ما أمر ، وأسرع العمران إلى الفسطاط واتسعت رقعتها وشدت إليها الأنظار من كل أنحاء الوادي ، فنزح إليها كبار المصريين من منف ومن الإسكندرية ، وكما أديل من الفسطاط إلى القاهرة بعد أن غدت مقر الحكم ، فقد أديل من الإسكندرية ومن منف إلى الفسطاط ، بل إن منف غدت من بعد أثراً لمجد آفل وذكر لماض ذوى .

ومهما قيل في الأسباب التي حملت عمرو على فتح مصر ، فإنه رأى في امتلاك المسلمين لها ما يمكن الإسلام من الامتداد إلى بلاد يرى الامتداد إليها الخير كل الخير للإسلام والدعوة الإسلامية ، ولعله علم من وهن مركز الرومان وكراهية المصريين لهم ما ييسر له أمر الفتح ، ويمضي به قدماً إلى انتزاع أملاك الرومان في إفريقية فقد مضى بجنده بعد أن دانت له مصر نحو الشمال الإفريقي وكان الطريق إليها يمضي في أرض خصبة كما يقول **ابن دقماق**[11] ، فاستولى على برقة وطرابلس وكتب إلى الخليفة يستأذنه في السير إلى تونس وما وراءها من شمال إفريقية ، فلم يأذن له فعاد إلى برقة حيث دانت له قبائلها بالطاعة وصالح أهلها على ما يصالح به المسلمون البلاد المفتوحة ويقول **ياقوت** إن أكثر أهل برقة دخلوا في الإسلام[12] .

وأحب عمرو مصر فلم يرض بولايته عنها بديلاً ، ووضع الأساس الذي أصبحت عليه مصر الإسلامية فيما بعد ، ولم يتأت لوال من ولاة المسلمين أن يقوم والياً على البلد الذي فتحه غير عمرو ، **وكانت الفسطاط حاضرته ، وجامع الجوامع مسجده ، وخليج أمير المؤمنين مأثرته ، وفي مصر كان مقامه حتى توفي بها ودفن في أرضها .**

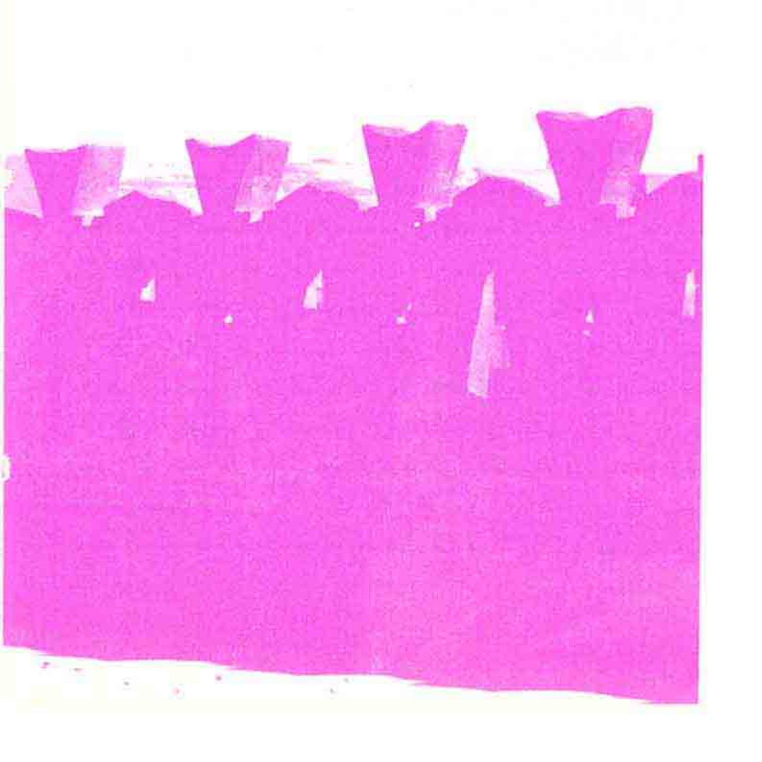
كانت دور الفسطاط تحف بمسجد عمرو من جهاته الثلاث ، أما الجهة الرابعة وهي الجهة الغربية للمسجد فكانت تطل على النيل مباشرة ـ كما قلنا ـ فلما بدأ النيل يبتعد عنها غرباً أحاطت به الدور من كل جهاته الأربع ، وأخذت المسافة تتسع فيما بينه وبين النيل لتزحف عليها الدور من بعد .

وقد بنيت الدور من **اللبن** كأكثر الدور في مصر ، إلا أن بعضها قد بني بالحجارة ، وقد كشفت الحفائر التي أجريت عند **مسجد أبي السعود الجارحي** حديثاً عن آثار دور من اللبن ترجع إلى عصر مبكر ، وكان من أعظم مبانيها دار الإمارة التي بناها **عبد العزيز بن مروان** والي مصر من قبل أخيه الخليفة **عبد الملك بن مروان** ، وكانت تطل على النيل ، وقد علتها قبة ذهبية وازدانت بزخارف عديدة ، ويرى **الدكتور عبد الرحمن زكي** أنها **« أول بناية إسلامية كبيرة في مصر وصل إلينا نبأ زخرفتها »**[13] .

وبقيت الفسطاط مقر الحكم طوال مائة وثلاثة عشر عاماً وسبعة أشهر ، أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة حين وليها القائد عمرو ، وكان آخر أمرائها **صالح بن علي بن عبد الله** من قبل أمير المؤمنين **أبي العباس بن محمد السفاح** ، ومن بعده سكن أمراء مصر العسكر وكان أولهم **أبو عون عبد الملك** ، وكانت تزداد على الأيام سعة وعمراناً حتى « فاقت البصرة والكوفة وكانت في زمن من الأزمان ثلث مساحة بغداد على غاية العمارة والطيبة واللذة ، ذات رحاب فيها أسواق عظام ومتاجر فخام ولها ظاهر أنيق ، وبساتين نضرة ومنتزهات خضرة » كما يقول **أبي حوقل** صاحب « **المسالك والممالك** » .

ويروي **القضاعي** الفقيه والمؤرخ وأحد كتَّاب بلاط **المنتصر بالله الفاطمي** في كتابه **المختار في الخطط والآثار** : **« إنه كان بالفسطاط ٣٦٠٠ مسجد ، و ٨٠٠٠ شارع مسلوك ، و ١١٧٠٠ حمام »** ، وقد يكون في هذا البيان كثير من المبالغة ، إلا أنه دليل على ما بلغته الفسطاط من السعة والعمران .

وفي سنة ٥٤ هـ (٦٧٤ م) امتد بينها وبين جزيرة الروضة جسر من المراكب ، وكانت الروضة قد أصبحت مقراً لصناعة السفن وأصبحت تدعى بجزيرة الصناعة حتى غلب عليها اسم **الروضة** فيما بعد ، وفي سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) بنيت قنطرة السد **(حيث كنيسة مارمينا)** وكانت تفتح عند وفاء النيل في حفل كبير .



وأصاب الفسطاط بعض الدمار خلال مطاردة العباسيين للخليفة الأموي **مروان بن محمد** سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م) ، فخرب الجانب الشمالي منها مما يلي جبل يشكر تماماً وخلا من العمار .

فلما دانت البلاد للعباسيين رأى **الأمير أبو عون** ، ثاني ولاتهم على مصر ، إنشاء معسكر لجنده في الجانب الشمالي من الفسطاط وكان قد غدا خلاء قفراً (١٣٥ هـ ـ ٧٥٢ م) ، وبنى داراً للإمارة غدت مقر الولاة العباسيين ، وعرف المكان بالمعسكر ، وبقي قاصراً على ولاة العباسيين وأجنادهم حتى عام ٢٠٠ هـ (٨١٦ م) ، حين سمح السري بن الحكم للناس بالبناء حولها فامتد إليها العمران حتى أصبحت هي والفسطاط مدينة واحدة ، وظلت العسكر مقر الإدارة والحكم حتى اختط **أحمد ابن طولون** إلى الشمال منها مدينة جديدة عام ٢٥٦ هـ (٨٦٨ م) أقطعها جنده واتخذها مقاماً ومقراً لإدارته ، وشيد قصراً لسكناه فيما بين قلعة الجبل **ومسجد السيدة نفيسة الآن** ، ثم بنى مسجده فوق جبل يشكر ، وترك ما بين المسجد والقصر ميداناً واسعاً ، ولم يبق من آثار هذه الأحياء الثلاثة التي تكونت منها عاصمة مصر الإسلامية غير **مسجد عمرو** ، وقد تغير كثيراً عما كان عليه عند بنايته ، ومسجد **أحمد بن طولون** الذي بقي على حاله فيما عدا المئذنة التي بناها **السلطان لاجين** عام ٦٩٦ هـ (١١٩٦ م) .

كما بنى **أحمد بن طولون** قناطر للمياه في الجانب الشرقي من القطائع لا تزال بعض عقودها قائمة بالبساتين الحالية ، كما أنشأ **خمارويه** حديقة للحيوان جلب إليها السباع والنمور والزراف والفيلة وأصناف الطيور وغيرها[١٤] .

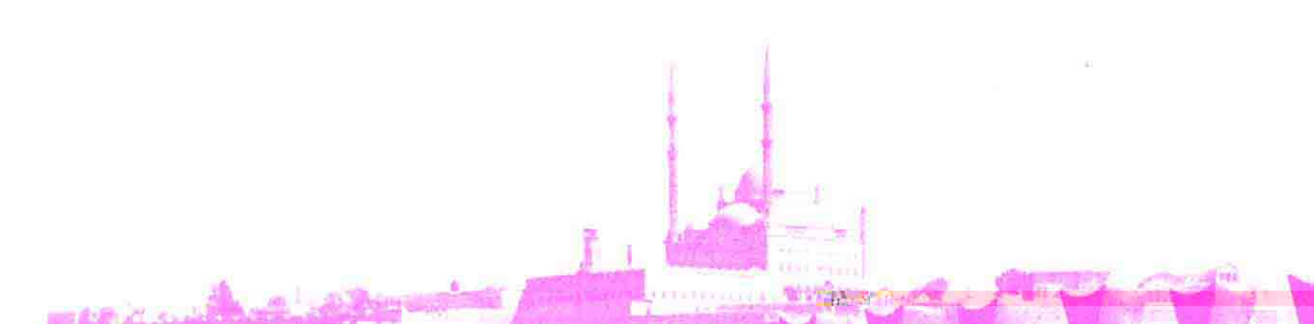
وبعد سقوط الدولة الطولونية عاد ولاة العباسيين إلى سكنى الفسطاط حتى كان بناء الفاطميين للقاهرة في الشمال الشرقي للفسطاط عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) ، فأصبحت عاصمة الديار المصرية يغلب عليها اسم مصر في الحديث ، وإن غلب اسم القاهرة في المكاتبات وبقي اسم الفسطاط أو مصر كما كانت تعرف أضيفت إليها صفة القديمة فغدت تعرف باسم مصر القديمة تمييزاً لها عن غيرها من أبنية القاهرة فهي أصلها جميعاً ، وكانت كلها امتداداً لها شأنها على مدى الزمن حتى وقتنا هذا فقد كان امتداد حاضرة مصر نحو الشمال دائماً ، وكان أقدمها ما هو في الجنوب وأحدثها ما هو في الشمال فحيث تقع مصر القديمة في الجنوب تقع مصر الجديدة الآن في أقصى الشمال .

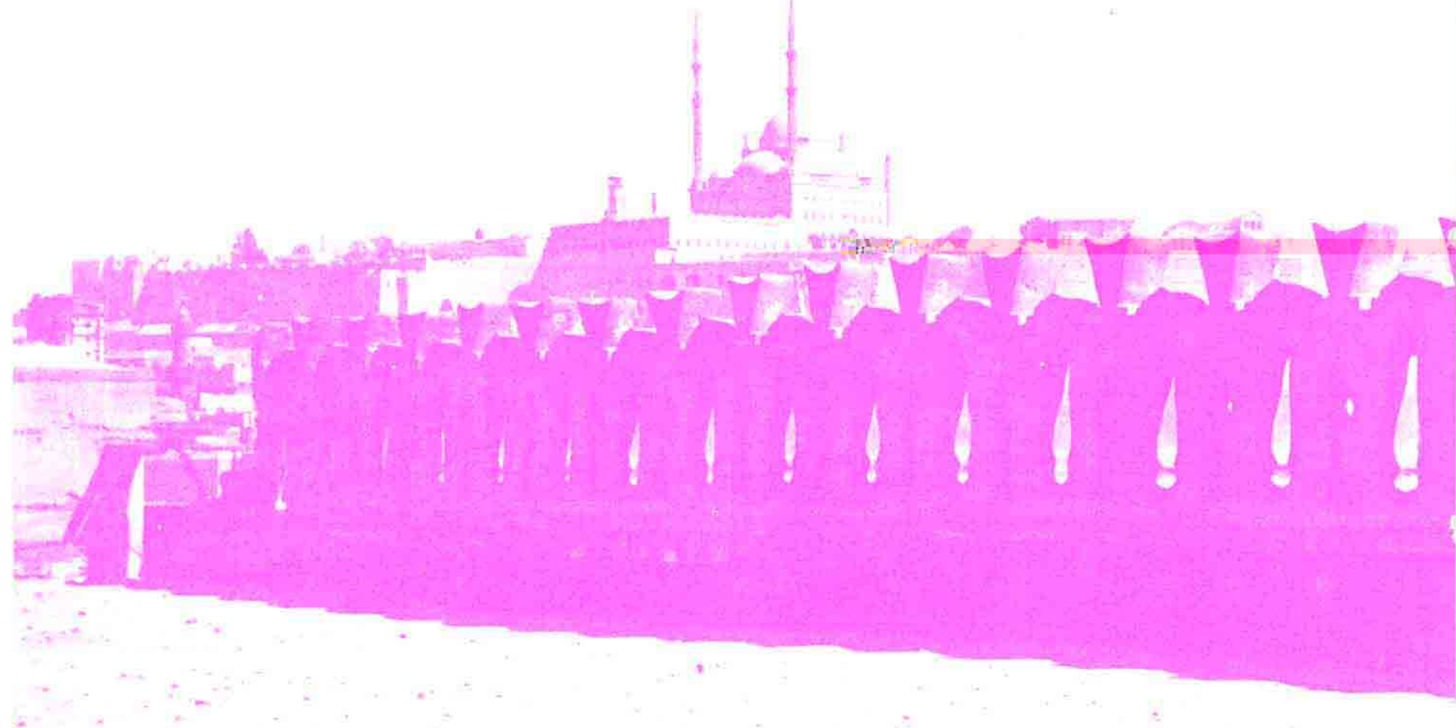
ويقال إن تأسيس القاهرة لم يكن له أثر على الفسطاط ولم يقلل من شأنها بل ازداد عمرانها فأنشئت به « الدور الأنيقة والمساجد القائمة والحمامات الباهية والقياسر الزاهية والمتنزهات الرائقة ، ورحل الناس إليه من سائر الأقطار وقصدوه من جميع الجهات وغص بسكانه وضاق فضاؤه الرحيب عن قطانه »[١٥] .

وظلت المدينة الآهلة ومقر الصناعات والمهن ومستودع التجارة وملتقى التجار وأصحاب الأعمال ، « **ولم يزل الفسطاط زاهي البنيان نامي السكان إلى أن كانت دولة الفاطميين وعمرت القاهرة فتقهقر حاله وتناقص ، وأخذ سكانه في الانتقال إلى القاهرة وما حولها** ، فخلا من أكثر سكانه وتتابع الخراب في بنيانه إلى أن بلغ الفرنج على أطراف الديار في أيام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين[١٦] ، فحين غزا **عموري** ملك بيت المقدس الديار المصرية عام ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) ، وخاف (**شاور**) وزير العاضد أن تقع في يد الصليبيين أمر باخلائها ، « وأزعج الناس في النقلة فتركوا أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم ، وبعث (شاور) إلى مصر بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار ، فرق ذلك فيها وارتفع لهيب النار ودخان الحريق إلى السماء فصار منظراً مهولا ، واستمرت النار تأتي على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام أربعة وخمسين يوماً ، كل ذلك والنهابة ينقبون في المنازل في طلب الجنايا ، ومن ثم تحولت الفسطاط إلى الأطلال المعروفة الآن بكيمان مصر »[١٧] .

وغدت عاصمة مصر الإسلامية الأولى وميناؤها النهري خراباً يباباً ، فتاهت معالمها حتى بدأ العالم الأثري **علي بك بهجت** في الكشف عنها في بداية العقد الثاني من هذا القرن ، ولم يكن قائماً من بقاياها غير جامع عمرو **وأبراج قصر الشمع** أو حصن بابليون القديم ، ويقول **بلنت** إنه

★ شرفات سطح جامع ابن طولون ، ويبدو خلفه ـ من بعد ـ جامع محمد علي (القلعة) ★





بقي قائماً حتى أوائل القرن العشرين ، لكنه خرب تخريباً يرثى لـه منـذ احتلال الإنجليز لمصر ، وحتى تدخلت الحكومة أخيراً وبسطت حمايتها على ما بقي منه ، ولكن ما أقل ما قد بقي منه [١٨].

وحين زارها **ابن سعيد المغربي** ، في القـرن السـابع الهجـري (الثالث عشر الميلادي) ، كانت قد حالت وتغيرت الدنيا عليها فقال في وصفها :

« ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عني المسرة ، وتأملت أسواراً مثلمة سوداء ، وآفاقاً مغبرة ، ودخلت من بابها وهو دون غَلَق ، مفض إلى خراب معمور بمبان سيئة الوضع غير مستقيمة الشوارع ، قد بنيت من الطوب الأدكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة ، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقبض نفس النظيف ويغض طرف الطريف . . . إلى أن انتهيت إلى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الأسواق التي حوله ، ما ذكرت به ضده في **جامع إشبيليه وجامع مراكش** ، ثم دخلت إليه فعاينت جامعاً كبيراً ، قديم البناء ، غير مزخرف ، ولا محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه ، وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبراً بأوطئة أقدامهم ، يجوزون فيه من باب إلى باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك ، وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون منه في أمكنة عديدة غير محتشمين لجري العادة عندهم ، بذلك ، وعدة صبيان بأواني ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منه رزقاً ، وفضلات مآكلهم مطروحة في صحن الجامع وفي زواياه ، والعنكبوت قد عظم نسجه في السقوف ، والأركان والحيطان ، والصبيان يلعبون في صحنه ، وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة ، إلا أن مع هذا كله ، على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده في جامع إشبيليه مع زخرفته ، والبستان الذي في صحنه قد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والأنس دون منظر يوجب ذلك فعلمت أنه سر مودع من وقوف الصحابة رضوان الله عليهم في ساحته عند بنائه » .

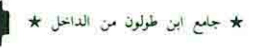
وهكذا حالت الفسطاط وبقي جامع عمرو وما زال باقياً بقاء الإسلام ، وعظيم إن ذهبت المدينة أن يبقى المسجد .

ويصف **الجبرتي** ما صار إليه **جامع عمرو** في القرن الثالث عشر الهجري ، إلا أن الحياة عادت إلى الفسطاط مرة أخرى حين امتد إليها العمران وأخذ الناس يبنون خارج سور القاهرة شمالا وجنوباً حتى رأى **صلاح الدين** أن يبني حولها سوراً جديداً يضم القاهرة ومصر (أي الفسطاط) والقلعة معاً .

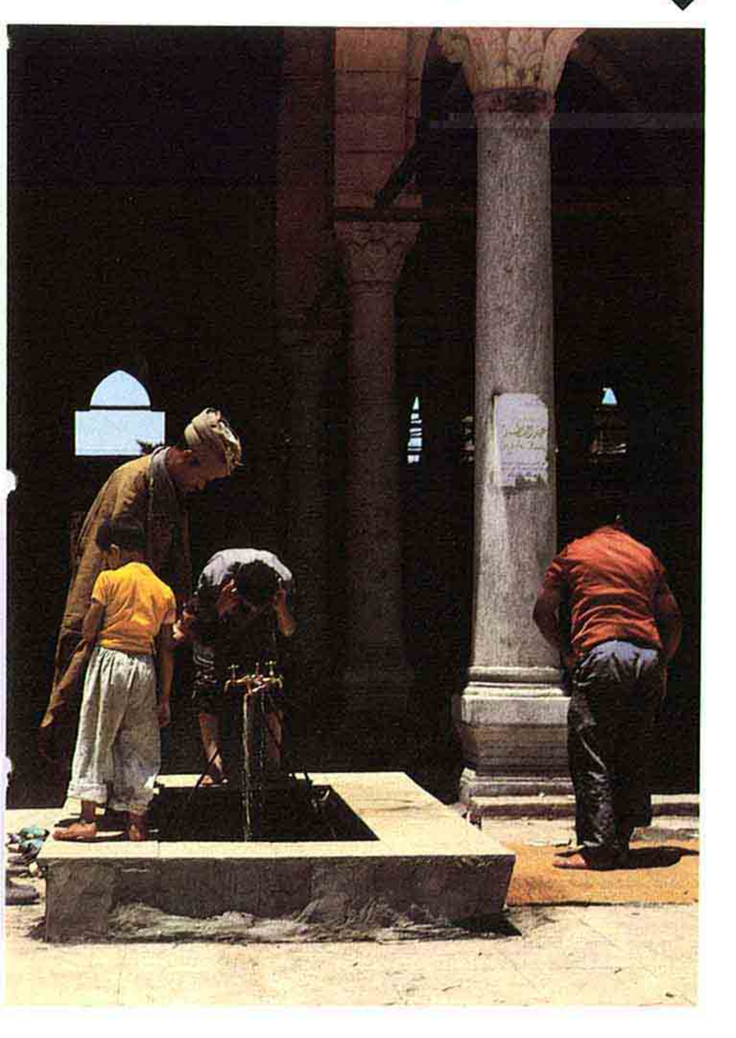
وقد اختفت الفسطاط القديمة ـ كما قلنا ـ ولم يبق منها غير جامع عمرو بن العاص على حاله الجديد ، وبقايا من قصر الشمع ، وإن كانت أعمال التنقيب ما زالت تكشف في أطلالها كل يوم عن آثار جديدة .

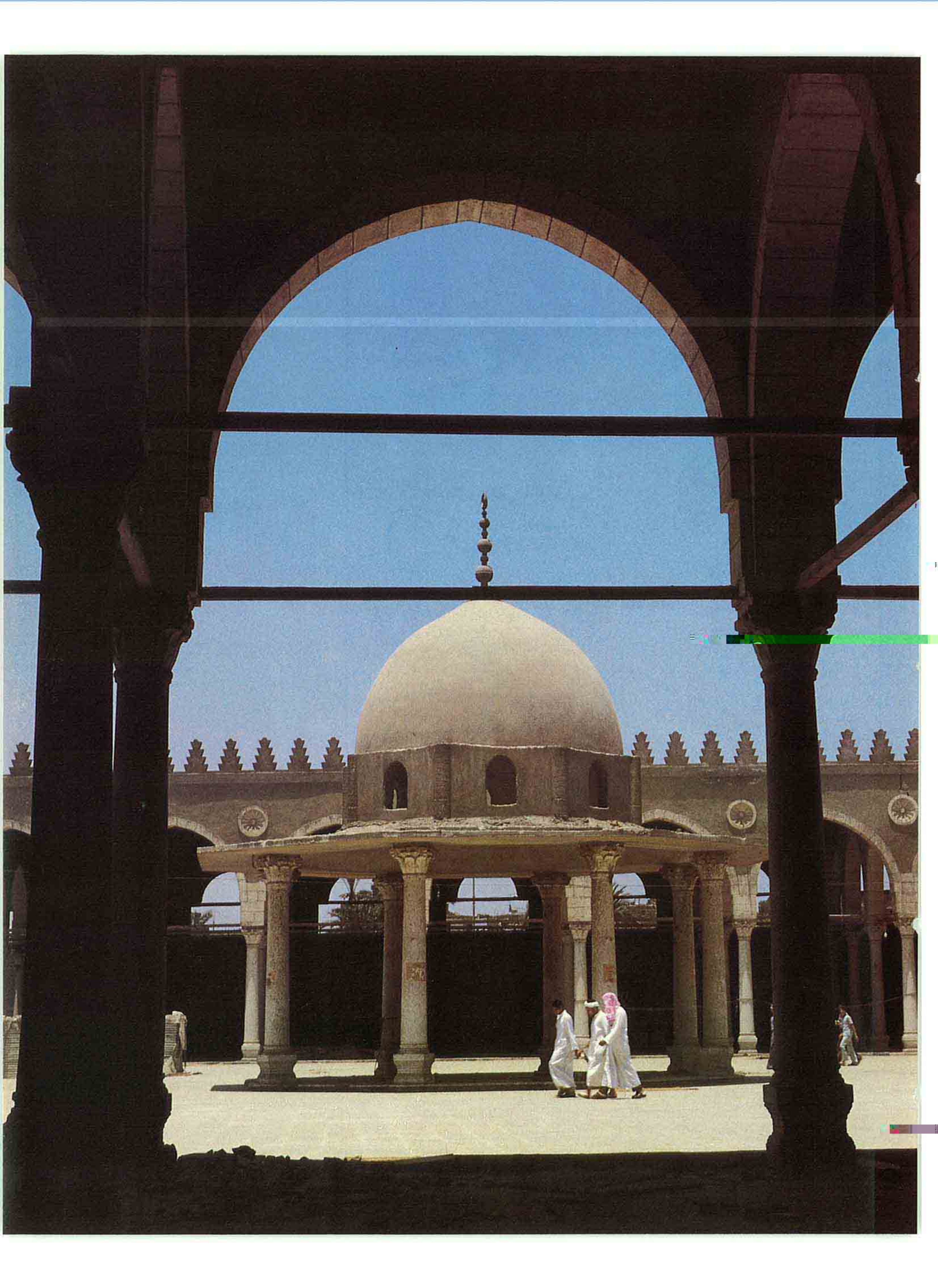
ولكن العمران قد زحف عليها وحلت مكان القديم أحياء جديدة تمتد ما بين **فم الخليج** إلى دار السلام التي تكاد تتصل بالمعادي ومن كورنيش النيل غرباً حتى القلعة والطريق الذي يصل بين مصر القديمة ومصر الجديدة شرقاً ، ولا تختلف مبانيها عن غيرها من أبنية الأحياء الشعبية القديمة في القاهرة .

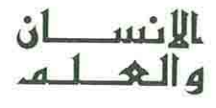
(١) الموسوعة المصرية : تاريخ مصر القديمة وآثارها ، م ١ ص ٢٣ .
(٢) فتح العرب لمصر ، لبتلر وترجمة فريد أبو حديد ، ص ١٨١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٠ .
(٤) بتلر : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .
(٥) د . هيكل ، الفاروق عمر ، ج٢ هـ ، ص ١٧٠ .
(٦) القاهرة : تاريخها ، فنونها ، آثارها : تأليف مشترك ، اصدار مؤسسة الأهرام .
(٧) د . هيكل : المرجع السابق ، ص ١٧١ .
(٨) د . هيكل ، المرجع السابق ، ص ١٧٠ ـ بتلر : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .
(٩) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري صاحب كتاب فتوح مصر وأخبارها .
(١٠) بلنت : المرجع السابق ص ٢٥٥ ـ و د . هيكل : المرجع السابق ، ص ١٧٦ ، انظر أيضاً الكندي وابن عبد الحكم والبلاذري .
(١١) ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد المصري : (الانتصار بواسطة عقد الأمصار) .
(١٢) ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي : (معجم البلدان) .
(١٣) د . عبد الرحمن زكي : القاهرة ، تاريخها وآثارها .
(١٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٥٣ ـ ٥٩ .
(١٥) القلقشندي ، شهاب الدين أحمد : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ .
(١٦) المرجع السابق .
(١٧) المقريزي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .
(١٨) بلنت : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .


★ جامع ابن طولون من الداخل ★


★ مكان الوضوء في صحن جامع ابن طولون ★









الشكل ١ ـ مطفئة بثالث كلوريد الفحم

شكل ٢ ـ مطفئة ثاني أوكسيد الفحم

شكل ٣ ـ مطفئة بالماء

الشكل ٤ ـ مطفئة بالمواد الجافة

الشكل ٥ ـ مطفئة ذات رغوة

تبدأ عملية الاحتراق عادة بتحلل المادة القابلة للاحتراق بسبب الاحتكاك أو الاشعاع الحراري أو التأكسد الكيميائي أو شرر النار المتطاير أو اللهب المكشوف . ويبدأ الإشتعال في أول الأمر في جزء صغير من المادة القابلة للاحتراق .

وينتج عن هذا التفاعل غازات تشتعل نظراً لتفاعلها السريع مع أوكسجين الهواء . هذا التفاعل الذي ينتج بدوره حرارة أكبر تتسبب في تحلل المزيد من المادة وتنتج غازات أكثر من السابق . وترتفع درجة الحرارة حتى يبدأ الفحم الموجود في المادة ـ والذي لا تؤثر فيه الحرارة في البداية ـ في الاشتعال منتجاً كمية كبيرة من الحرارة . وهذه الحرارة المنطلقة تؤدي إلى استمرار عملية الاحتراق حتى انتهاء المادة القابلة للاحتراق كلها ، أو حتى يستهلك الأوكسجين اللازم للعملية .

لذلك فإن المواد التي تطفىء الحريق تعمل على تبريد سطح المادة المشتعلة أو تغلفها بطبقة من مادة غروية غير قابلة للاحتراق تمنع اتصالها بأوكسجين الهواء. ولكننا نجد أن بعض المواد تحتوي في تركيبها على الأوكسجين مما يتيح لعملية الاحتراق الاستمرار حتى لو كانت بمعزل عن الأوكسجين الموجود في الجو. من أجل ذلك تنوعت مواد الاطفاء وطرق مكافحة الحريق تبعاً لطبيعة المادة المشتعلة نفسها، أي حسب كونها سائلة أو صلبة أو قابلة للامتزاج بالماء أو كانت أثقل أو أخف من المواد المكافحة للحريق.

ومطفئة الحريق التي تعمل بمادة **ثالث كلوريد الفحم** Carbon tetrachloride تحتوي - حسب حجمها - من نصف ليتر إلى ستة ليترات من هذه المادة الكيميائية (مع بعض المواد الأخرى)، وتعمل بضخ المادة الكيميائية بواسطة **غاز الفحم السائل** الموجود داخل أسطوانتها **(الشكل - ١)**، ويتبخر ثالث كلوريد الفحم تماماً في ٧٦,٥ مئوية منتجاً بخاراً كثيفاً غير قابل للاشتعال. **وهذا النوع من المطافىء يناسب لاخماد النيران المشتعلة في الآلات والأدوات الكهربائية.**

● والنوع الثاني من المطافىء يعمل **بثاني أوكسيد الفحم (الشكل - ٢)**، وتحتوي المطفئة - حسب حجمها - من خمسة إلى ستة ليترات من غاز ثاني أوكسيد الفحم المضغوط. وعندما نقوم بفتح الصمام فإن الغاز المضغوط يتمدد إلى حجمه الطبيعي في الضغط الجوي العادي. وتتم هذه العملية داخل **الخرطوم الثلجي** Snow-tube حيث يتبخر القسم الأكبر منه بسرعة كبيرة ويؤدي هذا التبخر إلى امتصاص قدر كبير من الحرارة من الوسط المجاور له، حتى أن ٣٠ ٪ منه يتحول - بسبب البرودة الشديدة الناتجة عن تبخره - إلى ما يسمى **ثلج غاز الفحم**، ويتم ذلك عندما تبلغ الحرارة - ٧٩ درجة مئوية تحت الصفر. وهذا «الثلج» يرش على النار بفعل غاز ثاني أوكسيد الكربون المنطلق ويخفض درجة الحرارة إلى ما دون درجة الاشتعال، وكذلك فإنه يبعد الأوكسجين الجوي عن المادة المشتعلة. **ولذلك فإن هذا النوع يصلح لاطفاء كافة أنواع المواد المشتعلة.**

● والنوع الثالث **(الشكل - ٣)، يعمل بواسطة الماء وثاني فحمات الصوديوم** Soduim bicarbonate ويحتوي من ستة ليترات إلى اثني عشر ليتراً من المحلول. وعندما نضرب بقوة على المسمار المثبت في نهاية الأسطوانة فإنه بدوره يكسر قارورة صغيرة تحتوي على **حامض الكبريت المركز** Sulphuric Acid ، وبالتالي **يتفاعل الحامض مع ثاني فحمات الصوديوم**، مطلقاً كمية كبيرة من غاز ثاني أوكسيد الفحم تضغط على الماء ضغطاً قوياً وتجعله ينطلق بقوة خارج المطفئة عن طريق فتحة الرش. وبما أن الماء يحتاج لحرارة كبيرة حتى يتبخر فإنه يمتص قدراً كبيراً من الحرارة وبالتالي يؤدي إلى تبريد قوي، إضافة إلى أن أبخرة الماء تبعد الأوكسجين الجوي **وهذا النوع ليس فعالا - بل إنه خطر - في حرائق الكهرباء والحرائق الناتجة عن السوائل السريعة الالتهاب مثل مشتقات البترول.**

● **والنوع الرابع** هو المطفئة التي تستخدم **مركبات كيميائية جافة** Dry chemicals **(شكل - ٤)**، وتحتوي على كمية من مسحوق ثاني فحمات الصوديوم تتراوح من ٤ إلى ١٢ كيلوغراماً. ويضخ هذا المسحوق بقوة ضغط غاز الآزوت Nitrogen أو غاز ثاني أوكسيد الفحم المميَّع تحت ضغط شديد. وعندما يتلامس مسحوق ثاني فحمات الصوديوم مع النار أو أي جسم ساخن فإنه يطلق غاز ثاني أوكسيد الفحم وبخار الماء إضافة إلى تشكيله غلافاً يمنع وصول الهواء إلى النار وهكذا يخمد الحريق. واستخدام هذا النوع يعتمد على طبيعة الحريق ومكانه **(في حالة الحرائق البسيطة والأضرار الثانوية)**.

● **والنوع الخامس** هو النوع الكبير منها **(الشكل - ٥)**، ويعمل بواسطة الرغوة Foam مع **غاز الآزوت أو الهواء**. والمركب الذي ينتج الرغوة يمكن أن يتألف من **مواد بروتينية** متحللة **(مثل مسحوق قرون الحيوانات)**. وتثبت الرغوة بأن يضاف إليها مواد لاصقة مثل **اللدائن والبولة** Plastics and urea . وتعمل الرغوة على حجز الهواء الجوي عن الحريق وعن طريق التبريد أيضاً. **ويمكن استخدام هذا النوع في كافة أنواع الحرائق، سواء أكان ذلك في حرائق الآلات أو الكهرباء.**


إلى الشباب السعودي الطموح
سلاح المدرعات
بالجيش العربي السعودي
يدعوك ... ويحقق لك المستقبل الزاهر
شروط ومزايا الالتحاق :
١- أن يكون سعودي الجنسية .
٢- أن لا يقل عمره عن ١٦ سنة ولا يزيد عن ٢٥ .
٣- حامل شهادة أقل من رابعة ابتدائي يتخرج براتب إجمالي ٢٥٥٠ ريالاً .
٤- حامل شهادة رابعة ابتدائي وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٢٧٣٠ ريالاً .
٥- حامل الشهادة الابتدائية وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٣٢٣٠ ريالاً .
٦- حامل الشهادة الثانية المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٣٥٠ ريالاً .
٧- حامل شهادة الكفاءة المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٧٨٠ ريالاً .
مدة الدراسة من ٤ إلى ٢٠ أسبوعاً فقط .
مميزات أثناء الدراسة :
تأمين الإعاشة .
تأمين السكن .
تأمين الملابس العسكرية .
تأمين العلاج للطالب وعائلته .
مكافأة شهرية تتراوح بين ٦٠٠ - ٧٥٠ ريالاً .
مزايا كثيرة للطالب بعد التخرج :
يمنح راتب شهرين بدل تعيين .
يمنح الرتبة والراتب والعلاوة الفنية التي تناسب مستواه الثقافي
إتاحة الفرصة له بدخول دورات عسكرية وفنية داخل المملكة وخارجها .
تأمين السكن له ولعائلته ضمن مشاريع إسكان وزارة الدفاع والطيران .
العلاج المجاني له ولمن يعولهم شرعاً .
إتاحة الفرصة له لاستكمال دراسته المدنية .
أجازة سنوية مع إركابه وعائلته على طائرات الخطوط الجوية السعودية لمكان قضاء الأجازة داخل المملكة .
بعد إكمال الخدمة النظامية فله الخيار في الاستمرار أو الإستقالة
يصرف للفرد المخصصات التقاعدية بعد استكمال مدة الخدمة النظامية .
بادر بمراجعة المنطقة العسكرية التي تسكن فيها .. و
قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى
ولمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالتليفون
رقم ٥٨٢/٤٠٤٢٨٨٢ أو رقم
٣٠٠٩٣ الرياض .
سلاح المدرعات



بمناسبة
عام الطفل

العلاقة بين الأم ...... وطفلها

بقلم: د. مصطفى الديواني

النوم في غرفة الوالدين

من أشد الظواهر خطراً على نفسية الطفل هي ما نلاحظه في معظم البيئات العربية من ترك الأطفال الذين تبلغ أعمارهم ثلاث سنوات أو أكثر ينامون مع والديهم في نفس الغرفة بدافع الظن الخاطىء أنهم أصغر من أن يهتموا بعلاقة والديهم ، والواقع أن الطفل لا يدرك تماماً حقيقة العلاقة بين والديه ، ولكنه يشعر بذلك الاتصال الوثيق فيتمدد في فراشه مستيقظاً وينصت باهتمام إلى ما يجري وهو يتظاهر بالنوم رغبة في استطلاع ذلك الخبيء المجهول الذي يتمتع به والداه ، ويبقى حائراً قلقاً حتى يحين اليوم الذي يعرف فيه قيمة هذه العلاقة ، وقد يمضي وقت طويل جداً قبل أن يأتي ذلك اليوم ، فلماذا لا نوفر على المسكين كل هذا العذاب النفسي فنخصص له غرفة خاصة من أول الأمر .

الأسئلة المحرجة

ولعل من أروع الصدمات التي قد يفاجىء الطفل بها والدته هي سؤاله إياها : **كيف ولدت يا أماه!** إن الأم في معظم الحالات تشيح بوجهها لكيلا يرى الطفل حمرة الخجل تغمر خديها ، وإذا فتح الله عليها ببعض الكلمات فهي في الغالب من قبيل المراوغة والتملص . **وما أشد خيبة أمله عندما يشعر أن أمه تكذب عليه إذا قالت له قولا ملفقاً .** إن خير طريقة لتقريب هذه المشكلة الكبرى إلى ذهنه هي ضرب الأمثلة ، بالطيور والحيوانات الأليفة ، فتقول له مثلاً : **إن الطيور تضع بيضاً ثم تنام عليه في عشها لتدفئه حتى يفقس ، أما الحيوانات كالقطط والكلاب ، فإنها أكثر حرصاً على صغارها فتحفظها في مكان أكثر أماناً وهو بطنها حيث الدفء والحنان بحق .**

وكذلك الحال معها فهي تحتفظ به في مخبأ أمين بين أحشائها مدة تسعة أشهر يصبح بعدها قادراً على الاستقلال بنفسه فتسمح له بالخروج ليجرب حظه في الحياة .

وماذا تفعل الأم إذا رأت طفلها يداعب (أعضاءه) ؟

لمثل هذه الأم أقول : إن الطفل في هذه السن المبكرة لا يدري معنى اللذة ، وإن العادة تبدأ كمحاولة من جانب الطفل لشغل أوقات فراغه . فهناك طفل يمص أصابعه ، وآخر يقرض أظافره ، وثالث يداعب أعضاءه ، والغرض من كل منها واحد وهو قتل الوقت . **فالعادة السرية لا تدل على شيء من أخلاق الطفل حاضراً أو مستقبلاً .** والواقع أننا لا يمكننا تسميتها بالعادة السرية بحق إلا عند البلوغ وهي قبل ذلك لا تعدو أن تكون مجرد مداعبة يتسلى بها الطفل دون أن ينتهي به الأمر إلى حدوث رعشة عصبية يعقبها إفراز كالذي يحدث عن الولد اليافع أو مادة لزجه كالتي تفرزها الفتاة البالغة .

والطريقة الوحيدة لمساعدته على التخلص من ربقة هذه العادة هي ألا نترك له فراغاً دون أن نشغله بطريقة ما ، وإذا رأيناه يحاول مداعبة «أعضائه» فلا ننهره أو نضربه بل نطلب منه تأدية أي عمل بالمنزل أو نلفت نظره إلى صورة على الحائط أو ما شابه ذلك ، ويا حبذا لو شغلنا أوقات فراغه بأشياء أخرى ، كالألعاب الرياضية وجمع الكتب والصور المسلية وإذا ذهب إلى فراشه فلا نتركه وحده ، بل بجانبه نكلمه ونقص عليه أحسن القصص حتى يغلبه النوم .

الطفل .. والأدوات الكهربائية

وقد تنسى الأم مهما بلغت درجة لياقتها **غرام الطفل الأزلي بمداعبة الأدوات الكهربائية بالمنزل** ، فيمسك الطفل الساذج بـ (الكبس) الكهربائي ببساطة دون أن يدرك أنه قد يكون في ذلك حتفه المؤكد ، وقد يصعقه التيار الكهربي بينما يشاهده أخاه الأكبر عن كثبت فيناديه ولا من مجيب وقد لا يدرك تماماً مغزى ما حدث فهو الآخر بريء لا يدري ما حدث .

وما أسهل ما يجذب الطفل **نور المصابيح الكهربائية** أو النور الأحمر المنبعث من المدفأة الكهربائية أو مدفأة البوتاجاز فيهرع نحوها ممسكاً إياها بفرح مؤقت سرعان ما ينقلب هماً وغماً على المسكين وعلى المساكين الذين حوله ، فالحرق شديد وعميق وقد تستغرق العناية الجراحية وقتاً طويلاً ، وقد يحتاج الأمر إلى عملية توقيع دقيقة للجلد المنكمش وهي عملية لا يتقنها إلا طبيب جهبذ متخصص . ويجب ألا ننسى في هذا

المجال «لمبة» الغاز العادية الشائعة الاستعمال بين الطبقات الفقيرة فهي بدورها تجذب أنظار الأطفال الذين يعيشون على ضوئها في جوهم المنزلي المتواضع ، بل إن ضررها أشد فداحة من مجرد شواء الجلد ، فإن انقلابها على الأرض قد يسبب حريقاً قد يودي بالمنزل بأكمله أو بجزء منه على الأقل .

الطفل .. والمواد السامة

وكيف ننسى في هذا المجال السموم الكامنة في حوائط المنزل مثل الأصباغ التي تستعمل في طلائها التي يغرم بعض الأطفال بالتهامها وفي صيدليته كالأدوية السامة التي يستعملها الكبار وتترك خطأ في متناول يد الطفل الصغير وبخاصة المسكنات والمهدئات . وتجب الإشارة إلى أن الطفل الذي يرتشف جرعات من سائل **البوتاس الذي يستعمل في الغسيل** فإنه متى لامس الغشاء المخاطي للفم والحلق والمريء أحدث تقرحات ينتج بعد التئامها ضيق في مكان أو أكثر من المريء مما يؤدي إلى صعوبة في البلع أو انسداد يكاد يكون تاماً بحيث يعجز عن ابتلاع أي شيء غير السوائل الخفيفة .

ولقد لوحظ أن الأطفال في حدود السنة الأولى من عمرهم يميلون إلى التهام مبيدات الحشرات وطلاء الحيطان وسائل الكيروسين ، ولا بأس من الإشارة إلى ما قد يسببه الأخير من أضرار بالطفل قد تودي بحياته ، إذ سرعان ما تصل **مادة الكيروسين** إلى الدورة الدموية بعد امتصاصها من الأمعاء الدقيقة ويتخلص الجسم منها عن طريق الرئتين اللتين يصيبهما نوع من الارتشاح الحاد يكتم أنفاس الطفل وترتفع حرارته إلى الأربعين درجة أو أكثر وقد يحتاج انقاذه إلى بذل مجهود كبير .

إذا تخيلنا طفلاً صغيراً تركه أهله يعبث وحيداً في غرفة فتحت نوافذها على مصراعيها ، فرأى قطته الصغيرة وقد قفزت إلى أفريز الشرفة المطل على الشارع ، ثم أخذت تلعق شعرها بلسانها الدقيق ، فيبهره



منظرها ، ويهب إليها صاعداً على أقرب كرسي غير عابىء بالخطر الذي يحيق به ، وما لم تلحق به والدته في اللحظة الأخيرة ، لوقعت الكارثة الكبرى .

الطفل في المطبخ

ومن أكثر الأحداث المنزلية بشاعة هي التي تطلب الأم فيها ابنها اليافع أو ابنتها البالغة أن تذهب إلى **المطبخ** وترفع غطاء الحلة أو الابريق وهو على النار للتأكد إذا كانت محتوياته قد بلغت من الغليان مداه ، وسواء ذهبت الأم أو الابن أو الابنة لأداء المهمة ، فإن البخار الساخن المتفجر الحارق يهب في وجه الضحية على حين غرة ، فيحدث من تسلخات الوجه وتقرح العينين ما قد يستدعي علاجاً طويلاً فضلاً على كونه قد يؤدي إلى فقدان البصر .

ونفس التحذير أؤكده في حالة خروج الوالد مع عائلته في نزهة بالسيارة يلاحظ فجأة بأن مؤشر المياه ينذر بالغليان فيسرع بايقاف الآلة **(الموتور)** وينزل دون روية ولا تعقل ممسكاً بمنديل أو فوطة ويزيل غطاء خزان المياه **(الرادياتير)** ، فيهب في وجهه نفس الصاروخ السابق ذكره مع ضحية آنية المطبخ ، مسبباً له نفس الأضرار ، وكان يجب عليه أن يفك الغطاء ببطء مبتعداً بوجهه إلى أبعد مدى حتى إذا تأكد من موقفه أزال الغطاء تدريجياً وببطء ويضيف الماء والآلة دائرة حتى يمتلىء الخزان ، ثم يحكم تركيب الغطاء وتستأنف السيارة سيرها على بركة الله .

الطفل .. وحيوانات المنزل

وقد يدهش القارىء عندما يعرف أن بلاداً متمدينة مثل الولايات المتحدة الأميريكية يبلغ عدد الإصابات الناتجة عن عض الفئران أربعة عشر ألف حالة سنوياً ، في حين أنه يبلغ عشرين ألفاً في بومباي بالهند وأن هذا يأتي ضمن عشرين مليون إصابة منزلية تحدث كل عام في الولايات المتحدة الأميريكية وحدها ، أدركت أن ابن آدم قد يأتيه قضاؤه وقدره وهو جالس في عقر داره آمناً مطمئناً يحمد الله على الفقر أو اليسر مع السلامة .

وقد تدخل الأم الملتاعة عيادتي وبرفقتها ابنها البكر وغير البكر لتقول لي إن قطة خدشته أو كلباً عقره ، والطفل يعجب للهفتها وهي التي تصرخ في وجهه طول النهار وجزء من الليل لأتفه الأسباب وتعتدي عليه تارة باللفظ وتارة بقبضة يدها القوية ، وسر هلعها أنها تعلم ما لا يعلمه هو من أسرار الموقف ، فهناك احتمال تلوث الجرح والخدوش وهناك احتمال **مرض الكلب** الذي يؤدي إلى الوفاة ما لم يؤخذ بالجدية اللازمة وإلا تحول بعد أيام إلى إنسان غير قادر على الحركة تروعه رؤية المياه نظراً للآلام الشديدة التي يتعرض لها عندما يحاول ابتلاعها نتيجة **الشلل**

البلعومي وهو جزء من الشلل العام الذي يعقب دور التهيج الجنوني - **والعياذ بالله** - الذي يشبه إلى حد كبير الأعراض التي تظهر على الكلب المسعور .

أما خدشة القط فقط ثبت منذ عام ١٩٣٠ م ، أنها تحدث ما أسموه **حمى خدشة القط** ووصف للمرة الأولى في **فرنسا والولايات المتحدة** ، وتظهر أعراضها بعد مدة حضانة تتراوح بين العشرة والثلاثين يوماً ، وأهمها **الصداع والتوعك وارتفاع متوسط في درجة الحرارة وتضخم في الغدد اللمفاوية** التي يصب فيها موضع الخدش وقد تكون الغدد جامدة لدرجة التحجر أو قد تلين لدرجة تشعرك بأن بداخلها صديد يجب بذله . ومن الظواهر القليلة الحدوث ، نوع من الالتهاب الرئوي والتهاب ملتحمة العين وحدوث تضخم الغدد اللمفاوية أمام الأذن وفي أعلى الرقبة ، ومن المضاعفات النادرة حدوث التهاب المخ أو النخاع الشوكي أو كليهما معاً ، وفي هذه الحالة يكون المرض مصحوباً بارتفاع ملحوظ في درجة الحرارة وأعراض عصبية مميزة يؤكدها فحص السائل النخاعي الشوكي ، حيث يزيد عدد الكريات البيضاء اللمفاوية وارتفاع نسبة البروتين .

ولا تظن - أيها القارىء - أن قصتي مع الكلاب والقطط والطفل تنتهي عند هذا الحد وربما تنسى مثلاً : **أن القط قد يحمل فيروس مرض الكلب إذا عقره كلب مسعور ، وأن الكلب قد تصيبه انفلونزا هونج كونج التي انتشرت في السنين الأخيرة وأنه قد ينقلها إلى الآدميين من حوله وقد يصيبه أيضاً فيروس شلل الأطفال وفيروس الغدة النكفية . وكذلك الجرثومة السبحية (الستريتوكوك) ، وهي من أهم أسباب التهاب الحلق واللوزتين وغيرها في جهات أخرى من الجسم ، فهل ينقلها الكلب بالتالي إلى مخالطيه ؟ هذا ما قد يثبت ذات يوم .**

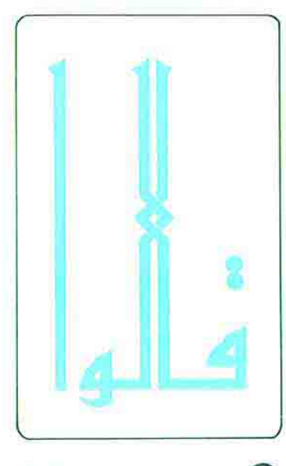
ويعتبر الكلب مسؤولا عن نقل العدوى لمرض طفيلي خطير هو الكيس الكبدي الذي يتسبب عن وجود دودة شريطية صغيرة **(اكينوكوكس)** تصل أكياسها إلى أمعاء الكلب عن طريق لحوم الأغنام وهي التي يلتهمها غير مطهوة ، فسرعان ما تتقلب الأكياس إلى دودة شريطية تكمن في الجهاز الهضمي للكلب لتفرز بويضاتها على الدوام إذا ما خرج البراز الملوث بالبويضات وعلق بالشعر المحيط بفتحة الشرج ، ومن هنا ينتشر إلى بقية الشعر عندما يلعق الكلب نفسه بلسانه في وقت فراغ يريد قتله . وعندما تصل البويضات إلى جسم الإنسان تتحول على مر الأعوام ، التي قد تصل إلى العشرين ، إلى أكياس يصل حجمها إلى حجم ثمرة « **الجريب فروت** » أو **الليمونة** وأكثر ما تصيب الكبد ولو أنها قد تتركز في المخ أو الرئة ، وأينما تكون فهي تحدث أضراراً بالغة نتيجة ضغطها المتزايد وبخاصة إذا حدثت داخل الجمجمة فإن أعراضها لا تختلف عن أورام المخ المختلفة الأخرى . **وقد شاهدت خلال حياتي الطبية حالتين من النوع الأخير ذهب ضحيتها ولدان في عمر الزهور .**

ولقد وجد أنه في أورجواي يتسبب في وفاة ستين شخصاً سنوياً وتجري لأجله ستمئة عملية جراحية لإزالته من أجزاء الجسم المختلفة .

الطفل .. وطيور المنزل

ولنترك القطط والكلاب جانباً فقد نالها من اهتمامنا الكثير ، ولننتقل إلى **الببغاء** وهو ذلك الطائر الأليف الذي يبعث البهجة في جو المنزل بمداعباته التي لا تخلو من طرافة . لقد نسبوا إليه هو الآخر ما أسموه « **حمى الببغاء** » وهي التي وصفت لأول مرة في عام ١٩٢٩ م ، حين ظهر وباء أصيب خلاله سبعمئة وخمسون شخصاً مات منهم ١٤٣ نتيجة الالتهاب الرئوي الذي هو من أهم أعراض المرض ، ومن حسن الحظ أن جرثومته تستجيب بسرعة لعقار **التتراسيكلين** ، وقد أمكن ترويض هذه الجرثومة وحصرها بإعطاء جرعة وقائية من هذا العقار إلى بائعي الببغاوات والذين يقومون بتربيتها لأغراض تجارية . . ولا يقتصر مصدر العدوى على هذا المتهم المرح اللطيف ، إذ يشاركه فيها **الحمام والدجاج والأوز** وغيرها ، وتنتاب الطائر المصاب نوبة من الاسهال ، وما أسهل ما تنتشر ذرات البراز في الجو المحيط به عندما يرفرف الطير بجناحيه وكأنهما مروحة كهربائية صوبت عن عمد نحو البراز السائل الذي سرعان ما يتبخر فيتشبع الجو بالفيروس المتربص ، وتصل العدوى إلى كل من في متناولها ، وتظهر الأعراض بعد مدة حضانة تتراوح بين سبعة وخمسة عشر يوماً ، حين ينتاب المريض ارتفاع في الحرارة وصداع ووجع في الظهر وآلام في العضلات ورعاف وسعال جاف ، وعندما توضع السماعة على الصدر يسمع الطبيب ما يدل على وجهود التهاب رئوي حاد ، وهو من أهم مميزات المرض . ولا بأس من ذكر أعراض أخرى مثل **الامساك أو الإسهال أو ألم البطن والتهيج السحائي** المصحوب بهذيان ومن حسن الحظ أن كل هذه الأعراض تختفي بعد تناول عقار التتراسيكلين لمدة أسبوعين .

وكما نطعم أطفالنا ضد أمراض عديدة ، فإن نفس الإجراء يمكن تطبيقه على الحيوانات المستأنسة غير الناطقة . فهناك طعوم تحقن بانتظام عند أي طبيب بيطري وفيها وقاية ضد أمراض عديدة أهمها مرض الكلب المميت وإسهال الحيوانات فضلاً على أن وسائل التشخيص والعلاج جعلت علاج معظم هذه الأمراض في متناول الطبيب الذي يأخذ بيد مريضه الأبكم إلى بر الشفاء « **وينقذ صداقات بريئة لحمتها لون نادر من أمثلة الوفاء** » .



عن: العدالة

★★ من المستحيل تحديد أين ينتهي القانون وتبدأ العدالة .

أرثر بـاير

★★ تنام العدالة ولكنها لا تموت .

قـول مـأثور

★★ القانون والعدالة شيئان ربطهما الله ومزقهما إرباً الإنسان .

شارلس كولتون

★★ تبدأ الصداقات في المنازل أما العدالة فتنمو في بيوت الجيران .

شارلس ديكنز

★★ إن حب العدالة عند أغلب الناس هو خوفهم من معاناة الظلم .

لاروشيفوكالير

★★ القاضي هو طالب القانون الذي يصحح أوراق امتحاناته بنفسه .

ميكـين

★★ أنصف من وليت أمره وإلا أنصفه من ولي أمرك .

من عالم للمأمون تظلم منه

★★ إن العادل حقاً هو من يحس أنه شريك في النصف من سيئاتك .

جبران خليل جبران



★ ولیم شكسبير ★



★ شارلس ديكنز ★

مر الفكر الإنساني قبل الإسلام بمرحلتين متميزتين ، هما العصر اليوناني ، وعصور ما قبل اليونان . وتبدأ عصور ما قبل اليونان من فجر التاريخ ، وتمتد على مدى عشرين قرناً أو حوالي ذلك . وهي تتمركز حول مجموعتين من الحضارات . الأولى حضارات وادي النيل ، ونطلق عليها اسم الحضارة الفرعونية ، والثانية حضارات حوض الرافدين ، ويطلق عليها اسم الحضارة البابلية ، وإن تكن تشمل عدا البابليين السومريين والاكديين والكلدانيين والأشوريين ، ومن اتصل بهؤلاء ثقافياً أو حضارياً . وهنالك حضارات أخرى قديمة غير هاتين ، ولكنها لم تتصل بالفكر العالمي اتصالا يجعلها تتأثر به أو تؤثر فيه .

المنجزات الرياضية

ونخطئ إذا حسبنا أن الحضارتين الفرعونية والبابلية كانت المعرفة الرياضية فيها بدائية . فالحضارة الفرعونية استطاعت أن تبني **عشرات الأهرام** ، وكان بناء الواحد منها يستغرق قرابة عشرين عاماً ويتطلب في أثناء ذلك مقام آلاف العمال بعيداً في المحاجر ، ينحتون الحجارة ويرسلونها عبر النيل ، زنة الصغير منها أكثر من طن ، ثم يرفعونها إلى مواضعها في البناء ، فإذا كانت في موضعها استقرت كأنما صبت فيه صباً ، مقاييس دقيقة وصفت بأنها بمثل الدقة في صنع النظارات . فالحضارة التي استطاعت تنظيم أمور هذه الآلاف من العمال أثناء قيامهم بهذا العمل الشاق الدقيق الطويل المدى ، مع ما يحتاجون إليه من سكن ومعاش ولباس وعلاج وتنقل وتنظيم وإدارة وإشراف ، قد تطلبت بالتأكيد خبرة رياضية تعادل على الأقل خبرة أي مجتمع من المجتمعات النامية غير المتخصصة ، في هذه الأيام .

ومثل هذا يمكن أن يقال عن الحضارة البابلية . فإن تكن الحضارة الفرعونية قد تميزت بالبناء الجماعي الضخم ووفرت له ما يحتاج من خبرة رياضية ، فقد امتازت الحضارة البابلية بالخبرة التجارية الواسعة ووفرت لها ما تحتاج من خبرة ، **ويبدو كأن الحضارتين الفرعونية والبابلية تكمل إحداهما الأخرى فقد كانت الأولى هندسية وكانت الثانية جبرية حسابية عددية .**

وهذه الخبرات الواسعة ، خبرات الأجيال المتعاقبة على مدى عشرين قرناً أو يزيد ، كانت هي التراث الذي بني عليه الفكر الرياضي اليوناني .

العصر اليوناني

ينقسم العصر اليوناني إلى فترتين تسمى أولاهما **بالعصر الهليني** ، ويمتد هذا العصر من القرن السادس إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وتسمى الثانية **بالعصر الإسكندري** ، ويمتد من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي ، وينتهي يوم هدمت **مكتبة الإسكندرية** وقتلت **الرياضية هيباتيا** التي كانت أستاذة فيها ومشرفة . فيكون عمر العصر اليوناني إذن قرابة عشرة قرون ، من القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي .

والمؤرخون إذ يتحدثون عن المنجزات اليونانية يقولون : لعل اليونان تعلموا من المصريين والبابليين أكثر مما ابتكروا من حقائق . ولكن المؤرخين رغم ذلك يصفون المنجزات اليونانية بالمعجزة . ولست أستنكر هذا الوصف ، ذلك أن اليونانيين ، رغم كثرة ما أخذوه عن الحضارات السابقة يستحقون هم وحدهم أن يعطوا قصب السبق في بناء صرح العلم ، إذ إنهم هم الذين وضعوا **أسس العلوم النظرية عامة ، وأسس الرياضيات خاصة** . هم واضعو **أسس المنهج العلمي** الذي بنى صرحه الأول أعظم ثلاثة فلاسفة في التاريخ ، أعني **سقراط وأفلاطون وأرسطو** ، ومن اليونانيين **فيثاغورس** والفيثاغوريون الذين جعلوا رسالتهم في الحياة البحث عن الحقيقة المطلقة في خصائص الأعداد . ولقد كان عمر الفيثاغورية كمنظمة وعقيدة قصيراً ، بدأ ينهار سريعاً عندما اكتشف الفيثاغوريون أن نظام الأعداد الطبيعية ليس كاملاً . ولكن صوفية البحث لديهم مست كل رياضي يوناني ، ومست بالذات

الإسلامية عبر التاريخ

بقلم : د . أحمد سعيدان

أقليدس صاحب كتاب « **الأصول** » ، وهو أعظم الكتب الإنسانية أثراً . عاش ألفي سنة زاداً لكل متعلم ؛ ومست **أرخميدس** ؛ أعظم عقل علمي رياضي ظهر على وجه الأرض ، ويبدو لي أن من مظاهر الصوفية الفيثاغورية حركة **إخوان الصفا** في الإسلام وميول رواد النهضة الأوروبية الأوائل .

لقد ارتفع أرخميدس برياضيات أقليدس حتى كاد يطل على **حساب التكامل** ، ومن اليونانيين أيضاً **أبلونيوس** الذي ابتكر **هندسة القطوع المخروطية** ، **وبطليموس** صاحب كتاب المجسطي في الرياضيات الفلكية . إن من الصعب ألا نصف الفكر الرياضي اليوناني بالمعجزة . ومع ذلك يخيل إلي أن المؤرخين الغربيين يميلون إلى المبالغة في تضخيم الدور الرياضي اليوناني على حساب الدور العربي الإسلامي ، وهذا ما سأتناوله في ما يلي بالحذر والموضوعية .

ولكن ماذا عن قولنا إن اليونان هم واضعو أسس علم الرياضيات ، رغم قولنا إنهم تعلموا من الحضارات السابقة أكثر مما ابتكروا ؟

انظر إلى الجزار . قد يعرف الجزار مواضع العظام والأعصاب والعضلات كما يعرف البيطري وعالم التشريح ، وربما أكثر . ولكن معرفة هذين علم ، ومعرفة الجزار خبرة . والعلم ينتقل من جيل إلى جيل ، ويتكاثر ويبنى بعضه على بعض ، أما خبرة الآباء فلا تنتقل إلى الأبناء . وعلى كل صبي جزار أن يبني خبرته مع الزمن وطول المران . لقد كانت معارف الفرعونيين والبابليين ـ على ما نعلم ـ أقرب إلى الخبرة منها إلى العلم . كانت أكواماً من القواعد ، منها الصحيح ومنها غير الصحيح ، وليس ثمة من مقياس يفرق بين الصحيح والخطأ . كانت كما وصف **البيروني** العلم الهندي قبل أن يتأثر بالمنظور اليوناني ، إذا قال : منه التبر ومنه البعر . ومعذرة إذا كانت الكلمة نابية .

هذه الأكوام من الخبرات والمعارف هي ما لقيه اليونان لدى خلفاء الحضارات القديمة . ولكن قبساً من العبقرية مس عقل سقراط ، فراح يلح على تحديد معاني الكلمات ، ويتساءل ما الصحيح وما الخطأ ؟ وهل الصحيح صحيح في كل زمان ومكان ؟ والتقط الكرة تلميذه أفلاطون فقال قولة كانت هي الركن الأول في بناء صرح العلم ، والقطب الأول من أقطاب المنهج العلمي .

قال أفلاطون : « ما يقوم عليه دليل أقبله في حظيرة العلم ، وما لا يقوم عليه دليل أرفضه » . إذن فقد فرض أفلاطون الدليل . والدليل يعني البرهان . فما أمكن البرهنة على صحته يقبله ، وما لم يمكن البرهنة على صحته يرفضه . وبذا فهو يضع مقياساً أو غربالا به يغربل المعارف ، فمنها ما يسقط ، ومنها ما يبقى . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . **وإقامة البرهان بحاجة إلى قواعد وأصول** . من ذلك مثلاً أننا لا نبدأ من لا شيء . فلا بد من مفردات قليلة نعدها معروفة ، وبدلالتها نعرف غيرها . ولا بد من حقائق نعتبرها صحيحة ، فما يستنتج منها فهو صحيح .

بيَّن أفلاطون هذا ، وطبقه أقليدس في كتاب الأصول . ومن أكوام المعارف التي لقيها أقام صرح الرياضيات حجراً فوق حجر ، على نظام

مطرد رائع ، كل خطوة تسلم إلى ما بعدها ، وعلى مثل ذلك جرى أرخميدس وأبولونيوس وبطليموس ومن عاصروهم من الرياضيين .

واتخذت الأجيال التالية منهجاً محدداً للدراسة المتخصصة في الرياضيات والفلك يبدأ بكتاب الأصول لأقليدس ، وينتهي بكتاب المجسطي لبطليموس ، وبينهما اثني عشر كتاباً متوسطات .

وقد أقر العرب هذا المنهج ، غير أنهم جعلوا من المتوسطات واحداً أو اثنين من الكتب العربية المتقدمة ، وأضافوا إليه حلقات أخرى من كتب عربية تحوي من الرياضيات والفلك ما لم تحوه الكتب اليونانية . ولهم الحق . فالعلم دائماً في تطور ، وفوق كل ذي علم عليم . إلا أن هذه الحلقات الأخرى كانت تختلف من مكان إلى مكان ، وقد يقوم المعلم بتعليم كتبه وكتب أساتذته الذين تلقى علم الرياضيات عنهم .

ولكن هل كان الإنجاز اليوناني بحق معجزة ؟ الجواب يعتمد على ما نقصد بالمعجزة ، فإن يكن المقصود بالمعجزة ، ما أعجز من سبق ، فقد كان الإنجاز اليوناني بحق معجزة . يكفي أن يلتقي في أي زمان ومكان ثلاثة من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو ، أو من أمثال أقليدس وأرخميدس وأبولونيوس ، يحققوا ما يعجز عنه كل من سبق وكثير ممن سيلحق . وإن يكن المقصود ما هو خارق لقوانين الطبيعة ، فالجواب : لا . إن ما صنعه اليونان إنما هو استكمال لجهود آلاف من السنين خلت ، وتمهيد لما أتى من بعد ، إنه باختصار التطور الطبيعي للفكر الرياضي .

تجلت معجزة الفكر اليوناني في فرض إقامة الدليل ، فأقام بذلك مقياساً يقاس به العلم من غير العلم ولكن الفكر اليوناني لم يكن كاملاً ، وهذا يسلمنا إلى الوجه الآخر من القضية ، الوجه الذي قلما يبرزه المؤرخون الغربيون .

كلما تمعنت في الرياضيات اليونانية تجلى لي أنها صنع جماعة أميين ، يخططون ولا يكتبون ، أو أطفال يلعبون بالبليّ . ولكنهم جعلوا من بليّ الأطفال مراناً عقلياً ذا مستوى رفيع . **فالبلية الواحدة** تمثل واحداً من الأعداد ، وتحتل نقطة في الأشكال . أما النقطة : فلا طول ولا عرض ولا سمك ، كأنها لا شيء ، مجرد فكرة . ولكن منها تبدأ الأشكال . وكذلك الواحد : ليس عدداً ، ولكن منه تبدأ الأعداد .

أضف بلية **ثانية** ، يتكون الاثنان في الأعداد ، ويتكون الخط المستقيم في الأشكال . والاثنان أبسط الأعداد ، والمستقيم أبسط الأشكال . وهنالك خط مستقيم واحد يمر بأي نقطتين مفروضتين .

أضف **ثالثة** ، يكن لديك الثلاثة في الأعداد ، ويكن لديك المثلث في الأشكال ، ومع المثلث تأتي دراسة الزوايا ويتحدد المستوى ، وهناك مستوى واحد يمر بأي ثلاث نقاط مفروضة ، ليست على استقامة .

أضف **رابعة** ، يكن لديك الأربعة في الأعداد ، أما في الأشكال فإن تكن هذه الرابعة في المستوى نفسه ، يتكون لديك رباعي ، وهذا يجر معه دراسة الأشكال الرباعية ، ويفضي إلى دراسة التوازي . وإن تكن الرابعة في غير مستوى الثلاث الأول يتكون لديك هرم ثلاثي القاعدة رباعي الأوجه ، وهذا يدخلك في مضمار الأبعاد الثلاثة والهندسة المجسمة .

من ذلك يتبين أن هذا المنحى من التفكير يجر إلى الدراسة الهندسية للأشكال والأجسام . فماذا عن الأعداد ذاتها ؟ ماذا عن الحساب ؟ لقد أخذوا الأعداد في تشكيلات . ففي مثل التشكيل المقابل من الأعداد الطبيعية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، . . . تتكون مثلثات تبدأ بالواحد ، وهو نقطة ، ثم ٣ ، ثم ٦ ، ثم ١٠ . فالأعداد ١ ، ٣ ، ٦ ، ١٠ ، . . . أعداد مثلثة تكون مثلثات متتالية . وهذا تشكيل يستدعي الدراسة : كم نقط الخط التالي وما بعده . . . ؟ وما مجموع نقط المثلث العاشر مثلاً . .

وفي التشكيل التالي نأخذ الأعداد ١ ، ٣ ، ٥ ، . . . فيتكون من مجموعاتها الأعداد ١ ، ٤ ، ٩ ، . . .

وهذه مسلسلة من مربعات ، تؤخذ أيضاً بالدراسة . فدراسة الأعداد في الفكر اليوناني من منطلق هندسي . وهذا شيء ممتع حقق به الفيثاغوريون ما يكون اليوم فصلاً أولياً في نظرية الأعداد ، وتمهيداً لنظرية الألعاب والمباريات .

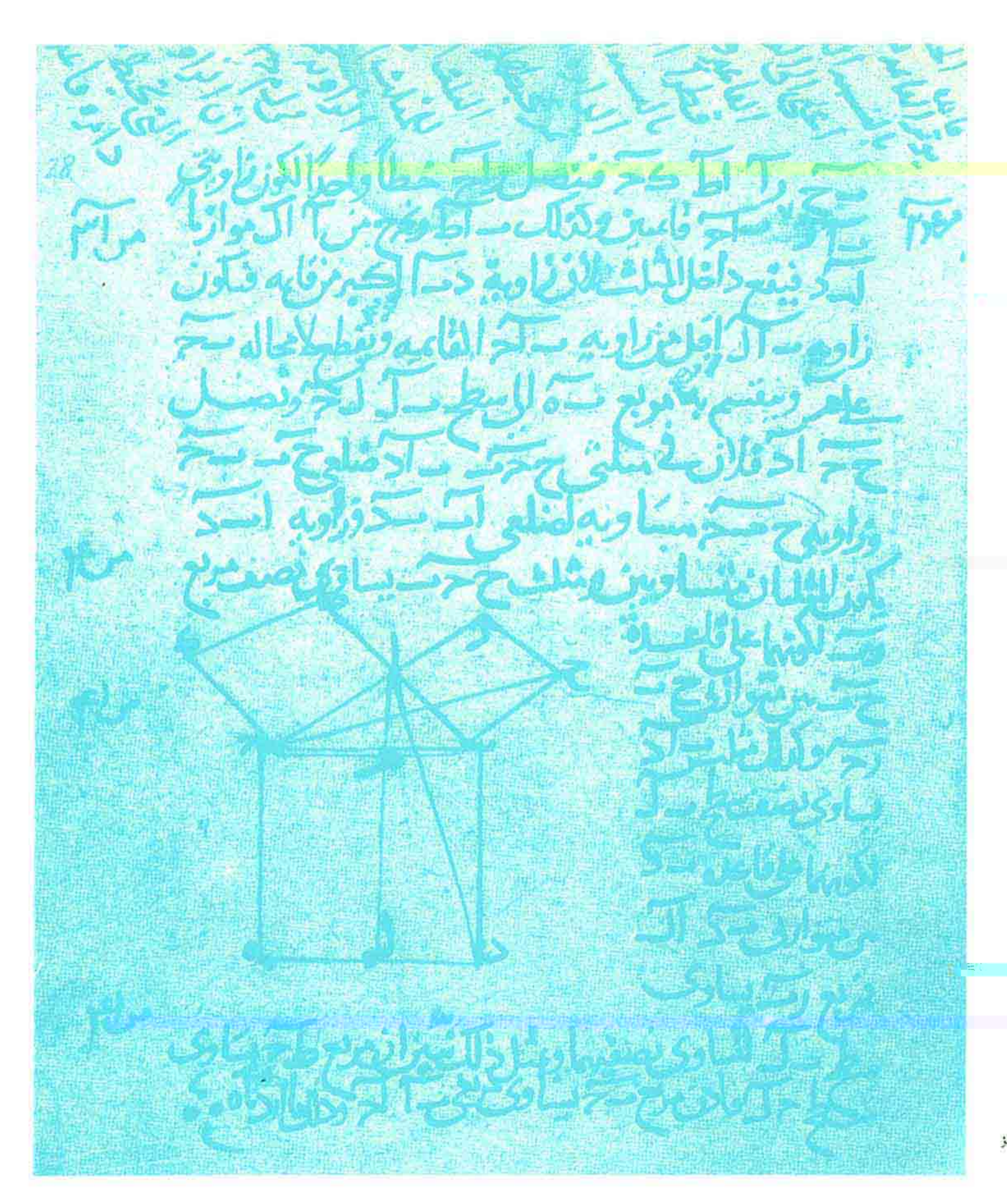
ولكن ما نفتقده هنا ونتساءل عنه هو : **كيف رمزوا إلى الأعداد ؟ وكيف عالجوها بالجمع والطرح والضرب والقسمة والتجذير ؟** بعبارة أخرى : **كيف أجروا العمليات الحسابية التي لا يستغنى عنها في الحياة اليومية ؟**

الجواب عن ذلك أن هذا كان بالطبع شأن الرجل العادي ، أما الرياضيون اليونان فلم يكن يعنيهم ، وقد اعتبروها لعب صبيان .

حساب اليد

لقد كان لدى اليونان أرقام يبدو أنهم أخذوها من **الأبجدية الفينيقية** . فقد كانوا يعبرون عن الأعداد بحروف أبجدية بترتيب معين . وهذا ما انحدر إلى العرب بالترتيب المعروف بالجمل ، وهو الترتيب أبجد هوز . . . الخ . والأرقام الأبجدية كالأرقام الفرعونية والبابلية والرومانية تؤدي وظيفة واحدة وهي أن ترمز إلى اعداد محددة ، ولكنها لا تساعد العمليات الحسابية . فهذه تجري عقلياً ، مع الاستعانة بما يسمى **حساب اليد** . ولأن حساب اليد يمثل الموروث الذي تلقاه العالم الإسلامي من الحضارات التي سبقته ، أرى أن أفيض هنا قليلاً في وصفه :

فلنقل إننا نريد أن نضرب ٣٨ في ٤٩ . فيكتب الحاسب (عربياً كان أو يونانياً) هذين العددين بالرموز الأبجدية . فالحاسب العربي يكتب لح في مط .



★ برهان نظرية فيثاغورس بواسطة تكافؤ السطوح لنصر الدين الطوسي ★

والآن عليه أن يضرب ل في م (أي ٣٠ في ٤٠)

، ل في ط (أي ٣٠ في ٩)

، ح في م (أي ٨ في ٤٠)

، ح في ط (أي ٨ في ٩)

ثم يجمع النواتج . فهو يجري عمليات الضرب عقلياً ، ويجمع عقلياً . ولكي يتذكر النواتج الفرعية المتوسطة ، يعقد أصابع يديه عقوداً متفقاً عليها : ٣٠ في ٤٠ تساوي ١٢٠٠ فيعقد أصابعه عقداً يدل على ١٢٠٠ .

ثم ٣٠ في ٩ تساوي ٢٧٠ فيجمع ذلك إلى ما عقده ، فينتج ١٤٧٠ ، فيغير عقد أصابعه ليدل على هذا الناتج الجديد . وهكذا حتى يحصل على الجواب .

ويبدو أن حساب اليد كان عاماً في العالم المأهول حتى أواسط العهد الإسلامي ، إذ نجد اشارات كثيرة في كتابات حوض المتوسط والشرق الأوسط والهند . ولكن قلما نجد له وصفاً مفصلاً ، لأن الناس كانوا يتناقلونه كابراً عن كابر ، كما يتناقل النجارون اليوم حرفة النجارة دون كتاب يفصلها ، وفي العربية أرجوزة تصف هذه العقود ، أقتبس منها الأبيات التالية :

إعلم بأن عقدك الأحادا	خصوا بها ثلاثة أفرادا
فخنصر وبنصر ووسطا	وذاك في اليمين فاعلم ضبطا

فواحد : ابسط يديك واخصر ... وركب الخنصر فوق البنصر
وضم في الاثنين من كليهما ... من غير تغيير لذاك فاعلما
وكفّ ان أردت أن تثلثا ... وسطاك مع كليهما إن مكثا

ويمضي الوصف فيخصص تلك الأصابع الثلاثة لعقود الآحاد ١ إلى ٩ ، ويخصص الشاهد والإبهام لعقود العشرات ١٠ ، ٢٠ ، ... ، ٩٠ ، ثم ينتقل إلى اليد اليسرى فشاهدها والإبهام للمئات ، والأصابع الثلاثة الباقية للألوف .

وفي الكتب البيزنطية توصف هذه العقود وصفاً لا يختلف جوهرياً عن الوصف العربي إلا في أن الحاسب البيزنطي كان يستعمل **اليد اليسرى** للآحاد والعشرات ، **واليمنى** للمئات والألوف .

ومهما يكن من أمر ، فليس حساب اليد بالحساب الخصب الواعد القابل للتطوير ، القابل لاستيعاب أي تقدم في الفكر الجبري . إنه بالتأكيد دون مستوى الهندسة اليونانية . ولماذا ؟ لأن الفكر اليوناني عد الترقيم والعمليات الحسابية أموراً عملية لا ترقى إلى مستوى العلم .

وما كنا لنحاسب اليونان على ما لم يعملوه ، لولا أن الأمر يتعلق مباشرة بالمنهج العلمي الذي رسموه . ذلك أن الدليل عندهم ظل قاصراً على الدليل الاستنتاجي المنطقي . أما الدليل العملي التجريبي ، الذي تشهد به الحواس ، فلم يعيروه وزناً ، ولذا فاهمالهم للعمليات الحسابية كان من منطلق منهجهم الفكري . حتى الأطوال والمساحات والحجوم كانوا يعبرون عنها بدلالة بعضها بعضاً ، فكان أرخميدس مثلاً يقول : إن حجم الكرة يساوي حجم أربعة مخروطات ارتفاع كل منها يساوي نصف القطر . أما ٤/٣ ط نق[٣] فتعبير لم يكن ليخطر على البال إلا بعد استيعاب العمليات الحسابية التي أدخلها العرب في حظيرة العلم .

الفكر الإسلامي العربي

كان الفكر الإسلامي هو الذي أدخل الدليل التجريبي في حظيرة العلم . وقد كان دخوله طبيعياً بدهياً ، ذلك أن الدليل على وجود الخالق جل جلاله جعله الإسلام يقوم على النظر والتأمل أي على ما تهدي إليه الحواس . لقد دعا الفرد للنظر في الكون وما فيه ، في البر والبحر والجو ، وفي نفسه ، وجسمه وروحه وعقله ، فكل اكتشاف جديد يعثر عليه إنما هو دليل على عظمة الخالق وحسن تدبيره . **لقد قال علماء الإسلام المتقدمون كلما زدنا علماً بمخلوقات الله زدنا إيماناً بالله .**

لهذا لم يكن عجيباً أن أول انجاز كبير للفكر الرياضي الإسلامي كان نشر نظام للترقيم الحسابي يتمشى مع نظام العد الطبيعي العشري ، ونشر عمليات حسابية قابلة للتطوير ، قابلة لاستيعاب ما جاء نتيجة طبيعية لذلك ، أعني علوم الجبر والمثلثات والهندسة التحليلية وما تلاها .

أخذ العرب نظام الترقيم من تجار الهنود لا من علمائهم ، فقد كان هؤلاء تقليديين يجرون عملياتهم الحسابية على أنماط شتى ، منها حساب اليد . وكان تجار الهنود يحسبون على التخت والرمل ، فنشر العرب الحساب الهندي هذا في الشرق والغرب ، ولكنهم منذ تناولوه من الهنود أخذوا يعملون على تطويره حتى أوصلوه إلى النمط الشائع اليوم .

وقد أخذ الغرب من العالم الإسلامي نظام الترقيم وطرق الحساب كما عدلوها ، وعنهم أخذ أيضاً بالدليل التجريبي . ولكن هذا الدليل لم يستقر في الفكر الغربي إلا بعد معارك دامت قروناً ، وسقط فيها ضحايا . ونقرأ عنها اليوم باسم الإصلاح الديني ، وباسم الصراع بين العلم والدين . كان أعظم مجالي العبقرية في الفكر اليوناني أنه أقر الدليل الاستنتاجي في العلم . وهذا انجاز عظيم ، لا شك ، كان من جرائه أن وضع علم الهندسة المستوية والمجسمة وهندسة القطوع ، علماً كاملاً لم يستطع العالم ، على مر القرون ، أن يزيد فيه زيادة جوهرية ، إلا في طرق العرض ، وإلا فيما نجم من هندسات لا اقليدية .

والدليل الاستنتاجي شيء جميل رائع ، ولكن به تزكو العلوم النظرية كالفلسفة والمنطق والرياضيات فلما تم وضع الهندسة الاقليدية وصل نمو العلم الرياضي إلى طريق مسدود ، حتى فكر أرخميدس لم يستطع أن يفتح ثغرة في السد . وفي نهاية المطاف تحول الفكر العلمي البيزنطي إلى عبث ضرب به العرب الأمثال ، إذ مثلوا كل حوار لا جدوى منه **بالجدل البيزنطي** . إن **الدليل الاستنتاجي** وحده لا يكفي ، حتى في الرياضيات . فكان لا بد من خطوة يخطوها العلم حتى يقبل **الدليل التجريبي** فتنهض علوم الحساب والجبر والمثلثات . وقد خطا الفكر الإسلامي هذه الخطوة فأدخل هذه العلوم الثلاثة في رحاب العلم ومهد السبيل إلى الهندسة التحليلية .

أما علم الحساب فقد وصل به الرياضيون المسلمون إلى إيجاد الجذور التربيعية والتكعيبية وما فوقها اعتماداً على ما نسميه اليوم بنظرية ذات الحدين . وقد عرفها العرب لأسس صحيحة موجبة وسموا معاملاتها بأصول المنازل . واعتمدوا في إيجاد أصول المنازل على ما يسمى الآن خطأ **بمثلث بسكال** وقد عرفوه من قبل بسكال بأربعة قرون . ثم هم ابتكروا طرقاً للتقريب تجعلنا نشعر أن لو بعث أبو الريحان البيروني حياً وكلمناه عن **نظرية ماكلورن** لما وجد فيها جديداً عليه سوى رونق التعبير .

ولقد بدأ **علم الجبر العربي** فصلاً من فصول علم الحساب ، هدفه إيجاد المجهول عن طريق تكوين معادلة وحلها ، وقد ارتقى هذا العلم على أيديهم فحوى طرقاً طريفة لحل المعادلات السيالة ، لا سيما ما له منها علاقة بخصائص الأعداد . ولقد شارفوا حل المعادلة التركيبية جبرياً . وأنه ليساورني الظن في أنهم قد حلوها وأن ترتاجليا وكردان نقلاها عنهم .

أما علم المثلثات المستوية والكروية فهو صناعة عربية بقدر ما أن هندسة اقليدس صناعة يونانية . والهندسة الكروية قلما تدرس في هذه الأيام إذ قد جدت موضوعات رياضية أكثر التصاقاً بالحياة الحاضرة ، فكان لا بد من وضع بعض علوم الأمس على الرف ، وكان مما وضع على الرف الهندسة الكروية العربية ، وإلى حد ما هندسة اقليدس .

إذا رحنا نبحث عن أكبر المنعطفات في تاريخ الفكر الرياضي فإننا نجدها بالتأكيد ثلاثة لا خلاف عليها، أولاها **طلب الدليل**، وهذه خطوة بدأها الفكر اليوناني، ولولاها لما ارتفعت الرياضيات عن مستوى القواعد التلقينية التي قد نلمسها اليوم لدى علماء البناء. ولقد كان الفكر الهندي أول ما تفتحت عليه عيون العالم الإسلامي. ولكن ما إن وقف المسلمون على الفكر اليوناني حتى تعلقوا به تقديراً واستحساناً لفكرة الدليل. ثم جاء دور قام به علماؤهم بتعليم الهنود فكرة البرهان. **لقد كان العرب هم الذين عرفوا الهنود بهندسة اقليدس، ذلك أنهم وجدوا الرياضيات عندهم أكواماً من القواعد، ما تزال كرياضيات المصريين والبابليين، فيها التبر، وفيها ما ليس بالتبر.**

ليس عجيباً إذن أن نعد إقامة الدليل منعطفاً كبيراً في تاريخ العلم. ولكن هذا المنعطف بلغ في آخر الأمر مداه، بدليل أن هندسة اقليدس لم يصبها إلى اليوم من التطور إلا القليل. كان لا بد من منعطف جديد، وقد جاء العرب بهذا المنعطف إذ نشروا الأرقام الهندية والحساب الهندي كما عدلوه. وكان دخول ذلك عالم الرياضيات ايذاناً بقبول الدليل التجريبي. وقد كانت باكورة نتائجه ضرباً من السحر، لو لم نكن قد ألفناها ونشأنا على تقبلها لأصابنا تصورها بالدوار. أرأيت الذي يكتب اسم عدوه على ورقة، ثم يأخذ بتمزيق الورقة وهو يتشفى كما لو أنه يمزق عدوه نفسه؟ أرأيت الذي يتناول صورة ولده فيقبلها ويناجيها ويغمره الشعور بالرضى، كما لو كان يقبل ولده الغائب ويناجيه؟ هذا وذاك تعلل بالآمال أو خيال. ولكن الرياضي يصنع مثل هذا الخيال فإذا هو حقيقة. يتصور خطاً في الفضاء فيعبر عنه بمعادلة برموز جبرية، س، ص، ...؛ ويتصور مستوى، فيعبر عنه أيضاً بمعادلة أخرى في س، ص، ... ثم يحل المعادلتين بعمليات حسابية على هذه الرموز، فيقول لك أين يقطع الخط المستوي، وعلى أي زاوية. إنه يحول الهندسة إلى عمليات جبرية، وهذا التحويل هو الذي أتاح للرياضيات أن تخرج من الطريق المسدود الذي وصلت إليه. **وقد خطا الفكر الإسلامي الخطوات الأولى في هذا التحويل إذ جاء بالأرقام العشرية، ثم انتقل إلى تعديل العمليات الحسابية، وبدأ علم الجبر وعلم المثلثات.**

وهناك منعطف ثالث في تاريخ الرياضيات بدأ بتبسيط العمليات الرياضية عن طريق اللوغرتمات، ثم انتقل منها إلى المسطرة الحاسبة، فالحاسبات الالكترونية. وقد بدأ هذا المنعطف عندما تركزت أنظار **نابير** على قانون للعرب في المثلثات يحول به حاصل ضرب جيبي زاويتين إلى حاصل جمع نسبتين مثلثتين أخريين. وكان نابير يجد عملية الضرب صعبة، فخطر له أن يحوله إلى جمع باستعمال هذا القانون. وقد نجح بمساعدة رياضي آخر إنكليزي.

إذن فإن يكن اليونان قد جاءوا بالمنعطف الأول في تاريخ الرياضيات، فقد جاء العرب بالمنعطف الثاني، ومهدوا للثالث الذي بدأه رواد النهضة الأوروبية.

والمؤرخون الغربيون يذكرون للعرب فضل نقل العلوم اليونانية وحفظها، ولكنهم ينسون الفضل في قبول الدليل التجريبي، وينسون أن رسول هذا الدليل في أوروبا - أعني **روجر بيكن** - كان حافزه أن يستفيد الغرب من علوم العرب كي يكون بإمكانه أن ينافسهم.

يفضي بنا هذا إلى ركن ثالث من أركان المنهج العلمي هو **الموضوعية**. والموضوعية أمانة علمية وصدق وأخلاق. وقد أخذ بها اليونان إذ نادوا بالعلم من أجل العلم، ولكنهم قلما اهتموا بالمحافظة على النص وبأن ينسبوا القول إلى قائله. وأخذ بها الفكر الإسلامي من جراء أدب أدبه به الدين. **لقد كانت قراءة القرآن ورواية الحديث تقتضيان كل ما في الدنيا من أمانة علمية وحفاظ على حرمة النص، من هذا المنطلق جرى العلم الإسلامي في عصوره الأولى بموضوعية مثالية، إن شذ عنها أناس فهم شعوبيون مغرضون.**

والموضوعية صفة لم يعرفها الفكر الغربي في مطلع نهضته، فكان ينهل من الفكر الإسلامي كمن يشرب من بئر ثم يرمي فيه بحجر يعكره. وهو ما يزال حتى اليوم لا يراعي الموضوعية إلا في الدوريات المتخصصة. وفي ما عداها قد تكون الدعاية هي الأقوى. ولكن قد لا يحق لنا نحن أن نعترض على موضوعية الغرب الحالية، إذ أننا نسينا الموضوعية التي أدبنا بها الدين.

لقد عاش الفكر الإسلامي الرياضي منتجاً من القرن التاسع الميلاد إلى القرن الخامس عشر. سبعة قرن، بالقياس بعشرة قرون عاشها الفكر اليوناني الهليني والإسكندري. ولقد ظل الغرب عالة على الفكر الإسلامي، يأخذ علومه فيترجمها إلى اللاتينية، وغالباً ما ينتحلها، من القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر، ستة قرون أخذ الغرب في نهايتها يعلو فوق مستوى العلم الإسلامي في كثير من المناحي العلمية. وقد كانت خطواته الأولى استكمالا أو استطراداً لخواطر إسلامية سابقة لم تتبلور. إننا نقرأ ما كتبه **نيوتن** ومن سبقه عن فكرة الزمان والمكان واللانهاية والاتصال والاستمرارية، فنتعرف في أقوالهم على رنة من الفلسفة الإسلامية في أبحاث ما وراء الطبيعة. **إن الفكر الرياضي الإسلامي، كما يتبدى في الميتافيزيقا، قد كشف أسس حساب التفاضل والتكامل الذي هو منطلق الرياضيات الحالية. وفي سبيل ذلك أوجد الفكر الإسلامي الرمزية الرياضية التي ما زال الغرب يدعي فضل ابتكارها**، رغم أن فلاسفة الإسلام ومناطقته كانوا من أيام **يعقوب بن اسحق الكندي** يتلهون بعبارات من مثل: إذا كان أ بعضاً من ب وكان ب بعضاً من حـ كان ا بعضاً من حـ.

إن الفكر الرياضي الإسلامي شيء يستحق أن نعتز به، وأن نبحث عن كنوزه، ليس فقط من أجل أن نعيد إلى نصابه حقاً وضعه الغرب في غير موضعه، بل من أجل أن يكون لدينا الحافز لاستئناف مسيرة بدأها أجدادنا بالجهد والشغف وبالدين والأمانة.

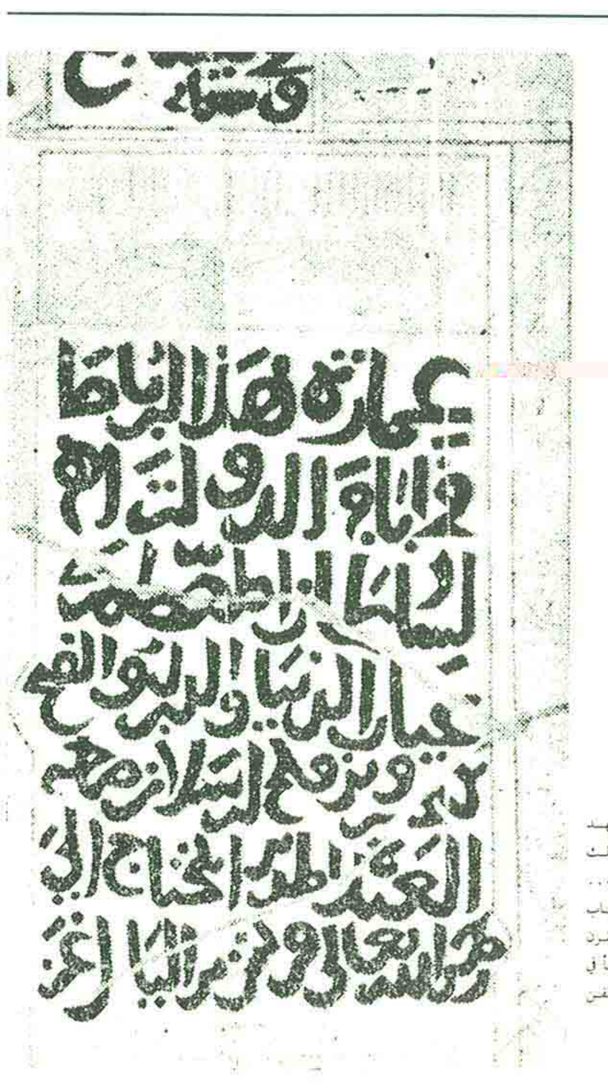


رحلة مع: الخط العربي

اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم

قال قبلة الكتاب ياقوت المستعصمي عليه رحمة الباري الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية إن جودت قلمك جودت خطك وإن أهملت قلمك أهملت خطك

★ نموذج يوضح كتابات بالخط الثلث .. وتحته خط نسخي ، من كتابات الخطاط السيد إبراهيم ★





★ أحد النماذج الزخرفية المكتوبة بخط ثلثي من وضع الخطاط حسني الدمشقي ★

★ شكل يوضح كتابة عربية ترجع إلى عهد «السلاجقة» (٦٠٧هـ) وهو نوع من خط الثلث الذي كان شائعاً في الأناضول في ذلك الوقت .. وهذه الكتابة وجدت مكتوبة على المرمر على باب رباط في «كوتاهية» .. بدأ الخطاطون - في القرن العشرين - يطورون فيه ، وقد أصبح ذلك واضحاً في تصميمات أغلفة الكتب وفي كتالوجات معارض الفن التشكيلي ★

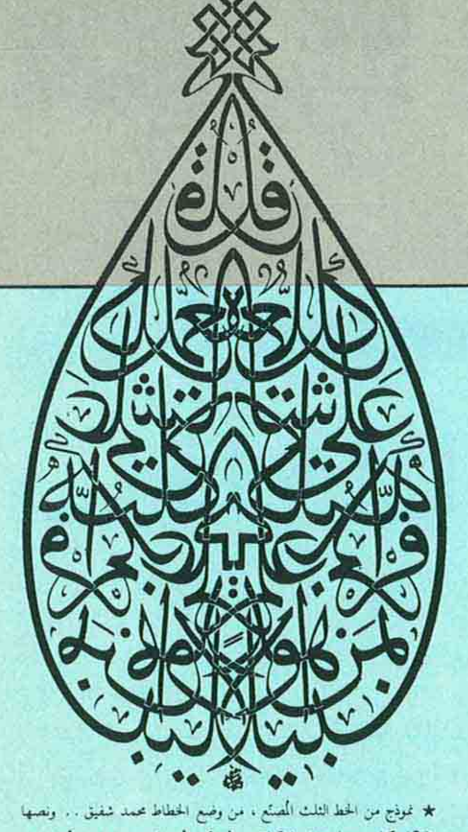


★ شكل يوضح عنوان «خط الثلث» بالخط الثلثي من وضع الخطاط الشيخ علي بدوي (١٣٧٧هـ) ★

من الخط المدني القديم، تفرع إلى ثلاثة أنواع، هي: **المدور**، **والثلث**.. **والثم**، ومعنى الكلمة الأخيرة «التوأم»، حيث تعود هذه التسمية، لوجود مزاوجات مع خط آخر يشبهها.

وخط الثلث يفضل فيه التقويس، فمثلاً حرف الألف من الحروف المنتصبة.. وليس له شبيه آخر في الحروف.. وهو متميز على ألف «الثلث» مقدار نقطة، ذلك لأن ألف الثلث فيها تحديب.

وهو حالياً من الخطوط المعروفة، المستعملة، المعاصرة، وبهذا الخط، كتبت الكثير من **الأحاديث النبوية** على جدران **المساجد**.. وعلى **القباب**.. **والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة**.. وعلى بعض أجزاء من **المسجد الحرام** في مكة المكرمة.



★ نموذج من الخط الثلث المُصنّع، من وضع الخطاط محمد شفيق.. ونصها **﴿قل كل يعمل على شاكلته، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾** آية قرآنية ★

★ شكل يوضح خط الثلث، وهو جزء تفصيلي من مسجد الشيخ لطف الله أصفهان - ايران - القرن السابع عشر ★

جوته والإسلام

ماذا قال الشاعر الغربي

كتبتُ في دراسة مضى عليها اليوم ما يزيد عن عشر سنوات كلمات حاولت فيها أن أرسم صورة لأديب ألمانيا **يوهان فولفجنج فون جوته**، ثم رجعت إليها اليوم فلم أجد بي حاجة إلى أن أغير فيها إلا الشيء القليل. قلت:

«**يوهان فولفجنج فون جوته** إنسان فريد، **كان أديباً وشاعراً وفيلسوفاً ومؤرخاً وعالماً في الطبيعيات وعالماً في اللغات والآداب العالمية، ومحامياً ورساماً ووزيراً**. وكان محباً للشرق والإسلام، علماً بفكر الإسلام وآدابه، متبحراً في ثقافاته وفنونه. ألف الأغاني العاطفية والقصائد الفلسفية، والمسرحيات الكبيرة والصغيرة، وبرع في المأساة والملهاة والمسرحية الغنائية ومسرحية المناسبات، وأنشأ الملاحم والقصص والروايات، وكتب المقالات في شتى الموضوعات، ولم يدع نوعاً من الأنواع الأدبية إلا عالجه وتفوق فيه. وأنشأ بين الثقافة الألمانية والثقافات الأخرى جسوراً قربتها بعضها من البعض، وشجعت التفاعل بينها، وبوأ الأدب الألماني بما جاد به قلمه مكاناً علياً. لم يكن **جوته** يكتب لنفسه ولا لقومه فحسب، بل كان يكتب للناس كافة، فكان بحق أديب الإنسانية، قبل أن يكون أديب ألمانيا، وكان مواطناً عالمياً، قبل أن يكون مواطناً ألمانياً».

عاش أكثر من ثمانين عاماً، بين منتصف القرن الثامن عشر، ونهاية الثلث الأول من القرن التاسع عشر، حافلة بالأحداث العظام، يتنقل بين مصادفات رائعة دبّرها له القدر، وبين ظروف مواتية مهدتها له قدرته، يعرف السعادة فينعم بها، ويلقى الألم فيرتفع فوقه، وكانت حياته التي حكى قصتها، وكتب عنها الكثيرون وما زالوا يكتبون، قصة وتاريخاً.

حياته

ولد **جوته** في ٢٨ أغسطس (آب) من عام ١٧٤٩م، في مدينة **فرنكفورت** الواقعة على نهر الماين، لأب من أعيان المدينة ومثقفيها، وتعلم في البيت على يد أبيه ومعلمين خصوصيين، حتى بلغ السنة السادسة عشرة من عمره، فانتقل إلى **مدينة لايبتسج** ليلتحق بجامعتها ويدرس القانون، ولكنه اهتم بالأدب والفنون أكثر مما اهتم بالقانون، واندمج في حياة الناس، وحياة الطلاب خاصة، واندفع في طريق التأليف الأدبي، يكتب الأغنية والقصيدة، ويحاول كتابة المسرحية. واضطره المرض إلى العودة إلى بيت أبيه في فرنكفورت للعلاج والاستجمام. ومن هناك سافر في عام ١٧٧٠م، إلى **مدينة شتراسبورج**، لينهي في جامعتها دراسة القانون.

هناك التقى بالأديب الفذ **يوهان جوتفريد هردر** الذي بين له طريق الأدب كما كان ينبغي له أن يعرفها، فصرفه عن **الأدب المصنوع، والشعر المتكلف**، وحضّه على التعرف إلى الشعر الفطري الذي ينطق به البسطاء أحياناً فيما أسماه **بالأدب الشعبي**، ويعرفه عباقرة الفطرة في أحيان كثيرة أمثال **شيكسبير وشعراء العرب القدامى**. ومن هنا بدأ اهتمام **جوته** بشعراء العرب فقرأ ما ترجم من أعمالهم إلى الألمانية أو الإنجليزية أو اللاتينية، وأحب أصحاب المعلقات وترجم شيئاً من أعمالهم. **كذلك حرص جوته على قراءة القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأحب أن يعود إلى القرآن الكريم وسيرة النبي بين الفينة والفينة، وظهر أثر كل ذلك في شعره.**

وإذا كان قد أتم دراسة الحقوق في عام ١٧٧١م، وعاد إلى فرنكفورت، فإنه لم يفكر جدياً في احتراف المحاماة، على الرغم من اتخاذه مكتباً للمحاماة، بل صمم على السير في طريق الأدب إلى منتهاه. وما ظهرت مسرحية «**جوتس فون برليشينجن ذو اليد الحديدية**»، ثم رواية «**آلام الفتى فرتر**»، حتى كان اسم **جوته** على كل لسان. وذاعت شهرته خارج ألمانيا حيث ترجمت رواية «آلام الفتى فرتر» إلى الإنجليزية والفرنسية.

تلقى جوته دعوة من أمير **فايمار** ليزور الإمارة، فقبل الدعوة، وتغيرت حياته منذ تلك اللحظة، حيث ارتبط **جوته بفايمار** ارتباطاً وثيقاً، وأصبح فيها بعد وزيراً بها، ولم يغادرها إلا لفترات محدودة، حتى مات ودفن فيها.

تشعّب نشاط **جوته في فايمار** فشمل الاقتصاد والزراعة إلى جانب الأدب والفنون، وتعرف إلى كثير من الأدباء والعلماء، واجتذب عدداً منهم إلى **بلاط فايمار**، وانطلق من **فايمار** إلى إيطاليا في إجازة طويلة ليعرف بلاد الشمس الدافئة، والحضارة القديمة، والفن المشرق.

امتلأت حياة **جوته** بالصداقات والغراميات، وتتابعت أعماله تشهد على اكتماله المتزايد، وحكمته المتزايدة، فأخرج في عام ١٨١٨م «**الديوان الشرقي للمؤلف**

إذا كان الإسلام يعني الاستسلام لله
فإننا جميعاً نعيش ونموت على الإسلام
" جوته "

في الديوان الشرقي

بقلم : د . مصطفى ماهر

الغربي » ، وأتم في عام ١٨٣٢ م ، قبيل وفاته ، الجزء الثاني من **مسرحية فاوست** .

وتوفي **جوته** في ٢٢ مارس (آذار) من عام ١٨٣٢ م . وقد أصبح هذا اليوم ، منذ إنشاء **معهد جوته** لرعاية اللغة والثقافة الألمانية في الخارج ، يوم الاحتفال بتقديم ميدالية جوته الذهبية العالمية لشخصية عملت على تحقيق هدف من أهداف **جوته** الغالية ، وهو التقارب الثقافي بين الشعوب والتعارف من أجل خير الإنسانية .

تأثره بالأدب العربي

بدأ اهتمام جوته الحقيقي بالإسلام والثقافة الإسلامية على إثر التقائه بالمفكر الأديب هردر في اشتراسبورج ، وقد تجاوز العشرين من عمره بقليل . كان **هردر** هناك يعالج عينيه ، وكان **جوته** هناك ليكمل دراسة القانون . وتحولت المصادقة إلى شيء باق . كان **هردر** صاحب عبقرية في التأمل ، والتعرف على الأفكار المثمرة ، والتجديد الفكري ، وكان واسع الاطلاع ، عظيم التأثير على الأدباء والمفكرين ، وكان له دوره في حركة « **العاصفة والاندفاع** » التي دعت إلى الاستسلام إلى **السليقة والوجدان والعاطفة والعبقرية** . ويمكن أن نقول إنه وضع جوته على بداية الطريق إلى التعرف على الثقافة العربية الإسلامية . وهكذا **نجد جوته مشغولا بالمعلقات** ، ونجده قائماً على اهتمامه بها [illegible] في مخلفاته على ترجمة تعد ٦١ سطراً ، حاول فيها نقل معلقة **امرئ القيس** إلى الألمانية :

قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

معتمداً على ترجمة **چونس** الإنجليزي . وترجع هذه المحاولة إلى عام ١٧٨٣ م . بل لقد دخلت بعض عناصر هذه المعلقة في شعره . وهناك قصيدة كتبها للديوان الشرقي للمؤلف الغربي ، ثم لم يدخلها في متنه ، واعتاد المحققون أن ينشروها في ملاحق الديوان ، نرى **جوته** يتلقف فيها عنصر « بكاء الحبيب وسط الصحراء » :

دعوني أبكي بليل محيط
وبادية ما لها من نهاية ،
جمالٌ بها أخلدت للسكون
وأصحابها مثلها ساكنون . . . .
. . . . .
دعوني أبكي ، فلا عار في سكب الدموع
ولا دمع إلا لرجل كريم . . .
دعوني أبكي ، فإن الدموع تحيي التراب .
. . . . .

أخذ **جوته** من مطلع المعلقة صورة الصحراء التي يقف فيها الحبيب باكياً ، ثم أضاف إلى الصورة من معرفته بشعر العرب ، وشعر امرئ القيس الجمال التي أخلدت للسكون ، وأصحابها الذين أخلدوا للسكون مثلها ، ثم توسع في بكاء الرجل المحب ، فلم ير في بكاء الرجل مسلكاً ينافي الرجولة ، بل رأى فيه دلالة على الطيبة ، وكرم القلب .

ولقد ذكرنا هذه الأبيات لجوته لأنها تدلنا على أن **جوته** لم يقف من الأدب العربي عند حد القراءة والترجمة ، بل أفاد مما قرأ وترجم ، وظهر ذلك في شعره ونثره .

ولدينا مثل اخر سبق المثل السابق بنحو عشر سنين ، فقد عكف **جوته** على قراءة القرآن في ترجمة ماراسيوس اللاتينية ، **ثم ترجم آيات من القرآن هي الآيات من ٧٤ إلى ٧٩ من سورة الأنعام** . وتؤكد هذه الترجمة أن **جوته** فهم أساس الإيمان الحنيف :

﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين * وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين * فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء

مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين * ﴾ .

يكتب عن الرسول الكريم

ولدينا قبل هذا وذاك مشروع المسرحية الشعرية « **محمد** » التي كان ينوي كتابتها في عصر **العاصفة والاندفاع** . وجوته يعرض في كتابه « **من حياتي ، شعر وحقيقة** » (أنظر الكتاب الرابع عشر) للخطة التي كان ينوي اتباعها ، ويتحدث عن الدوافع التي حدت به إلى اختيار الموضوع . فيقول ما معناه إن الإنسان الممتاز به قبس من الربانية يودّ لو ينشره في العالم ، ولكن العالم يقف في وجهه ، فيتحتم عليه أن ينازله حتى يستطيع أن يؤثر فيه . ولكنه لا يلبث أن يستسلم لما في العالم من نواح سامية ، ويزيد في الاستسلام شيئاً فشيئاً . وهكذا تتقمص العناصر الربانية السماوية الخالدة هيئة المساعي الأرضية .

ثم يتحدث **جوته** بعد ذلك عن الإنسان الممتاز ، فيقول إنه بحث في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان الممتاز فوجده في **النبي العربي (صلى الله عليه وسلم)** ، وكان قد درس حياته دراسة مستفيضة ، وأنكر ما كان يروج عنه في الغرب في تلك الأزمنة من أكاذيب . وكان مشروع المسرحية ينقسم إلى خمسة فصول « الفصل الأول يبدأ بالمناجاة والاعتكاف واستعراض العبادات الجاهلية وينتهي بالهداية إلى الوحدانية . والفصل الثاني يبدأ بالدعوة وينتهي بالهجرة . والفصل الثالث يبدأ بالنصر وينتهي بتطهير الكعبة من الأصنام . والفصل الرابع يبدأ بالفتوحات وينتهي بالسلم . والفصل الأخير تتجلى فيه نفس محمد الربانية بعد أن عرك الدنيا وأخذ منها وأخذت منه ، فاستوى على مثاله وارتفع إلى أوج كماله . . . » .

وليس من شك في أننا لا نوافق جوته على آراء مختلفة ذهب إليها في تفسير أفكار النبي الكريم ونواياه ومعجزاته ، فقد حرص جوته في تلك الفترة من حياته على تفسير كل شيء في إطار مفاهيم حركة « العاصفة والاندفاع » ، وما يمكن لتفسير يلتزم مذهباً جامداً أن يكون عادلا . ولكننا نرى في هذه المسرحية التي لم تتم علامة كبيرة على الطريق لن نلبث أن نجد بعدها علامات أكبر وأعظم . ولقد كتب **جوته** بعض أجزاء من مشاهد المسرحية بقيت في مخلفاته ، وجَمَعَ طائفةً منها أسماها « **نشيد محمد** » تصف ذيوع الإسلام بسرعة وقوة بين الناس . وهناك عدة ترجمات لهذا النشيد منها ترجمة **الشاعر عبد الرحمن صدقي** (عن الفرنسية) التي يقول فيها :

« انظر إلى ينبوع الجبل جائشاً صافياً ، كأنما هو فوق السحب شعاع دري ، وقد أرضعت ملائكة الخير طفولته في مهده بين أفلاق الصخور المعشوشبة .

إنه ينحدر من السحابة فتياً غمراً على صلد الجلاميد ، ويتنزى منها جذلان فرحاً إلى العلا .

إنه يسير في وعر الأخاديد ، يجرف أمامه مجزعة الحصاء التي لا تحصى ، ويسحب في أثر أقدامه العجلى أخوة من العيون الثرارة ، وكأنه المرشد الأمين .

وثمة في الوادي تنجم الرياحين عند قدميه ، وتحيا المروج من أنفاسه . فلا يثنيه الوادي الظليل ولا الرياحين التي تطوق ساقيه وتحاول أن تسبيه بلحاظها الفواتن .

بل هو يصمد في تدفقه متسلسلاً متعرجاً إلى فضاء السهوب .

وتبادر إليه الجداول ترفده . فيدخل السهل لامعاً كاللجين ، فيتلألأ السهل بلألائه ، وتطفر طرباً أنهار الوهاد وجداول النجاد ، وتهيب به : « يا أخي ، خذ معك إخوتك وامض إلى أبيك الشيخ ، إلى البحر المحيط الأزلي ، الذي يترقبنا باسطاً ذراعيه .

وا أسفا ! لطالما بسط ذراعيه بلا جدوى ليضم إليه بنيه الأنضاء . ونحن في البيداء الجدباء تبتلعنا الرمال المحرقة ، والشمس في كبد السماء تشفي الغليل من دمائنا . ولا يستوقفنا غير كثيب نستحيل عنده إلى غدير ! يا أخي ، خذ معك إخوتك بالوهاد ، وإخوتك بالنجاد ، وامض إلى أبيك ! تعالوا جميعاً ! »

وها هوذا العباب طامٍ زاخراً ، ترفده الروافد ، ويخلع في مجراه على الأمصار أسماءها ، وتنشأ عند أقدامه المدائن . بيد أنه لا يني هادراً يتدفع ، لا يثنيه أبداً ثان ، مخلّفاً وراءه المنائر والصروح : بدائع خصبه وإنتاجه .

وإنه ليقل فوق مناكبه الجبارة منشآت السفن ، تخفق الألوف من قلوعها فوق رأسه ، وتهفو مشرعة نحو السماء ، شاهدة على قدرته وجلاله .

وهكذا يمضي بإخوته وكنوزه وبنيه نحو أبيه الذي ينتظره ويتلقاهم إلى صدره وهو يعج من الفرح » .

أحداث في حياته

ويمكننا أن ننتقل الآن إلى عام ١٨١٤ م ، لنجد **جوته** عاكفاً على قراءة ودراسة « **ديوان محمد شمس الدين حافظ** » الفارسي (من القرن الرابع عشر) الذي ترجمه المستشرق النمساوي الشهير **يوزف فون هامر پورجشتل** ونشره في عام ١٨١٢ م . وليس معنى انتقالنا السريع إلى هذه الفترة ، أن جوته ظل حتى ذلك الحين بعيداً عن الاهتمام بالثقافة العربية والثقافة الإسلامية ، ويكفي أن نشير إلى **حكايات ألف ليلة وليلة** التي عرفها في وقت مبكر جداً وبينت الأبحاث أنه ظل متأثراً بها ، مغترفاً من معينها على نحو مباشر أو غير مباشر حتى وفاته . ولكن اكتشاف جوته شعر حافظ (الشيرازي) أوجد نقطة تحول في حياته وفكره ، لأنه وجد في الشاعر « أخاً » له ، إن صح هذا التعبير ، ووجد في شعره الإسلامي الصوفي سلواناً كان بحاجة إليه ، وتجديداً لحياته ونشاطه الإبداعي .

كان جوته قد أحس بشيء من الفتور اعترى عبقريته المبدعة ، وبنضوب أصاب معينه الأدبي ، فحاول الفرار من الواقع إلى الماضي ، وراح يحكي قصة حياته في كتاب « **من حياتي .. شعر وحقيقة** » الذي نشر الجزء الأول منه في عام ١٨١١ م ، والجزء الثاني في العام التالي والجزء الثالث في عام ١٨١٤ م . وكان السبب في هذا الفتور بعضه خاص وبعضه عام . فقد مرت بجوته أحداث صعبة حزن لها أشد الحزن ، منها مثلاً وفاة صديقه الحميم الشاعر **فريدريش شيللر** في عام ١٨٠٥ م . كذلك حلت به بعض الأمراض مثل المغص الكلوي الناتج عن حصوة ، والحمرة التي أصابت وجهه . وواكبت هذه المعاناة الخاصة ، أحداث عصر نابليون التي هزت العروش ، وقلبت الحكومات ، وغيّرت أحوال الممالك ، وأشاعت الخوف والفوضى في أعقاب المعارك الكثيرة ، ولم تسلم **إمارة فايمار** منها ، بل لم

يسلم منها جوته نفسه الذي هاجمت الجنود بيته . ثم دارت الأيام ، وشهدت ألمانيا حرباً عارمة تهدف إلى تحرير الأمة الألمانية من الغاصب الكورسيكي .

سعد **جوته** بشعر **حافظ**، ووجد فيه ضالته . وحدث أمران هامان في هذا الوقت بالذات ، شاء لهما القدر أن يأتيا في حينهما . أما الأمر الأول فهو رحلة قام بها **جوته** إلى المنطقة المحيطة **بفرنكفورت** ، مسقط رأسه ، ومرتع شبابه ، فدبت الحياة في ذكريات حبيبة ، وعاد النشاط والأمل إلى قلب الشاعر الذي بلغ السادسة والستين من عمره . وتذكّر هجرة الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) من مكة إلى المدينة ، وكيف أنهى بها الرسول عصراً من المعاناة ، وبدأ عصراً من النصر والقوة والعزة والمنعة . وأما الأمر الثاني فلقاء **ماريانة** ، فنانة حساسة ذات فؤاد رقيق وحس مرهف ، عرفها فنشأ بينهما حب خالص ، ترتسم حوله هالات مما يكون بين العشاق من لهفة إلى اللقاء ، وألم للفراق ، وتأتلف وشائجه من التباري في قرض الشعر .

وبدأ « **الديوان الشرقي للمؤلف الغربي** » يشق طريقه إلى الوجود . **جوته** يكتب شيئاً ، وماريانة تكتب هي الأخرى . فلما عاد **جوته** إلى فايمار اتصل البريد بين ماريانة وجوته ، وظلت الصلة بين جوته وماريانة قائمة لم تنقطع ، وكان من بين ما فعله جوته قبل وفاته بعدة أسابيع إعادة خطابات ماريانة التي تجمعت لديه إليها ومعها قصيدة تنم عن الحب والتقدير . وظلت مشاركة ماريانة في الديوان سراً لم يكتشف إلا في عام ١٨٥٩ م . كشفته ماريانة نفسها لهرمن جريم قبل وفاتها بعام واحد ، وعرف الناس منذ ذلك الحين أن **زليخا** في الديوان هي ماريانة ولم يكن قد غاب على أحد أن **حاتم** هو **جوته** .

ظهر « **الديوان الشرقي للمؤلف الغربي** » في السنوات بين ١٨١٦ ، ١٨١٤ م [illegible] في عام ١٨١٩ م . وينقسم الديوان إلى اثني عشر كتاباً تحمل أسماء فارسية (أغلبها من أصل عربي) وأسماء ألمانية مطابقة لها : كتاب المغني ـ كتاب حافظ ـ كتاب العشق ـ كتاب التفكير ـ كتاب الأحزان ـ كتاب الحكمة ـ كتاب تيمور ـ كتاب زليخا ـ كتاب الساقي ـ كتاب الأمثال ـ كتاب الپارسي ـ كتاب الخلد . بل إن الديوان في مجموعه حمل عنواناً بالعربية هو « الديوان الشرقي للمؤلف الغربي » وعنواناً بالألمانية ترجمته : الديوان الشرقي الغربي . كما تضمن نصاً بالعربية هو :

سيلوستر دساسي

يا أيها الكتاب سر إلى سيدنا الأعز
فسلم عليه بهذه الورقة
التي هي أول الكتاب وآخره
يعني أوله في المشرق وآخره في المغرب .

ونصاً بالفارسية مأخوذاً من كتاب گلستان (الروضة) **لسعدي الشيرازي** معناه :

لقد قدمنا هنا النصيحة الخالصة
وقضينا في تدبيجها أياماً من حياتنا .
فإذا استقبحت جرْسَها آذان بعض الناس

فما على الرسول إلا البلاغ .

أما افتتاحية الديوان فقصيدة بعنوان « **هجرة** » .

الشمال والغرب والجنوب تتناثر
وعروش تنفجر ، وممالك تتزعزع
فلذ أنت بالشرق الطاهر
لتنعم بنسيم الآباء الأقدمين

هناك حيث الطهر والنقاء
أريد أن أنفذ إلى أعماق أصول
أجناس البشر
حيث تلقوا من الله
تعاليم السماء بلغات الأرض
ولم يكدُّوا أذهانهم .

حيث كانوا يبجلون الآباء
ويرفضون كل عبادة غريبة
أريد أن أنعم بحد الشباب
بإيمان عريض ، وفكر قليل ،
ولقد كانت الكلمة لديهم عظيمة الشأن
لأنها كانت كلمة يجري بها اللسان .

أريد أن أندس بين الرعاة
وأن أنتعش في الواحات
فإذا ارتحلت مع القوافل
تاجرت في الشيلان والبن والمسك .
أريد أن أطرق كل سبيل
من الصحراء إلى المدائن .

ومهما صعدت شعاباً وعرة ونزلت
فأغانيك يا حافظ تؤنسني ،
عندما يغني الحادي متمايلاً
من فوق ظهر بغله العالي
فيوقظ النجوم
ويفزع قطاع الطريق .

هكذا يتوغل جوته منذ البداية في حياة العرب وقد وجد فيها ضالته المنشودة . فالشرق لديه هو الطهارة والنقاء والصفاء . إنه يحب الصحراء ببواديها ، وطرقها الوعرة ، وواحاتها ومدائنها ، ويحب القوافل ورحلاتها ، والتجار وما يحملون من عطور وتوابل وثياب وطُرَف ، ويحب السماء الرحبة والنجوم ، ويمني نفسه بحياة رغدة بكل ما في الشرق من ترف ، وبالمحبوبة التي يهمس إليها فتحب همسه ، وبالمغنى

الذي يرسل فتشق أجواز الفضاء ، وتبلغ عنان السماء ، ويرى في الغناء راحة لصاحب القلب الرقيق ، ويرى فيه قوة تفزع العتاة . وهو يهرب إلى هذا الشرق لأن الدنيا كلها بشمالها وجنوبها وغربها قد اضطربت واختلت موازينها ، ولم يبق من أمل إلا في الشرق ، لأن الشرق مهد الرسالات ، وصاحب الأصالة التي لا ينازعه فيه منازع ، وصاحب المبادىء الثابتة والتعاليم السمحة . والشرق مهد التراث ، يتلق فيه الأبناء عن الآباء ، منذ أبيهم إبراهيم ، إلى نبيهم الكريم ، كلمات حفظتها الصدور ، تنير الطريق وتؤدي بصاحب القلب السليم إلى النعيم المقيم . وإذا كان الشاعر قد هجر أهله ووطنه سعياً وراء الإيمان ، فإنه يرجو أن يدخل بكلماته الصادقة جنة الخلود .

وقد تأمل جوته القرآن وأطال التأمل ، وأدخل منه في ديوانه الشيء الكثير ، في القصيدة الثالثة من الكتاب الأول نقرأ :

لقد جعل الله لكم النجوم
لتهديكم في البر والبحر
وزينة تتمتعون بها
عندما تنظرون فوقكم إلى السماء .

وراء هذه الأبيات الآية الكريمة : **﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾** (الآية ٩٧ من سورة الأنعام) . ويمكننا أن نقوم بجولة بين جنبات الديوان ننظر في أثنائها خاصةً إلى القصائد التي ترتبط بالقرآن ارتباطاً وثيقاً . هذه هي القصيدة الرابعة من الكتاب الأول ، تحمل عنوان « طلاسم » :

لله المشرق
ولله المغـرب .
وأرض الشمال والجنوب
ساكنة في سلام يديه .

هو الله الواحد الأحد العادل
يأمر بالعـــدل
فتمجدوا بهذا الاسم من أسمائه الحسنى
وارفعوه مكاناً علياً . آمين .

يريد الغي أن يضلني
ولكنك يا ربي تهديني
فاسلك بي سواء السبيل
فيما أعمل وفيما أكتب من شعر .

ولو فكرت في الدنيا
فإني أسعى بفكري لنفع عظيم
وإذا لم يتبدد فكري مع التراب
فإنه يندفع إلى ذاته ويندفع إلى أعلى .

والتنفس فيه نعمتان
نعمة الشهيق ونعمة الزفير ،
الشهيق فيه العسر ، والزفير فيه اليسر .
ومنهما معاً تأتلف الحياة وهي معجزة .
فاحمد الله في العسر
وأحمد الله عندما يجعل بعد العسر يسراً .

والحق أننا عندما نترجم هذا الشعر نجد صعوبة كبيرة لأننا نحاول أن نستشف الألفاظ القرآنية التي لم يعرفها جوته في صورتها العربية ، ولكنها كانت تجول في خاطره من خلال الترجمات . تبدأ القصيدة متأثرة بالآية الكريمة : **﴿ قل لله المشرق والمغرب ، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾** . ثم تمر القصيدة بعد ذلك على أسماء الله الحسنى ، وتقف من بينها عند « العادل » . والتوسل إلى الله وطلب الهداية إلى سواء السبيل كثير في القرآن : **﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾** و **﴿ قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾** . والتفكير في الدنيا بقصد الخير مطلوب في الإسلام : **﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾** . وآية العسر الذي يأتي بعده اليسر معروفة : **﴿ سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾** .

إلى هذا الحد تشبع جوته بمعاني القرآن الكريم وألفاظه . وما هذه إلا قصيدة واحدة من قصائد كثيرة . هناك في الكتاب الأول نفسه قصيدة بعنوان « **الخلق والإحياء** » يقول فيها :

كان آدم ... [illegible] من طين
خلق الله منها الإنسان
ولكن الإنسان جلب من بطن أمه
الكثير من الخبائث .

ونفخ الله في أنفه
أكرم روح
فبدا أعظم مما كان
لأنه طفق يعطس .
. . . . .

تقول الآية الكريمة في سورة « المؤمنون » : **﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾** وجاء في أكثر من موضع بالقرآن الكريم أن الله نفخ فيه من روحه جل وعلا : **﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾** . ويتحدث القرآن عن الإنسان الذي يضل : **﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين ﴾** و **﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾** . وأما أن الإنسان قد عطس بعد أن نفخ الله فيه من روحه فشيء ورد في نصوص دينية كثيرة تحدث عنها

المستشرقون الذين قرأ جوته لهم ، ورد مثلاً في العرائس للثعلبي « . . . ثم نزلت - أي الروح - في خياشيمه فعطس » .

ولقد وصلت معرفة جوته بالقرآن إلى الحد الذي مكنه من الدخول فيما يشبه الحوار مع علماء المسلمين أنفسهم حول القرآن وأزليته وخلقه ، وصاغ ذلك كله في [illegible]

«كان الناس عندما يتلون القرآن
يذكرون السورة والآية
وكان كل مسلم يحس بما ينبغي له أن يحس به
من السكينة والمهابة في ضميره .
أما الدراويش الجدد فلا همّ لهم
إلا اللغو في القديم وفي الحديث
فشاع الاضطراب وزاد .
أيها القرآن الكريم . أيتها السكينة الدائمة» .

كذلك نقرأ :

«هل القرآن قديم ؟
هذا سؤال لا أسأله .
هل القرآن مخلوق ؟
هذا ما لا أعرفه .
أما أنه أم الكتاب
فذلك ما أؤمن به وذلك واجب كل مسلم» .

وهنا يعالج جوته مشكلة من المشاكل المعروفة في تاريخ الفكر الإسلامي ، **مشكلة خلق القرآن** التي اختلف حولها الفقهاء والمتكلمون أشد الاختلاف ، وكان أهل السنّة يرون أن القرآن قديم ، أما المعتزلة فذهبوا إلى أنه مخلوق . وقد بلغت هذه المشكلة مداها في **عصر المأمون** الذي استصوب رأي المعتزلة واعتبره الرأي الرسمي الأوحد ، وحرم الآراء الأخرى وعذب المنادين بها وقتلهم ، وكان **الإمام أحمد بن حنبل** من بين من أوذوا وعذبوا لقوله إن القرآن قديم .

وإذا كانت قصة **أهل الكهف** قد أثرت على تطور فن القصة عند العرب بعد الإسلام ، واحتلت مكاناً خاصاً وقد حكاها القرآن الكريم فيما حكى من أحسن القصص ، فليس من المستغرب أن يهتم بها جوته في ديوانه . ونحن نطالع في « **كتاب الفردوس** » قصيدة بعنوان « **سبعة نيام** » أو إذا شئنا : أهل الكهف :

ستة من أصحاب الحظوة في البلاط
فروا من غضب القيصر
الذي أمر القوم بأن يعبدوه إلهاً
فظهر عجزه عن أن يكون إلهاً :
لأن ذبابة منعته
من أن ينعم بالشهي من الطعام .
ولكم طارد فتيانه الذبابة بمنشات صاعدة هابطة
ولكنهم عجزوا عن الخلاص منها .
وظلت تحوم حول القيصر وتلسعه ، وتتركه
وتصيب الجالسين إلى المائدة جميعاً بالحيرة والذهول ،
وسرعان ما تعود إليه كرة أخرى
وكأنها مبعوث رب الذباب الخبيث .
وقال الفتية : عجباً
هل تعجز الذبابة إلهاً ؟
وهل يمكن أن يشرب الإله ويأكل
مثلنا ؟ كلا ، إن ربنا هو الواحد الأحد
الذي خلق الشمس والقمر
وجعل من السماء ذات النجوم المسرجة قبة فوقنا
هذا هو ربنا ، فالفرار الفرار .
وتلق الفتية الصغار وما عليهم إلا خفيف الثياب والنعال
راع ، فخبأهم ، وآوى معهم إلى كهف في الصخر .
وعز على كلب الراعي أن يبرحهم
كان طريداً كسير القدم
فتمسك بسادته
وانضم إلى الخبيء
إلى من أحبوا الوسن .

وفكر الأمير الذي اعتزلوه
في عقاب ، وقد استبد به الغيظ
فنحى السيف جانباً وكذلك النار
وأرسل إلى الكهف طوباً
وأمر بأن يبني به وبالجير سداً عليه .

واستغرقوا في نومهم
وحمل الملاك الحفيظ الموكل بهم
إلى عرش الرب خبرهم :
لقد قلبتهم
ذات اليمين ، وذات الشمال
حتى لا يمس دخان التعفن بالضر
أعضاءهم الجميلة الفتية .
وشققت شقوقاً في الصخر
حتى تجدد الشمس ، إذا طلعت ، وإذا غربت
خدودهم الفتية .
وهكذا فهم رقود ينعمون .
وكلبهم باسط ذراعيه صحيحتين

ينام نوماً حلواً .

ومرت الأعوام وكرت
وصحا الفتية
وتداعى الجدار
وقد تحلل بفعل السنين .
وقال يامبليكوس الفتى الجميل
أطول الجميع باعاً في الأدب
عندما رأى الراعي خائفاً يتردد :
إني ذاهب لآتيكم برزق من زكي الطعام
مخاطر بحياتي وبقطعة الذهب .

وكانت أفسوس منذ سنين
قد آمنت بدين النبي
عيسى عليه السلام .

فانطلق . فإذا الباب والحارس
والصرح وكل شيء تغير .
ولكنه أسرع إلى أقرب مخبز
وطلب خبزاً .
فصاح الخباز : تباً لك
هل عثرت على كنز يا أيها الفتى .
لقد فضحتك قطعة الذهب
فاشتر بنصف الكنز سكوتي .

وتنازعا . وعرض الخلاف على الملك
وإذا بالملك يريد القسمة
كالخبـــاز .

وتتابعت الشواهد البينة عدتها مائة
وتحققت المعجزة .
وعرف الفتى كيف يثبت حقه
في قصره الذي كان قد بناه بنفسه .
فما نقبوا عن عمود سميك
حتى انتهوا إلى كنوز أسماؤها مبينة .
وسرعان ما تجمعت العشائر
تقيم على النسب الدليل .
وكان الجد القديم ، يامبليكوس بوجهه الوضاح
يقف بينهم في عنفوان الصبا .
وسمع الرهط يتحدثون عن ابنه وأحفاده
حديثهم عن الأجداد القدامى .

وأحاط به أحفاد الأحفاد زمرةً
أمة من الشجعان
وبجلوه كبيراً لهم وهو أكثرهم شباباً .
وتجلت العلامة بعد العلامة
حتى استقام الدليل .
وأقام هو الدليل على من يكون
ومن يكون رفاقه .
ثم عاد إلى الكهف
والشعب يصحبه والملك .
ولم يعد الصفوة
لا إلى الشعب ولا إلى الملك
لأن السبعة ، وثامنهم كلبهم ،
اعتزلوا الدنيا وما فيها
من قديم الزمن
وشاءت إرادة الله
أن تضمهم قدرة جبريل التي لا يعلم سرها أحد
إلى الفردوس
فبدا الكهف موصداً .

في هذه القصيدة الكثير من قصة أهل الكهف كما وردت في القرآن الكريم (سورة الكهف) ولكنها تستند على نحو أكبر إلى مواد أخرى مثل **قصة النمرود** التي أوردها الثعالبي في عرائسه ، وقصة اضطهاد القيصر (دقيوس في القرن الثالث الميلادي) . وكان المستشرقون الأوروبيون قد عرفوا هذه الأشياء ودونوها ، وقرأها جوته في مختارات **يوزف فون هامر پورجشتال** التي أسماها «**كنوز الشرق**» ، ويمكننا أن نكوّن صورة عن تبحر جوته في الدراسات الشرقية ، وبخاصة الإسلامية ، عندما نطالع ملحق الديوان وما يشتمل عليه من أبحاث ودراسات وتعليقات كثيرة .

وقد عرف جوته الكثير من **حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، مثل الحديث القائل : «استوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضلع ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج» . ونقله إلى ديوانه قائلاً :

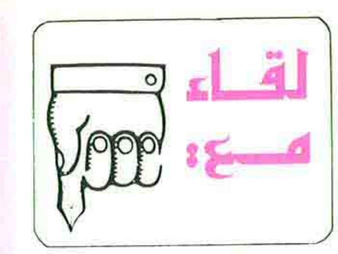
عاملوا المرأة بالرفق
فقد خلقت من ضلع أعوج
فإن ذهبت تقيمه كسرته
وإن تركته ازداد عوجاً .
مسكين أنت يا آدم ، هل بليت بمحنة أقسى من هذه ؟
عاملوا المرأة بالحسنى :
فليس من الخير أن يتحطم ضلع من ضلوعكم .

ومن أقوال جوته في الديوان :

إذا كان الإسلام يعني الاستسلام لله
فإننا جميعاً نعيش ونموت على الإسلام .

فهو لا يقف عند هذا الحد بل يرجو دخول الجنة كما يدخلها المجاهدون ، فهو يقول للحورية :

اسمحي لي بدخول الفردوس :
لقد كنت إنســانا
ومعنى هذا انني كنت مجاهداً .





أجرى اللقاء
محمد مبارك

الدكتور المهدي بن عبود في سطور

- ولد بمدينة سلا بقرب مدينة الرباط ـ المغرب في ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩١٩م.
- دخل الكتّاب العام ودرس بمدرسة أنشئت في منزلهم كان يقوم عليها أخوه الأكبر.
- التحق بالمدرسة الابتدائية الحديثة، ثم الثانوية وكانت الدراسة أغلبها بالأفرنسية.
- منذ صباه زاول بعض الأعمال التجارية مع الدراسة.
- درس الطب بفرنسا.
- ابتعث للولايات المتحدة الأميريكية لدراسة الأمراض الجلدية.
- كان مبعوثاً للحركة الاستقلالية المغربية سنة ١٩٥١م.
- انضم إلى المقاومة المسلحة وكان مبعوثها بالشرق الأوسط.
- عين سفيراً بعد الاستقلال في الولايات المتحدة الأميريكية ومندوباً دائماً للمغرب في الأمم المتحدة.
- عام ١٩٦١م، عاد إلى مهنة الطب.
- ألقى عدداً من المحاضرات الدينية بالمغرب العربي والغرب والشرق المسلم وأوروبا.
- شارك في العديد من المؤتمرات واللقاءات الإسلامية العالمية والعربية.



الإسلام والعصر

الإسلام .. والعصر

في لقائنا مع الدكتور المهدي بن عبود .. العالم والمفكر الإسلامي الذائع الصيت .. ناقشنا عدداً من مواضيع الساعة، ومواضيع المستقبل.

لم نشأ أن يكون حوارنا ولقاؤنا مع الدكتور المهدي بن عبود محصوراً في إطار ضيق وفي موضوع واحد .. بل أردنا أن ننساق به مع اهتماماته، وتعدد معارفه التي عرف بها.

فالرجل يمثل نموذجاً جيداً للفكر الإسلامي المعاصر المتصل بكل العلوم والفنون والمعارف الإنسانية، وهو صورة للمفكر الحقيق البعيد عن التزمت، والتقوقع، والرفض لمجرد الرفض، أو القبول لمجرد الرضا الشخصي، ولكن الرفض والقبول عنده ينبثقان من قناعة، وينهلان من حقيقة.

ولكي يستمتع القارئ بحديثه المونق المورق المفيد نكتفي بهذا المدخل البسيط الذي نعترف أنه لا يعطي الرجل حقه.

عقيدة المستقبل

●● الإسلام كعقيدة تهدي الإنسان .. كيف يجب أن تكون في المستقبل؟

● «من الضروري أن تتصف عقيدة المستقبل بأوصاف معينة، طبعاً هذه الأوصاف غير محصورة ولا يمكن أن يرى منها أي إنسان إلا ما قدر له أن يرى منها.

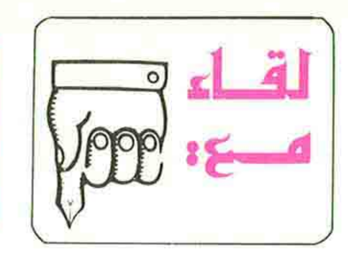
وعقيدة المستقبل يجمع بها الإنسان شملان .. روحه وجسده .. أما في العصر الحاضر، فنرى صيحات كثيرة تدعو إلى أن الدين في جهة والدولة في جهة أخرى، وجعلوا التدبير الإلهي في ناحية والتدبير البشري في ناحية أخرى.

وعندما يقول قائل إن الإسلام طيب ولكن العصر الحالي فيه عدالة اجتماعية وهناك تقدم في المجتمع والطبقات تتطاحن ولا بد أن تضاف هذه الأشياء إلى الإسلام .. فنقول له على الفور:

إن الله غني حميد، فالعقيدة جامعة مانعة جاءت لرتق الفتق كما يقولون وهي في نفس الوقت مانعة لغيرها فكل اضافة تشويه.

ويقال في **الأساطير اليونانية** إن نحاتاً أراد أن ينحت أجمل النساء على وجه الأرض فأخذ أجمل أنف وأجمل فم وأجمل شعر وأحلى عين وأنضر وجه إلى آخره ورتق بينها فكانت .. أبشع فتاة في الأرض وذلك لعدم مراعاة التناسب والتنسيق بين الأجزاء .. لذلك **خلق الله كل شيء بقدر محدود.**

وعلى ذلك فالوصف الأول للعقيدة في المستقبل هو الترميم والتنسيق، أما الوصف الثاني فهو التكامل .. فهي متكاملة مع بعضها البعض كما أن العالم متكامل مع نفسه **والله سبحانه وتعالى أعطى كل شيء**



خلقه ثم هدى . والإنسان خلق في أحسن تقويم وهو جزء من الايقاع المتناسب لعجلة الحياة . وصفة التكامل تعني تقنين الاجتماعيات والنفسانيات والماديات .

﴿ وكل شيء فصلناه تفصيلاً ﴾ وخير الأمور أوسطها . **فالفضيلة** هي الوسط بين رذيلتين ، **والشجاعة** هي الوسط بين التهور والجُبْن . هذا التكامل كان كافياً لارجاع الغافلين في القرن العشرين الذين يتشدقون بالحضارة .

وكثير من أصحاب المذاهب الغربية ماتوا حنق لعدم وجود التكامل بين أفكارهم واحتياجات أرواحهم وأجسادهم أو طغيان إحداها على الأخرى .

والأمة الإسلامية أمة وسطاً ، والإسلام لا يفهم إلا باستمرار التفكير فيه والتعمق في معانيه .

وعقيدة المستقبل تضمن انتصار الحق على الباطل ، وإن انتصر الباطل في أولى جولاته مع الحق . **والإيمان هو الضمانة العليا لنصرة الحق على الباطل** .. والآن نقرأ عجباً في الصحف والمجلات الأجنبية وحتى من أعداء الإسلام حيث **يعترفون بأن الإسلام هو العقيدة التي يمكن أن تسعد الإنسان وتشفيه من أمراضه وتشفي غليله ووصفوها بالتكامل ولم يجدوا عقيدة وحيدة على وجه الأرض تحل محله أو تمثل مكانته ورأوا ضرورة الرجوع إلى أصوله .**

وهذه العقيدة المرغوب فيها في المستقبل تتوافر فيها كل ما يرضي القلب والجسد وتشبع رغبات الإنسان في حلال وتمنع الإنسان من أن يوغل في الشر وتمنحه الشعور بالقوة والسعادة مع الكرامة والعزة ولا يكون كل ذلك مستقبلاً إلا كما كان في الماضي بالعقيدة الإسلامية **﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾** ... » .

الشباب المسلم

●● يلاحظ أن بعض الشباب المسلم حين يقرأ أو يتثقف يتجه نحو الثقافة الغربية أو الشرقية فما رأيكم في شباب اليوم وكيف نقوم إسلامه وننمي لديه ثقافة تنفعه وتفيده ؟

● « معرفة الدواء تقتضي أولا معرفة الداء وتشخيص المرض ، فالداء يظهر على الشكل الآتي عندما نتكلم عن الشباب فإنما نتكلم عن سن معين لم يكتمل تكوينه بعد ، والشيء الثاني أن الشبان مثل الكهول أنواع بحسب طباعهم ، فهناك الطبع المتزن ، وهناك الطبع المتهافت ، وهناك الطبع المتهور ، وهناك الطبع المنجرف ، وهناك الطبع الخامل ، إلى غير ذلك . وهذه الطباع يختلط في ذهن أصحابها الفرق بينها وبين العقول . فالعقول كذلك أنواع هناك العقل الهندسي المحض ، وهناك العقل العلمي المحض ، وهناك العقل الذوقي ، وهناك العقل الشعوري العاطفي ، وهناك العقل العاطفي ، وهناك العقل الفلسفي ، وهناك العقل السطحي إلى غير ذلك .

★ أولا ينبغي أن نتعرف على شبابنا وأن نعرفهم بأنفسهم بحسب علم الطباع من ناحية وبحسب اختلاف العقول وتفاوتها من ناحية أخرى ـ هذا هو الشيء الأول .

★ أما **الشيء الثاني** فنظراً لعدم تكوينهم تكويناً كاملاً حيث ينقصهم ما يقرب من ٢٠ سنة إلى ٣٠ سنة من المطالعة و ٢٠ إلى ٣٠ سنة من الأسفار واختيار الناس ومشاهدتهم ومخالطتهم و ٢٠ إلى ٣٠ سنة ، مما يدعى بالمحاولات والأخطاء إلى غير ذلك .. فالتجربة هي أكبر معلم وهم ينقصهم أغلب ما ذكرته فسينجرفون مع من يعظمونهم في قرار أنفسهم فهم يرون أن الغرب قوي إذن ينبغي أن يعظم وكل ما يخرج من الغرب يكون في نظرهم صالح ... وهذا تفكير ساذج وينبغي أن ينبهوا لهذه السذاجة بانتقاد ما يصدر من الغرب وإظهار سذاجته أو أغراضه أو ايضاح أخطائه لهم حتى يكتمل تكوينهم العلمي وعقلهم العملي ومنهجهم العلمي إذ بدون العقل العلمي لا إسلام صحيح .

★ **الشيء الثالث** ـ ألا يكون الشباب المسلم ضحية لمغرضين ، وهنا ندخل في مشكلة شائكة جداً وهي أن الحركة **الصهيونية** تتخذ من **الحرب النفسية** وسيلة لإضعاف العقول المسلمة وبالتالي تضعف مقاومتها وذلك بوسائل شتى .

● التمزيق السياسي بتشتيت الناس إلى أحزاب .

● إضعاف العقيدة الدينية الحقيقية التي من شأنها أن تقاومهم مقاومة جبارة نظراً لروح التقديس فيها وروح الاستشهاد فيها فهم يضعفون الدين بتشجيع كافة السبل والأحزاب التي لا تناصر الدين مهما كانت يمينية أو يسارية . فالأموال تتدفق وشياطين الإنس يتسربون إلى هذه الأحزاب ويشجعونها ويسعون لإحداث القلاقل ويمرضون الناس فيها إذا ما كان الحكم يقاومهم .. ولا أدل على ذلك من برقية صدرت بعد **٥٠** سنة من تاريخها ضمن نشرة **الوثائق السرية في الولايات المتحدة الامريكية** ، وقد صدرت البرقية من **المليادرير العظيم بمن يسمى روتشيلد الولايات المتحدة** الذي كان في أيام **ويلسون** .. وقد



أرسل هذا الملياردير برقيته إلى **لينين** يقول له فيها إنه فتح حساباً بأحد بنوك ألمانيا لتمويل ذلك الصهيوني ثورة لينين الشيوعية، وبرقية أخرى بعد نجاح **الثورة الشيوعية** يهنئه فيها بالإطاحة بحكم كان يحارب .. **أبناء جلدتنا اليهود .**

ونفس الشيء يقع في عدد من الأحزاب التي تسمي نفسها تقدمية أو ثورية أو مادية أو غير ذلك نظراً لكون اليهود يتسربون إليها أو يكونوا هم الذين أسسوها في أول الأمر، ولا أدل على ذلك من التجربة المرة التي ذكرها **قدري قلعجي** في كتابه «**تجربة عربي في الحزب الشيوعي**» رأى بأن الحزب الشيوعي اللبناني والسوري والمصري والعراقي أسسها يهود، بعضهم جاء من روسيا بحيث نرى أن الشبان عندما يتهافتون على الأفكار الآتية من الغرب فإننا ينبغي أن ننبههم باحتمال وقوعهم في شراك الشيوعية أو الصهيونية .

وهناك موضوع آخر ألا وهو **التقليد الأعمى**، فكلما كان الإنسان صغيراً اتبع أسلوب التقليد لأن التقليد هو صديق الصغار وعدو الكبار، فالصغير دون تقليد لا يتعلم أن يتكلم أو يمشي أو يكتب، هذا التقليد الذي هو عبارة عن منهاج يسلكه ضعاف الإرادة لأن **الابتكار ينبغي مجهود وينبغي طول الزمان وينبغي عمق ومثابرة يمكن أن ترهق الإنسان وينبغي تجربة طويلة مع استبصار مع تفتح القلوب للبصيرة .**

والاستبصار هو أخذ العلم مع الاعتبار بهذا العلم ومع أخذ الحكمة الداخلة في هذا العلم والاعتبار هنا هو **الاتعاظ من الخطأ واتباع طريق الصواب والنجاح** .. هذا من جهة ثم تأتي مسألة **الطباع** فبكيفية عامة قام **البرهان** في علم النفس المتعلق بوصف طباع الناس أن المتهورين والمغامرين دائماً أقلية وتلك الأقلية دائماً هي التي تكوِّن المواقف المتطرفة حيث تكون على يد أناس عددهم قليل ومغامرون ومتهورون إلى حد الشطط والحمق ومنهم من يريد تقريباً أن يؤله نفسه ولا أدل على ذلك من النموذج الكاريكاتوري الذي ظهر في شخص **بوكاسا بنو كاسا** ذلك الشخص الكاريكاتوري جاء ليوقظ الناس الغافلين من غفلتهم وكأنه رحمة من عند الله ليتعظ به الناس وليعلموا أن هذا الطراز الغريب لم يكن متقدماً في نوعه وسط ملايين البشر فلا بد له من أشباه حقاً قول الشاعر العربي «**إن البواكس في الدنيا بلا عدد**» **ونرى أن المسؤولية ليست دائماً على الشباب بمفردهم ولكن المسؤولية تتقاسمها الأسرة بأسرها**، وهنا يدخل طور الأمة الإسلامية الحاكمة والمحكومة **فالمسؤولية مشتركة بين الحاكم والمحكوم**، هذا ويتعاون الكهل مع الشباب فدور الكهل يكمله الشاب .. فالأول عليه الحركات الإصلاحية والفكرية والتعمقية فيما يتعلق بالاستبصار في الأمور وعلى الشباب الحركات الجهادية التي تحتاج إلى قوة أبدانهم فنرى إذن أن الموضوع متشعب الأطراف والقدوة الصالحة تنير طريق الشباب المسلم في الأسرة والبيئة والمجتمع .

ويجب على الأمة الإسلامية أن تقدم لشبابها البديل الثقافي الإسلامي الذي يغني شبابها عن التزود من ثقافات غريبة سواء غربية أو شرقية » .

الإعلام الإسلامي

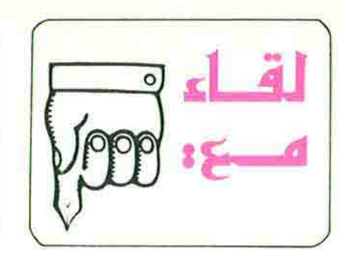
●● الإعلام الإسلامي ما دوره في التعريف بالإسلام؟

« الإعلام الإسلامي بمعناه الإعلام القائم على الأسس الربانية الإسلامية هذا ينبغي أن يوجد . وهناك إعلام المسلمين، والإعلام الإسلامي، فإعلام المسلمين تابع للحكومات في الدول الإسلامية وإذا كانت صالحة سيكون الإعلام صالحاً وإذا كانت فاسدة مستبدة فسيكون الإعلام لخدمة الحكم القائم وليس لخدمة الأمة الإسلامية .

أما الإعلام الإسلامي وهو المبني على نصرة الحق بطرق الحق، لا بالالتواء، ولا بالخديعة .. لا بالكذب الكبير الذي يصعب تكذيبه بعد أن ينتشر ويرسخ في الأذهان، لا بمخادعة الناس لأن الإسلام جاء ليبرز لهم صورتهم الفطرية التي خلقت في أحسن تقويم فلا ينبغي أن تكون وسيلة الايصال لهذه الصورة وسيلة في غير أحسن تقويم وإلا ستكون وسيلة عصيان لتبليغ الحق والعصيان لا يبلغ بالحق .

فهنا الموضوع طويل ومتشعب لأنه مبني على علوم، والإسلام علم، والله سبحانه وتعالى عندما يتوجه لرسوله الكريم يقول ﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم** ﴾ لا من الأيديولوجيات ولا العقائديات ولا المذاهب الفلسفية والشطط .

العلم، والعلم الثابت الصالح الدائم القويم وهذا سيكون قدوة حسنة وبواسطة هذا الإعلام الذي هو منهاج ستكون الغاية المقصودة مربوحة نصف الطريق نظراً لأن الناس يتأثرون بالاستقامة حتى العدو يتأثر بالاستقامة ويعظم صاحبها وهذا ثابت بتجارب الأمم وتجارب الأفراد في نفس الوقت . **فالإعلام الحقيقي هو القائم على الحق، لأن الحق قوة لا تماثلها أي قوة** » .



الإنسان والأمانة والتوافق

●● وماذا عن الإنسان .. وتحمله الأمانة .. وتوافقه مع روحه وعقله ومجتمعه؟

● «لقد خُلق الناس حسب تعاليم ربانية ليتسنى لهم التشابه المعنوي والتفاهم العقلي رغم اختلاف الألوان واللغات والأجناس ومسقط الرأس والماضي فيما نسميه اليوم بالحضارات، كل ذلك لتكون للإنسانية صورة صالحة مطابقة للمشيئة الربانية العليا، أي مطابقة للفطرة التي خلقت عليها مرتبطة بميثاق، أي معاهدة بين الخالق والمخلوق، رحمة من الخالق وتكريماً للمخلوق حتى تكون هناك بين العلي القدير الذي لا حد لاطلاق علمه وحكمته وقوته يكون هناك ميثاق لتتجلى في أوضح معانيه صور التفضيل والتكريم والقدرة لهذا المخلوق البشري نظراً لكون سائر المخلوقات يحتاج لهذا التكريم والتفضيل، وقد خُلقت لتكون مسايرة لهذه المشيئة الربانية في القوانين الظاهرة والقوانين الباطنة وما يختلج في الصدور.

إذا كان هذا الإنسان مُكرماً لهذه الدرجة حتى يكون بينه وبين ربه ميثاق فهو إذاً حر ليكون مسؤولا ولهذا ينبغي أن يستحق هذه الحرية حتى تتوضح في ذهنه لماذا أشفقت سائر المخلوقات من حمل الأمانة وحملها للإنسان حتى يكون مثالاً أصيلاً.

إذن الحق هو طريق الصواب للتوافق بحسب لغة علم النفس وعلم الاجتماع اليوم، أو التكيف مع الوجود. والوجود المطلق لله سبحانه وتعالى والوجود المحدد هي البلاد التي نعيش فيها واللغة التي نتكلم بها والمعاني التي تجري في عقولنا إلى آخر ذلك.

وهذا التكيف يكون غير محصور كما هو اليوم بمفهوم علم النفس وعلم الاجتماع فالتكيف مع البيئة الجغرافية يقتضي تغيير اللباس بين خفيف وثقيل. ثم إن المدن لا تكون إلا بقرب الماء في أغلب الأحيان يقول تعالى ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي ..**﴾ إلى غير ذلك.. هذا التوافق الظاهري المحدود هو توافق موجود وحقيقي ولكنه جزئي.

وإلى جانب التوافق مع **البيئة الجغرافية هناك التوافق مع البيئة الاجتماعية** ولذلك نزلت الشرائع لتربط بين النفوس المجزءة وهي نفس واحدة في أجسام مختلفة.

ثم هناك توافق ما بين **الإنسان ونفسه** وهنا يدخل ألم المدينة المعاصرة التي مزقت الإنسان من نفسه شطرين شطر يسمى **بالروحانيات والمعنويات** وشطر يسمى **بالماديات** إلى حد أن هذا التمزيق آل إلى الغفلة بنسيان المعنويات والمعقولات العليا مع التشبث بملء الفراغ أو التشبث بالماديات والدخول في الوثنيات.

فالتوافق بين الإنسان ونفسه لا معنى له إلا إذا استمد أساساً قويماً يكون حجة له أو عليه وهذا الأساس هو الأسماء والصفات الالهية. فالعلم من العليم، والقدرة من القدير، والرحمة من الرحيم، والرأفة من الرؤوف.. الخ.

والعقل أساس التوافق بين الخالق والمخلوق.. فلولا العقل لما بقيت هناك أمانة يتحملها الإنسان. ولا يكون مدلول جعل الإنسان خليفة لله في الأرض.. فالمجنون لا ربط بينه وبين ربه، والرضيع مربوط بربه كسائر المخلوقات لكنه غير مكلف فلا بد أن يتوافق الإنسان مع عقله. وكما علمنا القرآن الكريم عندما يقول: ﴿قلوب يعقلون بها﴾.

وهناك دائرة أخرى ينبغي للإنسان أن يتوافق معها وهي دائمة الإيمان المطلق الذي لا يكون إلا بالغيب.

فإذا تمشى الإنسان مع هذه السنن التالية لن يجد لها تبديلاً ولا تحويلاً يكون مجتمع الشمل، شكلاً وموضوعاً تابعاً للشرائع، وقوانين الأخلاق، وقوانين الذوق الباطني، وقوانين المنطق السليم، وتابعاً لاندماجه وانسجامه مع المشيئة الربانية وهي الإيمان بالغيب.

﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾.

كما أن الإنسان يجب أن يتوافق مع عالم المحسوسات، وأولها أن يتوافق مع جسمه فلا يحمله ما لا يطيق ويتعدى حدود الله. وإذا ما فرغ القلب من ذكر الله ووقع الإنسان في شراك الملذات والانهماك فيها لاطفاء الألم الذي ألم بالنفس بعد فراغ القلب يقع الجسم في المرض ثم يتلو ذلك مرضاً اجتماعياً ويكون الإنسان جائراً على أخيه بدلا من أن يكون له كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً».

بين العلم والعلوم

●● وعن العلم والعلوم والفرق بينهما قال:



● « العلم إما أن يكون مستعملاً بالمفرد فنقول العلم ، وإما أن يكون مستعملاً بالجمع فنقول العلوم ونرى أن هناك تخليط بين العلم والعلـوم . . فالعلوم مثل النحو والصرف والـكيمياء والفـيزياء والـرياضيات تـزيد وتنقص ، تتأخر وتتقدم ، ومن حين إلى آخر يـكتشف أن بعض قـوانينها فاسدة عندما يكتشفون خطأ ما كانوا يعتقدونه صحيح .

والعلم بالمفرد لا يجوز إلا لله سبحانه وتعـالى ، لأن مفهـومه مفهـوم الاطلاق والصحة الحق في نفس الوقت .

وما يسمى بالعلم حالياً هو خلط واضح بـين مجـموعة مـن المعارف والعلوم المبنية على الملاحظة والاستقراء والتجـربة والخطأ » .

الأخلاق . . والعصر

●● الأخلاق ، اليـوم تـرتدي أثـواباً يقـولون إن العصر يدعو إليها . . ما رأيكم ؟

● [illegible] لا تفهـم إلا إذا أسسـناها على أسـاسها الصحيح الشرعي وهو ما جعل الله من فطرة في داخل الإنسـان مستمدة من الأسماء والصفات الربانية العليا حتى يكون سلوك الإنسان سلوكاً فيـه نوع من التقديس ، صبغة من البهاء والرفعة والعزة الربانية .

واليوم تغيرت معاني الأخلاق ، ويقولون بـأن الأخـلاق مـا هـي إلا محض اختلاق للطبقة الحاكمة لتستغل الطبقة المحكومة ، إذن لم يبق أساس حتى للأخلاق بل **وصل الضلال إلى جعل الضلال علماً** .

التفكك المعنوي أصبح هو المنطق . .

وكما يقول شوقي . . إنما الأمم الأخلاق . .

واليوم في ظل الأخلاق غير الإسلامية يقع التفكك الاجتماعي وما نراه من إباحية وانحلال واختلاطات غير مشروعة في بقاع الأرض تقع كلها من الأبناء تحت نظر الآباء والأمهات كل ذلك وغيره مـا هـو إلا انعـكاس للنظرة غير الإسلامية للأخلاق وقوانينها وأسسـها . يقـول **أفلاطون** في الفصل الخامس من جمهوريته ما معناه إنه عنـدما يتملـق الـكبار للصـغار ويثور الصغار على الكبار فانتظروا الانهيار في الـدولة . فـالذي يجـوز هـو التكامل بين المجموعتين ، **وأرى إذن أن ما نعيش فيـه اليـوم هـو نوع جديد من الجاهلية التي لها حنفاؤها** .

ولكن الله سبحانه وتعالى حريص دائماً أن يجـدد الـرسالة على رأس كل مئة سنة . . فلا بد للبذرة الصالحة من أن تكون حاملة للأفكار النيرة وثانياً للشوق إلى التجديد في الدعوة » .

المؤلفات الأجنبية

●● ما رأيكم فيما يصدر من كتب ومـؤلفات عـن الإسـلام في بلاد الغرب وعالم الاستشراق ؟

● « الحكم على الشيء فرع من تصوره ، إذن لكي نحكم على هـذه الكتب والمؤلفات ، فإنه ينبغي تجميعها والبحث عنها في مـكتبة معينـة تخصص بما يصدر في الغرب عن الإسلام بـكيفية عـامة وعـن أركان الإسلام بكيفية خاصة ؛ وشيء آخر ، فلنعلم أن الله قد خلق الناس أنواعاً **وأن المستشرقين يمكن أن يتصورهم الإنسان على أربعة أنواع** .

★ **النوع الأول** : هو النـوع المغـرض الـذي كان دائمـاً في ركاب الجيوش المحتلة للبلدان الإسلامية وكان يـواكبها ويـواكب أوامـر المحتل في استعماره للرقعة الجغرافية ، كما ينبغي أن يستعمر الناحية العقلية واللغـوية والفكرية بمحق لغة البلاد وهي **لغة القرآن الـكريم** ، وبتغيير تصـور الوجود الإسلامي في ذهن الإنسان بغرض فرض تصور الوجود الغربي كما يتصوره الغربيون أنفسهم رغم ثورتهم عليه اليوم .

★ **النوع الثاني** : أعداء الإسلام صراحة الذين يقومون في عصرنا الحالي بحرب نفسانية شعواء على طريق الاستشراق .

★ **النوع الثالث** : بعض العلماء الذين يريدون الاحتفاظ بـالنزاهة العلمية مع محافظتهم على ديانتهم إذا كانوا مسيحيين أو غير مسيحيين ، أو على موقفهم الإلحادي إذا كانوا لا يؤمنون بشيء ولكن من الناحية العلمية يريدون أن يقوموا بدروس نزيهة رغـم كونهـا دروس شـخصية وفـردية ومعرضة للخطأ وهذا ينبغي الاحتراس منه .

★ **النوع الرابع** : من يهتدي منهم إلى الإسـلام ويصبح مسـلماً فهذا ينبغي تشجيعه والتعرف عليه لأن التعرف عليه فيه تشـجيع ضـمني مثل « **مونتغ** » المستشرق الفرنسي الـذي أعلن إسـلامه مـؤخراً ومثـل « **بركهارك** » في سويسرا وهو من أكبر المسلمين المؤمنين المعروفين اليوم في الغرب وأيضاً مثل « **ميشيل** » الفرنسي الـذي كان إلى السـنة الماضيـة في وزارة الثقافة بالرباط كمساعد عن طريق منظمة اليونسكو وحَسُنَ إسـلامه ورأيناه في بيته يصوم رمضان . . وغير هؤلاء .

إذن كل ما جاء من الغرب حول الإسـلام يجـب أن يـرى بهـذا الاستبصار حتى لا نقع في مكائد أعداء الإسلام ، ولا نقـع في المصـادقة على الأخطاء حتى عند النزهاء ، وحتى لا نظلم الغير وهم من المهتدين » .

تشع بنور الله أنى تلفتت

شعر: رضوان الشيخ محمد

قرونٌ على البلوىٰ استكانتْ فلا صبرُ ... دَجَا الخَطْبُ فيها واحتوىٰ عيشها القهرُ
تفشَّتْ ضلالاتٌ جسامٌ وأمرعتْ ... رزايا، فعمَّ اليأسُ وانصدعَ الأمرُ
وأغضىٰ على الآفاقِ ظلٌّ وظلمةٌ ... وغابتْ نجومٌ، طالما لمعتْ، زُهْرُ
فلا الشرقُ شرقٌ مثلما كان منبعاً ... لأسمىٰ ضياءٍ ما رأى مثله الدهرُ
تناهبه الأغرابُ من كلِّ رقعةٍ ... بشتَّى أساليبٍ يصاحبها غَدْرُ
وأعمل فيه الحاقدون سيوفهم ... وقد فاتهم أنَّ القفار لهُمْ قبرُ
وأنَّ لنا من ديننا خيرَ ناصر ... إذا ما ادلهمَّ الليلُ واعتكر الفجرُ
فقام إلى الجُلّىٰ رجالٌ أعزةٌ ... نَمَوا في رحابِ الله يحدوهُمُ نصرُ
رِجَالٌ لعهد الله أعطوا حياتهمْ ... وجادوا وضحَّوا ليس يثنيهِمُ عُسْرُ
فقامتْ على أرض الجزيرةِ دولةٌ ... يتيمةُ عصْرٍ، لم يرَ مثلها العَصْرُ
تشعُّ بنورِ الله أنَّى تلفَّتت ... على السيفِ والتوحيدِ راياتُها الخُضْرُ
صدى صوتها الصافي يَرنُّ مبجَّلاً ... بغربٍ وشرقٍ ما به أبداً قَسْرُ
قلوبُ الأعادي مثلُ أوجار غابةٍ ... تكيدُ، وكيدُ الله ليس له حَصْرُ
يُريدونَ إطفاءً لنورٍ مقدس ... وقد جمعوا الأشتاتَ واحتازهم وَجْرُ
تزيَّوا بزيٍّ واضح فاضح إذا ... تبدّىٰ ضياءٌ، لم يعدْ لهُمُ سِتْرُ
على العُربِ والإسلام غذّوا نصالهم ... فَعُدْنَ وفي شفراتِهن دِماً حُمْرُ
«تَمَرْكَسَ» رهطٌ سادرٌ في ضلاله ... أفاعيلهُ شَيْنٌ وأقوالهُ هَذْرُ
وغالىٰ سواهم «بالتغرُّبِ» غافلاً ... من السمِّ يحسو والحِساءُ هو الخُسْرُ
فلو أدركوا تاريخهم ما نَبَتْ بهم ... دروبٌ فضاعوا، ليتَ يثنيهِمُ الزَّجْرُ
أولئك لو عادوا إلى الأمس وانضووا ... بظلِّ الهُدى، فُزْنا وحالفنا النصرُ





حينما نكتب عن علي أحمد باكثير بعد مرور عشرة أعوام على وفاته ، فإننا نكتب عن شخصية متميزة في تاريخ الأدب العربي المعاصر تؤكد الحضارة والإنسانية من خلال الفن للمنطقة العربية بأسرها .. لقد كان باكثير شخصية غاية في التفرد بين القدامى والمعاصرين .

علي أحمد باكثير

والمسرح الشعري في الأدب الحديث

بقلم : د . عبد العزيز شرف



★ أحمد شوقي ★

المكونات الأولى للرؤيا الابداعية

ولد باكثير في ٢١ من ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩١٠م، في **أندونيسيا في «سورابايا»** من أبوين عربيين من **حضرموت**، ولم يلبث والده أن صحبه إلى حضرموت وهو صغير حيث نشأ وتلقى ثقافته العربية. وفي حضرموت كانت نشأته الأدبية حيث **بدأ ينظم الشعر منذ بلغ الثالثة عشرة** من عمره.. **وكان جل اهتمامه بالشعر**؛ ومبلغ اجتهاده للتبريز فيه، فلم يدع ـ على حد قوله ـ ديواناً لشاعر من الأقدمين أو المحدثين وقع في يديه إلا قرأه التهاماً. وكان مثله الأعلى في الأقدمين **أبو الطيب المتنبي**، وفي المحدثين **أحمد شوقي**، غير أن باكثير لم يتح له الاطلاع على شيء من **مسرحيات شوقي** إلا بعدما رحل عن **حضرموت**، فأقام سنة في **الحجاز**؛ متنقلاً بين **مكة والمدينة والطائف**، وفي **الطائف** كتب أولى

مسرحياته الشعرية، وكانت مسرحيات شوقي هي أولى ما عرف من هذا الفن المسرحي «فكان عنده عجباً أن يرى الشعر الذي كان يعرفه للتعبير عن ذات الشاعر أو لوصف شيء من الأشياء مهما يكن موضوعياً، فلا بد أن يشوبه شيء من ذاتية قائله، **كان عنده عجباً أن يرى هذا الشعر وقد تحول إلى حوار ومساجلة بين اثنين أو أكثر على نحو يجعل كل شخصية تعبر عن ذاتها ووجهة نظرها، ويضعها في صراع مع غيرها من الشخصيات، ويدور كل ذلك حول قصة واحدة هي مادة هذا العمل الشعري**».

ويضيف باكثير أن اطلاعه على هذه المسرحيات الشوقية كان له أثر كبير في نفسه، وأراه لأول مرة في حياته كيف يمكن للشعر أن يكون ذا مجال واسع في الحياة حين يخرج عن نطاق ذاتية قائله إلى عالم فسيح يتسع لكل قصة في التاريخ أو حدث من الأحداث. فكتب مسرحية شعرية أسماها «**همام أو في عاصمة الأحقاف**»

وذلك في مدينة الطائف حيث كان يقضي فترة الصيف بين طائفة من أدباء الحجاز يخص منهم بالذكر الأستاذ حسن محمد كتبي الذي كان يطلعه على ما ينظم من المسرحية أولا بأول ويؤكد باكثير أنه كان لتشجيع الأستاذ كتبي فضل كبير في انجاز هذا العمل.

وقد كتب باكثير هذه المسرحية دون أي إلمام سابق بفن المسرحية، فكانت النتيجة ـ كما يعترف هو ـ قصائد ومقطوعات من الشعر بين رقيق وجزل يجمعها موضوع واحد وينظمها إطار واحد «ولكن لا يمكن تسميتها مسرحية إلا على سبيل التجوز لافتقارها إلى المقومات الأساسية للمسرحية من بناء وحركة وحوار ورسم وشخصيات».

شكسبير ودراسة الأدب الإنجليزي

في سنة ١٩٣٤م ذهب باكثير إلى **مصر** وانتظم في دراسته الجامعية؛ متخصصاً في الأدب الإنجليزي، **بجامعة القاهرة**، وما إن سلخ عاماً فيها حتى وجد نفسه في بلبلة نفسية من حيث نظرته إلى الشعر الذي كان ينظمه وينشره في الصحف، فقد غيرت هذه الدراسة من نظرته لمفهوم الأدب كله فأخذ يعيد النظر في المقاييس الأدبية التي كانت عنده من أثر ثقافته العربية؛ ويخص منها بالذكر ما يتعلق بدراسة المسرحية التي انجذب إليها أكثر من انجذابه إلى غيرها من فنون الأدب الأخرى **كالقصة والأقصوصة والملاحم والشعر القصصي**، وكان يستهويه بوجه أخص أعمال **شكسبير**، وقد أدى به ذلك إلى محاولة إيجاد الشعر المرسل في اللغة العربية.

الشعر المرسل في العربية

واتفق في ذلك الحين أن حدث حادث في مقاعد الدرس كان له أثر كبير في دفعه إلى التعجيل بهذه المحاولة، وخلاصته أن أحد مدرسيه **الإنجليز** تحدث ذات يوم عن الشعر المرسل وكيف أن اللغة الإنجليزية اختصت بالبراعة فيه والتفوق على سائر اللغات؛ وكيف أن **الفرنسيين** حاولوا محاكاته في لغتهم فكان نجاحهم محدوداً، ثم قال: **ومن المؤكد ألا وجود له في لغتكم العربية ولا يمكن أن ينجح فيها فاعترض عليه باكثير قائلا: أما أنه لا وجود له في أدبنا العربي، فهذا صحيح لأن لكل أمة تقاليدها الفنية وكان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية. ولكن ليس ما يحول دون إيجاده في اللغة العربية فهي لغة طيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر**. فاكتفى المدرس بأن أعرض عن باكثير الذي شعر بأن عليه أن يدحض هذا الزعم بالبرهان العملي، وبدا له خير ما يبدأ به في هذا السبيل هو أن يترجم فصلاً من شكسبير على هذه الطريقة؛ وكان قد سبق أن ترجم لشكسبير فصولا من مسرحية «**الليلة الثانية عشرة**» ولكن على طريقة الشعر المقفى، ونشر بعض ذلك في مجلة (**الرسالة**) **للزيات**. ووقع اختياره على مشهد من مشاهد «**روميو وجولييت**» ليجري عليها تجربة الشعر المرسل؛ فاتفق أن جاءت الترجمة على وزن بحر المتقارب (**فعولن فعولن فعولن فعول**)، ثم مضى في عمله يختار ما يناسب المقام من البحور والأوزان فاكتشف بعد لأي أن البحور التي تصلح لهذا الضرب الجديد من الشعر هي تلك التي تتكون من تفعيلة واحدة مكررة كالكامل والرجز والمتقارب والمتدارك والرمل، لا تلك التي تتألف من تفعيلتين مختلفتين كالسريع والخفيف والبسيط والطويل فإنها لا تصلح.




★ حسن كتبي ★



★ أحمد حسن الزيات ★

★ شكسبير ★

ومن ترجمة باكثير، على سبيل المثال في «**روميو وجولييت**» حينما أوشكت جولييت أن تحتسي السائل المنوم الذي أعطاها الراهب لتكون في هيئة الموتى مدة اثنتين وأربعين ساعة، ريثما يحضر زوجها روميو فينطلق بها من القبر:

الوداع الوداع! إلهي يعلم وحده
أين يجمعنا الدهر بعد اليوم
هذي برداء الخوف النافض راجفة في عروقي
حتى لتكاد تجمد سعر حياتي.
فلأنادهما لتعودا إليَّ لتسكين روعي.
يا حاضن! لا لا فماذا عساها تصنع عندي؟
إن هذا الدور القانط لا بد لي أن أمثله وحدي.
يا جام هلم إليّ!
ربما لا يصنع لي شيئاً البتة هذا المزيج.
أفأغدو غداة غد زوج باريس؟
كلا.. يأبى خنجري هذا.. فلتبق إلى جانبي (تضع خنجرها بجانبها)
ربما كان سماً أراد به القس ألا أعيش
لئلا يكون زواجي الجديد وبالا عليه
إذا علموا أنه زوجني من قبل بروميو:
أخشى هذا، بيد أني غير مصدقة أن يكون.
فهو لم يبرح معدوداً بعد من الصالحين.
ربما إن شربت الجام وألقي بي في الضريح
أستيقظ قبل مجيء حبيبي روميو لينقذني
ويل أمي إذن من مشهد يوم مهول!

أخناتون ونفرتيتي

ولم يلبث باكثير، بعد نجاح تجربة الترجمة بالشعر المرسل، أن كتب مسرحية «**أخناتون ونفرتيتي**» بالشعر المرسل، والجديد في هذا العمل أنه التزم بحراً واحداً هو البحر المتدارك الذي أدرك «**من تجربته الأولى أنه أصلح البحور كلها لهذا الضرب**».. ولكن هذا الشعر المرسل لم يستقبل عند ظهوره بالترحيب أو الاستحسان إلا من قبل المرحوم **إبراهيم عبد القادر المازني** الذي كتب مقدمة للمسرحية أشاد فيها بهذه التجربة في الشعر المرسل، وصلاحيته للمسرحية.

وقد انتهى باكثير من تجربته تلك إلى أن أصلح أداة للمسرحية الشعرية هي الشعر المرسل المستند إلى التفعيلة - لا البيت - كوحدة نغمية، فتتلاحق التفعيلات في الجملة المسرحية الواحدة متصلة مترابطة دون نظر إلى الحيز الذي تشغله، فقد تشغل ما كان يشغله بيت واحد أو أكثر أو أقل.

وفي «**أخناتون ونفرتيتي**» يذهب باكثير إلى أن تاريخ مصر القديم جزء من تاريخها العام ومن ثم يكون جزءاً من تاريخ شرقنا العربي. وفي هذه المسرحية يصور باكثير أحزان أخناتون لوفاة زوجته الأولى (تادو) من خلال حواره مع والدته حول ذكرياته معها:

ما أنس من الأشياء فلن أنسى
ما كنا نخرج في أنفاس الصباح الجديد،
إلى الروض المطلول فتنساب بين الغصون.
نبلل أوجهنا بالطل النضيد،
ونسير على العشب المنضور،
ونعدو هنا وهناك على المرج المسحور،
ونجمع شتى الأزاهير ننظمها مثل الإكليل،
ونجري وراء الفراش الجميل
نطارده من غصن لغصن فأمسكه، فتشير
علي باطلاقه من جديد فأطلقه فيطير
فترنو إليه وفي فمها بسمة بيضاء
كما يبسم الأريحي الكريم ارتاح لفك أسير.

المسرحية الغنائية (الأوبرا)

وإذا كان باكثير قد عدل عن الشعر في المسرحية بعد ذلك ورأى أن النثر هو اللغة الطبيعية للمسرحية؛ فإنه اتجه اتجاهاً آخر يؤكد أن الشعر لا ينبغي أن يكتب به غير المسرحية الغنائية التي يراد بها أن تلحن وتغنى وهي (**الأوبرا**). وقد قام بتجربة من هذا النوع في مسرحية (**قصر الهودج**) التي كتبها بعد (**أخناتون ونفرتيتي**) بسنوات، وبعد أن كان قد كتب عدة مسرحيات قبلها بالنثر.

وقد حرص في (**قصر الهودج**) على أن يجعل نظمها موسيقياً ما أمكن لتكون صالحة للتلحين والغناء، ولم يتقيد فيها ببحر واحد، بل استعمل مختلف البحور حسبما يقتضي المقام، مراعياً في ذلك مطابقتها لحالات التعبير المختلفة ومتحاشياً اطراد البحر الواحد والقافية الواحدة حتى لا تكون المسرحية مجموعة من القصائد مضموماً بعضها إلى بعض، كما حرص على التنويع في القوافي ليكون ذلك أبلغ في التنغيم الموسيقي.



★ المازني ★

ومن ذلك ما نجده في تصوير موقف بين **سلمى البدوية** وبين **الخليفة الفاطمي (الآمر بأحكام الله)** حين قابلها متنكراً في زي رسول أعرابي ليخطبها للخليفة دون أن تعلم حقيقته ، فهي تحاوره في لطف لتتنصل من قبول خطبة الخليفة معتذرة بارتباطها بابن عمها **ابن مياح** . ولما لم يستطع اقناعها بقبول الخليفة انقلب يغازلها لنفسه بحسبانه رسول الخليفة :

هو : **عشت يا سلمى طليقه لست للمدن صديقه**
لا تحبين مغانيها ولا الدور الأنيقه

هي : لطف الله بحالك قد فهمت الآن قصدي

هو : كيف لا أفهم ذلك والذي عندك عندي
أنا من رأيك يا سلمى وميلي مثل ميلك
آه لو تسمح لي الأيام يا سلمى بنيلك
أنت لي لست لغيري وأنا لست لغيرك
إن لي قلباً كقلبك

هي : عجباً . هل أنت مجنون ؟

هو : نعم يا نور عيني
أنا مجنون بحبك

هي : (غاضبة) : حسبك اخرس قطع الله لسانك

هو : يا حياتي حفظ الله زمانك
أتسبين لساناً يتغنى بعبيرك وجمالك وشعاعك

هي : بل لساناً كاذباً خنت به عهد أميرك باحتيالك وخداعك

هو : المليك انسيه لا تجريه يا سلمى ببالك أو خيالك
أنا خير منه يا سلمى وأولى بجمالك ودلالك

هي : آه لو يسمع ما قلت الملك لمحاك السيف من هذا الوجود

هو : كيف يمحو السيف صباً هام بك حبك الخالد أولاه الخلود

هي : سيف مولانا الخليفة سيعافيك غداً من جنونك

هو : ليس بي للقتل خيفة فلقد ذقت الردى من عيونك

الموضوعات التاريخية والأسطورية

ويتميز مسرح باكثير بالوعي التاريخي واستلهامه لموضوعات كثير من مسرحياته ، وهو يرى أن الفن المسرحي بخاصة ينبغي أن يقوم على الرمز والإيحاء لا على التعيين والتحديد ، فتكون الحقيقة التي يصورها العمل الفني **- وهو هنا المسرحية - أوسع وأرحب من الحقيقة التي يمثلها الواقع** . ويرى كذلك أن أحداث التاريخ تعين الكاتب على بلوغ هذه الغاية أكثر مما تعينه أحداث الجيل المعاصر ، لأن أحداث التاريخ قد تبلورت على مر الأيام فاستطاعت أن تنزع عنها الملابسات والتفاصيل التي ليست بذات بال من حيث الدلالات التي يتصيدها الكاتب للوصول إلى الهدف الذي يرمي إليه في عمله الفني . **ولذلك أغرم باكثير أيضاً بالموضوعات الأسطورية ، لأن الأساطير أغنى من التاريخ في هذا المعنى ، فالحادث المعاصر إذا تقادم يصير تاريخاً والتاريخ إذا تقادم يصير أسطورة .**

وقد تطلع باكثير إلى أن يكون لمسرحنا العربي لغة موحدة ، حتى يتكون عندنا تراث من الأدب المسرحي نعتز به ونخلفه للأجيال القادمة ؛ وهو لذلك يرجع احتفاله بالموضوعات التاريخية والأسطورية إلى ما يتيحه من استعمال اللغة الفصيحة التي تجري على قواعد الإعراب ولكنها تلتزم أسلوب اللغة الدارجة ومنطقها وبلاغتها مع استعمال الكلمات الدارجة التي لها أصل في اللغة وإيثارها على مرادفاتها التي لا تستعملها العامة .

ذلك أن باكثير كان يعتقد بواقعية الحوار وضرورة أن ينبع من الشخصية ذاتها فيكشف عنها ويحمل خصائصها . ويقصد بالحوار الواقعي أن يلتزم الكاتب حدود الشخصية المرسومة فلا ينطقها إلا بما يتلاءم معها سواء أوتيت أو لم تؤت القدرة على الإفصاح عن ذاتها . وفي هذا يأخذ باكثير على **برنارد شو** في كثير من مسرحياته أنه ينطق بعض شخوصه بما لا يمكن أن ينطقوا به حتى على فرض أنهم قادرون على التعبير عن ذلك .

الواقعية الزمنية أم الفنية

ولكن ما هو المقصود بالواقعية عند باكثير : **الواقعية الزمنية أم الواقعية الفنية** ؟ أيلتزم اللغة التي يتكلم بها أولئك الشخوص في حياتهم اليومية فيستعمل **العامية المصرية** مثلاً في حوار المسرحية المصرية العصرية ، **والعامية العراقية** في حوار المسرحية العراقية العصرية ، أم يكتب بلغة فصيحة تصور الخصائص النفسية والاجتماعية لكل شخصية وتفصح عن سلوكها ومنطقها ونظرتها إلى الحياة كما هي في الحياة ، دون تقيد بنفس اللغة ونفس الكلمات التي تتحاور بها في حياتها اليومية ؟

ويؤكد باكثير بداءة أن الفن في صميمه ليس تسجيلاً فوتوغرافياً أو فونوغرافياً للحياة ، وإنما هو تصوير لها وتعبير عنها ونقد لها . والمسرح لا يخرج عن كونه لوناً من ألوانه ؛ ويذهب تأسيساً على ذلك إلى أننا في مطلع نهضة عربية لم يسبق لها مثيل من قرون مضت ، وقد اقتضت منا هذه النهضة أن نعيد النظر في كل وجه من وجوه حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية



علي أحمد باكثير
١٩١٠ ـ ١٩٦٩م

□ ولد في مدينة «سورابايا» بأندونيسيا سنة ١٩١٠م، من أبوين عربيين من «حضرموت».
□ تخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة حيث حصل على ليسانس اللغة الإنجليزية سنة ١٩٣٩م. وحصل على دبلوم التربية للمعلمين سنة ١٩٤٠م.
□ اشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية بمصر من ١٩٤٠ ـ ١٩٥٥م، ونقل بعدها إلى مصلحة الفنون وقت إنشائها، وظل يعمل بوزارة الثقافة والإرشاد القومي إلى أن توفي إلى رحمة الله.
□ حصل على منحة تفرغ لمدة عامين (١٩٦١ ـ ١٩٦٣م) لوضع ملحمة عن عهد عمر بن الخطاب.
□ أرسل وهو دون العاشرة إلى حضرموت حيث نشأ وتلقى ثقافة عربية إسلامية، وغادرها ليتجول في عدن وبلاد الصومال إلى حدود الحبشة، ثم رحل إلى الحجاز حيث قضى أكثر من عام متنقلاً بين مكة والمدينة والطائف. وفي الطائف كتب أولى مسرحياته الشعرية. وقدم إلى مصر سنة ١٩٣٤م، وانتظم في دراسته الجامعية، وعاش فيها.
□ بدأ حياته الأدبية بالشعر حيث نظمه وهو في الثالثة عشرة من عمره، ثم اتجه إلى القصة والمسرحية.
□ ترجم مسرحية «روميو وجولييت» إلى الشعر العربي وهو طالب بكلية الآداب.
□ نشر في صحف ومجلات كثيرة منها: الجهاد ـ الوادي ـ المعرفة ـ الفتح ـ الرسالة ـ الثقافة ـ الأسبوع ـ أبولو ـ الرسالة الجديدة.
□ مؤلفاته القصصية: سلامة القس ـ وإسلاماه ـ ليلة النهر ـ الثائر الأحمر ـ سيرة شجاع.
□ مؤلفاته المسرحية: أخناتون ونفرتيتي (شعرية) ـ قصر الهودج (شعرية) ـ أوزوريس ـ الفرعون الموعود ـ مسمار جحا ـ دار ابن لقمان ـ شيلوك الجديد ـ مسرح السياسة (تمثيليات سياسية) قطط وفيران ـ عودة الفردوس ـ مأساة أوديب ـ إله إسرائيل ـ سر الحاكم بأمر الله ـ سر شهرزاد ـ هاروت وماروت ـ السلسلة والغفران ـ شعب الله المختار ـ الزعيم الأوحد ـ الدكتور حازم ـ إمبراطورية في المزاد ـ جلفدان هانم ـ أبو دلامة ـ الدنيا فوضى.
□ اشترك في النشاط الثقافي بمصر رسمياً وشعبياً، وظل عضواً بلجنة الشعر وبلجنة القصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، إلى أن انتقل إلى رحمة الله في ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩م.

والفنية لنصلح ما فيها من أخطاء، ونسد ما فيها من نقص، ونقوّم ما فيها من اعوجاج حتى نبنيها على أسس سليمة تهيئ لنا المستقبل العظيم الذي ننشده.

ويخلص من ذلك إلى أن أصلح أداة لرسم الشخصية وتوضيح ملامحها النفسية وتمييزها عن غيرها من الشخصيات هي **اللغة المحايدة** أي التي ليست لها صبغة محلية صارخة تطمس تلك الملامح وتقضي على الخصائص وتطبعها مع غيرها من الشخصيات على غرار واحد.. **واللغة الفصيحة عندنا ـ كما يقول كذلك ـ هي اللغة المحايدة التي يستطيع الكاتب القدير أن يتصرف فيها ويوجد منها ألفاظاً متنوعة من التعبير تناسب الشخصيات المتنوعة التي يرسمها**. «إن مثل هذه اللغة الفصيحة المحايدة كمثل الماء الصافي الذي يمكن تلوينه بأي لون تريد، فيظهر هذا اللون على حقيقته. أما اللغة العامية فمثلها كمثل الماء الملون لا يمكن أن يظهر أي لون جديد على حقيقته».

وهكذا فإن باكثير يذهب إلى أن الكاتب المسرحي يستطيع باللغة الفصيحة السهلة أن «يصور ما يشاء من الأجواء المختلفة، بأن ينفخ فيها الروح المحلية الخاصة بشخوص مسرحيته.. فالروح المصرية مثلاً يمكن أن تترقرق في اللغة الفصيحة كما يترقرق الماء في كأس من البلور». **ويشير باكثير إلى أن اللغة العامية ليست لغة جامعة حتى في داخل القطر الواحد، ففي القطر المصري مثلاً لهجات عامية متنوعة. وكذلك الحال في الأقطار العربية الأخرى.**

المسرحية والرؤيا العربية

وتتفق هذه الآراء التي طبقها باكثير في مسرحه مع رؤياه العربية، التي تأثرت بقراءاته الأولى للشعر العربي المعاصر في **مصر والعراق والشام** مذ كان يافعاً في **حضرموت**، ثم نمت هذه الروح عنده بعد الرحلات التي قام بها في أطراف اليمن وربوع الحجاز، إلى أن استقر به المقام في مصر، وتوفي فيها في ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩م؛ وكان ذلك يظهر في الشعر الذي كان ينظمه في المناسبات القومية التي تدعو إلى ذلك. ولما بدأ يزاول الكتابة المسرحية كان من الطبيعي أن يتخذ القضايا العربية منبع إلهامه الأول، وأن يقع اختياره على الموضوعات المناسبة لذلك. فاختار أول ما اختار مثلاً موضوع أخناتون، وقد يبدو غريباً أن يختار هذا الموضوع الفرعوني الذي لا صلة له البتة بالعربية ولكن الواقع أنه اختاره «بالذات بدافع قوي من إيمانه بها»، ذلك أنه يرى أن التاريخ القديم للبلاد العربية كلها جزء من تاريخها العام، ومن ثم يكون جزءاً من تاريخ هذا الشرق العربي ينبغي أن يعتز به كل عربي ورث هذه الحضارات كلها: **الحضارة الفرعونية في مصر والحضارة البابلية في العراق والحضارة الفينيقية في الشام**.

ما الفرق بين هذه الحضارات وبين الحضارة السبئية أو المعينية في اليمن؟ أليست كلها منسوبة لسكان هذه البلاد الأقدمين الذين هم أجداد عرب اليوم في هذه الأقطار؟ بلى، ينبغي أن تضاف هذه الأمجاد التاريخية القديمة إلى رصيد مجد الأمة العربية وارثة هذه الحضارات كلها ووارثة الأرض التي نبتت فيها هذه الحضارات.

وبهذا الوعي كتب مسرحية أخناتون ونفرتيتي، وأشار إلى هذا المعنى في مقدمة الكتاب متمثلاً ببيت من قصيدة نظمها على لسان أبي الطيب المتنبي بمناسبة ذكراه الألفية يقول فيها مخاطباً المصريين:

أبوكم أبي يوم التفاخر يعرب
وجدكمو فرعون أضحى بكم جدي

ولقد ظلت القضايا العربية محور تفكير باكثير في أغلب ما كتب بعد ذلك من مسرحيات وقصص، يستهدف من ورائها إبراز ما في تاريخنا الحافل المجيد من مثل عليا ينبغي أن تستنير بها الأمة العربية في جهادها من أجل التحرر والاستقلال وفي كفاحها لبناء مستقبل مجيد يليق بماضيها المجيد.

ندوة الشهر

● اشترك في الندوة ●

● د. عبد الرحمن السبيت المملكة العربية السعودية ● د. عابد الهاشمي العراق
● د. عبد الحميد الهاشمي سورية ● د. عبد الله العجلان المملكة العربية السعودية
● د. عبد الله الطيب السودان ● د. محيي الدين عبد الشكور أمريكا
● د. فاروق صادق مصر ● د. شهاب الدين معتني الباكستان

الإسلام..

يضم علم النفس أنواعاً من المعارف المنظمة في موضوعه من حيث دراسته للحياة الانفعالية للإنسان وما فيها من رضاء وغضب، وفرح وحزن، ومحبة وكراهية، وتفاؤل وتشاؤم وإقدام وجبن، وروح جماعية أو انطوائية وما إلى ذلك، كما أنه يدرس الحياة العقلية وما فيها من إحساس وإدراك وتصور وتذكر وتعلم ونسيان وخيال.

وعلم النفس يدرس ذلك عن طريق السلوك الإنساني في دوافعه الباعثة ومظاهره المعبرة وأهدافه القاصرة في مجال السوء والانحراف في مختلف مراحل العمر الزمني المتعاقبة من المهد والطفولة والفتوة والشباب والرشد والكهولة والشيخوخة.

والصفات العلمية لعلم النفس تتجلى في الآتي:

ا ـ يهدف لفهم السلوك الإنساني في معرفة دوافعه.

ب ـ يحاول تفسير ذلك السلوك وتعليله.

جـ ـ دراسة تهدف للتنبؤ عن السلوك الممثل للفرد أو الجماعة.

د ـ دراسة تخضع في بعض مجالاتها للاختبار والتقنين.

هـ ـ التقويم والتوجيه وقاية أو تعزيزاً أو علاجاً.

و ـ فوائد تطبيقية في المدرسة والصناعة والإدارة والقضاء والقيادة والاجتماع الخ.

وقد مر علم النفس في تاريخه الطويل بمراحل متعددة كان له في ذلك انجازات علمية تثبت أقدامه في صعيد العلوم، بيد أنه إلى جانب ذلك ظهرت بعض المزالق السلبية التي أساءت إلى علم النفس ذاته منها:

١ ـ اتجاه عقلي بحت مع إهمال لسائر الدوافع الإنسانية الأولى كأن الإنسان آلة حاسبة أو كمبيوتر.

٢ ـ اتجاه التفسير الحيواني العضوي الصرف للحياة النفسية للإنسان كما يتمثل ذلك لدى «**البافلوفيين**» ومن قبلهم **أرسطو** الذي يعتبره الغربيون مؤسس علم النفس حيث جعل علم النفس جزء من علم الحياة.

٣ ـ اتجاه في التفسير الغريزي الجنسي الجبري المطلق للحياة النفسية كما يتمثل لدى «الفرويديين» في موضوع السلوك النفسي للإنسان «للطفولة الجنسية المكبوتة».

٤ ـ اتجاه في التفسير الآلي المادي الميكانيكي للسلوك الإنساني كما يظهر ذلك لدى «السلوكيين، وإخضاع الإنسان للمعادلة الحركية المادية «مثير... استجابة».

٥ ـ اتجاه في التفسير التطوري العشوائي، لا سيما في نظريات الوراثة والانتخاب السلوكي عن طريق النشوء كما يتمثل لدى «الداروينيين».

وعلم النفس باعتباره علماً يحاول إقامة معرفة منظمة للنفس الإنسانية في آثارها الانفعالية والإدراكية والسلوكية، علم إنساني نافع ذو فوائد تطبيقية كبرى تيسر الحياة وتخدم الإنسان، **فهو في نظر الإسلام من العلوم النافعة التي هي واجب اجتماعي على نفر من المؤمنين أن يقوموا به**. وهذا العلم مع أشد الالتزام في الحياد الموضوعي هو سيف ذو حدين شأن غيره من العلوم، التي هي في يد العالم المستقيم الملتزم أداة خير وإنتاج وإصلاح، بينما هي في يد العالم المنحرف أداة إفساد أو انحراف.

والإسلام في مصادره الأولى زاخر بما يتصل بمجال علم النفس:

●● **فالقرآن الكريم** تضمن عدة مواقف إنسانية نفسية في حوادث واقعية مثل مواقف الغيرة ودوافعها وآثارها السلوكية، وكذا التقليد، والغرور والتعلم وهي دروس هادية في تربية الإنسان.

●● في التوجيهات النبوية لمحات ومواقف في بيان بعض خصائص النفس الإنسانية تساعد المربي والمعلم في نجاح التربية والتوجيه.

●● وجود دراسات رائدة لبعض العلماء المسلمين الأوائل.

عن موقف الإسلام من علم النفس المعاصر بنظرياته واتجاهاته، تدور ندوة هذا الشهر من خلال آراء مجموعة من الأساتذة المختصين.

مدرسة التحليل النفسي

● **من المملكة العربية السعودية يتحدث الدكتور عبد**




★ د. عبد الرحمن السبيت ★



★ د. محيي الدين عبد الشكور ★

وعلم النفس المعاصر

الرحمن السبيت وكيل كلية التربية بجامعة الرياض، وعضو هيئة التدريس بقسم علم النفس قائلاً:

«إذا نظرنا إلى علم النفس بمفهومه الحديث من حيث أنه العلم الذي يهتم بدراسة السلوك، فليس من شك في أنه علم من أهم وأوسع العلوم انتشاراً في العالم، خاصة خلال الخمسين عاماً الماضية. ومن حيث نظرة الإسلام إلى علم النفس بصفة عامة كعلم له موضوعه وهو السلوك، وله طريقته باتخاذه للمنهج العلمي طريقة في التفكير وأسلوباً للبحث، فمعروف أن **ديننا الحنيف يحث على طلب العلم وتحصيله، ويدعو إلى الوصول إلى الحقيقة**، هذه هي نظرة الإسلام إلى العلوم، وعلم النفس كأحد هذه العلوم وموضوعه السلوك الذي سوف تساعدنا دراسته على الوقوف على طبيعة النفس الإنسانية وصولاً إلى عظمة ما أبدعه الله عز وجل قال تعالى: ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾.

أما من حيث موقف الإسلام من النظريات النفسية المعاصرة، فمن المعروف أن لعلم النفس مدارسه المختلفة مثل **المدرسة السلوكية ومدرسة التحليل النفسي**، وكذلك له ميادينه المختلفة منها **علم النفس الاجتماعي والصناعي والتربوي** وغيرها، وتبعاً لذلك فإن النظريات كثيرة ولا نستطيع في هذا المجال التطرق إليها كلها، لكن يمكن القول باختصار إن هنالك بعض النظريات التي كان لها دور كبير بتوجيه الدراسات في علم النفس والتي لا تتفق في جوهرها مع تعاليم الدين الحنيف مثل نظرية **سيجموند فرويد** «زعيم مدرسة التحليل النفسي» في الشخصية والتي تعتبر غريزتي الجنس والعدوان عاملين أساسيين في تكوين الشخصية. وهنا أحب أن أذكر أنه **مع أن آراء سيجموند فرويد في التحليل النفسي قد لاقت رواجاً في أول الأمر، فإنها الآن تلاقي نقداً من كثير من علماء النفس المعاصرين**».

نظرة الإسلام للنفس الإنسانية

● **ومن سورية يشرح الدكتور عبد الحميد الهاشمي، أستاذ ورئيس قسم علم النفس بكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، نظرة الإسلام المتكاملة إلى النفس البشرية** فيقول:

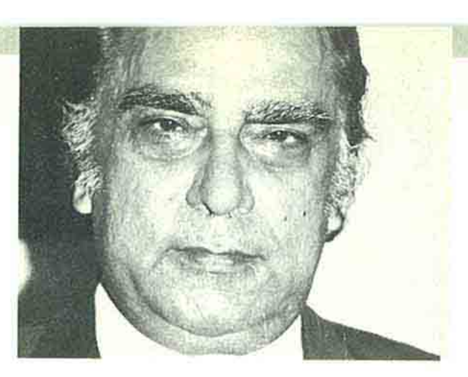
«أولاً وقبل كل شيء للإسلام **نظرته الواضحة والصريحة والصحيحة للنفس الإنسانية، فهو لا ينظر إلى النفس على أنها مجرد مادة، كما أنه لا ينظر إلى النفس على أنها حيوانية، ولا ينظر إليها على أنها ملاك أو روح**، أو أنها آلة عاقلة حاسبة «كمبيوتر». ولكن ينظر إليها على أنها كل ذلك جميعاً، فيها الجانب الجسمي والجانب الروحي، والجانب العقلي، والجانب الانفعالي والعاطفي.

ويمثل ذلك قوله تعالى: ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾.

فالعنصر الأول في الإنسان هو الجانب المادي الجسمي الحسي العضوي الفسيولوجي من تراب، من كل ما يتصل بالتراب من مواد.. من حديد، من بوتاسيوم، من ماغنسيوم. إنما جعله الله إنساناً، وأعطاه الكرامة على سائر المخلوقات ومنحه الخلافة في هذه الأرض تلك النفخة من روح الله، من الأعلى، من السمو، من الطهارة، من الفكر. فالإسلام ينظر إلى النفس الإنسانية من هذه الجوانب ويريد من علم النفس أن يدرس هذه الجوانب كلها، ومن هنا نجد أن النظريات النفسية المعاصرة تقع في عدة أخطاء، فمثلاً بعض المدارس النفسية ما فكرت في علم النفس إلا لأنه عبارة عن الدوافع العامة، ثم جاء من خصص هذه الدوافع واختار دافعاً واحداً هو المهيمن وهو الأول والأكبر، ثم جاء آخرون وقالوا لا نريد إلا الجانب الظاهر المادي فكانت المدرسة السلوكية، فهؤلاء حاولوا أن يدرسوا جانباً من الإنسان ولهذا كانت النظريات النفسية المعاصرة قاصرة متميزة جانبية لا تدرس الإنسان ككل وفي إطار واحد».

علم النفس في بداية البداية

● **وعن كون علم النفس في بدايته ووجوب انتسابه إلى القرآن والسنة لا العكس، يشترك من السودان الدكتور عبد الله**



★ د. شهاب الدين معي ★





★ د. عبد الحميد الهاشمي ★

الطيب، أستاذ ممتاز بجامعة الخرطوم وأستاذ التعليم العالي بكلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله بفاس بالمغرب برأيه قائلاً:

«نظرة الإسلام إلى علم النفس كنظرته إلى سائر العلوم، وصدق الله تعالى إذ يقول جل من قائل: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾ وكل باب من أبواب العلوم الحديثة إنما هو في مرحلة تجريبية، يؤخذ به حتى يبدو خلل في بعض جوانبه فيؤخذ بسواه.

وعلم النفس الحديث، على وجه الخصوص، لا زال في بداية البداية، وهل هو يعد علم أم لا؟ هذا مكان أخذ ورد. وموقف الإسلام أن يحث القادرين على الاطلاع على أمره، فما وجدوه منه مفيداً استفادوا من مكان الفائدة فيه، وما وجدوه غير ذلك ضربوا عنه الذكر صفحاً. **أما الزعم أن علم النفس الحديث حقائق قائمة ثابتة، ثم الانكفاء لنبحث عن مشابه لها في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لنزعم بذلك أن الكتاب والسنة لا بأس بهما لأن فيهما بعض ما اكتشفه الأفرنج من حقائق علم النفس فهذا مذهب لا أقره.** وأنزّه كتاب الله وسنة رسوله الله صلى الله عليه وسلم عن مقارنته. إذ هما المرجع والأصل، وإنما ينتسب علم النفس إليهما - بعد أن يصير علماً إذا كتب له أن يصير علماً - كما ينتسب علم الهيئة مثلاً وعلم التشريح انتساب باب من أبواب المعرفة البشرية القليلة المباحة لمن يستطيع درسها ليفيد ويستفيد من غير خروج عن الملّة».

وقفة لمراجعة تراثنا الإسلامي

● **ومن مصر يطالب الدكتور فاروق محمد صادق، رئيس قسم علم النفس بكلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر، بمراجعة التراث الإسلامي الأصيل، ويربط بين الإسلام والنظريات النفسية المعاصرة في قوله:**

«في الحقيقة إلى الآن لا يوجد ما يسمى علم النفس الإسلامي! بل هناك ممارسات في علم النفس نحاول أن ندرس إطارها الإسلامي، والعكس صحيح أيضاً، فهناك في القرآن والسنة كثير جداً من المواقف والأماكن وجدنا بها إشارة إلى النفس والذات والثقة بالله، والثقة بالنفس، وتقسيم أنواع الأنفس، فكل هذه الأشياء لا نستطيع دمجها مع بعضها البعض ونطلق عليها علاقة الدين بعلم النفس.

وأعتقد أن هناك لقاءات كثيرة تمت لدراسة هذا الموضوع وخاصة **ندوة علم النفس والإسلام التي نظمتها كلية التربية بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية**[1] حيث تجمع مثل هذه اللقاءات علماء الدين والنفس للبحث في هذا الموضوع.

وأستطيع أن أقول إننا لم نجد مكان من الأماكن التي ذكرت فيها النفس أو النظريات النفسية في الإسلام إلا ووجدنا لها ربط بنظريات معاصرة سواء قلنا إن هذا جاء مصادفة أو جاء بدراسة أو دراية، أي أن علم النفس الحديث بطريقته التجريبية والاستقرائية أضاف إضافات حديثة بمفهوم الملاحظة، ولكنه نسي كثيراً جداً من تراثنا الإسلامي.

لقد تسابقنا كثيراً إلى علم النفس الغربي، وآن الأوان لنقف وقفة بسيطة لمراجعة تراثنا الإسلامي فيها، ونراجع تحصيلنا في علم النفس، ونحاول أن نكامل بين ما كان تراثنا عليه، وهل من الممكن أن نفسر ما هو لدينا الآن من خلال تراثنا؟ وإذا لم يكن فعلينا أن نتسلح بطريقة استقرائية علمية وتنتشر في دراساتنا النفسية استمراراً لتراثنا الإسلامي.

إن النظريات النفسية المعاصرة، ونظرة الإسلام لها نستطيع أن نجد بينها كثير من الربط، ولكن أيضاً هناك بعض التعارض، والتعارض لم يحدث في الحقائق، ولكنه غالباً ما يأتي نتيجة لطرق الدراسة والبحث واختلافها.

فالعلوم الدينية تعنى بطرق الدراسة الاستقرائية والاستنباطية والتفكير، وكثير من المجردات في الإسلام يصعب معها الدليل العقلي، ولكن علم النفس المعاصر يعتمد على الطريقة التجريبية الحسية فقط، فكان هنا الفرق في الاستنتاج.

ولكن معظم الاستنتاج في النواحي النفسية في التراث الإسلامي جاء عن طريق استقرائي عقلي متطور وهذا يعتبر مرحلة من مراحل المنهج العلمي. فليس بمستغرب أن نجد كثير من نظريات علم النفس المعاصر لها جذورها في تراثنا الإسلامي».

الإسلام قوام على علم النفس

● **ومن العراق يشترك في الندوة الدكتور عابد توفيق الهاشمي، الأستاذ المشارك بقسم علم النفس بكلية الآداب بالجامعة المستنصرية ببغداد، فيقول:**

«الإسلام نظام رباني من خالق النفس ﴿**ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير**﴾؟ وهو جميع ما ورد في القرآن الكريم، وكله حق



★ د. فاروق صـديق ★

★ د. عبد الله الطيب ★

﴿ فورب السماء والأرض ، إنه لحق ، مثل ما أنكم تنطقون ﴾ ، وهو كذلك ما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ هو شرح لكتاب الله ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نـزل إليهـم ولعلهـم يتفكرون** ﴾ .

أما علم النفس فهو العلم التجريبي الحديث الـذي لم يمتد عمـره أكثر مـن قرن ، في محاولاته فهم سلوك الإنسان ، وله مدارسه ونظرياته التي يقيمها على تجاربه ، ولا شأن له بالروح ومجالاتها التي شغلت الكثيرين في الماضي ، وما زال المشعوذون والدجالون على الإسلام وعلى علم النفس يعيشـون في غمار الحـديث عنها والخداع بها .

ونظرة الإسلام إلى علم النفس تتلخص في أن الحقائق النفسية لا النظريات لا تتعارض قط مع الإسلام الصحيح ـ قـرآناً وسـنة ـ وأن على المسلم ألا يتسرّع في إقرار النـظريات النفسية مهما رقت إلى أعلى منزلة .

وإن كانت النظريات النفسية معارضة لصريح إسلامنا ، فعلينا رفضها بإباء وتفنيد خطئها العلمي ، مهما كانت الدعايات المضللة لها .

وعلينا ـ مسلمين ـ أن نعتبر الإسلام قوّاماً على علـم النفس ، وهـو الميزان بعد فهم واستيعاب ، وتجديد للفهم الإسلامي مستمدين في النص ومستأنسين بنتائج بحوث علم النفس ، لا تقليداً ولا تزمتاً من غير فهم .

وإن هذه الصلة بين الإسلام وعلم النفس توثق المسلمين بإسلامهم ، وهي دعوة إلى تفهم الحقائق النفسية من صميم النص الإسلامي ، وهـي دعـاية وإعلام ، وهي بيان لأفضلية الإسلام على علم النفس ، وعمـق تصـوره للنفس الإنسانية ، وأسبقيته إلى إقرار الحقائق العلمية ، وفيـه التـكامل والشـمول للتوجيه الإنساني ، وفيه القدوة الكاملة للسلوك بسيرة المصطفى عليه الصـلاة والسلام في حين أنها جميعها مفقودة في ميدان علم النفس الحديث »

النظريات الحديثة لا علاقة لها بالإسلام

● **ومن السعودية يسهم الدكتور عبـد الله العجـلان ، وكيـل الرئيس العام للتعليم العالي للبنات ، برأيه في الندوة بقوله :**

« القرآن والسنة هما أصل الشريعة الإسلامية ، ومن غايتها هداية الإنسان إلى الخير في الدنيا والآخرة ، والنفس الإنسانية وهي التي تتأثر بما يلقى إليها من خير أو شر ، وتؤثر في توجيه سلوك الإنسان سلباً وإيجاباً ، جـاءت الإشـارة بالقرآن إلى أهميتها في تلقي الهداية في مثل قوله تعالى :

﴿ **ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قـد أفلـح من زكاها ، وقد خاب مـن دسـاها** ﴾ . ولقـد كان لعلماء الإسـلام في مختلف العصور دراسات جيدة في علم النفس ، وأن دراسة النفس الإنسانية في مختلف جوانبها يدخل في العلوم التي جاء الإسلام بـالدعوة إلى البحـث فيهـا ، والبحث على تعلم القدر اللازم منها بما يفيد الإنسـان بـاصلاح نفسـه وحيـاته وآخرته . **وينبغي أن يستمر علماء المسلمين في مـواصلة البحث في علم النفس على ضوء ما ورد عنها في نصوص القـرآن والسـنة ، وما توصل إليه علماؤنا في كل تجربة أو بحث تم أو يتم وفـق تصـور سليم أو تجارب معملية .**

أما موقف الإسلام من النظريات النفسية المعاصرة ، فـإنني لا أستطيع أن أدعي أن ما أقوله في هذه العجالة هو رأي الإسلام ، ولكن يمكن أن أقـول إن رأيي كمسلم هو **ان النظريات النفسية المعـاصرة هـي في أصـلها وانتمائها نظريات لا علاقة لها بالإسلام أو نظرته إلى النفس ، وإنما هي دراسات نظرية أو معملية بنيت في كثير مـن الأحيـان على تصورات غـير تصـوراتنا** ، وكما أن النفس الإنسـانية لا تسـتطيع ولا يستطيعون تحديدها على وجه الدقة ، فإن أبحـاثها في الغـالب مبنية على قـوة الملاحظة ، وفيها الخطأ والصواب .

والذي أراه أن علم النفس المعاصر لا يصح أن يكون أسـاساً لـدراستنا كمسلمين لعلم النفس . بل إن علم النفس ينبغي أن نأخذ أصوله من نصـوص الشريعة الخاصة بالنفس ، وإعمال الفكر بعد ذلك في أغـوار النفس وآثـارها ، وإجراء التجارب على مختلف جوانبها ، **ولا مانع من الاستعانة بالدراسات النفسية ، المعاصرة في توسيع دائرة الاجتهـاد في هـذا المجـال بمـا يتفق مع الأصول العـامة والقـواعد المقـررة في الشريعـة ورفض كل نظرية نفسية معاصرة بنيت على أصل يناقض دليلاً شرعياً أو قاعدة فقهية مقررة .**

وعلى هذا يمكن القول بأن علم النفس المعاصر يستعان بـه بـطرق البحث العلمي والنتائج التي توصل إليها ولا يعتمد عليه في تأسيس علم نفس إسـلامي معاصر » .

المشكلة التي تواجه العالم الإسلامي

● **ومن الولايات المتحدة الأميركية شارك في الندوة الدكتور**

محيي الدين عبد الشكور ، أستاذ علم النفس بجامعة ولاية نيويورك ، وقد تحدث عن فروع علم النفس وفكرته :

« فكرة علم النفس فكرة قديمة من نواح وحديثة من نواح أخرى ، ولكن علم النفس السائد الآن علم غربي من جميع نواحيه ، وأصبح له تأثير كبير على الناس في جميع أنحاء العالم ، ويشعر المسلمون أنهم مسؤولون عن قيام علم النفس على أساس من نور القرآن الكريم وهدي السنة الشريفة .

وعلم النفس أساساً هو علم السلوك البشري ، لكنه ينقسم إلى فروع وتخصصات كثيرة فهناك **علم النفس الاكلينيكي** الذي يعالج المشاكل الصعبة للمصابين بالتوتر والاكتئاب ، **وعلم النفس التعليمي** الذي يبحث في الكيفية التي يتعلم بها الناس وأفضل الطرق لكي يتعلم الأطفال الأرقام واللغات ، وهناك فروع أخرى تعالج مشاكل التكيف مع المجتمع المتغير والعيش في سلام .

كثير من هذه المشاكل يمكن إيجاد الحلول لها في الإسلام سواء في نصوص القرآن الكريم وهو كتاب الله سبحانه وتعالى أو في سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

والمشكلة التي تواجه العالم الإسلامي في هذا الصدد هي كيفية استخلاص هذه المعلومات من القرآن الكريم والسنة المطهرة وتقديمها بطريقة يمكن تطبيقها » .

علم النفس والخصائص الإسلامية المميزة

● **ومن الباكستان يشرح الدكتور شهاب الدين مغني ، عضو هيئة التدريب بقسم علم النفس بجامعة بشاور وجهة نظره متطرقاً إلى موضوع الملة عند المسلمين ووجوب أن يخدمها علم النفس مع سائر العلوم الأخرى فيقول :**

« مفهوم الملة هو المفهوم المركزي بالنسبة لأسلوب الحياة في الإسلام ، ذلك **أن الدين عند المسلم لا يقتصر على أن يكون مسألة فردية بين العبد وربه ، وإنما الدين يحدد كذلك علاقة الإنسان بإخوانه المسلمين وغير المسلمين وسائر مخلوقات الله على السواء** . والإسلام يتضمن كل جوانب الحياة من المهد إلى اللحد ، ممتداً فيما بين الجوانب الخلقية والروحية من ناحية ، والجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من ناحية أخرى .

والذي يؤسف له أن الخصائص المميزة للملة عند المسلمين لم تجد على امتداد تلك الحقبة التاريخية الطويلة التي اجتازها الإسلام خلال القرون الأربعة عشرة الأخيرة لنفسها تعبيراً دقيقاً دائماً في الأنظمة الاجتماعية والسياسية عند المسلمين ، لكننا نجد من ناحية أخرى أن الحيوية التاريخية التي يتميز بها الإسلام إنما تعود إلى متانة نسيج هذه الملة التي تعرضت المرة تلو المرة للابتلاء على أيدي أعداء الإسلام .

وعلى هذا أرى أن من بين أكثر المشكلات أهمية وأجدرها بأن يتصدى لها المشتغلون بالعلوم الاجتماعية ، ومنها علم النفس في العالم الإسلامي ، مسألة الخصائص المميزة للملة عند المسلمين ، فهم لهم ذاتيتهم الخاصة ، وشخصيتهم الملية بحكم اشتراكهم في المعتقدات والقيم والدوافع والمعايير والأهداف ، وأن لهم كتاباً واحداً ولهم قبلة واحدة ولهم تاريخاً مشتركا وأبطالا مشتركين في صدر الإسلام ، وقد تترتب على مثل هذا الموضوع فوائد تطبيقية وكذلك في مجالات التربية الصحية والعقلية للمسلمين ، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية وتحقيق التكامل بينهم . . كل هذا لا يمكن أن يخدمه علم النفس المعاصر الغربي . . ولذا يجب أن ينشط العلماء المسلمين يشاركهم في ذلك علماء النفس المسلمين في دراسة خصائص الملة لدى المسلمين » .

تعقيب

من مجموعة الآراء الواردة حول موضوع الندوة « الإسلام وعلم النفس المعاصر » نخرج بعدد من النتائج والملاحظات :

(١) أن النظريات النفسية المعاصرة أصلها غربي ، لا علاقة للإسلام بها .

(٢) أن العلماء المسلمين مطالبون بالبحث في مجال علم النفس واستنباط أساليب الإفادة منه في حياة المسلمين الخاصة والعامة وفقاً للمعايير الإسلامية الثابتة .

(٣) أن الإسلام يحث على البحث والتحصيل ، ويجب دراسة سلوك الإنسان المسلم بالوقوف على طبيعة النفس الإنسانية وصولا إلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى .

(٤) أن علم النفس ، حسب وجهة النظر الإسلامية ، لا يقتصر على جزء من نظام هو نفسية الإنسان وسلوكه وتصرفاته بل يتناول الإطار الكلي من إنسان ومجتمع وحياة وكون ، وما يتعلق بهؤلاء جميعاً من نظام وعلاقات يكون الإنسان المحور وهمزة الوصل بينها ، حيث يقوم الإسلام بتنظيم علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبغيره ، وعلاقة الإنسان بنفسه تشمل الأخلاق والمطعومات والملبوسات ، وعلاقته بغيره من بني الإنسان تشمل المعاملات والعقوبات .

(٥) يجب مراجعة تراثنا الإسلامي للاستفادة من معطياته الخيرة .

(٦) معارضة النظريات النفسية التي تعارض العقيدة الإسلامية ، ويجب أن يكون الإسلام قوام على علم النفس .

(١) **المجلة :** نظمت هذه الندوة في الفترة الواقعة بين ١٢ ـ ١٦ ذي القعدة ١٣٩٨هـ ، الموافق ١٤ ـ ١٨ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٨م .

رحلة في كتاب





تأليف :
د. محمود الحاج
قاسم محمد

عرض :
د. محمد سعد الشويعر



أودع الله سبحانه وتعالى في الإنسان العقل ، فكان مطالباً بأن يتدبر ويتعلم ، ويستفيد مما يحيط به في تطوير نفسه ، وتكييف الحياة من حوله .. ومن هنا جاء الفارق بين الإنسان والحيوان والجماد .

فالإنسان من حرّك عقله ، ونبش عن مكنونات فكره ، واستفاد مما منحه الله ، فعدّل وبدّل ، وشيّد وبنى وتعمق في هذا الفكر فانقادت له العلوم ، وسهلت عليه المعارف ، لأن الله قد كرّمه بالعقل ، وبغيره من الخصال التي هيأته للسيادة في هذه الأرض ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (٧٠ الإسراء) .

وفي معتقدنا الإسلامي يقول **الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم** في حديث قدسي ، يرويه عن ربه : « **ابن آدم خلقتك لأجلي ، وخلقت كل شيء لأجلك** » . لما يحيط بالإنسان في هذه الحياة من أساسات وماديات ، ومن جوهر وعنصر ، كلها جاءت لحكمة بينة ، وميزة ظاهرة .

فهي من أجل أن يستفيد هذا الإنسان مما حوله ، ويمزج بعضها مع بعض في تركيبات قد تفيده وقد تضره ﴿ **ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض** ﴾ (٢٠ لقمان) .

تفيده إذا حكم عاطفته ، واستبصر في أمره ، وتعقل في شؤونه ، واهتم بجانب الخير ، وراعى شؤون الآخرين ، وابتعد عن الأنانية والتسلط . وتضره عندما ينساق خلف عواطفه وشهواته ، ويضع الأمور في ميزان المصلحة الذاتية ، مشيحاً عن شعور الآخرين واهتماماتهم .

من هنا كانت جميع الديانات السماوية تدعو إلى عنصرين مهمين للفرد في هذه الحياة : العلم . وحب الخير .

ومن باب أولى أن يكون النهي ، والدعوة للابتعاد عن نقيضهما . وقد أخذ بذلك أسلافنا المسلمون ، لأن **الدين الإسلامي ، دين يخاطب العقل ، ويتغلغل في الوجدان .**

ودين هذه سمته ، لا بد أن يتغلغل في نفوس أتباعه ، وأن ينقل أبناءه في فترة وجيزة من حياة أشبه ما تكون بالبدائية الأولى ، في الناحية العلمية ، والإهتمام الحضاري ، إلى حياة يرتفع فيها الرسم البياني في هاتين الناحيتين ، ارتفاعاً يفوق تصورات العقول البشرية ، ونظرتها لكل أمر ، قياساً على الحالات المماثلة في حياة الأمم ، سواء كانت تلك الحالات سابقة للحضارة الإسلامية العربية ، أو تالية لها .

ولعل من أهم الأسباب في هذه النقلة البعيدة ، والمتطورة ، **أن الإسلام يزيل الفوارق ، ويكره العنصريات ، ويمقت الاستعداء : « إن أكرمكم عند الله اتقاكم - ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » .**

من هذه النظرة العميقة ، التي سادت لدى العرب ، بعد استمدادهم المعين من المعلم الأول صلى الله عليه وسلم سلوكاً ومنهجاً ، ولاهتمامهم بمن دخل في الإسلام ، واعتباره عضواً فعّالا في هذا المجتمع الجديد ، الذي دخله بطواعيته واختياره ، وجمعهم على دروسه ومدارسه ، فإنهم على اختلاف المستويات قد أخذوا بزمام المبادرة في تقدير العلماء ، وإدنائهم من مجلس الخلفاء والقادة وإغداق المال عليهم بلا حساب أو عدّ ، وتهيئة فرص البحث والاستيعاب ، والتعرف على علوم ومعارف الأمم السابقة ، وفي مقدمة هؤلاء العلماء الأطباء الذين ضربوا بسهم وافر في العلوم ، ورقماً قياسياً بالدخل ، والسمعة ، والمكانة .

في هذا الجو نشط الطب عند المسلمين ، واهتم علماؤهم باستقصاء جوانب هذا الفن تشخيصاً وعلاجاً ، وكرسوا جهدهم في ذلك ، وأعطوا نتائج لم يسبقوا إليها ، من حيث الكم والكيف .

بل إن الطب الإسلامي ، والعلوم المحيطة به ، يعتبر نقطة تحول كبيرة في حياة البشرية . فقد ربطوا الناحية العلاجية بالناحية النفسية والفلسفية . ثم إنهم آمنوا بفكرة التشخيص ، ودراسة المؤثرات ، واهتموا بالتخصص . وفي هذه اللمحة العابرة ، سنسير مع **الدكتور محمود الحاج قاسم محمد** في كتابه « **تأريخ طب الأطفال عند العرب** » . . هذا الجهد الذي بذله في لمّ شتات ما تفرق من هذه الدراسة في كتب الطب الإسلامية ، مشيراً إلى أن أجدادنا قد اهتموا بالتخصص في كل الجوانب ، وخاصة هذا الجانب المهم من جوانب العناية الطبية .

وهنا نرى لزاماً علينا أن نسير مع المؤلف في جهده الموفق لتعريف العالم في عام الطفل ، بأن العرب والمسلمين ، قد سبقوا الغرب بالاهتمام بالطفولة وحافظوا عليها تربية وعلاجاً ، ورعاية واهتماماً بدءً من اختيار الأم ، إلى أن يتحمل الطفل مسؤولية الحياة ، بعد أن يشتد عوده ، ويثبت كيانه ، في وقت كان أطفال الرومان يموتون من الأمراض ، ويفتك بهم سوء التغذية ، بل الأشد من ذلك أنهم يقدمونهم قرابين للآلهة .

نظرة إلى الكتاب

إن من تيسير الثقافة على راغبيها ، أن يخرج كتاب كهذا : بسيط في إخراجه ، فلا رسوم ولا تكلف في الإخراج ، متوسط في حجمه إذ يبلغ « ١٥٢ » مائة واثنتان وخمسون صفحة بمقاس ٢٤×١٦ ، ومعدل كل صفحة ٢٥ سطراً مع الهامش .

رخيص في ثمنه الذي يبلغ (١٥٠) مائة وخمسون فلساً ، بما يقارب ريالين سعوديين ، مع أن طباعته جيدة وحديثة عام ١٩٧٨ م ، وورقه جميل وصقيل ، في وقت ارتفع فيه كل شيء حتى ما يتعلق بالثقافة والعلم .

ولعل نشر هذا الكتاب بواسطة **وزارة الثقافة والفنون العراقية** ، من أسباب تيسير وسهولة تناول هذا الكتاب .

وهو في حد ذاته جديد في موضوعه ، فقد فتح باباً واسعاً أمام المختصين في عالمنا العربي ، لكي يسلطوا الضوء على علوم كثيرة بحثها أجدادهم ، وتعمقوا فيها .

فهي جديدة وقديمة ، قديمة في عمرها الزمني ، بعد مقارنتها بسائر العلوم التي يأتي للعامل الزمني فيها دور مهم ، في تحديد الأقدمية في البحث ، والأسبقية في الجزئيات ، والأولوية في الشكل والمظهر . . لكنها جديدة وحديثة ، إذا قورنت بما وصلت إليه العلوم في العصر الحاضر .

والعرب في حضارتهم الإسلامية الزاهية ، قد مارسوا الطب كواحد من العلوم التي أحبوها وأجادوا فيها ، وتفننوا في تتبع خفاياها ، ودقائق العلاجات ، رغم أن الطب لم يكن له مكانة تذكر عند العرب قبل الإسلام ، وما يحقق البروز قبل استقرار دولة العقيدة ، في حكومة حريصة على نشر راية هذا الدين وتوسيع دائرته ، والافادة من كل جديد ، يصلح المجتمعات ، ويحقق لها بغيتها برخاء وسعادة ، في أسلوب يدعم ركائز الخير للبشرية ، لأن دينهم يهتم بهذه الأمور ، وانطلقوا من دائرته .



★ رسم لأحد النبات الطبي مع وصفه في كتاب يعود تاريخه إلى سنة ١٢٢٤م ★

فالواحد منهم يتفاعل مع العلم الذي أحبه ، ويعيش بحواسه مع جوانبه المختلفة ، ويخلص في الطريق الذي سلكه ، بدافع من عقيدته ، وأداء لأمانته .

من هنا أخذ طب الأطفال مكاناً مرموقاً عند الأطباء العرب ، وحظي من علماء الإسلام بمنزلة رفيعة ، مبعث ذلك نظرتهم إلى أهمية المولود الذي تبنى عليه الأمة آمالا في تقدمها ونهضتها ، وتأمل منه أن يستعد لأداء رسالتها القيادية بين الأمم ، وفق منهج الله وشرعه .

وهذا الكتاب الذي أبان فيه المؤلف عن تاريخ طب الأطفال عند العرب ، وسلط الضوء في فصوله الستة على جوانب مختلفة من هذا العلم ، وربط مكانته في المجتمعات بمنزلته من العقيدة الإسلامية ، ورعاية الإسلام للطفولة ، واهتمامه بها .

ذلك الدين الذي تخاطب تعليماته ، وأوامره خفايا الضمائر ، وتتحسس متطلبات النفوس ، وما يسعد المجتمعات .

فلقد عرض المؤلف ذلك في أسلوب موجز ، مدعوم بالشواهد المحسوسة ، والوقائع المميزة .

ولعلنا عندما نستعرض فصول الكتاب الستة ، يتجلى أمامنا بالمقارنات العلمية التي أبرزت هذا السفر ، وبالتحليلات الظاهرة التي رفعت مكانة ذلك العلم ، ما يجعل القارئ يسبح بين جنباته في رحلة تحلق به في آفاق الماضي ، وترتفع به إلى أجواء العلم والمعرفة ، والطب والصيدلة .

إن هذه الاهتمامات التاريخية التي أحاطت بهذا النوع من العلوم ، وتلك الوسائل التي بسطت لرعاية أهم كائن حيّ على وجه البسيطة ورعايته ، هي أبرز الجزئيات في هذا الكتاب ، التي تنقل القارئ من الناحية التحليلية العلمية ، إلى التدرج مع المولود في فترات القصور والعجز ، ثم البحث عن المسببات والطرق المعينة في تقوية صحته وفكره ، وتنمية حواسه ، لتأهيله تربوياً لتحمل أعباء الحياة ، وشد أزره للنهوض بمستوى أمته ، وتجشم المشاق والثبات من أجل هدف نبيل يسعد بني جلدته .

محتويات الكتاب

قسّم المؤلف كتابه إلى **ستة فصول** ، وزّع المعلومات بينها حسب تقسيم ارتآه :

في الفصل الأول (١١ ـ ٢١) الذي تحدث فيه عن **طب الأطفال عند الأمم** السابقة ، حيث يرى المؤلف أن **بلاد ما بين النهرين هي أقدم موطن مدنيات الشرق ، وأن الطب فيها يعتبر أقدم الحضارات الطبية في العالم .**

ثم يلي الأشوريين والبابليين ، **المصريون** ، ويأتي في المرتبة الثالثة **اليونانيون والبيزنطيون .**

وفي الفصل الثاني (٢٣ ـ ٣٠) الذي أفرده **للإسلام والطفل ،** استعرض فيه اهتمامات الإسلام بهذا المخلوق قبل أن يخرج للحياة من حيث « حسن اختيار الأم والأب على حد سواء » ، واستشهد المؤلف على ضمان الإنسجام والإطمئنان لمستقبل الطفل ، وأهمية الدين ورسوخه عند الوالدين بأحاديث نبوية كقوله صلى الله عليه وسلم لرجل : « **تنكح المرأة لمالها وجمالها ، وحسبها ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك** » ، إذ لا مصيبة أعظم على الطفل من أبوين غير متفقين في أسس التربية والأخلاق ومقاييسها .

ثم يركز المؤلف على أشياء ذات أهمية كبرى في العصر الحاضر ، لدى المهتمين برعاية الطفولة ، والوقاية الصحية لبراعم الأمة ؛ مشيراً إلى أن الإسلام منذ أربعة عشر قرناً قد وضع أسساً ، ورسم قواعد في هذا المجال ، واستشهد لكل حالة ببرهان يقيني من مصادر التشريع الإسلامي ، التي لا تقبل النقض والتبديل : كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كناحية مادية تسكت المحاولين الغض من مكانة الإسلام ، ووصف هذا الدين بالقصور عن مجاراة الحياة .

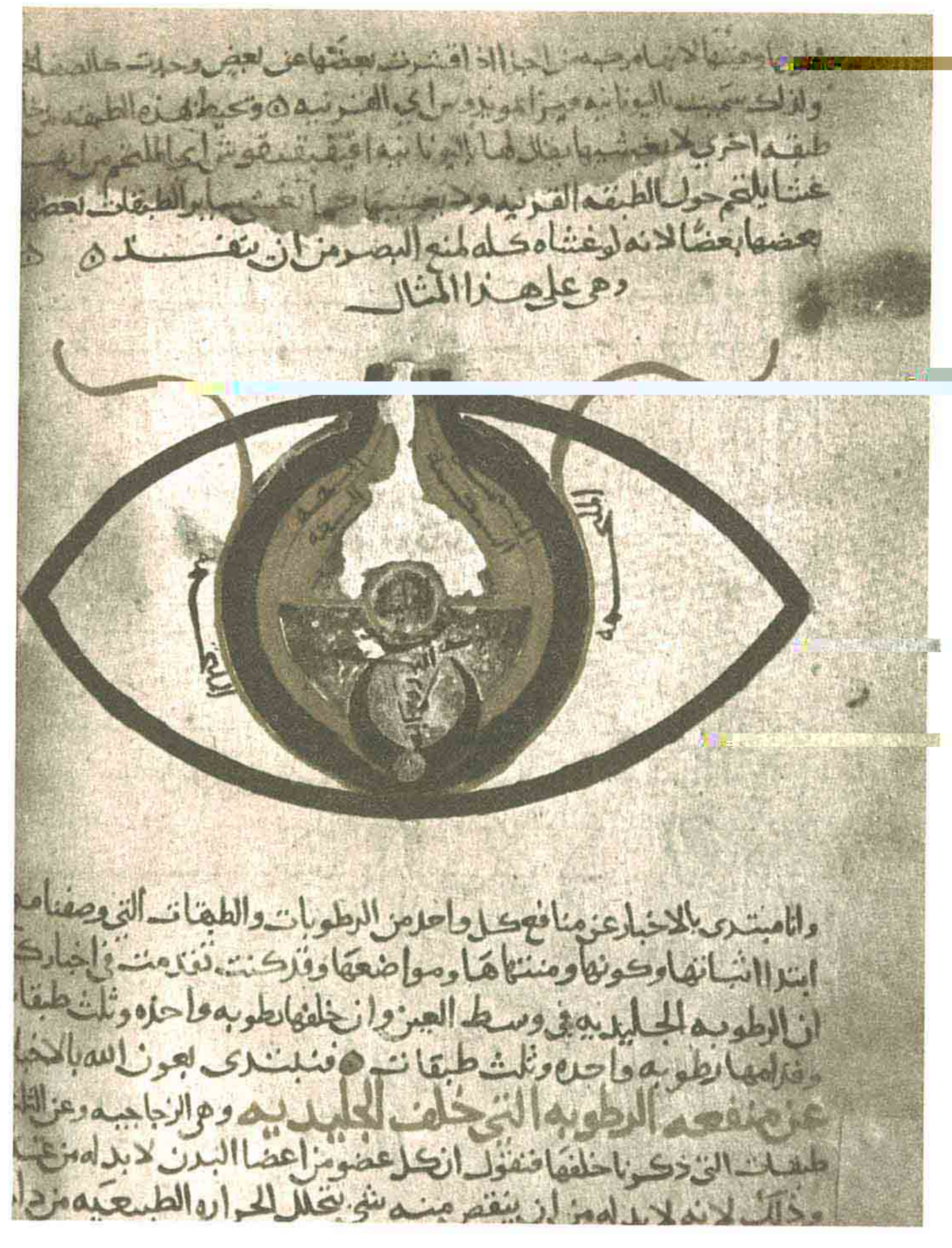
فهو لم يكن دين عبادة وتبتل فقط ، بل هو دين حياة وتطور ، وعقل وتبصر ، مع اهتمامات كاملة بجميع أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم .

فالمؤلف يهتم في هذا الفصل بالموضوعات التالية ، كما هو منطلق الدين الإسلامي :

مسألة الوراثة ، الرضاعة ، الوقاية من الأمراض ، التلقيحات ، اللقيط ، ألعاب الطفل .

ثم يستعرض **مراحل تربية الطفل في الإسلام** ، مع خطط عريضة في تربية الطفل ، ولا شك أن تطرق المؤلف لهذه الجزئيات ، ذات مغزى كبير ، فهي ترشد الراغبين في الوصول للحقيقة من أصحاب الديانات الأخرى ، في مثل هذا الموضوع المتخصص ، لكي يعرفوا أشياء جديدة عن الإسلام في اهتماماته الصحية ، ورعايته الاجتماعية ، بخلاف الديانات الأخرى التي لا تراعي إلا النواحي الروحية فقط .

ولعل هذا الجانب هو أهم ما يجب أن نبسطه أمام علماء الغرب ، الذين



★ رسم تشريحي للعين من كتاب لأبي زيد
حنين بن إسحاق العبادي ★

يعشقون المعرفة ، وينشدون الحقيقة العلمية التي تتقبلها النفس عن رضا وقناعة ، يصعب إزالتها مهما أحاطت الظروف ، واستحكمت العداوات . وهذا واجب إلزامي على كل متخصص في مجاله ، أن يعرض بضاعته بأسلوب رصين ، يميل إلى مخاطبة العقل وإزالة ما التبس على النفس .

ولعل الحادثة التي ذكرها **ديورانت** في كتابه « **قصة الحضارة** » ، في حديثه عن **الصليبيين** ، وحملاتهم على المسلمين ، دليل مادي يرسخ هذه النظرية ؛ « كان المرضى المسيحيين يفضلون الأطباء المسلمين على الأطباء المسيحيين » (ج ١٥ : ٣٤) .

وفي الفصل الثالث : (٣١ ـ ٥٨) يتعرض **لمساهمات الأطباء العرب في طب الأطفال** ، ويرى **أن العرب هم أول من اهتم بطب الأطفال كعلم مستقل** ، ويوافق القائلين من علماء التأريخ الطبي ، بأن أول من فصل بين طب الأطفال وأمراض النساء الرازي (٢٥١ ـ ٣١١ هـ ، ٨٦٥ ـ ٩٢٣ م) في رسالته في طب الأطفال التي ألفها في حدود عام (٢٨٨ هـ ، ٩٠٠ م) ، ويشير بإجمال إلى مكانة علماء الطب العرب في اهتمامهم بهذا الجانب ، وعلاج الطفل المريض نفسه .

ثم يستعرض في اهتمام بالغ ، تلك النواحي المهمة التي أولاها الأطباء العرب قسطاً كبيراً من العناية والتركيز مثل : العناية بالحامل ، المولود حديث الولادة ، والعناية به ، ووقايته من الأمراض ، وتغذيته ، والاهتمام بنفسيته ، ثم

أدوار الطفل والنمو الطبيعي للأطفال ، من ناحية صحته ، وتغذيته ، إلى أن يكون رجلاً سوياً .

وفي **الفصل الرابع** (٥٩ ـ ٩٣) ، يستعرض أمراض الأطفال عند الأطباء العرب : ولأهمية **الجهاز الهضمي عند الطفل** ، فإن المؤلف يوليه أهمية كبيرة ، فيبدأ بذكر **أمراض المعدة** وعددها سبعة ، ثم **أمراض الأمعاء** وهي ستة ، ثم يسير خطوات متزنة مع الأطباء العرب كالرازي ، **وابن سينا** (٣٧١ ـ ٤٢٨ هـ ، ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) ، **وعريب ، والطبري** ، في وصفاتهم الطبية لبعض هذه الأمراض .

ويتناول بعد ذلك : الجهاز التنفسي ، ثم الجهاز العصبي والحركي ، والجهاز البولي والتناسلي ، والأمراض المعدية مثل : **شلل الأطفال ، الكزاز** . ثم الأمراض الجلدية في الأطفال ، وأمراض الفم ، والأذن والحنجرة ، وأمراض العين ، وجراحة الأطفال ، والأمراض الوراثية ، والتشوهات الخلقية ، ثم الناحية الكمية في اعطاء العلاجات للأطفال .

كل هذه الأشياء يبسطها ، ويتناول أنواعها ، ومسبباتها ، ويصف الطريقة المثلى في العلاجات وكيفية تناول الأدوية ، ومقاديرها حسبما أوضحه الأطباء الذين ألفوا في هذا الميدان ، كما سيأتي ذكر أسمائهم ومؤلفاتهم في الفصل الخامس .

وإن القارئ المتتبع ليعتز بهذا المستوى الذي أبانه الأطباء المسلمون ، لا على أساس تقديس كل ما هو قديم ، كما قالت **الدكتورة لمعان أمين زكي** في تقديمها لهذا الكتاب بل ليكون هذا الاعتزاز مصدر الهام لجيل الحيرة والقلق المعاصر في جهاده لفهم الذات ، وتحديد الهوية ، وتحقيق الشخصية ، وأن يكون وسيلة من الوسائل التي يصارع بها اليأس ، والتي تؤدي به إلى الاطمئنان على الغد والثقة بالمستقبل ، في فترة تاريخية ، تكاثرت مثبطات العزائم ، ومفترات الهمم . (ص ٩) .

مؤلفات العرب في الطب

وفي **الفصل الخامس** (٩٥ ـ ١٣٥) يأتي على مؤلفات العرب في طب الأطفال ، فيذكر المؤلفين ، وبجانبهم مؤلفاتهم ، ويخرج الحديث عن هذه الكتب بالحديث عن أبرز موضوعات كل كتاب في باب **الطفولة ورعايتها** وهم :

١ ـ **علي بن سهل الطبري** (٠٠٠ ـ ٢٤٧ هـ ، ٠٠٠ ـ ٨٦٢ م) وكتابه « **فردوس الحكمة** » .

★ فتى يعالج نفسه من لدغة الأفعى بأن يقتلها ويأكلها مع بعض أوراق نبات الغار ★

الدكتور **داود الجلبي الموصلي** في كتابه **محمد بن زكريا** أن مؤلفاته تبلغ ٢٣٢ ، حسبما ذكرها ابن أبي أصيبعة .

أما ابن سينا فله من المؤلفات أكثر من مائة ، وكان موضع اهتمام الغربيين قبل العرب ، وقد أوفاه حقه كل من **الدكتور جميل صليبا** في كتابه ابن سينا ، **وجورج شحاتة** في كتابه مؤلفات ابن سينا المخطوط منها والمطبوع ، **والعقاد** في كتابه الشيخ الرئيس ، وغيرهم .

٦ ـ **أحمد بن محمد الطبري** (٣٢٠ ـ ٣٦٦هـ ، ٩٣٢ ـ ٩٧٦م) في كتابه المعالجات البقراطية الذي قال عن نفسه في مقدمته : بأنه لم يتكلم أحد قبله في علاج الأطفال كلاماً شافياً ، بل اعتمد الأوائل في ذلك على أن الطب علم ، وعلمه يشتمل على الأطفال وغيرهم في باب المعالجة .

ثم أفاض الدكتور محمود في ايضاح مرئيات الطبري في **التشخيصات العلاجية للطفل كما عرضها في كتابه هذا .**

٧ ـ **ابن الجزار القيرواني** (٢٨٥ ـ ٣٦٩هـ ، ٨٩٥ ـ ٩٨٠م) في كتابه سياسة الصبيان وتدبيرهم وقد سبق لنا أن عرضنا هذا الكتاب على صفحات مجلة الفيصل في العدد ٢٤ الصادر بشهر جمادى الآخرة عام ١٣٩٩ هـ .

٨ ـ **عريب بن سعد** الكاتب القرطبي في كتابه : خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين . . ومع أن المؤلف اعتبره أجود مؤلف في علم الولادة . كما يعتبر من **الأبحاث النفسية في علم طب الأطفال** ، إلا أنه يعود بعد الإشادة بهذا الكتاب وعرض أبرز أبوابه إلى القول : « بأن هذا الكتاب مع ما يبرز فيه من مزايا قيمة يحتوي على بعض المثالب والأخطاء العلمية ، لا نقره اليوم عليها قياساً لما نعرفه في علم الطب الحديث » .

٩ ـ **علي بن العباس المجوسي** (٠٠٠ ـ نحو ٤٠٠ هـ ، ٠٠٠ ـ ١٠١٠م) في كتابه الملكي « **كامل الصناعة الطبية** » الذي خصص في الجزء الثاني منه ، ثلاثة أبواب لطب الأطفال .

١٠ ـ **أحمد بن أبي الأشعث** (٠٠٠ ـ ٣٦٠هـ ، ٠٠٠ ـ ٩٧١م) الذي ظهر بعد موت الرازي ، وكسب شهرة عظيمة في كتابه : كتاب في الجدري والحصباء والحميقاء .

١١ ـ **أحمد بن محمد البلوي** في كتابه « **تدبير الحبالى والأطفال والصبيان ، وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم** » والكتاب لا يزال مخطوطاً ، وقد وعد المؤلف بتحقيقه .

١٢ ـ **ابن سينا** (٣٧١ ـ ٤٢٨ هـ ، ٩٨٠ ـ ١٠٣٧م) الذي ألف ٢٧٦ كتاباً ، وقد خصص في كتابه « **القانون في الطب** » كما يقول المؤلف ، قسماً لتربية الأطفال وأمراضهم ، ويسميه « التعليم الأول في التربية » وهو أربعة فصول .

ومع اشادته بابن سينا ، وذكره الموضوعات التي اهتم بها في علاج الأطفال وأمراضهم ، ونموذجاً للوصفة الطبية التي ذكرها ابن سينا لمرض القلاع « **التهاب الفم** » ، فإنه معجب بآرائه في **التربية** ، تلك التربية التي رأى ابن سينا أنها تنبع من الإسلام ، ثم بعد تشبعه بها يعلّم التربية التي تكسبه لقمة العيش ، ولا ينسى الصفات التي يجب أن يتحلى بها **المدرس** ، ثم نظرته إلى **العقاب** فالمؤلف في تتبعه لخطوات ابن سينا في التربية ، يرى أنه « على حق في حرصه على المناداة في التربية الخلقية ، فالأخلاق هي كل شيء ، والحياة هي الأخلاق ، **فالتربية الحديثة اليوم توجب على المدرس أن يذكر دائماً ، إننا لسنا في حاجة إلى العلم فحسب ، ولكننا في حاجة إلى**

٢ ـ **يوحنا بن ماسويه** (٠٠٠ ـ ٢٤٣ هـ ، ٠٠٠ ـ ٨٥٧م) في كتابه « **الجنين** » .

٣ ـ **ثابت بن قرّه** (٢٢١ ـ ٢٨٨ هـ ، ٨٣٦ ـ ٩٠١م) في ثلاثة كتب له ذكرها ابن أبي أصيبعة (٥٩٦ ـ ٦٦٨ هـ ، ١٢٠٠ ـ ١٢٧٠ م) وهي : جوامع كتاب **جالينوس** في المولودين لسبعة أشهر ، ورسالة في الجدري والحصبة ، ومقالة في صفة كون الجنين .

٤ ـ **حنين بن اسحاق** (١٩٤ ـ ٢٦٠ هـ ، ٨٠٩ ـ ٨٧٣م) وله ستة مؤلفات ذكرها المؤلف نقلاً عن ابن أبي أصيبعة ، وأشار إلى أنه لم يتيسر له الإطلاع على مؤلفاته في طب الأطفال وهي :

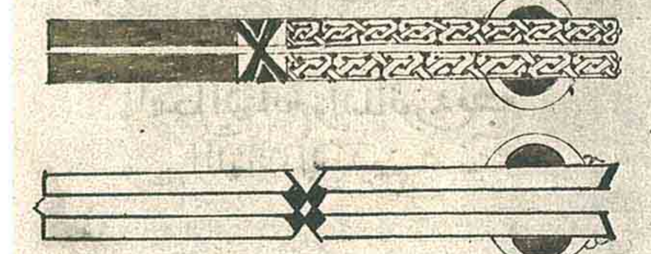
- ثمار كتاب أبقراط في المولودين لثمانية أشهر .
- مقالة في كون الجنين ، مما جمع من أقاويل جالينوس وأبقراط .
- كتاب في اللبن أو مقالة في اللبن .
- كتاب فيمن يولد لثمانية أشهر على طريق المسألة والجواب .
- المولودين لسبعة أشهر .
- رسالة في تدبير المولودين .

٥ ـ **الرازي** (٢٢٦ ـ ٣٠٣هـ ، ٨٤٠ ـ ٩٢٥م) ، وقد أفاض المؤلف في كتبه مما يدل على أنه قد اطلع عليها ودرسها ، فهو يستخلص ما يتعلق بطب الأطفال من **كتاب الحاوي** ، ذلك الكتاب الذي لم يخلد اسم الرازي في أوروبا خاصة ، وفي العالم بأسره عامة فحسب ، بل أضفى على الطب العربي منزلة رفيعة بما فيه من ملاحظات سريرية تدون لأول مرة في تأريخ الطب ، وبما حوى بين دفتيه من معلومات عميقة ، وومضات متمكنة للحالات الطبية والعلاجية المختلفة . وكتابه الثاني **المنصوري** الذي سماه باسم المستشفى الذي يشرف عليه ، وقد تكلم في الرسالة الرابعة منه عن تدبير الأطفال .

ثم رسالة للرازي في طب الأطفال ، تلك الرسالة التي حوت أربعة وعشرين باباً في الأمراض التي تعتري الأطفال[١] ، شارحاً كل مرض ، وواصفاً العلاج ، ومعيداً الأسباب في بعضها إلى ظواهر معينة .

وقد اعتبر المؤلف هذه الرسالة « **أول مؤلف في طب الأطفال** » . ثم ذكر كتاب الرازي في **الجدري والحصبة** ، وكتابه : مختصر في اللبن ذكره ابن أبي أصيبعة ، لكن المؤلف لم يطلع عليه .

وإن ما أشار إليه المؤلف عن مكانة الرازي الطبية ، وما ناله من شهرة علمية ، فإنما هو جزء من المنزلة الرفيعة التي احتلتها المكانة الطبية الإسلامية ، وخاصة الرازي وابن سينا ، في أوروبا منذ النهضة الحديثة ، حتى يومنا هذا ، إذ بلغ الأمر بأن ترجمت كتبهما وخاصة الرازي للغات اللاتينية المتعددة ، وطبعت رسالة الجدري والحصبة باللغة الإنجليزية أربعين مرة بين عامي ١٤٩٨ ـ ١٨٦٦م ، وعلقت صورته بجانب ابن سينا في **مدرسة الطب بجامعة باريس** (انظر كتاب قصة الحضارة لديورانت ١٣ : ١٨٩ ـ ١٩٦) ، وقد ذكر



★ رسوم لبعض الأدوات التي استخدمت في طب الأسنان : ضاغطة اللسان وكماشة لقلع الأسنان (من كتاب طبي للزهراوي المتوفى سنة ١٠١٣م) ★

كثير من الأخلاق الفاضلة أيضاً.

١٣ ـ **يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة البغدادي** (٠٠٠ ـ ٤٩٣هـ ، ٠٠٠ ـ ١١٠٠م) في كتابه : «**كتاب تقويم الأبدان في تدبير الإنسان**» ، هذا الكتاب الذي يفرق بين **أمراض الأطفال والشيوخ والشباب** ، ويتكلم عن كثير من أمراض الأطفال وكيفية علاجهم .

١٤ ـ **علي بن رضوان** (٠٠٠ ـ ٤٥٣هـ ، ٠٠٠ ـ ١٠٦١م) ذكر له كتابين لم يتيسر له الاطلاع عليهما :

- مقالة في أن جالينوس لم يخلط في أقاويله في اللبن على ظن قوم .
- رسالة في علاج صبي أصابه المرض المسمى بداء الفيل ، وداء الأسد .

١٥ ـ **أبو الحسن علي بن هبل البغدادي** (٠٠٠ ـ ٦١٠هـ ، ٠٠٠ ـ ١٢١٣م) الذي عقد ثلاثة فصول عن تدبير المولود ، وتغذيته ، ومداواة أمراض الأطفال في الجزء الأول من كتابه «**المختارات في الطب**» .

١٦ ـ **ابن النفيس** (٦١٧ ـ ٦٩٦هـ ، ١٢١٠ ـ ١٢٩٨م) في رسالته التي لم يتيسر للمؤلف الاطلاع عليها «**أوجاع الأطفال**» .

١٧ ـ **أبو الفرج بن القف** (٦١٩ ـ ٦٨٥هـ ، ١٢٢٢ ـ ١٢٨٦م) في كتاب لم يطلع عليه المؤلف وهو «كتاب جامع الفرض في حفظ الصحة ودفع المرض» .

١٨ ـ **داؤد الأنطاكي** (٠٠٠ ـ ١٠٠٨هـ ، ٠٠٠ ـ ١٦٠٠م) في كتابه «**تذكرة داؤد**» .

وهؤلاء لم يكونوا هم أطباء العرب فقط ، ذلك أن عددهم كبير ، ومجهوداتهم الطبية ضخمة لكن المؤلف ذكر من لهم عناية استقلالية في شؤون الأطفال وعلاجهم فحسب .

القواعد الأساسية في التربية

وفي الفصل السادس والأخير (١٤١ ـ ١٥١) ، يلم بالقواعد الأساسية في التربية والتعليم عند العرب والمسلمين .

يستعرض في هذا الفصل آراء علماء المسلمين والعرب في القواعد الأساسية لتدريس الأطفال في التربية العربية والإسلامية ، ويركز ذلك في نقاط منها :

- **عدم تحديد السن لبدء التعليم .**
- **عدم تحديد المدة التي يمكثها الطفل في الكتاب .**
- **التفرقة في الطريقة التي تتبع في التعليم .**
- **مراعاة ميول الأطفال لبعض مواد الدراسة ، ومراعاة استعداداتهم الفطرية .**

مكانة العرب في الطب

في مقارنة لطيفة بين مستوى الطب الإسلامي منذ ألف سنة ، وما يقابلها من مستويات في أوروبا ، ذكرت **عفاف الرشيدي الخضر** في مقالها الصادر في مجلة «**تأريخ العرب والعالم**» العدد الخامس مارس (آذار) عام ١٩٧٩م (٤١ ـ ٤٦) ، وقالت : في بغداد ٩٠٠ طبيب خاص ، ولا طبيب واحد في حوض الرين .

وفي رسالة من مريض بمستشفى المنصوري لأبيه يصف المستوى العلاجي والتخصصي في أقسام هذا المستشفى ، وعناية الأطباء بصحة المرضى ، ونظافتهم ، وطعامهم المتنوع الشهيّ ، وأسرّتهم الوثيرة النظيفة ، في وقت توصف فيه حالة أحسن مستشفى بباريس بالرداءة والقذارة ، واختلاط الهوام والحشرات مع المرضى . وليست هذه المقارنة من الكاتبة على سبيل التجني أو المبالغة ، ذلك أن الغربيين أنفسهم يعترفون بهذا ، فهذا ديورانت في كتابه قصة الحضارة يذكر :

(١٠ ـ ١٩٤) «وكان الناس في عهد **الرومان** يحاولون التغلب على المرض والطاعون بالسحر والصلوات ، حتى في الوقت الذي نتحدث عنه طلبوا إلى **فسبازيان** المتشكك ، اللين الجانب ، أن يداوي عماهم ببصاقه ، وعرجهم بمس قدمه ، وكانوا يحملون مرضاهم ، وقرابينهم إلى هيكل ايسلبيوس ومنبرفا» .

وعند المسلمين يقول : (١٣ ـ ١٩٠) «وكان في **بغداد** عام ٩٣١م ـ ٣١٨هـ ثمانمائة وستون طبيباً مرخصاً ، وكانت أجورهم ترتفع بنسبة قربهم من بلاط الخلفاء ، فلقد جمع **جبريل بن بختيشوع** طبيب **هارون الرشيد ، والمأمون والبرامكة** ثروة تبلغ ثمانية وثمانين مليون درهم وثمانمائة ألف أي نحو سبعة ملايين ومائة ألف دولار أمريكي ، وقد نجح في علاج الشلل الهستيري في جارية» .

وفي إحياء علم الطب في عصور النهضة يقول : «إن أوروبا ظلت حتى عام ١١٣٩م ، تتحكم فيها علاجياً الأساطير والخرافات ، فالدجالين متأهبين لمداواة الناس أو قتلهم نظير أتفه الأجور ، والقابلات يجرين عملية الولادة المخزية

السخيفة ، وانتشرت العقاقير الغريبة المروعة ، والصيغ السحرية العجيبة ، فبعض الحجارة إذا أمسكت باليد كانت في نظر بعض الناس تمنع الحمل ، كذلك كانت بعض النسوة ، وبعض الرجال ـ حتى في **سلرنو** مدينة الطب نفسها ـ يأكلون روث الحمير لتقوى قدرتهم على الإخصاب » (١٧ : ١٨٧) .

ثم يشير إلى أن **جامعة نابولي** بعد عام ١٢٦٨ م عندما بدأت تهتم بتدريس الطب كانت تستورد عقاقير كثيرة من بلاد الإسلام ، وظلت محتفظة بأسمائها العربية » . (١٧ : ١٩٠) ، كما أن **روجر الثاني** صاحب **صقلية** قصر مهنة الطب على الذين ترخص لهم الدولة ، وأكبر الظن أنه حذا في ذلك حذو السوابق الإسلامية القديمة » (١٧ : ١٩٠) .

والباحث في مكتبة التراث العربي يكتشف كل يوم شيئاً جديداً في علوم الطب والأدوية عند المسلمين ، تلك العلوم التي فتحت آفاقاً واسعة ، وقصرت مسافات طويلة أمام النهضة الأوروبية الحديثة ، فهذا كتاب ينفرد بالعلاجات المتخصصة : كطب الأطفال ، والعيون ، والحميات .. كما مرّ بنا نماذج ذلك ، وهذا كتاب ينفرد بالأدوية ، ووصف اختصاصات كثير من الأعشاب والنباتات وفائدة أنواع الأغذية للجسم مثل كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية وهو سفر كبير **لضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي** (٠٠٠ ـ ٦٤٦ هـ ، ٠٠٠ ـ ١٢٤٨ م) .

كما أن كثيراً من العلماء والأدباء كان لهم المام بالعلوم الطبية ، كما نرى عند **ابن القيم** (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ ، ١٢٩٢ ـ ١٣٥٠ م) في زاد المعاد ، **والنويري** (٦٧٧ ـ ٧٣٣ هـ ، ١٢٧٨ ـ ١٣٣٣ م) في نهاية الأرب .

وما ذاك إلا بما تشبعت به نفوسهم ، وطفح به معيارهم ، فكان الطب واحداً من العلوم الشائعة ، يستمدون بعض وصفاته من مصدري التشريع الديني عند المسلمين : كتاب الله ، وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

وحبذا لو كانت الجامعات الكثيرة في العالم العربي والإسلامي في شتى العلوم والمعارف وخاصة الطب والعلوم الإنسانية ، والفلك والكيمياء ، تضع في مناهجها ما يربط الطالب بعلوم أجداده ، فيدرس نظرياتهم وتجاربهم .. إذ في ذلك حافزاً قوياً للحماس والإقتداء ، وتركيزاً على الأصالة والبعد عن التبعية .. فلقد تعلم الغرب وأفاد من العلوم أكثر مما نعرف نحن عنها .

هذا الكتاب

لقد آمن المؤلف في مقدمته بأهمية مثل هذا الكتاب ، ليكون كاشفاً أمام الأجيال الجديدة ، ولتعلم أن آباءها كانوا بناة للحضارة والعلم . وقد أيدته الدكتورة لمعان أمين زكي أستاذة طب الأطفال في كلية طب جامعة بغداد تقديمها لهذا الكتاب ، إلا أنها قالت : « ومن هنا أيضاً كان الحافنا على المؤلف ، بأن يراجع فصوله ، ويزيد عليها ، ويجمعها في كتاب يسهل علينا الاطلاع على ما كتب آباؤنا في هذا الفرع المهم من فروع العلوم الطبية » .

فالمؤلف قد خدم المكتبة العربية بجهده هذا ، وقدّم للأجيال العربية خلاصة جهد أجدادهم في طب الأطفال ، بعد أن بلوره في نسق تاريخي ، وتعريف متكامل ، لجهود الأطباء ، وأعمالهم المتواصلة ، والتي تفتق عنها مؤلفات ألمّت بموضوعات متعددة من أمراض الأطفال ، وأعراضها ومظاهرها ، وكيفية علاجها ، مع اشارة عاجلة إلى أسلوب ابن سينا في التربية .. وهو جهد مشكور وموفق ، مع المشقة والتحمل ، ناء به كاهل المؤلف رغم مشاغله التي أبان عنها في تقديمه .

وهو خير هدية ـ تزاحم الهدايا المماثلة ـ التي تقدمها ثمار الفكر الإسلامي في عصور ازدهارها للبشرية عامة ، ولعالم الطفولة والأمومة بصفة خاصة . إلا أن القارئ المتخصص ، يطمع في الزيادة التي تفتح آفاقاً جديدة من المعرفة على المكانة العلمية لدى أطباء العرب المسلمين ، إبان ازدهار حضارتهم ، كما تتوق نفسه إلى استيفاء الموضوع في نقاط تكميلية مثل :

● الناحية العلاجية ووصفات الدواء ، وكيفية تركيبه .

● نماذج من الحالات العلاجية التي يستعصي مثلها على كثير من أطباء هذا الزمان وكانت نتائجها عند العرب البرء ، سواء كان العلاج سريرياً أو نفسياً أو جراحياً .

● تعريف عن اهتمام العرب بالغذاء كجزء من العلاج وخاصة للأطفال .

● كان **للمستشفى المنصوري** أقسام متعددة لعل من بينها قسم للأطفال ، وقسم للنساء ، وهو نموذج للمستشفيات المتعددة في بلاد المسلمين ذلك الوقت .

فالقارئ العربي يتشوق إلى أن تتجسم عنده أمثال هذه المقارنات التي تزيده ثقة في المكانة التي وصل إليها أجداده ، ليستمد من مسيرتهم جذوة الحماس ، ومن مكانتهم قدوة الاحتذاء .

وإذا كانت الشكليات المظهرية ، التي يهتم بها بعض العلماء والباحثين في الجامعات العربية ، وخاصة في الرسائل العلمية ، تعني عمقاً في المدلول ، ورجاحة في الميزان العام ، وثقلاً في نظر بعض القراء ، ممن أخذوا بهذه المنهجية في نظرتهم للمجهودات العلمية .. فإن هذا الفريق يطالب المؤلف بأن :

●● يهتم بثبت المصادر التي استقى منها ، موضحاً اسم الكتاب ومؤلفه وطباعته وتاريخها إذا كان مطبوعاً ، والناشر ، ومكانه ورقمه إذا كان مخطوطاً .

●● يضع فهارس مختلفة لكتابه ليسهل على القارئ الوصول لهدفه : كفهرس الكتب وفهرس الأعلام وغيرها .

●● يراعي وضع التاريخ الهجري بجانب العام الميلادي ، ذلك أن التاريخ الهجري مرتبط بدراسة التراث وتاريخ الأمة .

●● يختمه بخلاصة ما توصل إليه من آراء قاطعة ، وترجيحات لم يسبق إليها .

●● يلاحظ الأخطاء اللغوية والإملائية ، التي جاءت بلا شك من الطباعة ، وأن يهتم بالهمزات وعلامات الترقيم والوقف .. تلك العلامات التي لا وجود لها في هذا المؤلف .

●● وضع تأريخ ولادة ووفاة من يتعرض للحديث عنه ، مع لفت النظر إلى تأريخ كل كتاب وأهم الأحداث إذا وجدت .





موضوع خاص

المساجد ..



بقلم : شريف يوسف

المساجد
وفن العمارة الإسلامية

لبناء المساجد والجوامع نظام خاص قلما تخرج عنه التصاميم والمخططات الخاصة بها ، فهذا النظام مستمد في أساسه من المسجد الأول الذي أقامه النبي العظيم صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، فعندما وطئت قدماه أرض المدينة وجه عنايته إلى إنشاء مسجد يضم شتات المسلمين ، ويكون مظهراً من مظاهر الرابطة الإسلامية بين المهاجرين والأنصار . بنى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أول ما بنى (مسجد قباء) في ضاحية تبعد عن المدينة المنورة مسافة فرسخين إذ ذاك ، ومكث فيها أربعة أيام ، ثم بنى مسجده داخلها . ولشدة تعلقه بالمسجد أقام بيوت أزواجه حوله ، كما اقام أصحابه بيوتهم بالقرب منه .

ويذكر **ابن النجار** في كتابه (**الدرة الثمينة**) عن **الإمام مالك** أن : « حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليست في المسجد ، ولكن أبوابها شارعة في المسجد » . وكانت هذه المنازل تسعة ، بنيت باللبن ولها حجر من جريد مطرور بالطين ، وجعل للمسجد باباً تجاه باب عائشة رضي الله عنها ، يخرج النبي صلى الله عليه وسلم منه إلى الصلاة .

كان مسجد المدينة المنورة بناء يترجم في بساطة بنائه عن بساطة الدين الإسلامي الحنيف . **وللمسجد صحن سوره من اللبن** ، وأساسه من الحجارة ، ولم يكن لهذه الرحبة سقف في أول الأمر ، فلما شكا المسلمون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم شدة الحر أقام ظلة ، وجعل في المسجد **سواري من جذوع النخل** ، ثم طرحت عليها العوارض والخصف . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب واقفاً على قطعة جذع نخلة ، ثم استبدل ذلك بمنبر من الخشب بثلاث درجات ، وعند الصلاة يقف المصلون خلف النبي في صفوف مستقيمة مستقبلين **بيت المقدس** ، ثم تحول هذا الاتجاه سنة ٦٢٤م ، إلى جهة الجنوب حيث **الكعبة المشرفة في مكة المكرمة** ، وأقيمت سقيفة (ظلة) أخرى في الجهة الجنوبية من المسجد ، فأصبح المسجد قريباً من مربع طول جدار القبلة فيه تسعون ذراعاً ، ومنه إلى جدار المؤخرة مائة ذراع ، وكانت الظلة مكونة من ثلاثة صفوف ، فيها تسع سوار من جذوع النخل ، ثم دفعت سنة التطور إلى الوصل ما بين السقيفتين الشمالية والجنوبية بسقيفتين جانبيتين إحداهما إلى اليمين والأخرى إلى اليسار ، وفي الوسط صحن مكشوف .

لم يكن للمسجد مئذنة ، فقد كان **المؤذن بلال** يؤذن من أعلى سطح دار مجاورة أو من أعلى أسطوانة ، وقد جاء في كتاب (**وفاء الوفاء**) **للمسعودي** : « كان في دار **عبد الله عمر** أسطوان في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال ، ويرقى إليها بأقتاب ، والاسطوانة مربعة يقال لها « **المطهار** » ، وهناك رواية تقول : « كان بلال يؤذن على منارة في دار **حفصة بنت عمر** التي تلي المسجد ، وكان يرقى على أقتاب فيها » .

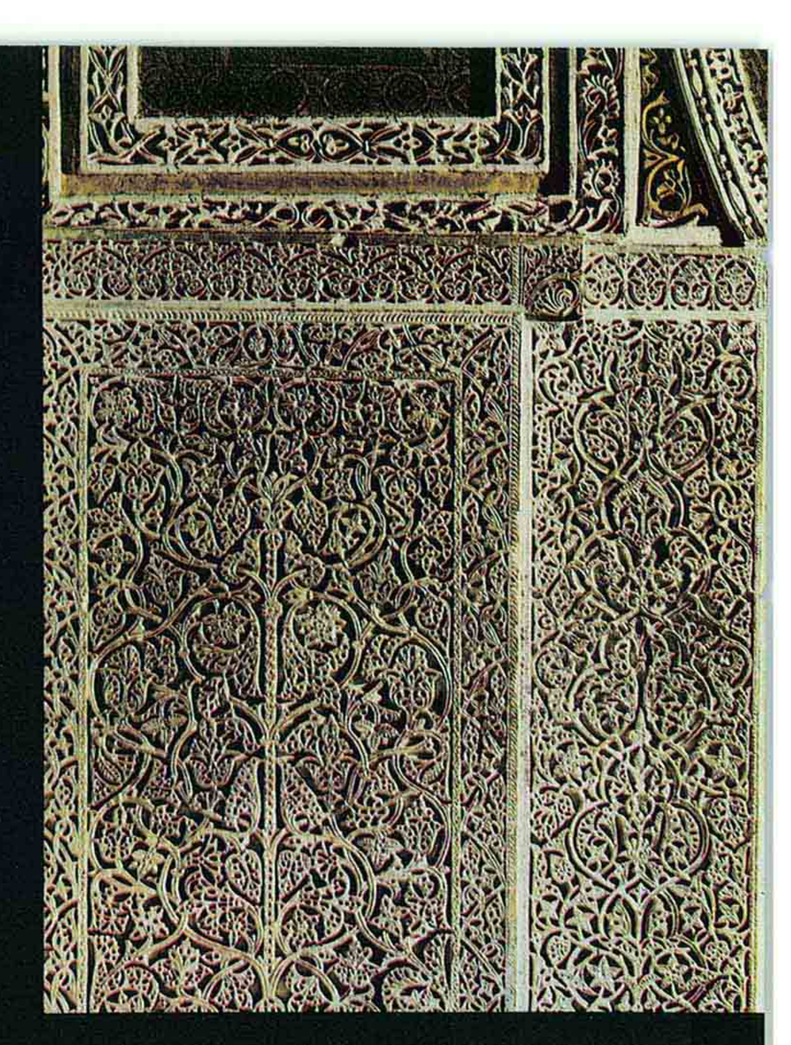
أقدم المساجد في البلاد الإسلامية

كثرت المساجد وزاد انتشارها بتوسع الفتوحات الإسلامية ، وقد روي أن **أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** رضي الله عنه كتب إلى (**أبي موسى الأشعري**) وهو في **البصرة** يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ، ويتخذ مسجداً للقبائل ، ولينضموا إلى مسجد الجماعة يوم الجمعة ، وكتب إلى كل من (**سعد بن أبي وقاص**) ، وهو في **الكوفة** ، وإلى (**عمرو بن العاص**) وهو على **مصر** بمثل ذلك . **ويعتبر تخطيط مدينة البصرة أول تجربة لتخطيط المدن في العصر الإسلامي ، وكان مؤسسها (عتبة بن غزوان المازني)** وذلك سنة ٦٣٥م . وقد جعل المسجد ودار الإمارة وبيت المال في وسط المدينة ، وجعلت الطرق والشوارع تؤدي كلها إلى المسجد ، كما شيدت الأسواق قريبة من المسجد لتيسر لعامة الناس الاتصال بالولاة وأداء فريضة الصلاة ودفع الضرائب وردها إلى بيت المال .

كان هذا المسجد خال من البناء ، فهو يشغل ساحة مكشوفة مسوّرة بسياج من القصب ما لبث حتى شيّد له سور من اللبن والطين ، وجعل له سقيفة من القصب يحتمي بها المصلون من حرارة الشمس نهاراً . وفي ولاية (**زياد بن أبيه**) على **البصرة** ، سنة ٦٦٤م ، أعيد بناء المسجد ، واستبدل السقف القديم بسقف من خشب الساج ، وجعل حرم المسجد بخمسة صفوف قائمة على أعمدة من الرخام ، وحوّل دار الإمارة إلى خلف المسجد من جهة القبلة ، وفتح في حائط المسجد باباً يتصل بدار الإمارة ليتسنى للأمير الدخول إلى المسجد وقت الصلاة ، وبنى في المسجد مقصورة كما بنى له منارة .

ثم بنيت **الكوفة على غرار مدينة البصرة ، وجاء بناؤها بعد عامين أو ثلاثة من بناء مدينة البصرة ، بناها (سعد بن أبي وقاص)** ، وجعل مسجد الكوفة ودار الإمارة وبيت المال في وسط المدينة أيضاً ، ولم يكن للمسجد سور في بادئ الأمر بل كان صحنه مكشوفاً يحيط به خندق وله سقيفة يستظل بها المصلون في الجهة الجنوبية من الصحن ، ثم أحيط المسجد بسور من اللبن والطين . وقد وسّع (زياد بن أبيه) هذا المسجد بحيث صار يتسع لستين ألف مصل ، وبنى الجدران بالآجر المستخرج من خرائب الحيرة القريبة من الكوفة ، وجلب الأعمدة الحجرية منها لرفع السقوف عليها ، وكان حرم المسجد مكوناً من خمس بلاطات ، وفي الجهات الأخرى الثلاث بلاطتان ، ويستند السقف مباشرة فوق الأعمدة التي يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثين ذراعاً .

وعندما دخل الخليفة عمر بن الخطاب **مدينة القدس** خرّ ساجداً لله تعالى وسار حتى دخل **كنيسة القيامة** وصلّى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفرداً ، ثم طلب من **البطريق** أن يريه موضعاً يبني فيه مسجداً للمسلمين ، فقال له البطريق : « على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب » . فانطلق إليها عمر رضي الله عنه فوجد عليها ردماً كثيراً ، فشرع في إزالته ، وتناوله بيده يرفعه بثوبه ، فهرع المسلمون إلى الاقتداء به وأمر في بناء المسجد في ذلك الموضع . ويذكر **المقدسي** أن **الخليفة عبد الملك بن مروان** بنى سوراً حول تلك الأرض المقدسة ، وجعل



★ من خاصيات فن الزخرفة في العمارة الإسلامية ، اقتباس الفنان المسلم مادته من الطبيعة ، وتبدو في هذا التشكيل الزخرفي البديع أوراق ومراوح نخيلية ، وفروع نباتية ★

السور قائماً على أسس سور قديم ، فكان لهذا السور **أبـراج ومـدخل** ، وهـو مستطيل الشكل طوله (١٥٠٠) قدم ، ومعدل عرضه (١٦٠) قدماً ، وضم هـذا السور الآن **مسجد الصخرة والمسجد الأقصى** ، وقد تغير بناء هـذا المسجد عندما أعاد عبد الملك بناءه سنة ٧٠٩ م . كما أن **الخليفـة العباسي المنصـور** أجرى فيه تجديدات كثيرة سنة ٧٥٨ م .

وبعد فتح بلاد مصر اختط (عمرو بن العاص) معسكراً لجيشه في مكان سماه (**الفسطاط**) ، ووضع أساس أول مسجد جامع فيه ، وصلى فيه يوم الجمعـة سنـة ٦٤٢ م .وجعل البناء في أرض مستطيلة الشكل ٥٠×٣٠ ذراعاً ، وبنى الجدران كلها من اللبن ، فيها بابان في كل ضلع من أضلاعه ما عـدا جـدار القبلـة ، وفـرشت الأرض بالحصى ، وأقيم السقف على جذوع النخل . ثم استبدلت بعد ذلك بـأعمدة حجرية كانت موجودة في أبنية قديمة ، وقد توسعت مساحة المسجد في زمن **معاوية** حيث قام عامله (**مسلمة بن مخلد**) بتشييد أربعـة أبـراج لـلأذان في أركانـه الأربعة .

وفي زمن عبد الملك بن مروان قام عامله (**قره بـن شريـك**) في هـدم جميع البناء القديم وأقام مكانه بناء جديداً ، وضم الدار التي بناها عمرو بـن العـاص والطريق الذي يحيط بالمسجد إلى مساحة المسجد .

وعندما أرسل الخليفة عمر بن الخطاب القائد (**عقبة بن نافع**) لفتح تونس ، وتم له ذلك سنة ٦٧٠ م . قام بتأسيس (**مـدينة القـيروان**) في وسـط الصحـراء لتكون مقراً لجيشه ، وبنى **الجامع الشهير** فيها سنة ٦٧٥ م . كما اختط دار الإمارة ، وجعل الدور من حول المسجد . وقد قام **البربر** بثورة بعد عقبة وهـدموا الجـامع ، ولكن (**بشر بن صفوان**) عامل **الخليفة هشـام بـن عبـد الملك** على تـونس أعاد بناء الجامع ووسعه ، وحرص على أن لا تتغير معالمه الأولى رغم ما أدخل على البناء من إصلاحات جديدة . **ويتميز هذا الجامع بمئذنته الـتي جعلت على هيئة برج ، قاعدته مربعة ، وتعد هذه المئذنة أقـدم المآذن في تـاريخ العمارة الإسلامية .**

مما تقدم نلاحظ أن بناء المساجد والجوامع في البلاد التي فتحها المسلمون وحتى مسجد المدينة المنورة كانت أبنية بسيطة البناء ، أقيمت لغـرض الصـلاة والـوعظ والاجتماعات العامة ، وليس في هذه الجوامع نزوع إلى اتقان في العمارة والـزخرفة ، وفي مثل هذه الأبنية البسيطة لم تكن هناك حاجة إلى استعارة أسـاليب معـماريـة مـن مكان ما ، إذ لم تكن هناك ضرورة لمثل هذه الأساليب .

المساجد والجوامع في العهد الأموي

عندما انتهى عصر الخلفاء الراشدين وأصبحت الخلافة لـلأمويين عـام ٦٦١ م ، وصارت **دمشق** عاصمة الخلافة بدلا من **المدينة المنـورة** ، انتقـل العـرب مـن القناعة بالضروري اللازم إلى الطموح في إقامة أبنيـة ومسـاجد تـوازي في عـظمتها الكنائس المسيحية التي كانت في بلاد الشام . وقد تم فعـلاً في زمنهم تجـديد أبنيـة مسجد المدينة بإقامة جدران ودعائم من الحجر له ، ثم **ظهرت المآذن والمحـاريب الجميلة الزخرفة** ، كما أدخلت زيادات ثانوية على البناء **كالأواويـن والأروقـة** التي تحيط بصحن الجامع ، رفعت فوقها **الأقواس والعقود المتنوعة الأشكـال من مدببة الأطراف إلى مسطحة** وغيرها من الأشكال ، وعلت السقـوف فـوق أعمدة من الرخام ، كما **ظهرت القباب** في أفق البلاد الإسلامية بأشكال مختلفـة ، وشيدت **الصوامع** العالية للأذان ، ووضع **المحراب المجوف** في جدار القبلة .

إن أهم المساجد والجوامع التي أنشئت في العصر الأمـوي هـو (**المسـجد الأموي**) في دمشق ، ذلك المسجد العظيم الذي **شيده الوليد بن عبـد الملك على أنقاض كنيسة (القديس يوحنا)** والتي كانت قـائمة على معبـد رومـاني قديم . لقد تم بناء هذا الجامع سنة ٧٠٧ م . وجاء آية في الفـن وروعـة الـزخرفة ، تمثلت فيه ظواهر معمارية إسلامية عديدة ، منها ترتيب الأروقة والبلاطات في الحرم وحول الصحن ، **وادخال المحراب في جـدار القبلـة ، واستعمال العقـود والأقواس الشبيهة بحدوة الفرس ، وكذلك تـزيين الجـدران والعقـود بالفسيفساء التي لا يضاهيها أي عمل مماثل عند الرومان .**

يتكون المسجد الأموي هذا من صحن كبير مستطيل الشكل ، تحيط بـه سقيفـة محمولة على أعمدة وأكتاف ، وفي بيت الصلاة ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلـة ، وتحمل الأعمدة الرخامية المرتبة في داخل الحرم أقواساً وضـع فـوقها سقـف بشكـل جملون . إن هذا التصميم أصبح أنموذجاً لتصاميم المساجد الـتي أنشئت في العهـد الأموي في بعض الأقطار العربية ، ويظهر لنا هذا التأثير بصورة جلية في **مسجد حلب وجامع الزيتونة ومسجد القيروان** في الأندلس ، **أما العراق وإيران فلم يتأثرا بالطراز الأموي كثيراً .**

ومن أعمال عبد الملك بن مروان بناء **قبة الصخرة** عام ٦٩١ م . وقـد جعـل تصميمه بشكل مثمن ، في داخله رواقان يحيطان بالصخرة المقدسة ، وفي كل ضلـع من أضلاع الرواق الأول المثمن ثلاثة عقود محمولة على ستة عشر عمـوداً وثمـانيـة أكتاف . والرواق الثاني فيه اثني عشر عموداً وأربعة أكتاف ، تحمل هذه رقبة **القبـة الاسطوانية** التي يبلغ قطرها ٢٠,٤٤ متراً ، **والقبة مغطاة من الخارج بـطبقة من الرصاص** . وجعل للمسجد أربعة مداخل متقابلة ، وقد استخدم عبـد الملك أمهر الصناع والفنانين في زخرفة البناء بزخارف الفسيفساء الرائعة الجمال .

أما في **العراق** فإن (**الحجاج بن يوسف الثقـفي**) عندما ولي عليـه سنـة

٦٩٤م . في زمن عبد الملك بن مروان قام بإنشاء مدينة جديدة على ضفة نهر دجلة القديم وسماها **(واسط)** لتوسطها بين البصرة والكوفة ، وجعلها مقراً لحكمه ، وبنى مسجداً جامعاً كبيراً فيها ، وجعل دار الإمارة وراء جدار القبلة . يشغل هذا الجامع ، الذي تم اكتشاف أسس جدرانه ، أرضاً مربعة الشكل تقريباً مساحتها حوالي أحد عشر ألف متر مربع ، تحيط بصحنه بلاطات من جوانبه الأربعة ، أكبرها بلاطة القبلة ، وترتفع السقوف على أسطوانات حجرية منحوتة ، وأظهرت الحفريات الأثرية أن أسس الجامع في الطبقة العليا مشيدة على أسس مسجدين أقدم منه بإضافة بلاطة واحدة في كل من الجانبين ، وتغيير بسيط في اتجاه القبلة .

وفي **المغرب العربي يعتبر مسجد الزيتونة في تونس المسجد الثالث من حيث السعة والاتقان في البناء** ، فالمسجد الأول هو **مسجد قرطبة** والثاني **مسجد القيروان** ، ويعرف هذا المسجد بمسجد تونس الكبير ، ويذكر المؤرخون أن **(حسان بن النعمان)** هو الذي أنشأ هذا المسجد عندما دخل تونس في سنة ٧٠٣م . وتذكر بعض المصادر التاريخية أن جامع الزيتونة أنشئ في سنة ٧٣٢م ، إثر فتوحات **(عبيد الله بن الحبحاب)** ، وأن **(زيادة الله بن الأغلب)** زاد في مساحته حتى بلغ أكبر مساحة في أيام **(بني حفص)** .

إن طراز بناء سور الجامع أشبه برباط أو ثكنة لحراسة الثغور ، فهذا السور يتركب من أربع قلاع ، في كل ركن قلعة صغيرة مستديرة للاستكشاف والاستطلاع والدفاع . **وللمسجد صحن مكشوف يحده من الجهة الجنوبية الشرقية رواق القبلة ، بينما يشرف على الصحن من الجهات الثلاث الأخرى سقيفة معقودة ومحمولة على أعمدة مكونة من بلاطة واحدة** . ويتكون رواق القبلة من سبع عشرة بلاطة ، جعلت البلاطة الوسطى أوسع من بقية البلاطات تؤدي إلى المحراب . وللمسجد مئذنة تقع في الركن الغربي من المسجد بنيت سنة ١٨٩٤م .

وللمسجد قبتان تقعان في رواق القبلة ، إحداهما تعلو المربع الواقع أمام المحراب ، والثانية تشغل المنطقة المربعة في نهاية البلاطة الوسطى الملاصقة لصحن المسجد . **وهذا يمكن القول بأن (جامع الزيتونة) له شبه كبير (بجامع القيروان)** ، فالقبة الرائعة البناء التي تتقدم المحراب تعتبر من الأسلوب القيرواني .

من هذه الأمثلة القليلة يمكن القول إن العرب قد تأثروا بحضارات ومدنيات الأمم التي فتح العرب بلادهم ، وكان تأثرهم بالأساليب الفنية التي كانت زاهرة في كل من الشام والعراق وإيران والهند وغيرها من البلاد ظاهراً ، فلا نستطيع أن ننكر مقدار استعانة العرب الأوائل برجال الفن والصناعة من أهل هذه البلاد التي كانت ذات حظ وافر من الحضارة والمدنية في ذلك العهد ، **فالعمارة العربية الإسلامية القائمة في العالم الإسلامي اشترك في إظهار دقائقها وتفصيلاتها صنّاع ومهندسون من مختلف الجنسيات والأمم التي اتخذت الإسلام ديناً لها وحتى الذين بقوا على دينهم من فرس وبيزنطيين وهنود وغيرهم . ولكن العرب ما لبثوا أن أفرغوا تلك الفنون القديمة في قوالب متجانسة ومتناسبة ، لها طابع خاص ، وميزة بارزة ، وأساليب معمارية جديدة تختلف كل الاختلاف عن الفنون المعمارية المعروفة في العالم** ، فالطراز المعماري الأموي الذي جمع بين الطرز والأساليب المعمارية الهلنستية والمسيحية الشرقية (البيزنطية) ، التي كانت موجودة في الشام والشرق الأدنى ، وبين المقاصد التي توخاها المسلمون لأبنيتهم ومنشآتهم ، بقي سائداً في سائر الأقاليم الإسلامية حتى بعد زوال ملك بني أمية في الشرق .

المساجد في العصر العباسي

عندما زالت دولة الأمويين وآلت الخلافة إلى العباسيين عام ٧٥٠م . وانتقلت العاصمة من دمشق إلى بغداد ظهر طراز جديد كان فيه للأساليب المعمارية الساسانية بعض التأثير ، كما أن هذا الطراز قد تأثر بالأساليب الفنية الموروثة عن البابليين والآشوريين والبارثيين وغيرهم من الأمم التي حلت في العراق ردحاً من الزمن .

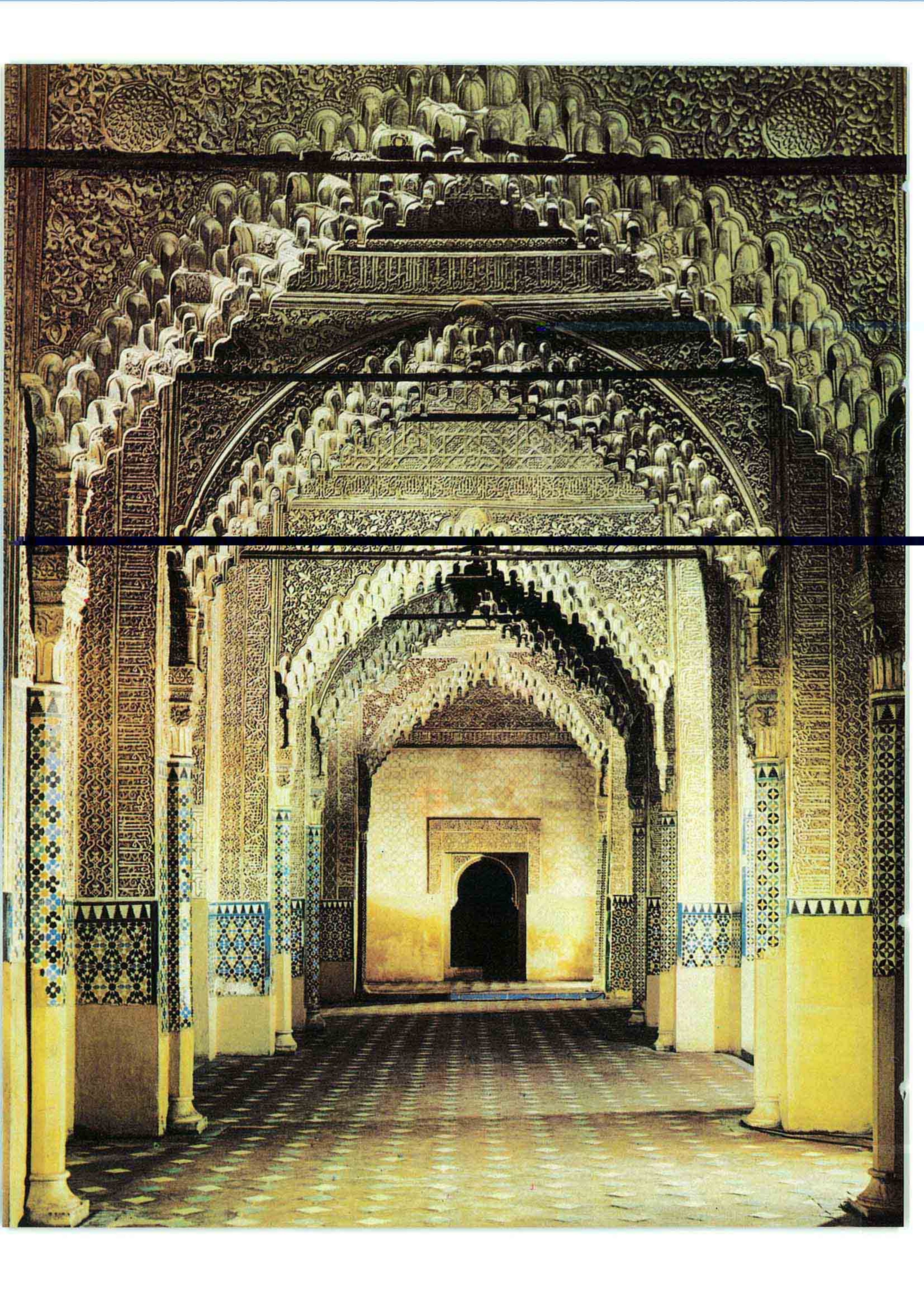
ففي الطراز العباسي تغييرات جوهرية عن الطراز الأموي ، فقد استعمل الآجر بدلا من الحجر في البناء ، وصارت الأكتاف المبنية بالآجر أو الأعمدة الخشبية تستعمل بدلا من الأعمدة الحجرية أو الرخامية ، ونقشت الزخارف في الآجر أو الجص ، **واستعمل التخطيط المستطيل الشكل في أغلب المباني . وقد بلغ الطراز العباسي أوج عظمته في كل من بغداد وسامراء والرقة** ، ونجح العباسيون في فرض أساليب عماراتهم على الإمبراطورية الإسلامية كلها ، وأصابوا توفيقاً كبيراً لا سيما في مصر في العصر الطولوني الذي سيأتي ذكره .

في سنة ٦٧٢م **أنشأ المنصور مدينة بغداد وجعلها مدوّرة الشكل** لها أربعة مداخل رئيسة محورية ، وأنشأ المسجد الجامع في قلب المدينة على أرض مربعة الشكل طول كل ضلع حوالي ٥٠٠ ذراع ، واتخذ لأروقة المسجد أساطين من الخشب ، لها تاج مدور يرتكز عليها سقف الجامع . لقد مرّ على هذا الجامع عدة أدوار تطورت خلالها عمارته وتبدلت أوضاعه ، وصارت مساحته ضعف ما كانت عليه في زمن المنصور . وكان للمسجد مئذنة في الزاوية الجنوبية بين جدار الجامع ، وجدار قصر المنصور الملاصق للجامع ، وقد تعرض الجامع للغرق ولم يبق

★ الأعمدة في العمارة الإسلامية جزء من طابعها . . وهذا العمود المنحوت ، واحد من أعمدة قاعة الملوك في قصر الحمراء بغرناطة الأندلسية ★

★ قاعة الملوك . . أو محكمة العدالة في قصر الحمراء بمدينة غرناطة ، وتبدو العقود ، والمقرنصات التي تمثل مظهراً من مظاهر فن العمارة الإسلامي يشد الاهتمام ، ويبهج النفس ★







★ مئذنة جامع الزيتونة
في تونس ★

★ نموذج لمئذنة
أحد مساجد الجزائر ★

له من أثر في نهاية القرن الثامن الهجري سوى محرابه المصنوع من المرمر الأبيض المحفوظ في **المتحف العراقي**.

وعندما انتقل مركز الخلافة العباسية إلى **مدينة سامراء، التي أنشأها المعتصم بن هارون الرشيد سنة ٨٣١م. وشيّد فيها أكبر مسجد في العالم الإسلامي من حيث المساحة وضخامة البناء**، وقد ضاق هذا الجامع بالمصلين، فأمر ابنه **المتوكل** في هدمه وشيّد مكانه **الجامع الكبير القائم الآن في سامراء** سنة ٨٥٢م. **واشتهر هذا الجامع بمئذنته الملوية** القائمة على قاعدة مربعة طول كل ضلع منها ٣٢ متراً وارتفاع القسم الحلزوني نحو ٥٠ متراً يدور خمس دورات حتى يصل إلى قمة المئذنة. ولما انتقل المتوكل إلى (**المتوكلية**) **شمال سامراء** أسس فيها مسجداً جامعاً يسمى (**جامع أبي دلف**) وجعل مئذنته حلزونية أيضاً ولكنها أصغر حجماً من ملوية سامراء، وكان البناء جميعه بالآجر، أما الزخارف الجصية فلم يبق لها من أثر.

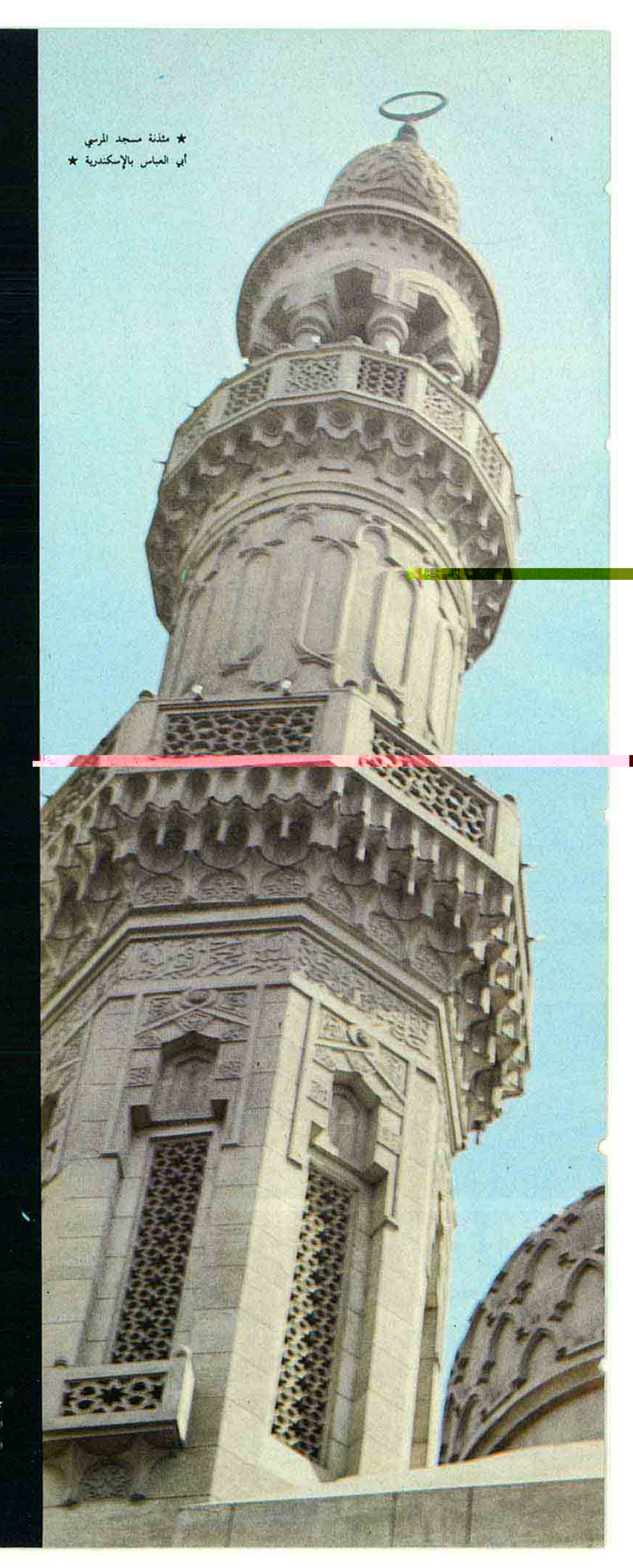
وبعد رجوع الخلفاء العباسيين إلى بغداد شرعوا في إعمار الضفة الشرقية من بغداد فأنشأ الخلفاء بجوار قصورهم جامعاً كبيراً عاش أكثر من ألف سنة إلا أنه اعتراه من نوائب الزمان ما اعترى جامع المنصور في المدينة المدورة، ولم يبق له من أثر إلا مئذنته القديمة المعروفة بـ(**منارة سوق الغزل**) والتي يرجع تجديد بنائها إلى عهد الوالي (**عطا ملك خدابنده**) سنة ١٢٧٩م. في زمن (اباقا بن هولاكو). ويبلغ ارتفاع هذه المئذنة الكبيرة نحو ٢٦,٧٠ متراً، وفيها من الزخرفة الآجرية والمقرنصات الجميلة المرتبة في صفوف تزداد في كل صف حول بدن المئذنة من الأعلى ليستند عليها حوض المئذنة، ما يجعلها من التحف الإنشائية الرائعة.

هذا وقد امتد تأثير الطراز العباسي إلى خارج العراق ويظهر ذلك بوضوح في شمالي إفريقية لا سيما في **مصر في العهد الطولوني**، وكذلك في **تونس في فترة حكم الأغالبة**. كما أننا نلاحظ هذا الطراز في **مدينة الرقة التي أنشأها المنصور على الفرات الأعلى**، وبنى فيها مسجداً كبيراً لم يبق منه الآن إلا بعض أسس الجدران وبقايا مئذنة داخل سور المدينة، ويجمع هذا المسجد في طرازه بين الفن المعماري العراقي والفن المعماري السوري، فالتأثير العراقي واضح في تخطيط المسجد وبناء الدعائم في السور الخارجي، أما التأثير السوري فنراه في رواق القبلة المكون من ثلاث بلاطات موازية لحائط القبلة، وكانت تغطيها ثلاث جملونات.

ولما أرسل (**أحمد بن طولون**) من بغداد ليكون والياً على مصر سنة ٨٦٨م، أسس مملكة لها شخصيتها ومكانتها بين الممالك الإسلامية، عرفت بالمملكة الطولونية. وقد خطط ابن طولون حاضرة جديدة لدولته بجوار الفسطاط أسماها (**القطائع**) وجعلها تماثل سامراء قصبة الخلافة العباسية في عهده تلك العاصمة التي ترعرع فيها، وأعجب بجمالها وبرحابة ميادينها، وعظمة قصورها ومساجدها، فباشر في بناء مسجد جامع فيها انتهى من بنائه سنة ٨٧٩م. **والجامع ابن طولون** صحن مكشوف مربع الشكل طول ضلعه ٦١ متراً تقريباً، حوله بلاطات من جهاته الأربع، أكبرها رواق حرم المسجد، **ومن الأمور التي تجعل هذا الجامع أقرب في مظهره من مساجد سامراء مئذنته الشبيهة بالملوية وإن اختلفا بالمظهر والبنيان**، وترتفع هذه المئذنة بأربع دورات فوق قاعدة حجرية مربعة، ويبلغ ارتفاع المئذنة الكلي ٤٠,٤٤ متراً، وقد أعاد بناءها (**لاجين المملوكي**) سنة ١٢٩٦م، على مثال ما كانت عليه من قبل، ولكنه أضاف إليها مبخرة مضلعة.

وإذا ما اتجهنا إلى **الأندلس** نجد أن العرب بعد استيلائهم على قرطبة اشتروا نصف كنيستها المعروفة بكنيسة (**سنت فنسنت**) وجعلوها مسجداً جامعاً لهم، وكانت هذه الكنيسة معبداً رومانياً من قبل. أسس هذا الجامع (**عبد الرحمن**

★ المآذن من المظاهر المميزة لفن العمارة الإسلامية في المساجد.. وقد تعددت أشكالها وأحجامها في مختلف العصور ★



★ مئذنة مسجد المرسي أبي العباس بالإسكندرية ★



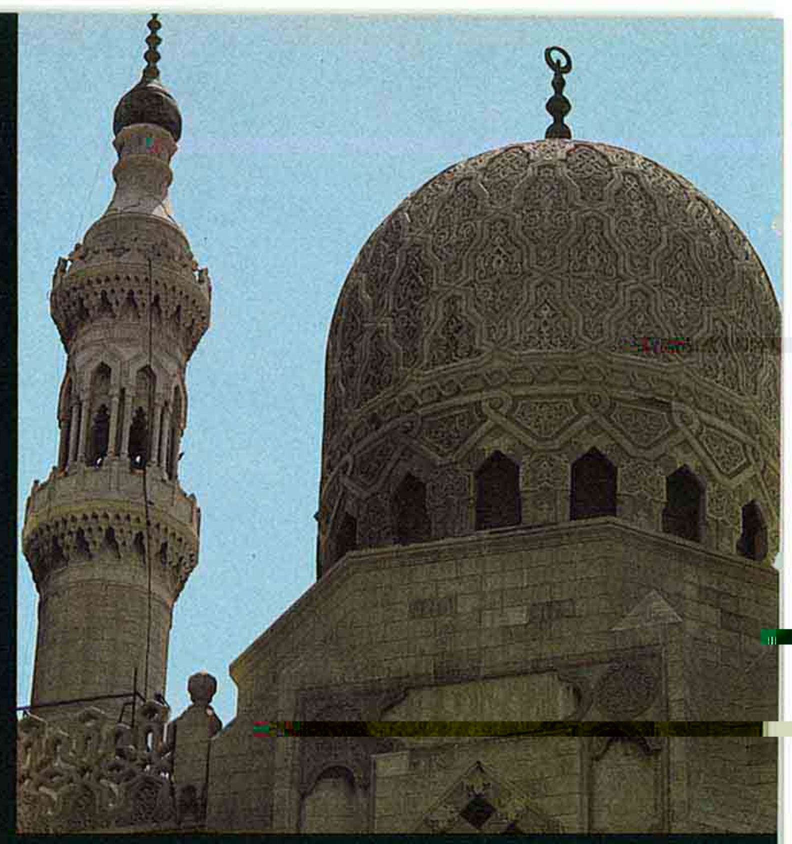
الداخل) سنة ٧٨٦م. وجعل رواق المسجد يضم إحدى عشرة بلاطة، تفصلها بوائك محمولة على أعمدة، تعلوها عقود مزدوجة على هيئة حدوة الفرس، وتستند العقود على أعمدة صغيرة. ويمتاز هذا الجامع بقبته ومحرابه الذي ازدان بزخارف الفسيفساء المذهّبة ذات الرسوم الجميلة، كما يمتاز بأبوابه المزخرفة وشبابيكه الرخامية المفرغة. وقد توسع الجامع عدة مرات حتى أصبحت مساحته ٢١٨٧٥ متراً مربعاً.

وإذا ما رجعنا إلى **الشرق** نجد **(الحكام البويهيين)** قد استقلوا في غرب **إيران** وجنوب **بحر قزوين** في القرن التاسع الميلادي، وضموا أجزاء من غرب إيران إلى مملكتهم، واستمروا في التقدم حتى وصلوا إلى بغداد في حوالي سنة ٩٤٠م. وصاروا الحكام الفعليين للدولة العباسية. وقد شيّدت في عصرهم مساجد ظهر فيها أثر الطراز العباسي واضحاً. فمن أقدم تلك المساجد **(مسجد مدينة نايين)** التي تقع بالقرب من **مدينة يزد** ويتكون هذا المسجد من صحن مربع يحيط به أربعة أروقة، ويتوسط كل ضلع من أضلاع المربع عقد كبير يمكن اعتباره بدء ظهور الايوان الذي انتشر بعد ذلك في عمارة المساجد في إيران. ويتكون سقف المسجد من قباب مبنية بالآجر. ويمتاز هذا المسجد بزخارفه الجصية الجميلة التي تماثل زخارف سامراء.

وعندما تمكنت **القبائل السلجوقية (التركية)** من الاستيلاء على البلاد التي كان يسيطر عليها البويهيون، وتمركزوا في العراق عام ١٠٥٥م، أصبح الخليفة العباسي تحت سيطرتهم، وفي عهدهم أنشئت بعض المساجد في إيران وحدث بعض التغيير في تصميمها، وأدخل الايوان العالي المقبب وجعل في وسط واجهة صحن المسجد، كما زيد في ارتفاع المآذن. ويعد **جامع أصفهان** الذي شيده (نظام الملك) في عهد **السلطان (ملكشاه)** حوالي عام ١٠٧٣م، خير مثال للطراز السلجوقي المبتكر، وقد انتشر تصميم هذا الجامع حتى أصبح الطراز التقليدي لعمارة المساجد في إيران مثل **(جامع قزوين)** وغيره من الجوامع التي نشاهدها في المدن الإيرانية الأخرى، وربما كان **(جامع السلطان)** في بغداد، الذي لم يبق له من أثر الآن، قد بني بهذا الطراز أيضاً.

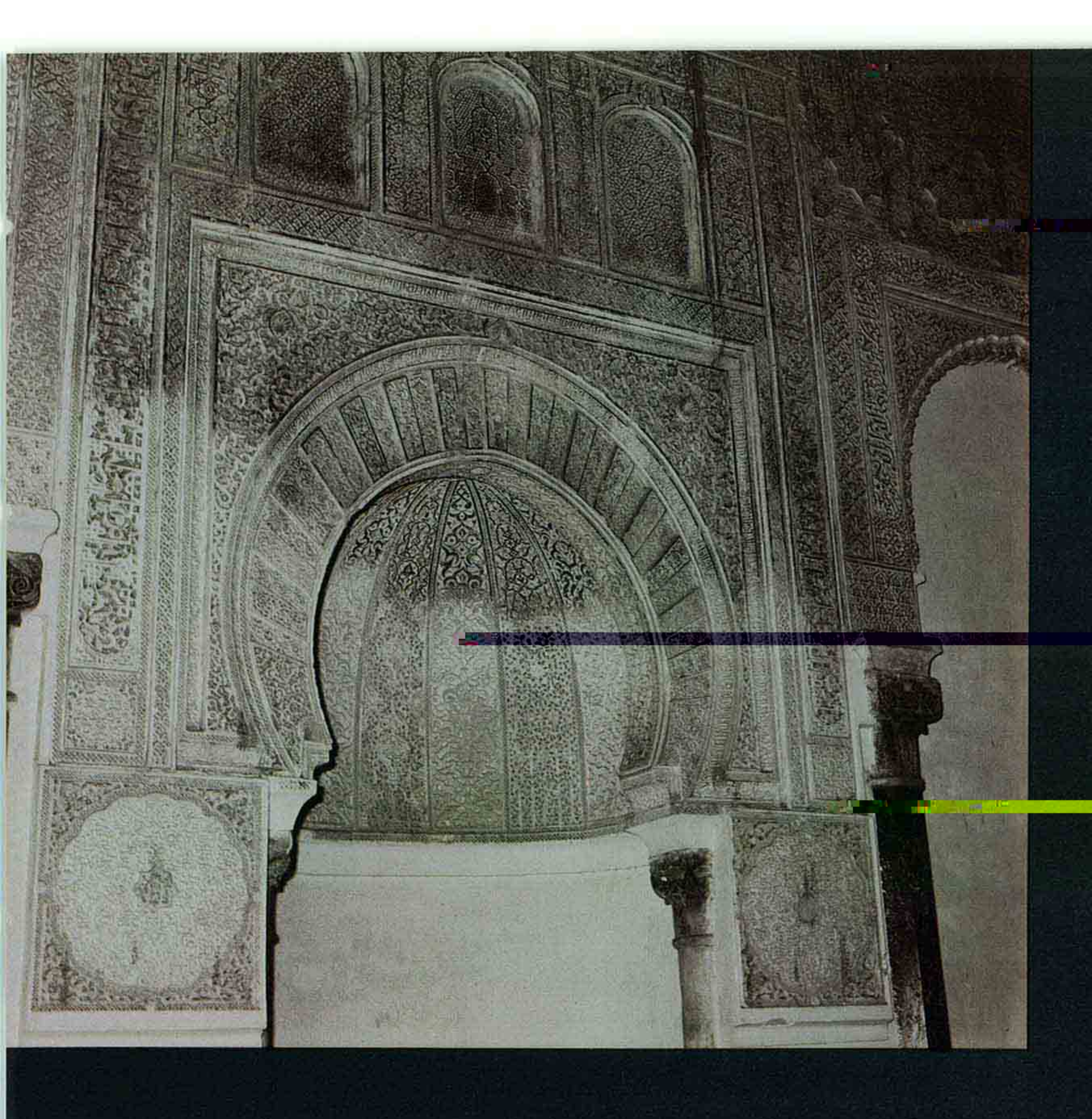
وبعد أن تمكن **السلاجقة** من السيطرة على إيران والعراق والشام اصطدموا بالدولة البيزنطية التي كانت تحكم آسيا الصغرى **(الأنضول)**، وتمكنوا من الاستيلاء على بعض المدن فيها، واتخذوا (مدينة قونية) عاصمة لهم. وقد ازدهر الفن السلجوقي في هذه البلاد في القرن الثالث عشر الميلادي فشيدت في عهد السلطان **(علاء الدين)** كثير من المساجد، ولكن هذه المساجد تختلف في تصميمها عن المساجد الموجودة في إيران ذات الأواوين والصحن المكشوف، حيث نلاحظ هنا عدم وجود الصحن في المساجد. ومن أهم المساجد التي شيدها السلجوقيون **(جامع مجدة)** عام ١٢٢٣م، الذي تعلوه ثلاث قباب فوق الممرات الثلاثة الموجودة في رواق القبلة، أو يكتفى في بعض الحالات بقبة واحدة في نهاية الممر الأوسط العريض كما في الجامع الكبير **(أولو جامع) في مدينة (ديفرجي)** وفيه قبة أشبه بالخيمة المدببة.

وعندما تمزقت دولة السلاجقة في إيران استقل بعض الولاة في البلاد التي كانوا يحكمونها من قبل الأسرة السلجوقية، من هؤلاء **(الأتابكة)**، وهم أسرة **(زنكي)** الذين استقلوا بحكم بلاد الشام، فبلغت دمشق في زمن **(نور الدين زنكي)** مكانة عالية من الناحية العمرانية. وقد حافظ المعمار السوري في هذا العهد على تصميم الجامع المستطيل الشكل الذي تنفتح أروقته على الصحن المكشوف، إلا أن جامع حلب يتميز بأساليب معمارية مختلفة بالإضافة إلى بعض العناصر المعمارية الموروثة كالمئذنة الحجرية المربعة ورواق الصلاة المتسع.



★ الجزء العلوي من الصدفة التي تغطي محراب جامع قرطبة وفيه تظهر مهارة الفنان المسلم المعمارية في إبراز قدراته الرائعة من خلال النحت لاظهار عناصر زخارفه كالكتابة بالخط الكوفي، والتوريات، والأقراص ★

★ القباب.. انتشرت في العالم الإسلامي حتى غدت من الخصائص المميزة للعمارة الإسلامية.. وقد تعددت أنواعها بعضها ما هو نصف كروي، ومنها ذو الأضلاع، وبعضها مدبب الرأس، والبعض بصلي الشكل أو ما يشبه زهرة اللوتس (طالع مجلة الفيصل العدد ٢١ الصادر في شهر ربيع الأول ١٣٩٩هـ / فبراير ١٩٧٩م) ★



★ نموذج لأحد المحاريب ★

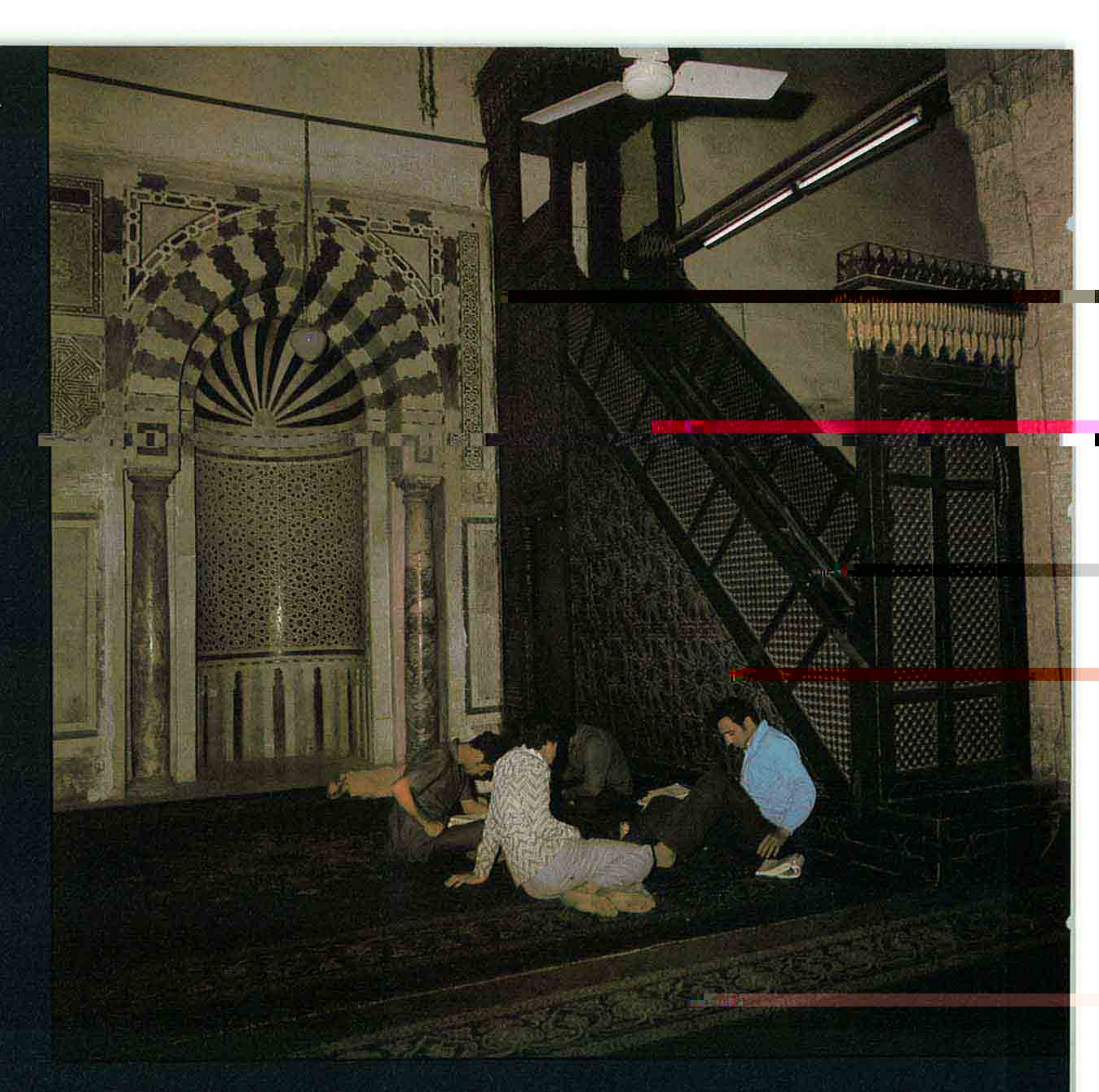
وقد خضعت **مدينة الموصل** لحكم فرع من فروع هذه الأسرة بين عام ١١٢٧ وعام ١٢٦٢ م . وكان من أشهر حكام الموصل (**بدر الدين لؤلؤ**) الذي ازدهرت في زمنه الفنون في هذه المدينة كثيراً ، ومن آثار هذا العصر بناء جامع الموصل الكبير الذي شيده (**نور الدين محمود الأتابكي**) عام ١١٤٨م . ، وقد اشتهر هذا الجامع بمئذنته المائلة القائمة على قاعدة مكعبة وجسم أسطواني مرفوع فوق القاعدة ، ويضيق هذا الجسم تدريجياً كلما ارتفع حتى ينتهي بقبة صغيرة تشبه الخوذة .

العصر الفاطمي

تمكن الفاطميون من الاستيلاء على بلاد المغرب ومصر في أوائل القرن العاشر الميلادي ، وقام القائد (**جوهر**) بتأسيس عاصمة للخلفاء الفاطميين في الجهة الشمالية من القطائع أسماها (**القاهرة**) . وقد ترك الفاطميون في مصر عمائر دينية كثيرة أهمها : **جامع الأزهر ، وجامع الحاكم ، وجامع الأقمر ، وجامع الجيوشي ، والصالح طلائع ، والسيدة رقية** ، وغيرها من المساجد ، راعوا في بنائها الأسلوب الطولوني والمغربي ، واهتموا كثيراً في زخرفة واجهات المساجد ، وزينوها بنقوش ذات عناصر متعددة وبأشكال هندسية ونباتية بعضها منقوش في الحجر وبعضها في الآجر أو الجص .

ويعد جامع الأزهر من أبرز الأبنية الفاطمية في القاهرة . وقد تم تشييد هذا الجامع عام ٩٧٢م ، في زمن الخليفة الفاطمي (**المعز**) . **إن الجامع الحالي يختلف كثيراً عن الجامع الأصلي الذي شيده جوهر** ، ومع هذا لا تزال بقية من الجامع القديم باقية لحد الآن . فقد قام أربعة من الخلفاء الفاطميين بادخال إصلاحات كثيرة متتابعة في بناء هذا الجامع ، فنجد فيه مئذنتين يرجع بناؤهما إلى عصر المماليك ، وتبلغ مساحة الجامع اثني عشر ألف متر مربع ، ولكن هذه المساحة تضاعفت على مر العصور بما أضيف إليها من مبان كانت مجاورة للجامع . وكان في ركن ايوان القبلة قبتان إحداهما في الركن الأيمن في يمين المحراب ، تقابلها قبة أخرى في الركن الأيسر ، وفي أعلى جدران الجامع شبابيك جصية مفرغة بأشكال هندسية بديعة أحيطت بافريز كتبت عليها آيات من القرآن الكريم بالخط الكوفي الجميل .

وتمتاز العمارة الفاطمية في استخدام الآجر في البناء في بداية عصرهم ، إلا أن عماراتهم تميزت فيما بعد في استخدام الحجارة بدلا من الآجر ، وقد عني البناؤن في قطع الحجارة وصقلها وتنسيقها ، وتفننوا في الزخرفة المنحوتة على الحجر ،



★ محراب جامع في المغرب ★

واستخدموا الصنج المعشقة لعمل العقود المنبطحة للعتبات الأفقية والأبواب بدلا من العقود المقوّسة أو المدببة ، وأن أكثر العقود شهرة ومظهراً في عمارات الفاطميين هي تلك العقود المنفرجة ، وقد تطور بناء المحاريب بتحول أنصاف القباب التي تعلو المحاريب إلى أشكال محارات شمسية .

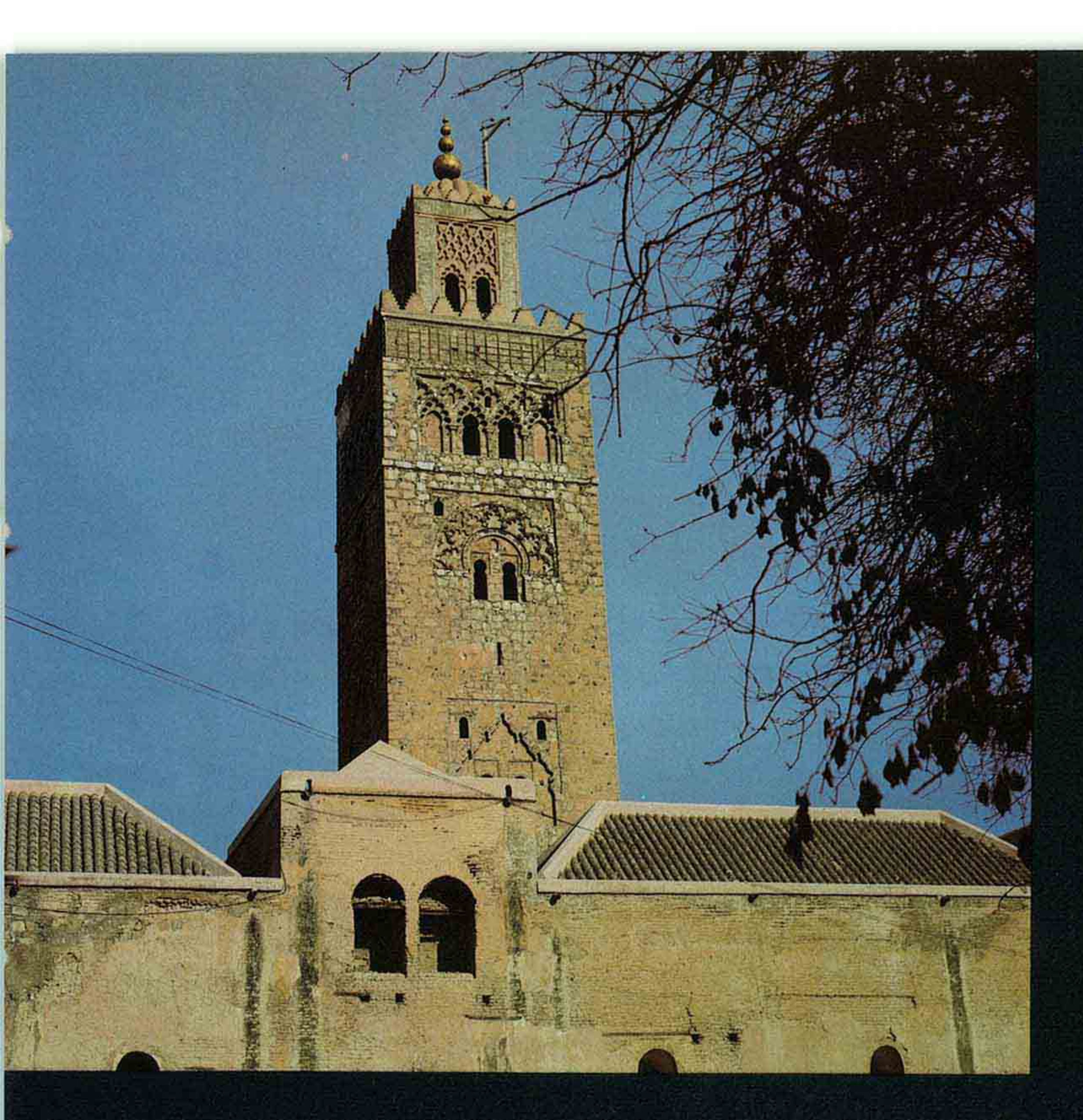
المساجد في العصر الأيوبي وعصر المماليك

ضعفت الدولة الفاطمية في أواخر أيامها ، وكان (**العاضد**) آخر خلفائها ، فحاول السلاجقة في الشام السيطرة على مصر ، وقد تمكن (نور الدين) السلجوقي ، سنة ١١٦٨ م . من ارسال جيش تحت قيادة (**شيركوه**) ، وابن أخيه (**صلاح الدين يوسف بن أيوب**) ، إلى مصر ، وأصبح شيركوه وزيراً للعاضد ، وبعد سنة خلفه صلاح الدين ، وعندما توفي العاضد **تولى الحكم صلاح الدين وأسس الدولة الأيوبية** سنة ١١٧١ م . فكانت حياته حافلة بجلائل الأعمال لا سيما ضربته القاصمة للصليبيين ، وقد صحب قيام الدولة الأيوبية نشاط معماري كبير في كل من مصر والشام .

فمن أهم ما أنشئ في هذا العصر جامع (**الإمام الشافعي**) الذي بناه (**السلطان الكامل**) سنة ١٢١١ م . وأقام فوق الضريح قبة ضخمة ضمت قبر الشافعي وبعض قبور الأسرة الأيوبية . وتمتاز هذه القبة بما فيها من نقوش وزخارف . كما أنشأت (**شجرة الدر**) سنة ١٢٥٠ م . تربة لزوجها (**الصالح نجم الدين أيوب**) يلاحظ في واجهتها التجاويف والمقرنصات الزخرفية والكتابات النسخية والصنج المعشوق ، والعقد المنحوت في الحجر . وقد أنشئت في عهد هذه الدولة بعض المدارس أهمها (**المدرسة الصالحية**) التي ترتفع فوق بوابتها الرئيسية مئذنة عظيمة ترتفع قمتها عن سطح الأرض بنحو ٣٢ متراً ، وفيها ثلاثة طوابق : الأول مكعب ، والثاني مثمن ، والأخير هو تاجها أو مبخرتها التي تنتهي بقبة مضلعة .

وقد أكثر (الملك الصالح أيوب) سابع ملوك الدولة الأيوبية من شراء المماليك ، وجعل منهم خاصة بطانته وأمراء دولته ، وعندما توفي الملك الصالح بويع ابنه (**الملك المعظم غياث الدين**) ، إلا أن المماليك شعروا بعض الاهانة منه فوثب عليه أربعة منهم وقتلوه ، وأقاموا (**دولة المماليك البحرية**) وبايعوا (**عز الدين أيبك**) بالسلطنة سنة ١٢٥٠ م ، ولقب بالملك المعز (**الجاشنكير التركماني الصالحي**) ، ولكن سرعان ما قتلته (**شجرة الدر**) **وتولت إدارة المملكة**

★ منارة جامع الكتبية في مراكش ★



بنفسها، واعتبرت المؤسسة الأولى لدولة المماليك البحرية. وعندما لمع اسم (**الظاهر بيبرس**) أحد مماليك الصالح أيوب، وتغلب على المغول في بلاد الشام، وقضى على الدويلات الصليبية في سواحل الشام، نودي به ملكاً على مصر، ثم خلفه (**قلاوون**) أحد قادة الجيش.

في هذا العهد تقدمت صناعة البناء تقدماً لا مثيل له في تاريخ مصر، إذ ظهر إنتاج باهر في العمارة وهندسة البناء، فكانت المساجد والمدارس والأضرحة التي شيدها قلاوون والناصر والحسن قد بلغت أبهى مظاهرها المعمارية. إن **مسجد السلطان حسن** الذي تم انشاؤه سنة ١٣٦٣م، يمتاز بزخارفه التي تشبه خلايا النحل، كما يوجد في الجدران العالية لهذا الجامع تجاويف عمودية طويلة شيّقة، رتبت النوافذ فيها على ثمان طبقات. وللجامع أربعة أواوين متعامدة حسب الطراز المملوكي، يتوسطها صحن مكشوف، وأكبر الأواوين الايوان الشرقي، فيه محراب من الرخام الأبيض، وعلى يمينه بابان يوصلان إلى تربة السلطان حسن الذي تعلوها قبة عظيمة محمولة على مقرنصات تعتبر من أجمل ما صنع من نوعها.

وبعد ذهاب دولة المماليك البحرية قامت (**دولة المماليك البرجية**) ـ الشراكسة ـ فحكموا مصر من سنة ١٣٨٢ إلى سنة ١٥١٧م، وحذوا حذو المماليك البحرية في تعمير القاهرة، وقد شيد سلاطينهم **برقوق وقايتباي والغوري** تحف معمارية فريدة في العالم الإسلامي. وتمتاز عماراتهم في استعمال الحجارة في البناء، وجعلوها بألوان مختلفة، ممتدة بخطوط متساوية، **وفي عصرهم ظهرت المتدليات السقفية (المقرنصات)**، كما برزت في هذا العصر مزيتان اتصفت بهما الزخرفة الإسلامية هما: الأشكال الهندسية والحروف الكوفية. وإن أفضل نماذج لعماراتهم التي لا تزال باقية حتى اليوم والتي تثير الإعجاب هي (**جامع الظاهر بيبرس**)، و(**مسجد الناصر**) بالقلعة، و(**مسجد السلطان برقوق**)، و(**جامع السلطان الملك المؤيد**)، و(**جامع قايتباي**)، و(**جامع الأمير الجاي اليوسفي**)، و(**جامع جوهر**)، و(**مسجد الغوري**). فعصر المماليك يعد بحق العصر الذهبي لمدينة القاهرة. وفي هذا الوقت أصبحت مصر محط أنظار العالم كله بعد أن أفل نجم بغداد باستيلاء المغول عليها سنة ١٢٥٨م. واستيلاء الفرنجة على قرطبة سنة ١٤٩٢م.

عصر الدولة العثمانية

زحف السلطان (**سليم الأول**) العثماني على بلاد الشام وقتل السلطان الغوري

سنة ١٥١٦م ، واستولى على مصر ، فأخذت الأنظار منذ ذلك الحين تتجه إلى **اسطنبول** . توجه العثمانيون إلى بناء المساجد والجوامع الكبيرة الفخمة التي فيها الشيء الكثير من البذخ الفني بأسلوب مبتكر . **في القرن السادس عشر ظهر طراز** تركي جديد يكاد يكون مستوحى مباشرة من الطراز البيزنطي الذي بقيت **(كنيسة سنت صوفيا)** نموذجه الرائع بلا منازع . وقد كانت هذه الكنيسة مصدر وحي للمعمار التركي **(كمال الدين)** الذي أنشأ بعض المساجد في اسطنبول أشهرها **(مسجد بايزيد)** سنة ١٥٠١م . ثم ظهر **المعمار الفنان (سنان) الألباني الذي ينسب إليه بناء أكثر من ٣٤٠ بناء** ، وهذه الأبنية لم تكن نظائر لأيا صوفيا بل تطبيق معقول لأسلوبها ، فيها الشيء الكثير من التجديد للطراز البيزنطي حيناً يضطلع بواجب جديد . فجامع **(السليمانية)** الذي بناه هذا المهندس تعبير صارخ للطراز التركي المهيب ، وقد أصبح هذا الجامع أنموذجاً رائعاً لعدد كبير من الجوامع التي بنيت فيما بعد . كما أبدع سنان في بناء **جامع (أدرنة)** فبلغ القمة في طراز العمارة العثمانية .

أما **(جامع السلطان أحمد)** الذي شيد في سنة ١٦١٤م . فيعد مثالاً لمتانة ورصانة البناء التركي بالإضافة إلى تناسق الأبعاد فيه . أما من حيث الزينة فقد جعل للمساجد مآذن أسطوانية عالية جداً ذات شرفتين أو ثلاث شرفات ، منتهية برأس مرتفع مخروطي قمعي الشكل ، وقد جعلت هذه المآذن قائمة في زوايا الكتل الضخمة من البناء ، وأقيمت مآذن أخرى في زوايا الصحن كما يشاهد ذلك في **مسجد السلطان أحمد المزود بست مآذن .**

لقد أخذ بناء المسجد في تركيا شكلاً هرمياً راسخاً بقبته نصف الكروية وأنصاف قبابه وقبيباته وأروقته القائمة على أعناق أسطوانية وعلى جدران المسجد الضخمة ، واستعملت الأقواس المنكسرة والمقرنصات الموشورية التي تزين العقود ، كما تم تغطية الجدران في الداخل بألواح القاشاني البديع الصنعة والزخرفة .

★ من عقود وأبواب جامع عقبة بن نافع في القيروان بتونس ★





تأثير الطراز التركي في البلاد العربية

كان من نتائج سقوط مصر في أيدي العثمانيين أن قبض السلطان سليم على الخليفة العباسي المتوكل وأجبره على الرحيل معه إلى اسطنبول والتنازل عن الخلافة له . وقد ظلت مصر خاضعة للدولة العثمانية حتى سنة ١٧٩٨م . حين غزاها الفرنسيون بقيادة **نابليون** ، ومهما أصاب مصر من تأخر في هذه الفترة ، وتوقف العمران فيها ، فقد ظل قبس من نور الماضي يلمع في أفق القاهرة ، حيث قام بعض الولاة في إنشاء بعض المساجد فيها ، من ذلك **(مسجد المحمودية)** الذي أنشأه أحد الولاة الأتراك سنة ١٥٦٧م . في ميدان صلاح الدين ، وجعل تصميمه مشابهاً لجامع السلطان حسن ، كما أنشأت **(الملكة صفية)** والدة محمد خان الثالث مسجداً في شارع القلعة سنة ١٦١٠م . وأنشأ (سنان باشا) سنة ١٥٧١م . مسجداً يتكون من قاعة واسعة ، تعلوها قبة شاهقة بها من الجوانب الثلاث أواوين صنعت أسقفها من قبوات صغيرة محمولة على عقود متكئة على أعمدة .

أما في العراق فإن الأتراك دخلوا بغداد سنة ١٥٣٤م . بقيادة **السلطان سليمان القانوني** وطردوا الفرس منها ، ثم تركوا حكم العراق للباشاوات الذين يبعثهم السلطان من اسطنبول . فمن أشهر هؤلاء الولاة الوالي **(مراد باشا)** ـ سنة ١٥٦١م . ـ الذي وسم عهده في بناء **(جامع المرادية)** في الميدان ، ولهذا الجامع قبة كبيرة منبسطة مبنية بالآجر ومئذنة مزخرفة بالقاشاني الجميل . وهناك جوامع عديدة أنشأها الولاة في عهود مختلفة لا تزال قائمة في بغداد منها **جامع (الوزير)** الذي بناه **(حسن باشا)** سنة ١٥٩٧م . و**(جامع القبلانية)** الذي شيده الوالي **(قبلان مصطفى باشا)** سنة ١٠٨٧هـ . **وجامع (السيد سلطان علي)** الذي يرجع بناؤه إلى الوالي **(إبراهيم باشا)** ، **وجامع (جديد حسن باشا)** الذي شيده الوالي **حسن باشا** سنة ١٧٠٤م . وهو الذي وضع أسس نظام المماليك في العراق .

واهتم السلاطين والولاة بتعمير المراقد في العراق كمرقد الإمام أبي حنيفة ومرقد **ومسجد الكاظميين** ، ومرقد الشيخ عبد القادر الجيلي وغيرها من المراقد . إلا أن الطراز العراقي لم يتأثر كثيراً بالطراز العثماني الذي كان متبعاً في اسطنبول ، **فالمساجد البغدادية التي قام بإنشائها الولاة العثمانيون كانت ذات خصائص بغدادية في شكلها العام وطرق بنائها واستعمال المواد الأولية في البناء وشكل القباب والمآذن .**

المساجد في المغرب العربي

تمكن عدد من أسر البربر التي كان مركزها شمال إفريقية من الاستيلاء على الحكم في الأندلس عام ١٠٣١م . وأسسوا عدة دويلات من المدن الأندلسية ، حكمها ملوك عرفوا باسم **(ملوك الطوائف)** ، وقد خلف هؤلاء في حكم الأندلس قبائل أخرى من البربر تعرف باسم **(المرابطين)** عام ١٠٩٠م . ثم اتحدت الأندلس والمغرب تحت حكم المرابطين وانتقلت الزعامة إلى شمال إفريقية في عهد **(يوسف بن تشفين)** ملك المرابطين ، وقد زاد هذا الاتحاد رسوخاً في عهد (الموحدين) [illegible] الجزء الساحلي من المغرب الذين خلفوا المرابطين في الحكم عام ١١٣٠م . **وبانتقال الحضارة الأندلسية إلى المغرب ظهر طراز مغربي أندلسي جديد ونشطت حركة العمارة في عهد أسر البربر التي حكمت مراكش والجزائر وتونس .**

شيد الموحدون في مراكش **(جامع تلمسان)** ، وفي فاس **(الكتبية)** ، والشيء الظاهر في هذه العمارات هو استبدال الأعمدة الحجرة بدعامات أو أكتاف آجرية لها حواف مسننة الأركان ، وعقود على هيئة حدوة الفرس المستديرة تماماً أو مدببة قليلاً أو مشرشرة ، وجعلت المئذنة تتوسط الجهة المقابلة للصحن كما في **(جامع المنصورة) و(جامع حسن) الذي شيده (يعقوب المنصور)**

عام ١١٩٨م . **بالرباط** ، وتشييد المآذن أحياناً في زاوية من زوايا الصحن ، وهذه المآذن على شكل أبراج بقاعدة مربعة تعلوها شرفات ، وفي قمتها برج مربع أصغر حجماً يعلوها قبة صغيرة .

العصر الصفوي في إيران

وإذا ما رجعنا إلى الشرق نجد ظهور أسرة إيرانية في بداية القرن السادس عشر الميلادي مركزها في **اردبيل في شمال غربي إيران** ، ينتمي مؤسس هذه الأسرة (**الشاه إسماعيل**) إلى ولي فارسي يدعى (**الشيخ صفي الدين**) ، وعنه أخذت هذه الأسرة اسمها . وقد اتخذ الشاه عباس (أصفهان) عاصمة له سنة ١٦٢٦م ، وكانت هذه المدينة من أجمل المدن الشرقية ، وفيها ازدهرت الثقافة والفنون الإيرانية في العهد الصفوي ، كما ظهرت حركة فنية كبيرة في **تبريز وقزوين** . وقد اشتهر (الشاه طهماسب) وحفيده (**الشاه عباس**) بتشجيع الفنون ورعايتها ، فشيدت في أصفهان العمائر الضخمة المزينة بالقاشاني .

اتبع **الصفويون** في تصميم المساجد النماذج الإيرانية القديمة التي تعتمد على صحن يحيط به أربعة أواوين ، أكبرها ايوان القبلة الذي يتكون من قاعة كبيرة فيها قبة . فشيد (**مسجد الشاه**) **أفخم المساجد في أصفهان** سنة ١٦٣٠م . وفي هذا المسجد بلغ الفن المعماري الإيراني ذروته وإن اتبع في أغلب عناصره الرئيسية الأسلوب السلجوقي الذي كان معروفاً في إيران ، ذلك الأسلوب الذي يتوسط الجامع متسع محاط بمبان من طابقين ذات عقود مدببة ، ويتوسط كل ضلع من أضلاع الصحن ايوان مفتوح ، ألحق به قاعة تعلوها قبة .

ويتميز ايوان القبلة باتساع كبير في الحجم عليه قبة سلجوقية الطراز ، ويكتنف مدخل المسجد المرتفع من الناحيتين مئذنتان طويلتان ولكنهما أقل ارتفاعاً من مآذن رواق الصلاة . وترجع شهرة هذا الجامع إلى الزخارف القاشانية التي تغطي الجدران والقبة والمآذن .

وإكراماً للشيخ **لطف الله** الذي قدم إلى أصفهان من إحدى قرى **جبل عامل في لبنان** بنى الشاه عباس مسجداً سمي بـ (**مسجد الشيخ لطف الله**) سنة ١٦١٨م ، وقد أجاد الفنانون في زخرفة جدران ومحراب هذا المسجد بالرخام والفسيفساء البديع . وقد جعل هذا المسجد الآن متحفاً . ومن المساجد التي شيدت في العهد الصفوي (**مسجد الشيخ صفي**) **في اردبيل ، ولهذا المسجد قبة عظيمة ، وتكسو جدرانه ألواح من الخزف المزجج ولهذا عرف بـ (صيني خانه)** .

ولشدة تعلق الإيرانيين بالعتبات المقدسة في العراق أسهموا في بناء هذه العتبات وقدموا لها أثمن الهدايا من حلي وجواهر وسجاد لا تزال محفوظة في خزائن هذه العتبات في كل من **النجف وكربلاء وسامراء** ، كما اهتموا **بمشهد الإمام علي ابن موسى الرضا في مدينة مشهد الواقعة في خراسان** ، وعلى هذا المشهد قبة ضخمة تضم قبري الإمامين الرضا وعلي بن موسى .

الآثار الإسلامية في الهند

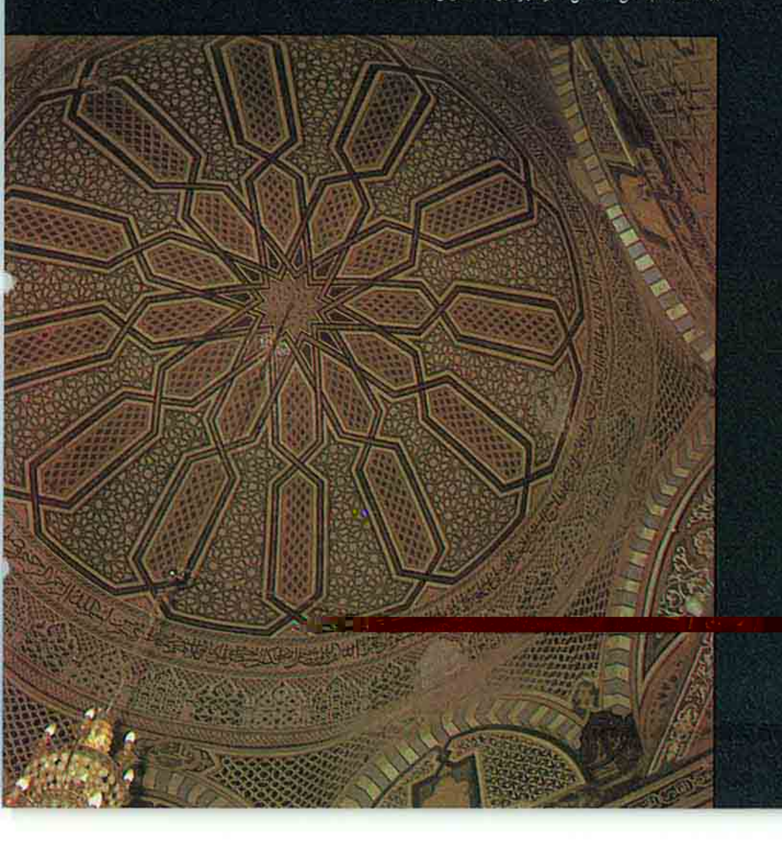
دخل المسلمون **الهند** ٧٠٩م ، تحت قيادة الفاتح العربي (**محمد بن القاسم**) في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك . وفي القرن الحادي عشر الميلادي ظهر (**الغزنويون**) وهم فرقة من **التركمان** اتخذت غزنة موطناً لها ، ثم اخذوا في التوسع في فتوحاتهم داخل الهند . وقد اشتهر من ملوكهم (**محمود الغزنوي**) الذي لقبه الخليفة العباسي القادر بيمين الدولة وأمين الملة لحماسه الكبير في نشر الدين الإسلامي في ربوع الهند والقضاء على الوثنية فيها . ثم استمر المسلمون في فتح أقسام أخرى من الهند في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي بواسطة (الغوريين) ، وكانوا من أهم أمراء إيران في **أفغانستان** . وقد اشتهر (**قطب الدين ايبك**) الذي استولى على مدينة (**دلهي**) وهدم أكثر معابدها واستخدم موادها الإنشائية في بناء مسجد فيها سنة ١١٩٧م ، سماه (**مسجد قوة الإسلام**) .

تتكون واجهة مصلى مسجد قوة الإسلام من طاق وسطي عريض ارتفاعه ١٦ متراً وعلى جانبيه طاقان أقل عرضاً وارتفاعاً من الطاق الوسطي ، وقد زينت هذه الطوق بزخارف جميلة فيها التأثير الهندي واضح وجلي . ولهذا المسجد مئذنة تعرف بـ (**قطب منار**) ذاعت شهرتها في العالم ، وهي رمز لانتصارات قطب الدين الحربية الباهرة ، وفي نفس الوقت مئذنة لمسجد قوة الإسلام ، وقد أتم بناء هذه المئذنة صهره وخليفته (**التتمش**) . فجعل بناء المئذنة من الحجر الأحمر والحجر الرملي والرخام ، وللمئذنة خمسة طوابق لكل من الطوابق الثلاثة الأولى تصميم خاص به ، فالطابق الأول مكون من أضلاع مستديرة تليها أضلاع ذات زوايا ، والطابق الثاني أضلاعه مستديرة فقط ، أما الطابق الثالث فهو ذات زوايا فقط ، ولكن التخطيط يمتد في الطوابق الثلاثة ، ولكل طابق شرفة تبرز فوق مقرنصات منحوتة من الحجر دقيقة الصنع ، وفيها أشرطة مكتوبة ، والارتفاع الكلي للمئذنة ٧٢,٥٠ متراً .

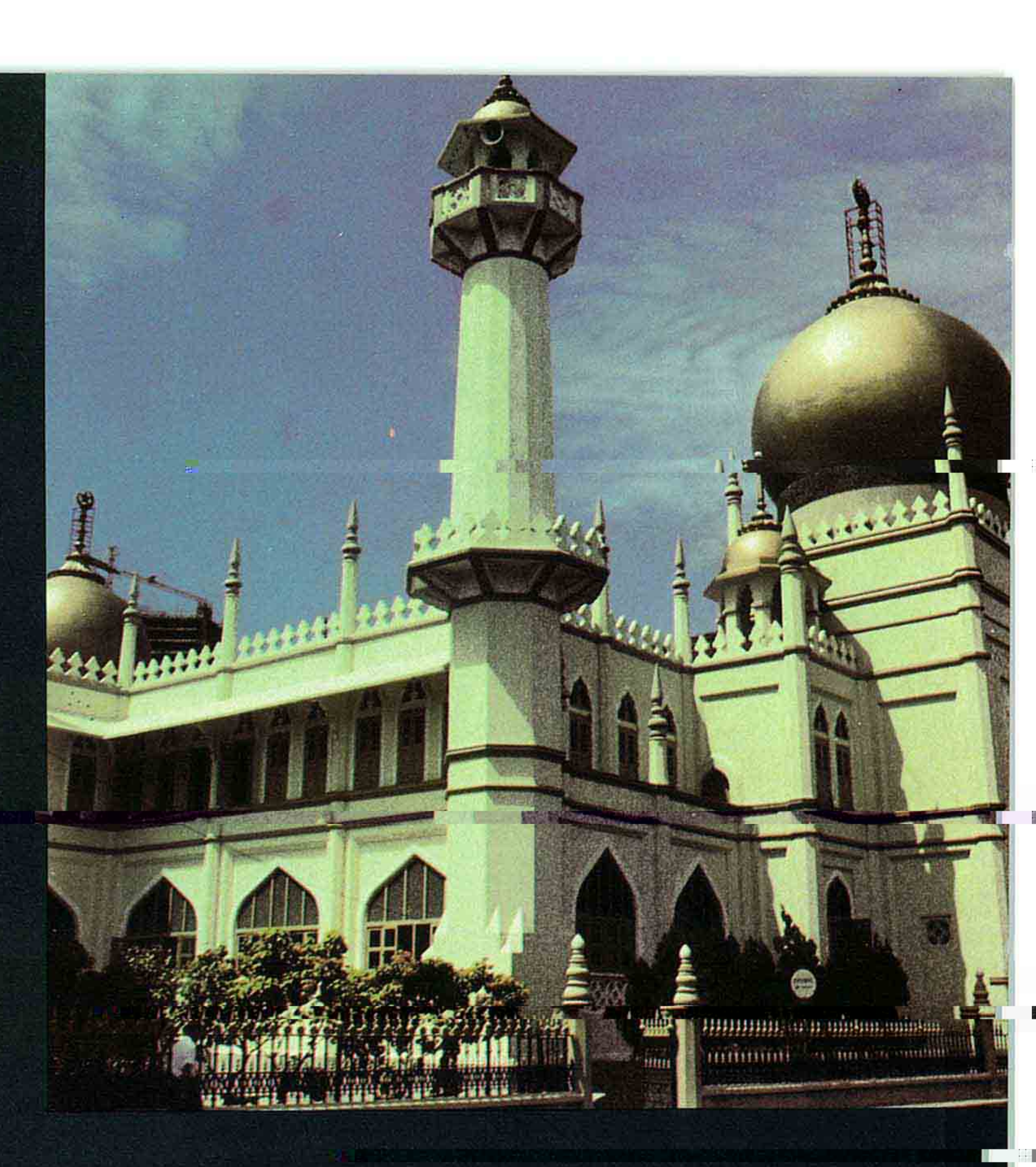
العهد المغولي في الهند

أسس (**بابر**) أحد أعقاب (**تيمورلنك**) **دولة السلالة المغولية في الهند** ، وكان بابر بناءً نشيطاً وإن ما تم في عهده من أعمال البناء والتعمير كالمساجد والقصور والحدائق كانت نموذجاً رائعاً لفن العمارة المغولية في الهند ، وقد اكتمل هذا الفن بعهد يمتد من **الإمبراطور** (**أكبر**) إلى (**شاهجهان**) ، وقد ظهرت آثارهم العمرانية في سمرقند وبخارى وهرات .

★ سقف قبة من الداخل ، وتظهر روعة النقوش المتقنة بعناية ★



★ جامع السلطان من أقدم المساجد في سنغافورة ★



بنى (أكبر) جامعاً شامخاً استغرق بناؤه خمسة أعوام، وتتألف بوابة الجامع من قوسين ضمن إطار مستطيل ارتفاعه ٣٦ متراً، ويتقدم البوابة درج عال، وفي قمة البناء رواق مفتوح وجواسق ذات قباب، وأحيط الصحن بأروقة من جهاته الثلاث، وفي جهة القبلة واجهة الحرم عليها ثلاث قباب فارسية الطراز، وينفتح وسط المصلى بواسطة ايوان عميق أشبه بايوان **مسجد الجمعة في أصفهان**، وفي ركني الجدار الغربي منارتان جميلتا البناء والزخرفة.

أما (شاهجهان) فقد أنفق مبالغ طائلة في بناء (**جامع موتي مسجد**)، والبناء كله من الحجارة الحمراء من الخارج، ومن الرخام في الداخل، وفناؤه مربع الشكل، وترتفع فوق المسجد قباب جميلة متناسبة الحجم وعلى كل ركن من أركان الجامع منارة.

المساجد في آسيا الوسطى

إن المنشآت الإسلامية كثيرة في آسيا الوسطى وكازاخستان والقفقاس والقرم وتتاريا وباشكيريا وغيرها. وتتميز أذربيجان بكثرة المنشآت ذات القيمة المعمارية الفنية. وقد أصاب بعضها التلف بسبب الحروب التي وقعت في هذه المنطقة ولحدوث بعض الزلازل فيها. لقد كان لشعوب هذه المنطقة قبل الفتح الإسلامي تقاليد راسخة معمارية وفنية، وقد مكنت هذه التقاليد من مواصلة فن العمارة في العهد الإسلامي. في القرن التاسع الميلادي كانت آسيا الوسطى تابعة للخلافة الإسلامية اسمياً، وكان عمال الخليفة (السامانيون) حكاماً مستقلين، قاموا في توسيع المدن وشيدوا المساجد والمنشآت الأخرى أضخمها المنشآت الدينية.

من تلك المساجد (**مسجد نمازكاه**) **في بخارى** عاصمة (القراخانيين) وقد شيد في القرن الثاني عشر الميلادي لهذا المسجد صحن كبير غرست في صحنه الأشجار كان المصلون يصلون في ظلها في الأعياد إذا امتلأ الحرم بالمصلين، ومن المؤسف لم يبق من هذا المسجد سوى الحائط الغربي والمحراب، وهذا الحائط مزخرف بالآجر مصفوف بأشكال هندسية وكتابات تكرر فيها الجملة التالية: (**الملك لله**) في عدة مرات في الإطار المحيط بالمحراب. وكان **في بخارى** (**مسجد الجمعة**)، شيد في مكانه في القرن السادس عشر الميلادي مسجد آخر هو (**مسجد كلان**)، وفيه مئذنة يرجع تاريخها إلى سنة ١١٢٧م، وترتفع بمقدار ٤٦ متراً وزينت بزخارف آجرية جميلة.

وفي (**جرقورغان**) مئذنة شيدت سنة ١١٠٩ م، على مقربة من **مدينة (ترمذ)** يمتاز تصميمها بالأصالة، حيث نجد برجها عبارة عن حزمة مكونة من ١٦ عموداً مربوطة في أعلاها بنطاق كتبت عليه بعض الآيات القرآنية الكريمة، وأما زخارفها فهي على نمط مئذنة كلان.

ومن المساجد المشهورة (**مسجد بي بي خاتون**)، وهذا المسجد في الحقيقة منشآت عديدة تحيط بها الأسوار، في جهتها الغربية بناية المسجد الرئيسي الجبارة، وفي جهتها الشرقية بوابة المدخل الرئيسي وعلى جانبيها مئذنتان، وكان في وسط الجهتين الشمالية والجنوبية مسجدان صغيران، ثم اتصلت جميع المباني بعضها ببعض برواق ارتكزت سقوفه المقببة على ٤٠٠ عمود رخامي، وارتفعت المآذن في أركان الأسوار التي تحيط بالمجموعة، وكانت جدران المسجد مزخرفة بالتوشية الهندسية الجميلة على شكل شبكة من الآجر الأزرق المطلي بالميناء المنقوش عليه حروف كوفية.

المباني الإسلامية في الصين وأندونيسيا

كان للعرب اتصالات تجارية ببلاد الصين قبل الإسلام وبعده، **في العهد** العباسي استنجد أحد أباطرة الصين بالخليفة المنصور ويسمونه (**بوجعفر**) وطلب إليه استرداد عرشه من أحد القواد الذي ثار عليه، وقد لبى المنصور طلبه وأرسل إليه أربعة آلاف فارس كما تذكر المصادر الصينية، وتم استرداد العرش وقتل الثائر، ولكن بعض الجنود العرب فضلوا البقاء في الصين وتزوجوا من الصينيات. وفي زمن المغول غزا الصين (**قبلاي خان**) **أخو هولاكو** (١٢٠٨ م)، وأصبحت الصين تحت حكم المغول وهذا أدى إلى تسرب الثقافة الصينية إلى إيران وباقي الممالك الإسلامية.

وفي الصين اليوم نحو خمسين مليون مسلم تقريباً، وهم بقوميات متعددة، وتكاد تكون المناطق الشمالية الغربية من الصين كلها للمسلمين. وقد انتشر قسم منهم في الجهات الشرقية والجنوبية من الصين طلباً للرزق.

وأهم الآثار الإسلامية فيها بعض المساجد المشيدة حسب طراز المعابد الصينية القديمة في مظهرها الخارجي وفي بيت الصلاة محراب ومنبر، ويعلو هذه المساجد قباب أشبه بالقباب الروسية أو الهندية البصلية. وفي هذه المساجد تقام جميع المراسيم والمناسبات الدينية.

إن أهم المساجد (مسجد كوانتا) في مدينة (كانتون)، فقد بني هذا المسجد قبل ألف سنة تقريباً، وللمسجد مئذنة أشبه بالبرج أو الصومعة ذات شكل أسطواني خال من كل زخرفة، وطراز رأسها الأعلى طراز هندي محض. **وفي كانتون مسجدان هما (مسجد تسينجو) و (مسجد فونهو آنغ)**.

أما في **أندونيسيا**، التي يبلغ عدد سكانها نحو المئة مليون نسمة، فقد انتشر الإسلام في بادئ الأمر في شمال **جزيرة سومطرة**، ثم توسع المسلمون في (**بورنيو**) و (**سلبس**) و (**جزيرة ملاقا**)، وقامت فيها حكومات إسلامية في بداية القرن السادس عشر الميلادي، وكان انتشار الإسلام في **جاوة** قبل ذلك أي في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي. وقد شيد المسلمون في معظم المدن الأندونيسية مساجد وجوامع فخمة فيها أساليب معمارية مختلفة، لكنها أقرب للأساليب الإيرانية الهندية.

الخلاصة

مما تقدم نلاحظ أن للعمارة العربية الإسلامية التي تمثلت في بناء المساجد خير تمثيل، شخصية معينة وطابع متميز تتبينه العين مباشرة سواء كان ذلك نتيجة للتصميم الإجمالي، أم للعناصر المعمارية المميزة أم للزخارف التي تزين هذه المباني، ولا شك أن كل هذا قد ألزم المهندس والفنان المسلم أن يكون متعمقاً في علوم الهندسة والرياضة والميكانيك بحس فني ممتاز.

إن من الأمور البارزة في تصميم المساجد عامة هو عدم خروج هذا التصميم على نظام بناء المساجد الأولى التي بنيت في صدر الإسلام، فلمعظم هذه المساجد جزء يتوسط المسجد يسمى الصحن، تحيط به في الغالب أروقة بها بوائك أكبرها رواق القبلة وفيه المحراب، وعلى يمينه المنبر، ويحمل السقف على أعمدة من الحجر أو أكتاف من البناء أو تقوم هذه السقوف على عقود ترفع فوق الأعمدة أو الأكتاف، ومن أهم العناصر المعمارية في المساجد أيضاً وجود مئذنة أو عدة مآذن للمسجد الواحد، وهذه المآذن وإن اختلفت أشكالها ومظاهرها الخارجية إلا أن وظيفتها الأساسية هو أن يرتفع من فوقها اسم الله جل وعلا يدعو الناس إلى الصلاة في أوقاتها المعيّنة.

ومن العناصر الأساسية في بناء المساجد القباب التي تعلو بيوت الصلاة أو حرم المسجد، وقد انتشرت في العالم الإسلامي حتى غدت من الخصائص المميزة للعمارة الإسلامية، وقد تنوع شكل هذه القباب، فمنها ما هو نصف كروية، وبعضها ذات تضليع، وبعضها مدببة الرأس، وأخرى بصلية الشكل أو ما يشبه زهرة اللوتس.

أما **الأعمدة** فإنها في بادئ الأمر كانت قد انتزعت من المباني القديمة التي تم للمسلمين فتحها، ثم بدأ يظهر العمود الإسلامي الذي أخذ بالتدريج شكلاً يميزه عن أشكال الأعمدة الأخرى، فكان أول هذه الأشكال أعمدة ذات تيجان ناقوسية أو رمّانية، وجعل بدن العمود أسطوانياً أو مضلعاً قطاعه مثمن، وزخرف بعضها بالزخارف النباتية الدقيقة، وهناك من استعمل قواعد للأعمدة بشكل ناقوس مقلوب.

وأما **العقود** فقد نجد أنواعاً مختلفة لها، منها ما كان نصف دائرية، ومنها ما هو مدبب أو بشكل حدوة الفرس الدائر أو المدبب، وهناك عقود ذات فصوص، وهي سلسلة من أقواس متتالية في أطراف العقود، وقد زينت بعض العقود بالمقرنصات، واستعمل العقد الفارسي الذي يتكون من خطين يتقابلان في الأعلى بزاوية منفرجة، ويتقوس طرفاها إلى الأسفل عند ارتكازها على كتفي الجدار، كما استعملت العقود المستقيمة المكونة من أحجار يشد بعضها البعض، أو من أحجار متداخلة فيها التعشيق وتكوّن خطاً مستقيماً.

واستعمل **العرب** المقرنصات كحلية زخرفية، أو لتحويل المربع إلى شكل دائري ترتكز عليه القبة، كما استعملت المحاريب لهذه الغاية، كل ذلك جعل لعمارة الجوامع والمساجد وغيرها من المنشآت الإسلامية ميزة فريدة تميزها عن طراز الفنون المعمارية الأخرى.

هذا ونحن حين نتتبع تاريخ بناء المساجد في الأقطار الإسلامية نلمس بوضوح آثار وحدة حضارية قديمة امتدت من أقصى بلاد المغرب العربي إلى أقصى بلاد الهند. إن مئذنة جامع الكتبية بمراكش، ومئذنة جامع قطب منار بدلهي تبديان أمام المتتبع كبروج الحدود وبروج القوة على حدود البلاد الإسلامية، وإن كانت هذه الحدود قد امتدت إلى أبعد من مراكش من جهة الغرب، وإلى أبعد من دلهي من جهة الشرق. وحين نعلم أن هاتين المنارتين قد شيدتا في زمن واحد فبإمكاننا أن نعتبرهما بمثابة رمزين جميلين لوحدة العالم الإسلامي الأصيلة، وكأن لسان حال كل من هاتين المئذنتين يسبح بقوله تعالى: **﴿ رب المشرق والمغرب، لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾**. صدق الله العظيم.





٤٠ عاماً.. في خدمة الطفل العربي

اعداد: مصطفى عبد الله

كامل كيلاني .. اسم محفور في ذاكرة تاريخ أدبنا العربي نظراً للدور الريادي الذي لعبه صاحب هذا الاسم في مجال من مجالات الأدب راده هو وأصّله ، هو مجال فن الكتابة للطفل العربي .

لقد أمسك كامل كيلاني القلم وكتب ، فعلم أجيالا بعد أجيال كيف تمسك القلم وتخاطب من خلال القصة القصيرة والحكاية المصورة الجميلة . ورغم كل ذلك فلم يستوعب واحد من تلاميذه كل فنه ، ولم يتفوق ، حتى بعد مرور ١٩ عاماً على وفاته ، واحد من تلاميذه عليه .

لقد أسس كامل كيلاني بمفرده مكتبة ضخمة للطفل . أودع فيها أكثر من ألف قصة بخط يده ، وما يزيد على المائتي قصة مطبوعة أكثر من عشر طبعات ، ومنقولة إلى معظم اللغات الحية .

وكامل كيلاني الذي وافق يوم السادس من شهر شوال الماضي ، ذكرى مرور **١٩ عاما** على وفاته . ولد في يوم ٢٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٩٧م ط. . عاش حياته بكل أبعادها .. بطولها ، وعرضها ، وعمقها . ولم يعش يوماً على هامش الحياة .

لم يكن كامل كيلاني رائداً لأدب الأطفال في عالمنا العربي فحسب ، بل كان قبل ذلك .. شاعراً وأديباً وناقداً ومؤرخاً ومترجماً وصحفياً ومعلماً .. ومع ذلك فقد أعطى للطفل العربي من وقته ما لم يعطه أحد غيره .

وإذا كانت حياة الكيلاني الأدبية المتعددة قد تركت بعض الحيرة لدى الذين كتبوا ويكتبون عنه ، إلا أن الجميع متفقون أنه رائد فن الكتابة للطفل العربي .

* * *

في هذا نتعرف على كامل كيلاني من خلال آراء وخواطر وأفكار الأدباء الذين عاصروه .



★ كامل كيلاني ★

بين التاريخ .. والشعر .. والقصة

يقول « أنور الجندي » :

بدأ « كامل كيلاني » حياته الأدبية عام ١٩٢٢م ، على أسلوب يوحي بأنه سيأخذ مكانه الطبيعي بين صفوف الأدباء والمؤرخين ، وذلك حين ألقى محاضراته ، عن **الأدب الأندلسي** ، في الجامعة المصرية القديمة ، وقد كان اتجاهه التاريخي أغلب ، تشهد بذلك مؤلفاته : **« ملوك الطوائف »** ، و **« مصارع الأعيان »** ، و **« نظرات في تاريخ الاسلام »** .

ثم برز اتجاهه إلى الشعر - وهو شاعر مجيد ، يخفي أحياناً آثاره الشعرية ، ويحتفظ بها لنفسه - حين بدأ يراجع **« ابن زيدون »** و **« ابن الرومي »** ، ووجد نفسه مع **« أبي العلاء »** ، فقد اتجه إليه بعنف وعاش معه طويلاً ، وراجع أثره الكبير في **« الغفران »** ، وحفظ أغلب شعره ، وكان يستشهد به في كل مناسبة .

إلى هنا كان كامل كيلاني قد أنفق صدرا من حياته في هذا الجو الأدبي التاريخي .. فكيف قفز بعد ذلك ، إلى القصة فعاش لها ، وحشد لها جهوده كلها ؟ .

والواقع أن الاتجاه القصصي عند كامل كيلاني اتجاه أصيل ، ولكن الاتجاهات الأصيلة قد تختفي في النفس فترة من الزمن ، ثم تبرز - بعد ذلك - قوية واضحة ، وقد حدث هذا مع عدد كبير من الكتّاب .

وقد كان الاتجاه القصصي عند الكيلاني نتيجة طبيعية لنوعية شخصيته ولعالم نفسيته . ولو أنه لم يكتب القصة ، لعمق فطرته ، لظل في عداد الأدباء ، ولم يقفز إلى صفوف الرواد .

إن كل أثر من آثاره - في مستهل حياته الأدبية - يعطينا خيطاً من خيوط شخصيته القصصية ، كما جاءت - من بعد - قوية خلابة ، عندما أبدعت هذا

اللون الجديد من الأدب العربي، وهو **قصص الأطفال**.

كان التاريخ والشعر والأدب كلها نوافذ على الفن القصصي، وإعداد له، وهي النواة التي تكون الرواية.

فإذا عدنا إلى مطلع شبابه وجدنا حياته قد رسمت وفق أسلوب قصصي، فقد تفتحت روحه على **الأسطورة العربية**، فاندفع يقرأ كل أسطورة في كل أدب.

قرأ: **ذات الهمة، وعنترة، وسيف بن ذي يزن، وفيروز شاه، وحمزة البهلوان، والظاهر بيبرس**، وهي في مجموعها تبلغ (١٧٠) كتاباً؛ ولكن هذا الرصيد الضخم لم يكف القارىء الذي اندفع يقرأ **الأساطير في الأدب الأوروبي**، فقرأ: **روبنسون كروزو، وجليفر**، وغيرهما من أساطير **الهند، واليونان**، فأنشأ بهذه القراءات ـ في أعماقه ـ منطقة سحرية عجيبة، ظلت تعيش في أعماقه، حتى انفجر حاجزها عندما بلغ قوته على هذه الصورة الرائعة.

وقد أمده التاريخ بالمادة الخام، إذ قرأ كل القصص التي حوتها أمهات كتب التاريخ، وأمده الشعر باللوحات الفنية.

ولعل أعجب مظاهر حياته أنه في الوقت الذي حفظ فيه ألفية «**ابن مالك**» ـ وهي من الدراسات الأزهرية الخالصة ـ حفظ «**لافونتين**» و«**الحريري**»، وكأنما أريد له أن يجمع أسباب التبريز في الأدبين.. العربي والغربي على السواء.

وقد وصف أمير الشعراء «أحمد شوقي» كامل كيلاني وصفاً دقيقاً حين قال:

الكيلاني كعقرب الثواني
قصير ولكنه سريع الخطى
منتج يأتي بدقائق الأمور.

أحد الرواد في الاهتمام بالطفل

وعنه قال الدكتور عبد الحميد يونس:

كابد كامل كيلاني الأدب، وعمل على نشر الثقافة، ما يقرب من أربعين سنة، وإذا لم تكن شهرته بين أبناء الجيل الصاعد، كشهرة الذين يصطنعون وسائل **الاعلان** والفن في هذه الأيام.. فإن أجيالنا تعرفه حق المعرفة.. تعرفه بشخصه، وأدبه وثقافته كما عرفت النوابغ والمثابرين في الربع الثاني من هذا القرن.

والذين عاصروه يذكرون أنه آثر أن يعيش في **القاهرة القديمة** المتطورة بين **الحلمية وعابدين**.

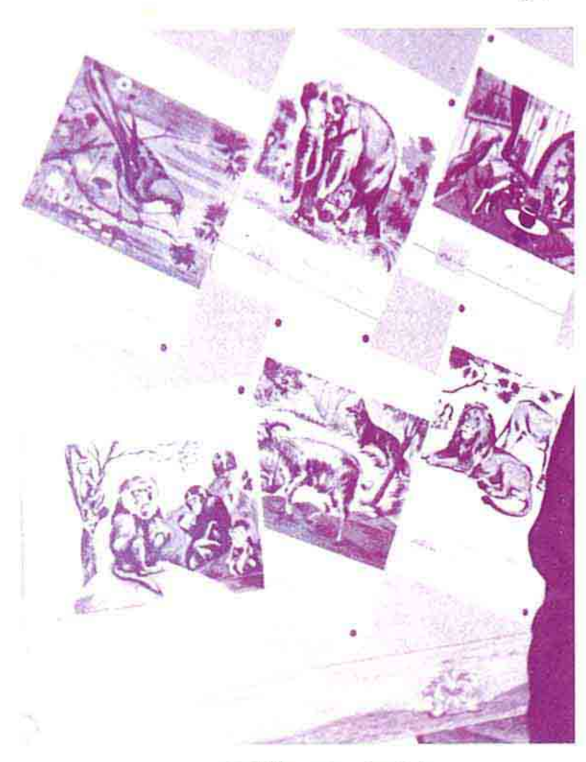
وكانت نشأته في هذه المنطقة، تحكي وحدة متجانسة، تأتلف فكره، وعاطفته، وإرادته، وسلوكه جميعاً. ومن يقرأ الآثار المنوعة التي صدرت عنه يستطيع أن يدرك ـ في يسر ـ أنها كانت ترتكز على تراثنا الأصيل، ارتكاز القاهرة القديمة، وتتطور في هدوء وأناة، محتفظة بجميع مقوماتها.

وقبل أن يعنى التربويون بتثقيف الطفل، على أساس جديد يستغل الصورة واللون.. اهتم.. كامل كيلاني بهذه الثمرات الغضة وأوقف عليها كل نشاطه أو أكثره، وأصدر لها مكتبة كبيرة مستقلة عرفت بـ«**مكتبة الطفل**».. وكان بذلك واحداً من الرواد الأوائل في الاهتمام بالطفل.

وأياً كان رأي «البيداجوجيين» في صنيع الكيلاني فإن الذي لا شك فيه، أنه كان من أوائل الذين فكروا ودبروا وأفادوا من أمجاد العرب، وسير الفحول، كما أفادوا من أقاصيص الشعب العربي.

ولم يكن الرجل ـ رحمه الله ـ يؤلف لطفل لا ينمو على الأيام، وإنما كان يؤلف طبقاً للمراحل التي يتدرج إليها، فيبدأ بالبسيط، ويأخذ في التطوير والتعقيد شيئاً فشيئاً، وكان اهتمامه باللسان العربي يفوق كل اهتمام.

وإذا كان الكيلاني ـ كأبناء جيله ـ قد احتفل بالفصيح، فإنه لم يغفل اطلاقاً الأدب الشعبي الذي يتوسل باللهجات العربية، ولكنه لم يجعله غاية في ذاته، بل أفاد منه في تطوير وتقويم الدرس الأدبي، وابراز الفلسفة الخاصة التي يستمد منها الأديب، كما فعل في محاولته اظهار فلسفة «**جحا**» وإذا اتخذنا هذه الشخصية مثالا على صنيعه، فإننا نلاحظ أنه خلصها من الشوائب التركية، وردها إلى أصلها العربي.



★ مجموعة من قصص الأطفال ★

علم .. من أعلام الثقافة

ويعمق «رشدي صالح» الأديب والناقد جانبا من جوانب شخصية كامل كيلاني فيقول:

آخر مرة قابلته فيها حدثني عن شيء في حياته، أفظع بكثير من الموت.. قال لي: يوم أن أصبت بالعمى الطارىء، لم أنهزم أمام الظلام، لأنني مؤمن بأن الأقدار أرحم من أن تتركني أموت وأنا أعمى!

وانتصر الفيلسوف على العمى الطارىء، لكنه انهزم ـ طوال حياته ـ أمام الجحود.

لقد كان في طليعة المثقفين.. أدباً وعلماً، فتخطاه المثقفون، وهم يدفعونه إلى الوراء، ليقف في آخر الصف، وينتظر حتى يمر الجميع.

أبعدوه على الأضواء والمجد، وتجاهلوه.. وهم يعلمون أنه من أعمدة الفكر، في مرحلة كاملة من ثقافتنا.

ولم يرفع يده بالاحتجاج في وجه أحد.. وكان يرى أنه موجود ليعطي الحياة لا يأخذ منها.

وانتهز بعض الأدباء فرصة مرضه بعينيه، فسرقوا ترجمات له، ونشروها

بأسمائهم، فلما استرد بصره، لم يرفع يده بالاعتراض.. وظل يقول:

«دعهم يأخذون. إنني لا أحاسبهم على السرقة، بل إني حزين لنكران الجميل.. فهؤلاء الأدباء من تلاميذي». ولولا تواضعه الشديد لقال إنه هو الذي صنعهم، وقدمهم للجمهور.

كان الكيلاني في صدر المفكرين المسيطرين على الثقافة العالمية والتراث العربي. ومع هذا ظل يشعر بأن الآخرين يسحبون الأرض من تحت قدميه، وبأنه كلما تقدم خطوة، وجد في انتظاره كأساً جديدة من الجحود!

وانزوى الفيلسوف في صومعته.. يتحدث إلى من لا يعرف الضغينة، ومن لا ينكر الجميل.. أولئك هم الأطفال: أحباؤه.. جمهوره.. والقراء المعجبون به، الذين كانوا ينتظرون روائعه.

وكان هو يشتاق إلى لقائهم، لأنه كان ـ دائماً ـ محتاجاً إلى يد طاهرة نقية، تعطي الحياة.. ولا تأخذ منها.

ذلك هو الأديب الذي فقدناه، فصدرت الصحف تنعاه في أعمدة الوفيات، وكان الحق أن ترثيه في الصفحات الأولى!

لقد انطوى علم كبير من أعلام الثقافة.. لحظة أن ذهب الناعي ينذر بأن «كامل كيلاني» قد صمت إلى الأبد!

بابا.. كل الأطفال العرب

وقال عنه «أنيس منصور»:

لا يعرف كامل كيلاني إلا شيئاً واحداً هو أن يعمل ليلاً ونهاراً، بحماس الشبان، وإيمان الشيوخ، بأنه يؤدي عملاً نافعاً! ولا يعنيه ما يقول الناس.. وهو زاهد في الشهرة، وفي المال ولكنه لم يزهد أبداً في العمل والاخلاص، لأبنائه من الأطفال في كل مكان.

.. هذا هو «**هانس أندرسن**» البلاد العربية. هذا هو **الأخوان الألمانيان «جريم»**، بل إنه كل أسرة «جريم» يعمل في صمت دون أن يكترث ـ قليلاً ولا كثيراً ـ للنقد.. وقد حدث أن هاجمته إحدى المجلات شهوراً متوالية. فلم يشأ أن يقرأ النقد الذي كتبته.

.. ومن رأيه أن المعرفة بين أديبين، من شأنها أن تجعل الأديب يفقد اثنين من رجاله، ولذلك يؤثر كامل كيلاني الصمت حين يهاجمه النقاد وبذلك تكون الخسارة رجلاً واحداً.

إن شعار هذا الرجل، رحمه الله، هو أن يعمل، ويعمل دائماً. إنه هو الذي فتح باب العناية بالطفل، وتسليته، وتثقيفه. إنه هو الذي فتح الطريق إلى ركن الأطفال في الإذاعات العربية.

هذا هو «بابا» عدد كبير من الأطفال من «أندونيسيا» إلى «مراكش» ومن «مصر» إلى «جنوبي إفريقيا». هذا هو.. «كامل كيلاني».

الكيلاني.. وابن الرومي

أما كامل الشناوي فقد قال عن رفيق عمره كامل كيلاني بعد أن رحل عن الدنيا:

في مثل هذا اليوم مات كامل كيلاني صاحب «**مكتبة الأطفال**» التي تضم **سبعين كتابا، ومؤلف الدراسات الأدبية** المتعددة، **والباحث** وراء المعري، وابن الرومي، وابن زيدون.

عرفت كامل كيلاني منذ ثلاثين عاماً، كنا شباناً ناشئين، مولعين بالأدب، وكان في «الحلمية الجديدة» مقهى يتردد عليه بعض الأدباء والشعراء ومن بينهم «كامل كيلاني». إنسان دقيق الجسم، قصير القامة، أسمر اللون، سريع النظرة واللفتة، قلق، لا يكاد يستقر على مقعد، حتى يتركه إلى مقعد آخر.

يروي **الشعر، والنوادر، والحكايات**، وحوله أناس يهزون رؤوسهم إعجاباً، ويضحكون بأصوات عالية.

هؤلاء الناس كانوا أيضاً أدباء مثله.

هكذا عرفت «كامل كيلاني» من بعيد!

ثم عرفته من قريب، بعد ما اشتغلت بالصحافة، كان يزورني في مكتبي، ويحرص ـ في كل زيارة ـ على أن يسمعني جديداً من مختاراته، وأغلب هذه المختارات من شعر «المعري»، و«ابن الرومي».. وكنت أسأله، ألا يخشى أن تحل به لعنة ابن الرومي؟

فكان يقول: إن حبي لابن الرومي يجعلني أتحدى لعنته؟

وابن الرومي شاعر عربي جهير، كان ـ في حياته ـ كثير التشاؤم، وقد أصبح ـ هو نفسه ـ شؤماً على من يقترب منه.

وقد ظل ديوانه ـ حتى الآن ـ غير مطبوع. ومنذ أربعين عاماً بدأ **الشيخ محمد شريف بك** في طبعه فلم يكد يصدر الجزء الأول حتى انتقل إلى رحمة الله.

وقد كتب «**المازني**» دراسة عن «ابن الرومي» فزلت قدمه، وظل طول حياته يعرج إلى أن مات!

وأصدر **عباس العقاد** كتاباً قيماً عن حياة ابن الرومي، وعلى أثر صدور الكتاب، حوكم العقاد بتهمة لا علاقة لها بالأدب. وصدر الحكم بحبسه تسعة أشهر.

وكان «كامل كيلاني» يرى أن شعر «ابن الرومي» في السخرية يؤلف معرضاً كاملاً من الرسوم الكاريكاتورية. وقد اختار له مئات من الصور الرائعة، مثل صورة البخيل، وصورة الأحدب، وهو يمثل البخيل وقد بلغ من حرصه، وتقتيره أنه لا يتنفس من طاقتي أنفه، ولكن يتنفس من طاقة واحدة، ويوفر الطاقة الأخرى.

رأي مستشرق

وهذا هو رأي المستشرق الايطالي «كارل نالينو» الأستاذ بجامعة روما، وعضو مجمع اللغة العربية، من خلال رسالة وجدتها في أوراقه التي تمتلىء بها مكتبته:

لقد امتلاء قلبي سروراً حين قرأت في هذه الأعوام الأخيرة حجرة كبيرة من كتب كامل كيلاني التي أنشأ بها مكتبة الطفل العربي.

ولئن صح يقيني لتكونن نسيج وحدك في عالم التأليف للأطفال في البلاد العربية قاطبة، فلست أعرف لك ضريباً في هذا المضمار في أي بلد ينطق أهله بالضاد. فإن كتبك قد جمعت إلى براعة التسلية حسن الأسلوب، ووفرة المعلومات معاً. ولست أرى لها مثيلاً إلا تلك الكتب التي تدرس في مدارس أوروبا إلى جانب الكتب المدرسية لتثير في أنفس الأطفال والشباب حب الاطلاع، وحب التسلية، كما تثير فيها ـ إلى جانب ذلك ـ حب التفكير.

وعندي أن كتبك قد سدت هذا الفراغ في الشرق بطريقة مثلى، فإن جاذبية هذه القصص لا تبلى جدتها، فهي حافظة أبداً لجدتها وروعتها وسحرها.. وكل ما فيها يدل على سلامة الذوق، فإنها تمتاز في موضوعها بحسن الاختيار.. وفي أسلوبها بالمتانة واللغة.. وفي لغتها بالسهولة.. وإن صوغ عباراتها، وانتقاء مفرداتها لينبآن عن ذوق عربي أصيل، مكتمل النضوج، يشع فيها جميعاً. ولست أستثني من ذلك تلك القصص التي قبستها من الآداب الأوروبية. فإن تجويد



★ كاتب الموضوع مع رشاد كامل كيلاني الذي تحدث عن أبيه ودوره في خدمة أدب الأطفال في العالم العربي ★

أسلوبها ، وتخير ألفاظها ، وطابعها العربي الصميم ، كل ذلك ، لا يدع مجالا للشك في أن هذه القصص هي - بإنشائها - عربية بأصل وضعها حتماً .

حوار عمره ٣٠ عاما

وهذا جزء من حوار كان قد أجراه مع كامل كيلاني **لاذاعة الشرق الأدنى** عام ١٩٤٨ م ، **محمد عبد الغني حسن** .. تحدث فيه عن أسباب اهتمامه بالكتابة للطفل العربي .. ورأيه في الجيل :

● كيف بدأ اهتمامك بالطفل ؟ . وكيف خطر ببالك إعداد مكتبة للأطفال ؟

●● بدأ تفكيري في ذلك منذ طفولتي الباكرة ، وطالما عجبت ، في مستهل نشأتي : كيف تسكت كتب المطالعة العربية عن سبيل الكتب الأجنبية التي وفق جمهور مؤلفيها في تحبيب لغتهم وأدبهم إلى نفوس الأطفال . بقدر ما وفق مؤلفونا في تبغيض القراءة العربية والأدب العربي إلى نفوس الناشئة !

وطالما شكوت لبعض أترابي من الطلبة - ونحن في السنة الأولى الابتدائية - متبرماً بما في أيدينا من كتب المطالعة العربية ، مقابلاً بينها وبين الكتب الأجنبية الجذابة الفاتنة . وطالما أجابني صاحبي ساخراً : « فما بالك لا تؤلف خيراً من هذه الكتب ؟ » .

وطالما أجبته : « ذلك عهد علي أن أوفي به - إن شاء الله - متى كبرت سني وبلغت مبلغ الرجال » .

● ما رأيك في الجيل الناشىء ، الذي ساهمت في تربيته وتثقيفه ؟

●● لكل جيل عيوبه ومزاياه . فإذا أخذ ناقد مخلص على نفر من شباب الجيل الجديد تفوقهم في عيوبهم ، فإننا نرجو أن يجد في تفوق بعض أفذاذه في مزاياهم ، ما يشفع لجيلهم ، ويكفر عن عيوب سواهم .

وقد مهدت للجيل الجديد من وسائل النهضة ، وفتح له من ميادين التجربة والاختيار ما لم يتح لسابقه من الأجيال . فلا عجب إذا كان أقدر على تحمل التبعات ، والاضطلاع بجلائل الأعمال .

وقد رأينا ، ورأى المنصفون معنا ، في بواكير الجيل طائفة من الأفذاذ الموهوبين ، في مختلف الميادين « الفنية والثقافية » ، والاقتصادية وغيرها ، مما يبشرنا بدنو الفجر الصادق ، بعد أن طال ليل الجهالة ، وخيم ظلامه حتى كاد المصلحون يستسلمون لليأس من طلوع النهار ، وراحوا يرددون - في لهفة وحسرة - قول الشاعر :

حدثوني عن النهار حديثا
أوصفوه ، فقد نسيت النهار

● تصادفك - ككل إنسان - عقبات ومعاكسات في الحياة ، فكيف استطعت التغلب عليها ؟

●● انتفعت في فجر طفولتي بالحكمة القائلة : « العلم إذا أعطيته كلك ، أعطاك بعضه ، وإذا أعطيته بعضك ، لم يعطك شيئاً » .

ولا ريب أن من يهب حياته لفنه ، جدير أن يشغله ذلك عن كل ما عداه ، فلا يثنيه شيء عن هدفه .

وكثيراً ما تمثلت قول القائل :

وإذا صبرت لجهد نازلة
فكأنه ما مسك الجهد

وكم أعانني على مواجهة الخطوب قول « **أبي العتاهية** » :

لكل شيء مدة وتنقضي
ما غلب الأيام إلا من رضي

طالما وجدت عزائي في أمثال هذه المعاني ، ورأيت فيها خير معوان لي على اجتياز العقبات ، واحتقار المعاكسات .

الساعات الأخيرة لكل إنسان تحضر وجدان الناس وتجبر أعتى العتاة أن يحنوا رؤوسهم أمام جلال الموت ، ذلك المجهول المخيف . فإذا حضرت الوفاة واحداً من عظماء الناس فإن الأمر لا يقف عند اهتزاز العاطفة ، وإنما يكتسب بُعداً آخر ، هو التدبر والتأمل وإعمال الفكر في سيرة العظيم وفي مواجهته هذا الموقف الأخير في حياته .

وأبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ، هو أعظم عظماء الإسلام بعد **رسول الله ﷺ** ، فلننظر كيف واجه الرجل ذلك القدر المكتوب وكيف كانت ساعاته الأخيرة .

عشية مات



استخلف رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ عامين وثلاثة أشهر وأياماً ، تعرضت الدولة الإسلامية الناشئة خلالها لحرب أهلية شاملة هي **حروب الردة** ، واستطاع أبو بكر أن يرد للأمة وحدتها وللحكومة في المدينة سلطتها ، وفور ذلك بعث الجيوش إلى حركة الفتح الكبرى .

بعث **خالد بن الوليد وعياض بن غنم** إلى العراق ، كما بعث **يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبا عبيدة بن الجرام وعمرو بن العاص** إلى الشام ، ووضع لكل ميدان مخططه . وسار خالد في **العراق** من نصر إلى نصر في تلاحق سريع ، في حين جمد الوضع في **الشام** . وأرسل الصدّيق أمره إلى خالد أن ينتقل بنصف جيشه من العراق إلى الشام ليقود عملية الفتح هناك ، وأن يترك **المثنى ابن حارثة** على ما بقي من جيشه بالعراق .

ووجّه الفُرس إلى المثنى جيشاً التقى به في **بابل** ، وكال لهم هزيمة مريرة في أواخر ربيع الأول ١٣ هـ ، ومع هذه الهزيمة حدثت اضطرابات داخلية في **بلاط فارس** . وأدرك المثنى أنها هدنة لن تدوم ، فانفلت إلى **المدينة** ليشرح للخليفة أبي بكر تفاصيل الوضع بالعراق ، ويقدم له مشروعاً للتعبئة العامة يسمح لمن ثبتت توبته ممن سبقت لهم ردة أن يسهموا في حركة الفتح ، وكانوا محظوراً عليهم حتى ذلك الحين أن يشاركوا فيها .

هذا في حين كان خالد بن الوليد في الشام يفتح **بصرى** ، في **٢٥** ربيع الأول ١٣ هـ ، ثم يخوض أولى المعارك الكبرى في الشام ، فيهزم **الروم** في ٢٧ جمادى الأولى ١٣ هـ ، هزيمة منكرة في **أجنادين** ، وقضى بعدها أياماً في عمليات مطاردة الفلول ثم كتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله خليفة رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على المشركين . أما بعد ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد . فإني أخبرك أيها الصدّيق أنا التقينا نحن والمشركون وقد جمعوا لنا جموعاً جمة كثيرة بأجنادين ، وقد رفعوا صلبهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يفنونا أو يخرجونا من بلادهم . فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله ، فطاعناهم بالرماح ، ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم في كل فج وشِعْب وغائط . فأحمد الله على إعزاز دينه وإذلال عدوّه وحسن الصنع لأوليائه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » . . بعث خالد بهذه الرسالة مع **عبد الله بن حنبل الجمحي** ، فانطلق بها جنوباً نحو المدينة .

استخلاف عمر بن الخطاب

وفي يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة ١٣ هـ (٨ أغسطس / آب ٦٣٤ م) ، اغتسل أبو بكر رضي الله عنه ، وبالرغم من أن الفصل كان صيفاً ، فقد كانت ليلة باردة بالمدينة ، وحُمّ أبو بكر وارتفعت حرارته خمسة عشر يوماً ، فلازم فراشه ولم يكن يخرج إلى الصلاة وإنما كان يأمر **عمر بن الخطاب** أن يصلي بالناس . وكان المسلمون يعودونه في داره وهو يثقل كل يوم ، وكانت ابنته **أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها** هي التي تمرضه .

وأحس أبو بكر أنه مرض الموت ، وأراد أن يستخلف من بعده ، فدعا **عبد الرحمن بن عوف** وقال : أخبرني عن عمر . قال : يا خليفة رسول الله هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة . فقال أبو بكر : ذلك لأنه يراني رقيقاً ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه . يا أبا محمد قد رمّقته فرأيتني إذا غضبت على الرجل في شيء أراني الرضا عنه ، وإذا لنت له أراني الشدة عليه . لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئاً . واستشار أبو بكر كبار المهاجرين والأنصار في عمر بن الخطاب فجميعهم أثنى عليه . ودخل **طلحة بن عبيد الله** على أبي بكر فقال : استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس



بقلم : أحمد عادل كمال

منه وأنت معه فكيف إذا خلا بهم ، وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك . قال أبو بكر : أجلسوني . فأجلسوه . قال : « أبالله تخوفوني ؟ خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول اللهم استخلفت عليهم خير أهلك . . أبلغ عني ما قلت لك من وراءك » . ثم اضطجع ، ودعا **عثمان بن عفان** فأملاه :

« **بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر ابن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب ، وإني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا ، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه ، وإن بدل فلكل امرىء ما اكتسب من الإثم والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله** » .

ثم أمر بالكتاب فختمه وأشرف على الناس وامرأته **أسماء بنت عميس** ممسكته موشومة اليدين ، فأعلن عليهم استخلافه عمر بن الخطاب ، فقبلوه ورضوا به وبايعوه وقالوا سمعنا وأطعنا . ثم دعا أبو بكر عمر على انفراد فأوصاه ، حتى إذا خرج من عنده رفع أبو بكر يديه مَدّاً وقال : « **اللهم أني لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم . وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك ، أصلح لهم وإليهم واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وهدى الصالحين بعده وأصلح له رعيته** » .

عشية الوفاة

واشتد المرض على أبي بكر فقيل له : لو أرسلت إلى الطبيب ؟ قال : قد رآني . قالوا : فما قال لك ؟ قال : إني أفعل ما أشاء .

ودخل عبد الرحمن بن عوف على أبي بكر ، فوجده مهتماً فقال مواسياً : أصبحت والحمد لله بارئاً . قال أبو بكر : أتراه ؟ قال : نعم . قال أبو بكر : « **إني وليت أمركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه ، ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل ، وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج وتألموا الاضطجاع على الصوف الأذري (نسبة إلى آذربيجان) كما يألم أحدكم أن ينام على حسك (شوك) . والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا وأنتم أول ضال بالناس غداً فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالا . يا هادي الطريق إنما هو الفجر أو البجر (الأمر العظيم)** » .

قال عبد الرحمن : خفِّض عليك رحمك الله ، فإن هذا يهيضك في أمرك ، إنما الناس في أمرك بين رجلين ، إما رجل رأى ما رأيت فهو معك ، وإما رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحب ، ولا نعلمك أردت إلا خيراً ولم تزل صالحاً مصلحاً ، وأنك لا تأسى على شيء من الدنيا .

قال أبو بكر : أجل ، إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن ، وثلاث تركتهن وددت أني فعلتهن ، وثلاث وددت أني سألت عنهن رسول الله ﷺ . فأما الثلاث اللاتي وددت أني تركتهن ، فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلّقوه على الحرب ، ووددت أني لم أكن حَرَقْتُ **الفجاءة السلمي** وأني كنت قتلته **سريحاً** أو خلّيته نجيحاً ، ووددت أني يوم **سقيفة بني ساعدة** كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين ـ يريد عمر وأبا عبيدة ـ فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً . وأما اللاتي تركتهن ، فوددت أني يوم أتيتُ **بالأشعث بن قيس** أسيراً كنت ضربت عنقه فإنه تخيّل إليّ أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه . ووددت أني حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذي القصَّة فإن ظفر المسلمون ظفروا وإن هُزموا كنت بصدد لقاء أو مدداً . ووددت أني كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق ، فكنت قد بسطت يديّ كلتيهما في سبيل الله ـ ومد يديه ـ ووددت أني كنت سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد . ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب . ووددت أني كنت سألته عن **ميراث ابنة الأخ والعمة** فإن في نفسي منها شيئاً .

ونظرت عائشة إلى أبيها العظيم ، ثم رددت بصوت مسموع قول **حاتم الطائي** :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فنظر إليها أبو بكر كالغضبان ، وقال : ليس كذاك يا أم المؤمنين ، ولكن وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد . ويبدو أنه حين ذكرت عائشة الثراء تداعت الأفكار فتمثل أبو بكر بقول **عبيدة بن الأبرص :**

وكل ذي إبل موروث
وكل ذي سلب مسلوب
وكل ذي غيبة يئوب
وغائب الموت لا يئوب

ثم قال : يا عائشة إذا أنا مت فاغسلي أخلاقي (ثيابي القديمة البالية) فاجعليها أكفاني . قالت : يا أبتاه قد رزق الله وأحسن ، نكفنك في جديد . قال : إن الحي هو أحوج ـ يصون نفسه ويقنّعها ـ من الميت ، إنما يصير إلى الصديد وإلى البلى . والتفت رضي الله عنه إلى امرأته **أسماء بنت عميس** وقال لها : غسليني . قالت : لا أطيق ذلك . قال : يعنيك **عبد الرحمن بن أبي بكر** ، يصب الماء . وعاد يقول لعائشة : إني كنت قد نحلتك (وهبتك) حائطاً (بستاناً) وإن في نفسي منه شيئاً فرديه إلى الميراث . فردته عائشة . وقال : أما أنّا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجَرْد هذه القطيفة ، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر وابرئي منهن . ذلك أن أبا بكر كان تاجراً فلما استخلف وتفرغ لشؤون المسلمين فرضوا له بعد ستة أشهر من ولايته ستة آلاف درهم في كل عام ، فأراد أبو بكر أن يرد ما كان عنده . قال : انظروا كم أنفقت منذ وُليت من بيت المال فاقضوه عني ، فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم في ولايته .

ودخل **عبد الرحمن بن حنبل** المدينة ، فتوجه إلى بيت أبي بكر حيث سلمه رسالة خالد وهو بآخر رمق فبشر بها وسر كثيراً بنصر المسلمين في أجنادين .

وجاء المثنى بن حارثة من العراق ، وقد صادف قدومه صحوة الموت ، فجلس عند أبي بكر ، وأفضى إليه بما جاء من أجله من أمر العراق وحشد المسلمين للفتوح . قال أبو بكر : «عَلَيَّ بعمر» . وجاء عمر ، فقال أبو بكر : «اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به . إني لأرجو أن أموت من يومي هذا ـ وكان ذلك يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة ١٣ هـ (٢٢ أغسطس / آب ٦٣٤ م) ، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا يشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم ، وقد رأيتني مُتَوَفّى رسول الله ﷺ وما صنعت ولم يصب الخلق بمثله . وبالله لو أني أني عن أمر الله وأمر رسوله لخذلنا ولعاقبنا فاضطرمت المدينة ناراً . وإن فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أهله وولاة أمره وحدّه ، وأهل الضراوة بهم والجرأة عليهم» .

ردود الفعل

فلما غابت شمس ذلك اليوم توفي أبو بكر عشاء عن ثلاث وستين ، وكان آخر ما تكلم به «ربي توفني مسلماً وألحقني بالصالحين» .

وجاء علي بن أبي طالب على عجل فوقف ببابه يبكي ، ثم قال : «رحمك الله يا أبا بكر ، كنت والله أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدهم يقيناً وأعظمهم غنًى وأحفظهم على رسول الله ﷺ وأحدبهم على الإسلام ، وأحماهم عن أهله ، وأنسبهم برسول الله خُلُقاً وفضلاً وهَدْياً وسَمْتاً ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً . **صدّقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، وسماك الله في كتابه صدّيقاً** فقال : «والذي جاء بالصدق وصدق به» يريد محمداً ويريدك . **كنت والله للإسلام حصناً وللكافرين ناكباً . لم تضلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ،** كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف . كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً في بدنك قوياً في دينك ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند الله ، جليلاً في الأرض ، كبيراً عند المؤمنين . لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى ، فالضعيف عندك قوي ، والقوي عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوي وتأخذه للضعيف ، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك» .

وقال عمر : يا خليفة رسول الله ، لقد كلفت القوم بعدك تعباً ، ووليتهم نصباً ، فهيهات من شق غبارك ، فكيف اللحاق بك .

وبكت النساء وعلا نواحهن ، فقال عمر : **قال رسول الله ﷺ إن الميت يعذب ببكاء الحي .** ونهاهن عن النوح فأبين . فقال عمر **لهشام بن الوليد** أخي خالد بن الوليد : قم فأخرج النساء . فقالت عائشة : أخرج عليك ؟ ! فقال عمر : ادخل فقد أذنت لك . فقالت عائشة : أمخرجي أنت يا بني ؟ قال : أما لك فقد أذنت . فجعل هشام يخرجهن امرأة امرأة حتى خرجت **أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر** فضربها عمر بالدرة ضربات فتفرقت النائحات .

وحمل أبو بكر بعد غسله إلى مسجد الرسول على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ فوضع بين القبر والمنبر حيث صلى عليه عمر ، وحفر له لحد ألصقوه بلحد رسول الله ﷺ وجعلوا رأسه عند كتفي الرسول . ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وأراد عبد الله أن يدخل قبره فقال له عمر : كفيت . وكان دفنه في ذات الليلة التي توفي فيها رضي الله عنه .

وبعثت عائشة «تركة» أبي بكر التي أمرها بها إلى عمر ، فبكى حتى صارت دموعه تتساقط على الأرض ، وقال : **رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده ، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده ،** يا غلام ارفعهن . قال **عبد الرحمن بن عوف :** سبحان الله ، تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبعيراً ناضحاً وجَرْد قطيفة ثمن خمسة الدراهم ! قال عمر : فما تأمر ؟ قال : تردهن على عياله . قال عمر : لا والذي بعث محمداً بالحق ، لا يكون هذا في ولايتي أبداً ، ولأخرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله ، الموت أقرب من ذلك .



"وَألقينا فيها رَواسيَ وَأنْبَتْنا فيها من كُل شيءٍ مَوزون"
(قرآن كريم)

جو الأرض

هل تحل بنا كارثة؟

بقلم: د. عبد المحسن صالح

الخلق كله .. من أوله إلى آخره ، ومن بدايته حتى نهايته ، يسير بموازين حساسة ، لا خلل فيها ولا فوضى .. صحيح أن كفتي الميزان ، قد تتأرجحان قليلاً ذات اليمين ، وذات الشمال ، لكنها لا بد إلى التوازن عائدتان .. حقيقة يعيش فيها العلماء ليل نهار ، فكل شيء قد جاء بحساب ومقدار !

والغلاف الهوائي قد جاء بدوره موزوناً ومتوازناً ، لكن يبدو أن الإنسان قد بدأ يتلاعب بالميزان ، دون أن يدري ، أو يدري ، لسنا ندري ، ولكن الذي ندريه حقاً ان **نسب الغازات** فيه قد بدأت تختل ، وقد يؤدي ذلك ـ على المدى الطويل ـ إلى قلب الموائد على رأس الإنسان ، وقد يدفع الثمن غالياً ، ما لم يعد إلى رشده ، ويحاول أن يصلح ما أفسده في موازين الخلق التي جاءت متعادلة من لدن حكيم خبير .

التحليلات الكثيرة ، التي أجراها العلماء لسنين طويلة ، على نسب الغازات التي جاء بها غلافنا الهوائي ،تشير إلى أن **نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون** قد بدأت تسجل زيادات مضطردة منذ بداية هذا القرن .. صحيح أن الزيادة طفيفة ، وقد لا تتعدى جزء في المليون كل عام ، لكن القليل مع القليل كثير ، ولو استمرت هذه الزيادة بمعدلها الحالي لعشرات أخرى من السنين ، فقد يؤدي ذلك إلى كوارث ليست في



الحسبان ، ولهذا ، فإن العلماء العالمين ببواطن الأمور ، يدقون أجراس الخطر من الآن !

ونسبة **الزيادة سنوياً بمعدل واحد في المليون في غاز ثاني أوكسيد الكربون** ، قد تبدو شيئاً تافهاً ، لكنك لو حسبتها بالنسبة للغلاف الهوائي ككل ، لتبين لك أن هذه النسبة الطفيفة تعني بالأرقام ٨,٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طن زيادة في كل عام . . صحيح أن هذا الرقم ضخم أمام العين ، ومخيف للعقل ، لكنه صغير بالنسبة لما يحويه الغلاف الهوائي من هذا الغاز . . فكتلة غاز ثاني اوكسيد الكربون فيه تصل إلى ٢,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طن ، وهذه تمثل بدورها ٠,٠٣٪ من حجم الغلاف الكلي لجو الأرض !

دورة متوازنة

لكن . . ما مصدر هذه الزيادة ؟ . . ولماذا يخشاها العلماء ؟

المصادر كثيرة ومتنوعة ، لكن قبل أن نتعرض لها بالشرح والتعليل ، كان من الأوفق هنا أن نشير إلى دورة الغازات في الهواء ، لنعرف كيف دبرت الأمور فيها تدبيراً بديعاً ، لتستمر الحياة على الأرض متوازنة ، كما قدر لها الخالق من قديم الأزل .

يشير بعض العلماء إلى أن الغلاف الهوائي قد ظل ثابتاً ومتوازناً بغازاته لأكثر من ألفي مليون عام ، بمعنى أن نسب غازاته الأساسية لم يطرأ عليها تغير يذكر حتى وقت قريب ، والغازات الأساسية التي تؤثر في كل صور الحياة الأرضية من إنسان وحيوان ونبات وميكروبات تتمثل لنا في ثلاثة : **غاز النيتروجين** ، وهو أكثرها شيوعاً ، ويحتل ٧٨,٠٨٤٪ من حجم الهواء ، ثم يليه **الأوكسجين** بنسبة ٢٠,٩٤٦٪ ، ثم **غاز ثاني أوكسيد الكربون** بنسبة ٠,٠٣٣٪ ، والباقي (أي حوالي ١٪) يمثل **غازات خاملة ومركبات عضوية** لا تعنينا هنا الآن .

هذا ويقدر بعض العلماء أن **كتلة الهواء التي تحيط بالأرض** تصل إلى حوالي ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طن (أي ٥ مليون بليون) . . وهي دائماً في دورة مستمرة لا تتوقف أبداً ، والدورة لا بد لها من ميزانية وتوازن ، وهي أشبه بحساب البنوك ، أو ربما أدق ، لأنها تقوم على أساس عريض ، ففيها دخل ومنصرف . . بمعنى أن غاز الأوكسجين مثلاً عامل أساسي في عمليات الاحتراق والتنفس التي تتم في النيران والآلات والأحياء جميعها ، ولولاه لخمدت جميع الأنفاس في الأحياء والنيران ، لأنه هو الذي يؤجج جذوة هذه أو تلك .

وطبيعي أن استهلاك الأوكسيجين في عمليات التنفس والاحتراق . يؤدي دائماً إلى إطلاق غاز ثاني أوكسيد الكربون . . فنحن مثلاً نستنشق الهواء بأوكسيجينه ، ونستهلك جزءاً من هذا الأوكسيجين ، ثم نزفره محملاً بنسبة أعلى من غاز ثاني أوكسيد الكربون ، وكذلك الحال مع النيران والآلات وكل صور الأحياء .

ولا شك أن هذه العملية تستهلك سنوياً مئات الملايين من أطنان الأوكسيجين ، ومع ذلك لم ينفد هذا الغاز ولم ينقص رغم مرور مئات الملايين من السنين ، كذلك لم تزد نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون في الغلاف الهوائي حتى وقت قريب ، رغم أنه يستقبل بدوره سنوياً مئات الملايين من الأطنان ، ولمئات الملايين من الأعوام . . أي أن الدخل والمنصرف بين هذين الغازين متساو تماماً بدقة ليس لها مثيل !

سوق تجارية هائلة

إذن . . كيف تدور هذه الدورة بكل ذلك التوازن العظيم ؟ . . ومن أين يتجدد « رصيد » الأوكسيجين في « بنك » الهواء ؟ . . ثم كيف يختفي غاز ثاني أوكسيد الكربون لتبقى نسبته دائماً ثابتة في غلافنا دون زيادة أو نقصان ؟

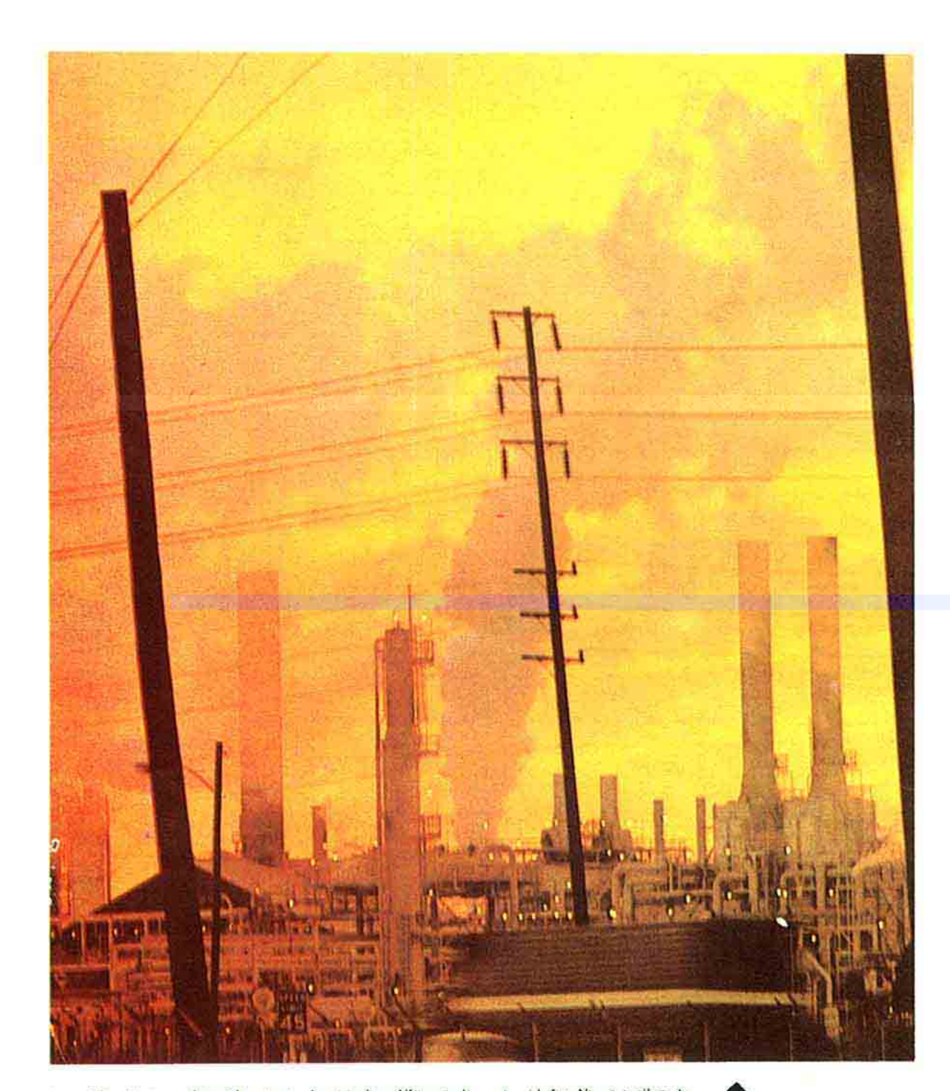
إن الفضل في هذا يرجع في المقام الأول **لمملكة النبات** . . فهي بمثابة السوق التجارية الضخمة التي يحدث فيها تبادل الصفقات . . أي أن كل شيء هنا قد جاء مضبوطاً ، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ !

ولكي نوضح ضخامة هذه الصفقات ، كان لزاماً علينا أن نقدمها مدعمة بالأرقام ، فجميع صور الكائنات النباتية المنظورة وغير المنظورة (ونقصد بغير المنظورة هنا النباتات الأولية الدقيقة كالطحالب التي تعيش بأعداد ضخمة جداً في البحار والمحيطات) تقوم بعملية أساسية وحيوية فيها استمرار الحياة على هذا الكوكب ، فهي التي تستغل **الطاقة الشمسية في عملية التمثيل الضوئي** ، لتبني بها مادتها العضوية التي نراها في أخشاب وحبوب وثمرات وما شابه ذلك . . وفي هذه العملية تأخذ غاز ثاني أوكسيد الكربون كخامة أولية بسيطة ، وتربطه مع الماء في عمليات كيميائية معقدة وسريعة ، مستغلة في هذا الطاقة الضوئية بمساعدة **مادة الكلوروفيل** التي تعطي النباتات لونها الأخضر المميز .

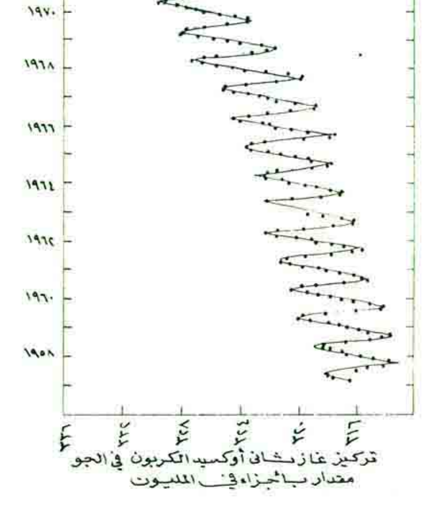
ونحن دائماً نعبر عن تلك العملية بمعادلة نكتبها ببساطة هكذا :

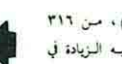
ثاني أوكسيد الكربون + ماء $\rightleftharpoons$ مادة عضوية + أوكسيجين

وهذه المعادلة على أية حال تعني التوازن ، أي أن يسارها يساوي يمينها ، لكننا وضعنا سهمين متعاكسين ليشيرا إلى المصروف والمدخر . .



★ تنطلق نواتج الاحتراق ليل نهار من المصانع والآلات والسيارات التي تستخدم الوقود الحفري بشراهة بالغة ، مما ترتب عليه زيادة غاز ثاني أوكسيد الكربون عن معدلاته الموزونة ، ومن هنا قد يرتفع معدل درجة حرارة الكوكب عن حدوده ، فيغرق معظم الأرض بطوفان قد يرتفع إلى ٤٠٠ قدم عن معدلاته الحالية في البحار ★





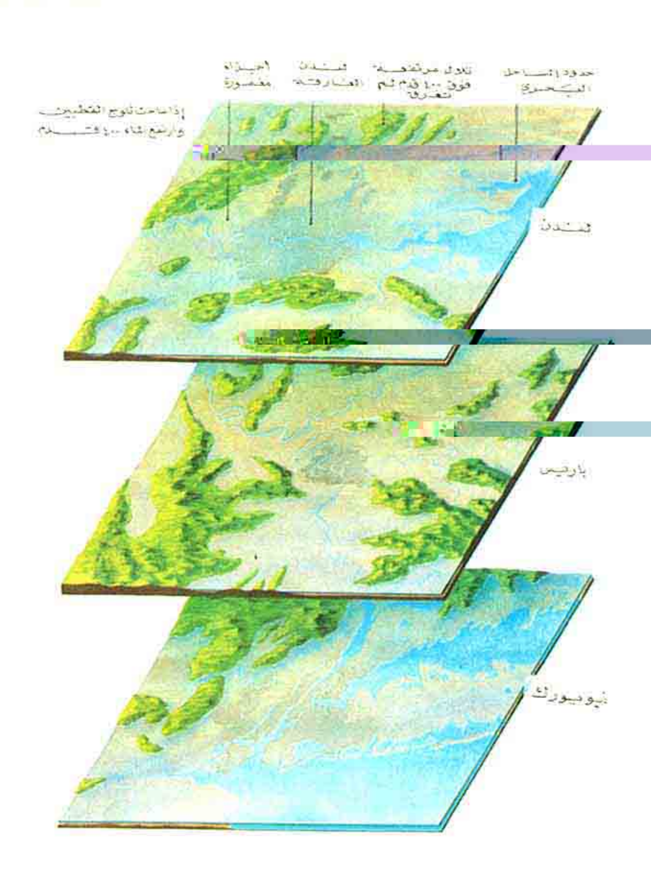
★ بدأت تحاليل غاز ثاني أوكسيد الكربون في الجو تسجل ارتفاعاً مضطرداً ، فارتفعت في عام ١٩٥٨ م ، من ٣١٦ جزءً في المليون إلى ٣٣٦ جزءً في المليون في عام ١٩٧٦ م .. ويمكن من هذا الدليل توقع ما ستكون عليه الزيادة في الأجيال القادمة ، مما ينبئ بقدوم كارثة لا يعرف أحد مداها ★

فلو أننا أحرقنا المادة العضوية ، فإن احتراقها لا يتم إلا في وجود الأوكسيجين ، وفي هذه الحالة تعطى غاز ثاني أوكسيد كربون وماء (والتنفس يؤدي إلى ذلك أيضاً) ، وهي التي يشير إليها السهم المتجه يميناً .. لكن النبات الأخضر يعود ليأخذ غاز ثاني أوكسيد الكربون ويربطه مع الماء ، ليدخره كمادة عضوية مع اطلاق الأوكسيجين ، وهذا ما يشير إليه السهم المتجه يساراً .. أي أننا لو استهلكنا هذا ، نتج ذاك ، أو لو ادخرنا هذا ، لصرفنا ذاك .. هذه تساوي تلك تماماً .. فالأوكسيجين المستهلك في عمليات التنفس والاحتراق يتجدد دائماً من خلال النبات ، وثاني أوكسيد الكربون الناتج من هذه العملية ، يعود مرة أخرى إلى النبات ليدخره في مادة عضوية ، ويطلق معها الأوكسيجين ، وهكذا تدور الدورة متوازنة منذ مئات الملايين من السنين .

لكن هذه العملية البسيطة في فحواها ، العميقة في مغزاها ، والعظيمة في معناها ، تتعامل سنوياً مع مئات الملايين من أطنان هذا الغاز أو ذاك ، فسوقنا التجارية الضخمة تأخذ سنوياً حوالي ٥٥٠ ألف مليون طن من غاز ثاني أوكسيد الكربون ، وتربطه أو تثبته مع ٤٥٠ ألف مليون طن من الماء ، لتنتج مادة عضوية حية تقدر بحوالي ٣٧٥ ألف مليون طن ، وينطلق معها حوالي ٤٠٠ ألف مليون طن من الأوكسيجين .. وتتكرر العملية سنة من وراء سنة ، ولملايين السنوات القادمة أو الماضية ، فلا يزيد هذا الغاز عن معدلاته في الهواء ، ولا ينقص ذاك .. وكل شيء بحسب ومقدار . » ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ .

الإنسان من وراء الخلل

لقد ظلت عمليات المستهلك والمدخر متوازنة بقدر معلوم ، لكن الإنسان الحالي بدأ يتلاعب بهذه الموازين ، مما أدى إلى زيادة في معدلات غاز ثاني أوكسيد الكربون في الهواء .. وهذا أمر لا يحتاج إلى مناقشة أو جدال ، فمئات المحطات المختصة برصد الأحوال الجوية والمنتشرة الآن في



★ قد يحدث أن تغرق هذه العواصم الثلاث وما حولها ، وتتغطى منشآتها تماماً بالطوفان ، فلا تبرز فوق الماء إلا هذه التلال المرتفعة المكتسية بالخضرة .. هذا لو تغير جو الأرض ، وارتفعت حرارته نتيجة لزيادة تركيز غاز ثاني أوكسيد الكربون في الهواء في الأجيال القادمة (راجع المقال) ★

أماكن متفرقة من هذا الكوكب ، تقوم بتحليل الغازات ليل نهار ، منها ما يختص بتلوث الهواء ، ومنها ما يعاير نسبته بالزيادة أو النقصان ، وكلها تشير إلى تلوث الجو بوجه عام ، وزيادة نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون بوجه خاص .. وأشهر هذه المحطات على الاطلاق تلك المقامة في **مونالوا بجزيرة هاواي** ، ويشرف عليها **الدكتور تشارلز كيلنج من معهد سكريبز لعلوم البحار** ، ولقد ظل الرجل يقيس ويسجل نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون في الهواء بداية من عام ١٩٥٨ م حتى الآن ،وسيستمر التسجيل دوماً بطبيعة الحال .

وأنت تستطيع أن ترى نتيجة هذا التسجيل في **الرسم البياني المنشور هنا** ، فتلاحظ الزيادة المضطردة بمرور الأعوام .. صحيح أنها تنقص وتزيد بين فصول العام الواحد ، ولهذا ترى الرسم متعرجاً بين زيادة ونقصان .. فنسبة الغاز تزيد بداية من **الخريف** حتى نهاية **الشتاء** ، ثم تنقص في **الربيع والصيف** ، وسبب ذلك لا يخفى على لبيب ، ففي الربيع والصيف تورق الأشجار ، وتكتسي الطبيعة بالخضرة ، ويدب فيها النشاط ، وهي لهذا تستهلك من الغاز نصيباً محموداً ، لتبني به مادتها العضوية ، ومن أجل ذلك تنقص نسبته ، والعكس يحدث في الخريف والشتاء ، لكن المحصلة النهائية لكل ذلك زيادة مضطردة لا تكاد تتوقف ، فمنذ عام ١٩٥٨ م حتى الآن ـ أي في غضون عشرين عاماً ـ تراوحت هذه الزيادة بين ٥ ـ ٦٪ ، ولا شك أنها ستتضاعف في الأجيال القادمة ، أضف إلى ذلك أن زيادة نسبة هذا الغاز منذ عام ١٨٥٠ م حتى الآن قد تراوحت بين ١٠ ـ ١٥٪ .

ما السبب إذن في هذا الارتفاع ؟

إنها ـ في الواقع ـ أسباب .. نذكر منها **الزيادة المضطردة في استهلاك الوقود الحفري** ـ البترول والفحم والغاز الطبيعي ـ نتيجة لزيادة أنشطة المدنية الحديثة ، فهذه وحدها تطلق في الهواء سنوياً حوالي ١٨ ألف مليون طن من غاز ثاني أوكسيد الكربون ، وطبيعي أن هذه الكمية الهائلة تزيد عاماً في إثر عام ، نتيجة للزيادة المضطردة في استهلاك الوقود ..

ومنها أيضاً **اختفاء مساحات شاسعة من الغابات ذات الأشجار الضخمة والكثيفة** ، نتيجة لزحف المدنية ، أو تحويلها إلى أراض زراعية ، أو قطع الأشجار واستخدامها في صناعة الورق أو الأثاث أو غير ذلك من صناعات كثيرة ، ولقد كانت تلك الغابات الضخمة تستهلك كميات هائلة من هذا الغاز ، وطبيعي أن الأرض الزراعية التي حلت محل الغابات ليست كفؤاً في تخليص الجو من غاز ثاني أوكسيد الكربون كما تفعل الأشجار الكثيفة الضخمة .

ومنها **زحف الصحارى على الأرض الزراعية** .. ومنها **ما ينطلق من تنفس كل أحياء الكوكب** .. بما في ذلك النبات والحيوان والإنسان (تطلق حوالي ٢٠ ألف مليون طن من هذا الغاز سنوياً) ومنها **تأكسد المادة الدبالية المتخلفة من الأراضي التي أزيلت منها الغابات** (حوالي ٥ بلايين طن سنوياً) ... الخ ... الخ .

والواقع أن دورة هذا الغاز في الغلاف الهوائي تخضع لعوامل كثيرة معقدة ، فالمحيطات والبحار مثلاً تمتص منه نصيباً ، والنباتات تستهلك منه الجزء الأكبر في عملية التمثيل الضوئي ، والمادة العضوية المتخلفة من موت الكائنات الحية في الماء وعلى اليابسة ، تحتفظ بنسبة من الكربون المثبت فيها على هيئة مادة عضوية ، خاصة في أعماق البحار والمحيطات ، حيث تتجمع على القاع بكميات كبيرة ... الخ ، وكل من يريد أن يحسب ميزانية هذا الغاز في الغلاف الهوائي ، فعليه أن يضع كل هذه العوامل المتداخلة في الحسبان ، فالوسائل التي تطلق هذا الغاز كثيرة ومتشعبة ، والتي تمتصه وتختزنه كثيرة أيضاً ومتنوعة ، لكن النتيجة الحتمية لكل هذا ، هي الزيادة المضطردة في نسبة الغاز في الهواء ، هذا ما أثبتته التحاليل الكيميائية التي يقوم بها العلماء ليل نهار .. ففي العشرين عاماً الماضية فقط زادت النسبة ـ كما ذكرنا ـ حوالي ٥٪ .. وهي زيادة كبيرة إذا ما قورنت بالزيادة التي حدثت قبل ذلك على مدى مائة عام ، ولم تبلغ أكثر من ١٠٪ .

الخطر القادم

لكن .. لماذا يتخوف العلماء من زيادة غاز ثاني أوكسيد الكربون في الغلاف الهوائي ؟

لكي نجيب على هذا السؤال الهام ، كان لا بد أن نتعرض أولا لطبيعة ذلك الغاز بالنسبة للأشعة الحرارية القادمة من الشمس ، أو المنطلقة من الأرض نتيجة لعمليات الاحتراق الكثيرة والمتنوعة التي لا تتوقف أبداً .

فمن طبيعة هذا الغاز أنه يستطيع أن يُمرر بسهولة **الأشعة تحت الحمراء** (أو الأشعة الحرارية) القادمة من الشمس إلى كوكب الأرض ، إذ لو لم تصل هذه الأشعة ، لتحول كوكبنا إلى كتلة من الجليد ، وعندئذ لن تنشأ عليه صور الحياة المعروفة لنا جميعاً .

لكن الأرض بدورها تمتص جزء من الحرارة ، وتعكس جزء آخر أطول موجة ، فيرتد عائداً إلى الفضاء .. وإلى هنا تحدث موازنة حرارية بين ما يأتي وما يرتد ، ليبقى الجو محتملاً بصورته المعروفة لنا جميعاً ، ولكي يحدث هذا التوازن الحساس ، كان لا بد من بقاء نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون ثابتة دون زيادة أو نقصان .. وهو بالفعل قد جاء بالحق والميزان ، لكن الإنسان ـ كما رأينا ـ قد تلاعب بهذا الميزان ، فمالت كفة غاز ثاني أوكسيد الكربون ، أو ثقلت بما حملت !

والنتيجة الحتمية لهذه الزيادة ، أن ترتفع **درجة الحرارة** .. صحيح أن ذلك كله غير محسوس لنا في الوقت الحاضر ، لكن اعط هذه العملية عمراً ، تعطيك نتيجة مفزعة وخطيرة ، **فزيادة هذا الغاز عن حدوده المقدرة من قديم الأزل سوف « يكتم » الحرارة في جو الأرض** ، لأنه سيتدخل إلى حد ما في حريتها نحو الانطلاق إلى الفضاء ، أي إنه سيحتفظ بها كما تحتفظ بها الصوبات الزجاجية التي تزرع فيها النباتات التي لا تتحمل البرودة ، أو هي كما يعبر عنها العلماء « **أثر الصوبة الزجاجية** » Greenhouse effect .. أي التي تنفذ فيها الحرارة إلى الداخل ، ولا تنطلق إلى الخارج بنفس المقدار .. وكلما زاد تركيز الغاز ، زادت تبعاً لذلك درجات الحرارة ، وقد يحل الجفاف بمناطق كثيرة من العالم ، وهذا بدوره سيؤدي إلى مزيد من الأرض القاحلة ، بعد أن كانت تزدهر بالنباتات ، وتجود بالخيرات ، وهذه ـ بلا شك ـ نتيجة مؤسفة لعالم يتضاعف عدده كل جيل أو جيلين !

والعلماء هنا مختلفون في تقديراتهم في نسب زيادة الغاز وما يتبعه من زيادة في الحرارة ، فمنهم من يشير إلى أن أنشطة المدنية الحديثة سوف تتضاعف كل عشرة أو عشرين عاماً ، وأن تركيز غاز ثاني أوكسيد الكربون سوف يتضاعف في الهواء تبعاً لذلك ، فينعكس هذا على ارتفاع في درجة حرارة الكوكب . وإلى هنا أيضاً تختلف الآراء ، فمنهم من يرى أن حرارة الأرض سوف ترتفع بمعدل درجتين كل مائة عام ، ومنهم من يقول إنه بحلول **عام ٢٠٢٠ م** سوف يصل الارتفاع في حدود **٤ ـ ٥** درجات مئوية ، وهذا الاختلاف راجع إلى عدم تفهم العلماء لهذه العملية المعقدة التي تتدخل فيها عوامل كثيرة ، فتجعل من الصعب التوقع بنتيجة موحدة .. أضف إلى ذلك أننا لا زلنا حديثي عهد بفهم أسرار الطبيعة فهماً دقيقاً ، منها مثلاً أن حوالي ٤٠٪ من كمية الغاز التي تنطلق إلى الهواء تختفي في مكان ما .. ربما في البحار ، أو ربما في المادة العضوية .. أو .. الخ ، لكن النتيجة النهائية أن الغلاف يسجل دائماً زيادة كل عام !

الطوفان البطيء

لكن الخطر الأكبر ليس مقصوراً على ارتفاع حرارة الجو ، أو تحويل الأرض المزروعة إلى أخرى قاحلة ، أو تصبب مزيد من العرق من أجسامنا ، خاصة عند الذين يعيشون في المناطق الحارة .. فكل هذا قد يهون بجوار كارثة الطوفان التي قد تغرق مساحات كبيرة من القارات .

فارتفاع درجة الحرارة درجتين أو ثلاثة عن معدلها الطبيعي ، سوف يؤثر ـ بلا شك ـ على المساحات الهائلة من **جبال الثلوج** الضخمة التي تغطي القطبين ، فيؤدي ذلك إلى ذوبانها وتحويلها إلى كميات رهيبة من الماء التي سيكون مثواها بدون جدال في البحار والمحيطات ، وهذه سيرتفع مستواها عن معدلها الحالي ارتفاعاً ينذر بأخطار محققة .

ففي بعض الآراء التي قدمها العلماء ـ وعلى حسب تقديرات وحسابات عويصة ـ ما يشير إلى أنه بعد خمسين عاماً أو أكثر من الآن سوف يرتفع سطح البحار والمحيطات إلى حوالي **٤٠٠** قدم !

ولنفرض هنا أن هذا الاستنتاج مبالغ فيه بعض الشيء ، ولنكن حريصين في هذا التقدير ، ونفترض أن الماء في البحار سيرتفع بحوالي ٢٥٪ من هذا التقدير .. أي مائة قدم فقط (أي حوالي ٣٠ متراً) ، عندئذ سيحل الطوفان بكثير من القارات ، وستغرق معظم المدن والعواصم الساحلية .. ستغرق **الإسكندرية والدلتا والقاهرة وأجزاء كثيرة من صعيد مصر** ، وستعم المياه **لندن وجدة والبصرة** وأجزاء من أرض الخليج العربي .. وستغرق **باريس ونيويورك وروما** ، وتختفي جميعها تحت أمواج البحر ... الخ ، وسوف يهجر الناس معظم أرضهم ومدنهم ، ويلجأون إلى الجبال والمرتفعات هرباً من الفيضان المنتظر ، والذي نرجوه أن يرجع الإنسان إلى رشده ، وتبصره بحساسية الموازين البديعة التي تلاعب بها ، فأخل ببعض أحكامها عن عمد أو جهل ، لسنا ندري ، لكن الذي ندريه أن كل شيء قد جاء بحكمة ، وسار بقدر ، واتّبع شرائع وسنناً لا خلل فيها ولا فوضى ، لكن ما أكثر الفوضى التي يعيش فيها أصحاب العقول !

والحل ؟

الحل أن نتدبر الأمر ، فلا نزيد الخلل خللاً على خلل ، أي أن ندرك حساسية موازين الخلق التي أرسى الله قواعدها من قديم الأزل ، والتي عبر عنها في كتابه أوجز تعبير ﴿ **والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون** ﴾ .. فإذا أخل الإنسان بأي حكم من أحكامها ، فلا يلومن إلا نفسه ، وعندئذ لا بد أن يدفع الثمن غالياً .. ﴿ **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، آتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً** ﴾ !

لوحة و فنان

قرويات ...

- لوحات هذا الفنان .. جميعها .. ترغمك أن تقف أمامها طويلاً مندهشاً !!
- ووجه الغرابة في ذلك .. هو سيطرة اللون الأخضر .. وصفاء السماء .. وجمال الألوان .. وحركة القرويات ومشاركتهن للأعمال ..
- اللوحة مستمدة من بيئة عسير حيث أول لقاء بين الفنان الأول والبيئة الأولى .
- وقد أضاف الفنان لوناً جديداً .. إلى طبيعة البلاد المعهودة ..
- طبيعة منطقة «عسير» كان لها التأثير الكبير والمعلم الأول لإخراج لوحاته .
- ارتفاع المنطقة والمطر طول العام واعتدال الجو .. كل هذه الصفات الطبيعية هي الملهم للفنان .. لكي يستمد منها موضوعاته .
- وفي ظل الطبيعة نما وترعرع الفنان .
- حاول الفنان في لوحته هذه «قرويات» أن يعبر عن جمال منطقة عسير .. وهي تتحرك في كل مكان .. على الجبال .. في الوديان .. على المنازل ..
- وقد سجل الفنان حركة القرويات ونشاطهن الملحوظ ومشاركتهن للرجل في أعماله ..
- عبر الفنان عن الطبيعة باللون الأخضر تعبيراً رائعاً عن الطبيعة الخضراء طول العام .. وزرقة السماء ونقاءها .. بعد أن غسلتها الأمطار ..

عبدالله الشلتي

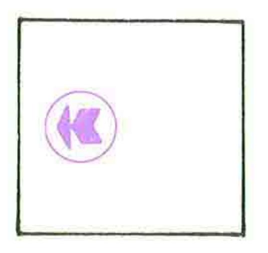
- من مواليد عام ١٣٨٢ هجرية . أبها . منطقة عسير ـ المملكة العربية السعودية .
- خريج معهد التربية الفنية للمعلمين بالرياض عام ١٣٩٤ هـ .
- في بداية حياته الفنية شارك في جميع معارض منطقة عسير .
- أقام أول معرض شخصي له بنادي الوديعة بأبها عام ١٣٩٩ هـ .
- شارك في جميع معارض الرئاسة العامة لرعاية الشباب .
- مثل المملكة في معرض الصداقة بالمغرب .
- مثل المملكة في معرض مهرجان الشباب العربي بالعراق .
- حصل على العديد من جوائز الاقتناء وشهادات التقدير .
- اشترك في معرض «ثلاثي شباب أبها» بالرياض عام ١٣٩٩ هـ .
- يعمل حالياً مساعد موجه تربية فنية في مدينة أبها .



ذبابة التسي تسي

هل يستطيع الإنسان التغلب عليها ؟

بقلم : د . احمد محمد عندور



أثارت ذبابة التسي تسي اهتمام العالم نتيجة للأمراض التي تنقلها إلى الإنسان والحيوان في إفريقيا . فهي تسبب للإنسان مرض النوم . وتصيب الحيوان بمرض الناقانا .. وتوجد ذبابة التسي تسي في إفريقيا جنوب الصحراء في مساحة ضخمة قدرت بحوالي ثلاثة عشر مليون كيلومتر مربع . أي أكثر من نصف الأراضي الصالحة لرعي الحيوانات .. فما هي قصة هذه الذبابة والأمراض التي تنقلها وطرق مقاومتها ؟

طبيعة الذبابة

لا توجد الذبابة خارج إفريقيا ، ولكن يبدو أنه في حوالي السنين الأولى للقرن العشرين ، كانت توجد مجموعات بسيطة في الجزء الجنوبي الغربي للجزيرة العربية ، ولكن انقرضت الآن من هناك .

ذبابة التسي تسي تشبه الذبابة المنزلية ، إلا أنها أكبر قليلاً ، ولونها يميل إلى البني الداكن ، ولها جزء أمامي بارز من الفم تمتص به الغذاء .. وهي تظهر أثناء **النهار** ، وتختفي في **المساء** في الأجحار والأشجار .

يوجد منها حوالي ثلاثون نوعاً ، منها ما يعيش بالقرب من مصادر المياه كشواطئ **الأنهار والبحيرات** ، أو **تجمعات المياه** الأخرى .. ومنها ما يعيش في داخل **الغابات والأحراج** .. وتفضل الذبابة العيش في الأماكن الظليلة الجافة ..

وتختلف ذبابة التسي تسي عن باقي الذباب في طريقة توالدها ، إذ إن **الأنثى لا تضع بيضاً ، ولكن تفقس البيضة** داخل **الرحم** في الأنثى حيث تتغذى **اليرقة** على **غدد اللبن** الموجودة على جدار الرحم .. تلد الأنثى يرقة واحدة بعد كل ١٠ ــ ١٢ يوماً بعد تلقيحها بالذكر ، وفي العادة لا يتم التلقيح إلا مرة واحدة طوال عمر الأنثى ، وتحمل الأنثى خلايا منوية كافية من هذا التلقيح الوحيد لخصوبتها طوال عمرها الذي يبلغ في المتوسط اثنان إلى ثلاثة أشهر ، ولا يتعدى السنة ، وبعد ولادة اليرقة مباشرة تخفي نفسها تحت سطح التربة أو أوراق الشجر الجافة ، حيث تتغير إلى **عذراء** ، أي الشرنقة ، ثم الذبابة الكاملة النمو بعد حوالي سبعة عشر يوماً .

خطورة الذبابة

يكمن الخطر في أنها **تتغذى على دم الإنسان والحيوان** ، وتموت جوعاً لو حرمت من الدم لمدة عشرة إلى ثلاثة عشر يوماً .

عند امتصاص دم الإنسان أو الحيوان ، تنقل الذبابة إليها **طفيلي الترايبانوسوما** ، وهو حيوان أولي يبلغ طوله حوالي (١/١٠٠٠) بوصة ، ويعيش الطور المعدي منه داخل الغدد اللعابية للذبابة عند نقل هذا الطفيلي إلى الإنسان أو الحيوان ، فإنه يسبح في الدم متغذياً عليه ويفرز منه إفرازات سامة .

يمر الإنسان بعدة مراحل عند اصابته بالمرض **في البداية يصاب بالحمى والصداع** لعدة أيام يليها **ضعف عام وتضخم في الغدد الليمفاوية** .. وأخطر مرحلة في المرض عندما يصل الطفيلي مع مجرى الدم إلى خلايا المخ والجهاز العصبي ، فعندها يصاب الإنسان بالتشنجات العصبية ، عدم الرغبة في الأكل والجنون . وفي النهاية النوم المستمر الذي يقود إلى الموت .. أما بالنسبة للحيوان (**مرض الناقانا**) ، فإنه يصاب بالضعف الشديد ، والهزال ، وعدم الرغبة في الطعام ، ثم الموت ، والحيوانات المعرضة للإصابة منها **الأبقار** ، **الجمال** وعدد كبير من الحيوانات البرية .

يوجد نوعان من مرض النوم الإفريقي عند الإنسان **النوع الجامبي** ، وينقله الذباب ساكن المياه ، وهو يصيب الإنسان فقط ، إذ إن الذبابة لا



★ ظبي بري .. احدى العوائل الخازنة لطفيلي مرض النوم الإفريقي ★

تتغذى إلا على دم الإنسان ويحتاج إلى عدة سنوات حتى تصل الإصابة في مرحلتها الأخيرة .. هذا النوع من المرض شائع أثناء **موسم الجفاف** حيث يتجمع الناس والذبابة بالقرب من مصادر المياه ، وعند حدوث الإصابة فإن المرض ينتشر بصورة وبائية كالنار في الهشيم ، ولقد قضي على الملايين في **يوغندا** في أواخر القرن التاسع عشر نسبة إلى هذا المرض .

أما النوع الآخر **مرض النوم الإفريقي** في الإنسان ، ويعرف **بالنوع الروديسي** وينقله الذباب ساكن الغابات فلا يصيب إلا الناس الذين يضطرهم عملهم في المرور بالغابة كقاطعي الأخشاب والصيادين .. لا ينتشر هذا المرض بطريقة وبائية ، لكنه مرض فتاك يصيب الإنسان بالموت بعد أربعة إلى ثمانية أشهر فقط .. ويختلف هذا النوع عن النوع الجامبي إذ إن الذبابة ناقلة المرض تتغذى على الإنسان ، وأيضاً الحيوانات البرية كالظبيان والمستأنسة كالخنزير والأبقار ، ويصيبها بنفس الطفيلي الذي يوجد في دم الإنسان ولكن لا يسبب لها أي ضرر إنما تكون كأوعية خاونة للطفيلي .

مقاومة الذبابة

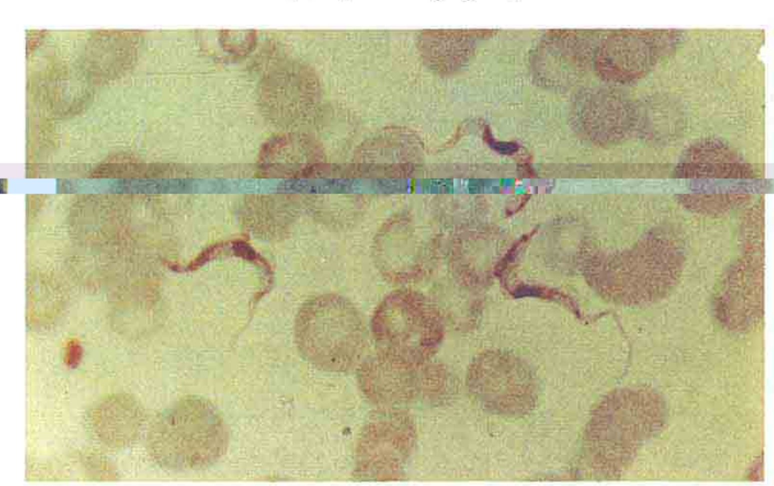
حاول الإنسان في البداية التخلص من الذباب بإجراء تغيير جذري



★ ذبابة التسي تسي أثناء امتصاصها لدم الإنسان ★



★ يرقة وعذراء ذبابة التسي تسي ★



★ طفيلي الترابيانوسوما الذي يعيش بين خلايا الدم ويسبب مرض النوم في الإنسان والنقانا في الحيوان ★



★ أماكن الإصابة بمرض النوم الإفريقي ★

في البيئة التي يعيش فيها ، وذلك **بقتل الحيوانات البرية التي يتغذى عليها الذباب** ، وأيضاً **بقطع الأعشاب والأشجار على أو بين شواطئ الأنهار ، لإيجاد منطقة خالية من الظل** ، حتى لا يستطيع الذباب أن يتعداها ، لأنه لا يستطيع أن يعيش في الأماكن المضيئة الخالية من الأشجار ، ولكن سبل المقاومة كانت مضنية ولها آثار ضارة على البيئة الطبيعية .

وقد جرب الإنسان بعد تطوير الكيماويات المبيدة للحشرات بعض هذه الكيماويات ، ولكن لم يكن من السهل تطبيق هذه الطريقة على مجال واسع خوفاً من الآثار الضارة على الإنسان والحيوان .. ولكن في عام ١٩٧٤ م بدأت تجربة حديثة في مقاومة الذباب تحت إشراف **منظمة الأغذية الدولية وهيئة الصحة العالمية** ، تعتمد على إنتاج ذكور معقّمة (بواسطة تعريض اليرقات لاشعاع ذري أو مواد كيماوية معقّمة) بكميات كبيرة في المعمل ، ثم اطلاقهم في المناطق التي توجد فيها كميات من الذباب العادي وعند تزاوج ذكر معقّم مع أنثى عادية فلا يتم التلقيح في الأنثى ، وبالتالي لا تلد أي يرقات .. ومن المحتمل أن تقود هذه التجربة بعد زمن طويل إلى نقص ملحوظ في أعداد ذباب التسي تسي .

وهناك طريقة أخرى تعتمد على تعريض الأنثى المخصبة لعدة عوامل كيماوية تؤدي إلى إجهاض الأنثى .. ولا تزال التجارب جارية للتأكد من نجاح هذه الطرق في مقاومة ذباب التسي تسي .

مقاومة المرض

تم بإعطاء الأشخاص المهددين بالإصابة بعض المستحضرات الطبية (كالبنتاميدين) الذي يساعد في الإقلال من خطر انتقال العدوى ، والذي يحد من ازدياد إعداد الطفيلي في جسم الإنسان .. وهناك محاولات عديدة لاكتشاف مصل واقٍ ، لكن النجاح في هذا الاتجاه يبدو محدوداً ، وذلك لأن الطفيلي له مقدرة عجيبة على تفادي الأجسام المضادة له في جسم الإنسان .. فالطفيلي يغير سطح جسمه في فترة وجيزة حتى لا تميزه الأجسام المضادة في الإنسان .

قد تتيح بعض طرق المقاومة في التخلص من ذباب التسي تسي ، وقد علق أحد علماء البيئة بأن ذلك قد يقلب كل الموازين في البيئة ويقود إلى الازدياد الرهيب في أعداد الحيوانات البرية والماشية التي ستتنافس على الطعام والماء .

العقم..

ما هو؟ أسبابه.. أنواعه

اصطلح طبياً على أن العقم يعني عدم القدرة على الانجاب خلال فترة من الزواج ، وقدرت هذه الفترة بحوالي سنتين . أي بمعنى آخر يمكن للزوجين أن ينتظرا فرص الحمل قبل البدء في الفحوص والتحاليل الطبية مدة تقدر بعامين . وفي رأيي أن هذه المدة ـ المصطلح عليها طبياً ـ لا يجب أن تأخذ كقاعدة عامة . **فإذا كان الزوجان قد بلغ أحدهما أو كلاهما الثلاثين من العمر أو أكثر فيجب أن يتقدما للاستشارة والفحص بعد فترة وجيزة من الزواج .**

والمقصود بالمدة الزمنية قبل الفحص ، أن يكون الزوجان معاً طوال تلك المدة . . فقد حدث أن شكا بعض الأزواج على أنه قد مضى على زواجهما أكثر من ثلاث سنوات بدون انجاب . وبالسؤال نجد أن الزوج قد سافر في بعثة للدراسة وترك زوجته مدة طويلة .

أنواع العقم

يمكن تقسيم العقم إلى قسمين :

●● **(أولي)** وهو عدم الانجاب أو الحمل مطلقاً .

●● **(ثانوي)** تأخر الانجاب بعد حمل حدث من مدة ، مثال ذلك كأن يكون لدى الأسرة طفل واحد ولم ينجبا غيره .

من المسؤول ؟

صدق الله القائل : **﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً ، إنه عليم قدير ﴾ .**

وأيضاً القائل : **﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾** صدق الله العظيم .

هذا ، وقد دلت الاحصائيات على أن في **أمريكا** حوالي ١٥٪ من الأسر يشكون العقم ، وتتفاوت هذه النسبة بين دول العالم من ١٠ ـ ٢٠٪ . **كما أن العقم ليس مسؤولية الزوجة وحدها** ـ كما هو شائع في بعض المجتمعات ـ وكثيراً ما عانت الزوجات من هذا الاعتقاد الخاطئ . **فقد دلت الاحصائيات أن الزوج يكون مسؤولا عن عدم الانجاب في حوالي ٤٠٪ من حالات العقم .**

أنسب فترات العمر للانجاب

القدرة على الانجاب تتأثر كثيراً بعمر الشخص ، كذلك تتأثر بعدد مرات الاتصال الجنسي والقدرة الجنسية . فقد **وجد أن الانجاب لدى المرأة يكون في أعلى درجاته في سن الرابعة والعشرين ،** ويتناقص قليلاً ما بين سن ٢٤ ـ ٣٠ ، وبعد سن الثلاثين تصبح قدرة الانجاب في تناقص كبير .

هذا وقد أنجبت بعض السيدات إلى ما بعد الثالثة والخمسون من العمر ، كما أن فرص الحمل في سن المراهقة وإلى بلوغ الثامنة عشر من العمر أقل من نصف ما هي في سن الرابعة والعشرون .

وبالنسبة للرجل فقد وجد أن ذروة قدرة الانجاب لديه هي أيضاً ما بين سن ٢٤ ـ ٢٦ ، وبعد ذلك تعتبر القدرة للانجاب متوسطة ، وتتفاوت حسب الأشخاص .

والجدير بالذكر أن القدرة على (الجماع) العلاقة الجنسية ليست دليلاً على القدرة على الانجاب فيمكن للرجل أن يبدو طبيعياً مكتمل الصحة ، ولكن لا تنتج الخصية لديه حيوانات منوية ، وبالتالي لا يمكنه الانجاب ، وتكون القدرة الجنسية جيدة وقوية وذلك بفعل الهرمونات التي تفرز من الخصية ، حيث إن افراز الهرمونات الجنسية ليس مرتبطاً بانتاج الحيوانات المنوية .

هذا ، وقد وجد أن عدد مرات الجماع الأسبوعي إذا تراوحت من ٤ ـ ٥ مرات أسبوعياً تكون مصحوبة بأعلى نسبة في الحمل .

أسباب العقم

الأسباب المؤدية إلى عدم الانجاب كثيرة متعددة . وسوف نلقي نظرة

.. وعلاجه

بقلم : د . عبدالله حسين باسلامه

سريعة على بعض هذه الأسباب ، ومناقشة كيفية تلافيها وعلاجها وتبيانها للقراء .

أولا : متى يحدث الحمل

لقد دلت الإحصاءات أن **الحمل يحدث بنسبة ٢٥٪ في الشهر الأول من الزواج ، وعلى الأقل ٦٠٪ يحدث في خلال ستة أشهر من الزواج** . وتصل النسبة إلى ٧٥٪ في خلال التسعة الأشهر الأولى من الزواج . كما أن ٨٠٪ من الحمل يحدث في خلال السنة الأولى من الزواج إذا لم يستعمل مانع للحمل و٩٠٪ في خلال ١٨ شهراً من الزواج .

ويحدث الحمل إذا التقت البويضة بالحيوانات المنوية في الأبواق المتصلة بالرحم . هذا **وأنسب وقت للاخصاب هي الفترة التي تظهر فيها البويضة من المبيض ، وتقع هذه الفترة ما بين اليوم ١٢ ـ ١٤ من بدء العادة الشهرية وتحسب هذه الفترة على أن أول يوم من الدورة الشهرية هو يوم رقم (١)** .

وهكذا فلو حدث لقاء بين الزوجين في خلال فترة الاخصاب لأثمر ـ شريطة أن تكون العوامل المطلوب توافرها لحدوث الحمل متكاملة ـ وتجدر الاشارة هنا إلى أن اتباع هذا (**الرجيم**) في اللقاء بين الزوجين لا أنصح به لأنه قد يجعل الحياة الزوجية عملاً روتينياً . فيجب أن تترك الأمور النفسية لطبيعتها الغريزية مع التركيز على فترة الاخصاب .

ثانياً : الحيوانات المنوية

كما ذكرت سابقاً أن القدرة على الاتصال الجنسي لا تعني بالضرورة القدرة على الانجاب . فللانجاب لا بد من وجود العدد الكافي من الحيوانات المنوية التي تصل إلى مئات الملايين (٦٠ ـ ١٢٠ مليوناً في السنتمتر المربع) وعلى حيويتها وقدرتها على الحركة وخلوها من التشوهات الخلقية . والحيوانات المنوية تعيش داخل الرحم ، وتصبح قادرة على الاخصاب لمدة ٢٤ ساعة فقط .

وجود الحيوانات المنوية قد لا يكفي وحده ، إذا لم توضع تلك الحيوانات في مكانها المناسب للحمل ، أي بالقرب من عنق الرحم . فعدم قدرة بعض الرجال على الاتصال الجنسي كالعجز في الانتصاب قد يعتبر من أهم أسباب العقم .

كما أن هناك جهلاً بين بعض الأزواج عن عملية اللقاء الجنسي ، وقد يبدو هذا القول مستغرباً ، لكن هذا ما نشاهده في عيادات العقم .

ثالثاً : البويضة

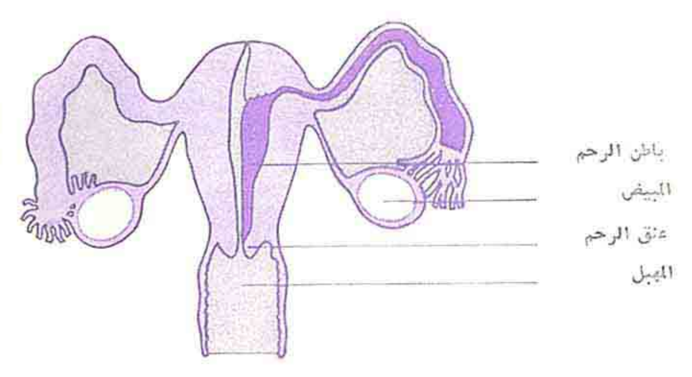
لكي يحدث الحمل لا بد من أن تلتقي الحيوانات المنوية بالبويضة السليمة ، كما هو معروف أن المبيض ينتج شهرياً بويضة واحدة قابلة للاخصاب فور ظهورها من المبيض خلال ٤٨ ساعة . وبالرغم من مئات الملايين من الحيوانات المنوية التي تفرز عند كل لقاء ، فإن المرأة تفرز بويضة واحدة فقط شهرياً .

والجدير بالذكر أن الدورة الشهرية (الطمث) غير المنتظم ، أو المنتظم لا يعني بالضرورة ظهور البويضة . فقد يفرز المبيض الهرمونات التي تؤثر في جدار الرحم ، وتحدث العادة الشهرية وبدون أن تنمو البويضة فيه .

لذا فقد يكون من أسباب العقم أن المبيض لا يفرز البويضة ، لكي ينتج الهرمونات المطلوبة لحدوث الطمث شهرياً .

رابعاً : الطريق المؤدي إلى التقاء البويضة بالحيوانات المنوية

كما أشرت سابقاً لا بد من **التقاء الحيوانات المنوية بالبويضة** لكي يحدث الحمل ، لذا فلا بد لكل من البويضة والحيوانات المنوية أن تسير مسافة في مشوار اللقاء ، واللقاء يتم عادة في الأبواق المتصلة **بالرحم** . (.. والأعضاء التناسلية للمرأة تتكون من رحم وبوقين ومبايض) .



قطاع طولي (تشريحي) للجهاز التناسلي للمرأة

فعند حصول الاتصال الجنسي توضع الحيوانات المنوية بالقرب من عنق الرحم ، وبفعل التغيرات الناشئة من تأثيرات **الهرمونات** التي يفرزها **المبيض** في كل من **المهبل** ، **وعنق الرحم** ، **والرحم** نتيجة لذلك تصبح الحياة للحيوانات المنوية في المهبل صعبة فلا بد لها أن تتجه إلى عنق الرحم ثم تجويف الرحم ومنه إلى **الأبواق** . وفي منتصف الطريق في أحد الأبواق تكون البويضة التي فارقت المبيض (الذي يقع خارج الرحم وفي تجويف البطن) ، قد انتقلت إلى داخل أحد الأبواق ، ويتم اللقاء بين الاثنين . وبإذن الله يحدث الحمل .

إذن فلكي يحدث الحمل يجب أن توضع الحيوانات المنوية بأعداد كافية في المهبل ، وبالقرب من عنق الرحم ، وأن لا يكون هناك ما يؤثر أو يمنع ذلك ثم أن يكون الطريق إلى الأبواق سليم وسالك .

فأكثر حالات العقم التي نشاهدها في مجتمعنا العربي هو نتيجة انسداد وقفل الأبواق نتيجة أمراض والتهابات في الجهاز التناسلي وفي الأبواق أدت إلى عدم القدرة على اللقاء .
وأكثر هذه الأمراض هي اصابة الأنسجة الداخلية للأبواق وعنق الرحم بجرثومة **السيلان** وغيرها من الجراثيم ، أو التهابات حدثت داخل البطن ، كانفجار الزائدة الدودية ومضاعفاتها ، وغير ذلك .

خامساً : أسباب أخرى

وأسباب أخرى معوقة للحمل متعددة ومنها : **الاضطرابات في افراز الهرمونات من الغدد المنتشرة في الجسم** ، مثل الغدة النخامية والدرقية والمبيض .. من ذلك أيضاً **مرض البول السكري والسل ... الخ .**

كذلك الأمراض والالتهابات في الجهاز التناسلي وباقي أعضاء الجسم ، ومن تلك الأمراض **مرض السل** ، والأمراض الناتجة عن الالتهابات في الحوض والأبواق وعنق الرحم والأنسجة المجاورة . **والالتهابات المهبلية والاصابة بمرض الزهري** ، وأيضاً اصابة الرحم أو المبيض أو الأبواق بأورام .

كما أن إصابة الرجل بالأمراض التناسلية المعدية والتهاب البروستات أو إصابته بمرض الغدة النكفية ، تؤثر على عمل الخصية .. **وغير ذلك من الالتهابات والأورام في الخصية والطريق المؤدي إليها .**

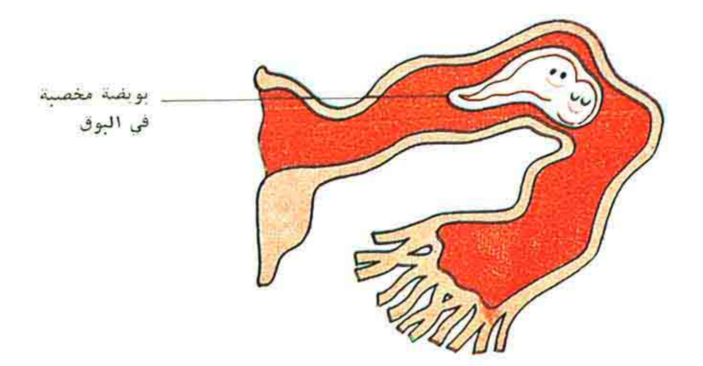
التشخيص

بعد مرور الفترة الزمنية المناسبة على الزواج ، يجب أن يسارع الزوجان إلى الطبيب المختص لبحث المشكلة ، فيقوم الطبيب بمعاينة الزوج والزوجة حيث إن أسباب العقم مشتركة بينهما . وتجرى الفحوص الدورية العامة على الزوج والزوجة . ثم بعد ذلك يبحث عن الأسباب الخاصة بالعقم في كلا الزوجين . فيطلب مثلاً من الزوج تحليل السائل المنوي لمعرفة وجود وعدد الحيوانات المنوية . فإذا لم يظهر الفحص وجود حيوانات منوية يعمل للزوج عملية بسيطة وهي أخذ عينة من الخصي لمعرفة قدرتها على إنتاج الحيوانات المنوية ، فإذا وجد أن الخصية سليمة يكون **السبب الأساسي هو انسداد في الأنابيب الموصلة للحيوانات المنوية من الخصية إلى الخارج** . وعلاج هذا الانسداد يكمن في إجراء عملية لفتح هذا الانسداد .

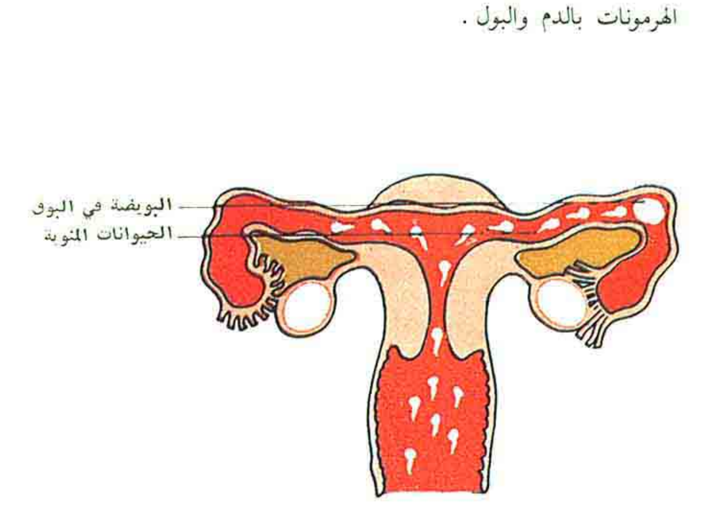
فإذا أظهر الفحص أن السبب هو عدم قدرة الخصية على إنتاج الحيوانات المنوية نتيجة ضمور أو مرض سابق أو نقص خلقي فإن العلاج لمثل هذه الحالات غير مجد . بعد ثبوت قدرة الزوج على الانجاب يجرى للزوجة فحوص متخصصة .

الفحوص المطلوبة للزوجة

يضيق المجال هنا في تفصيلها ، ولكن باختصار تجرى فحوص لمعرفة قدرة المبيض على إنتاج البويضة ، ومن هذه الفحوص معرفة انتظام الدورة الشهرية وأخذ عينة من الرحم ، وبعملية تسمى **الكحت** وهي عملية نسائية بسيطة ، أو بقياس الحرارة يومياً لمدة ٣ أشهر لمعرفة الهرمونات التي تنتج عن افراز البويضة وغير ذلك من الفحوص الأخرى ، كفحص الهرمونات بالدم والبول .



صوره (تقريبيه) لبويضه بعد حدوث الحمل



صورة تقريبية لكيفية حدوث الحمل



كما تفحص الأبواب والطريق المؤدي إلى انتقال المبيض والحيوانات المنوية في الجهاز التناسلي للمرأة، وذلك بأخذ أشعة ملونة للرحم والأبواق، أو الفحص بالتنظير عن طريق إدخال منظار إلى تجويف البطن، وهي عملية بسيطة، كما يمكن الاستدلال على سلامة الأبواق، وبعملية نسائية أخرى تسمى بعملية **تفتح البوقين**. وفي بعض الأحيان يتطلب استكمال الفحوص معرفة كمية الهرمونات التي تفرزه بعض الغدد الصماء في الجسم التي لها دور في عملية التبويض والاخصاب.

علاج العقم

يتوقف علاج العقم على الأسباب التي أدت إليه، فإذا كان السبب عدم قدرة المبيض على إنتاج البويضة، تعالج المريضة بإعطاء الهرمونات المطلوبة، كذلك التصاقات أو انسداد الأبواق أو الرحم يمكن علاج بعضها بالعمليات الجراحية وإزالة السبب المعوق.. وهكذا.

والجدير بالذكر أن هناك حالات عقم بدون أسباب ظاهرة يمكن اكتشافها ومعرفة أسبابها بوسائلنا العملية المتاحة. ونقف عاجزين عن تقديم النصح والعون لها، كما أنه في بعض الأحيان يحدث الحمل نتيجة للفحص وزيارة الطبيب فقط.

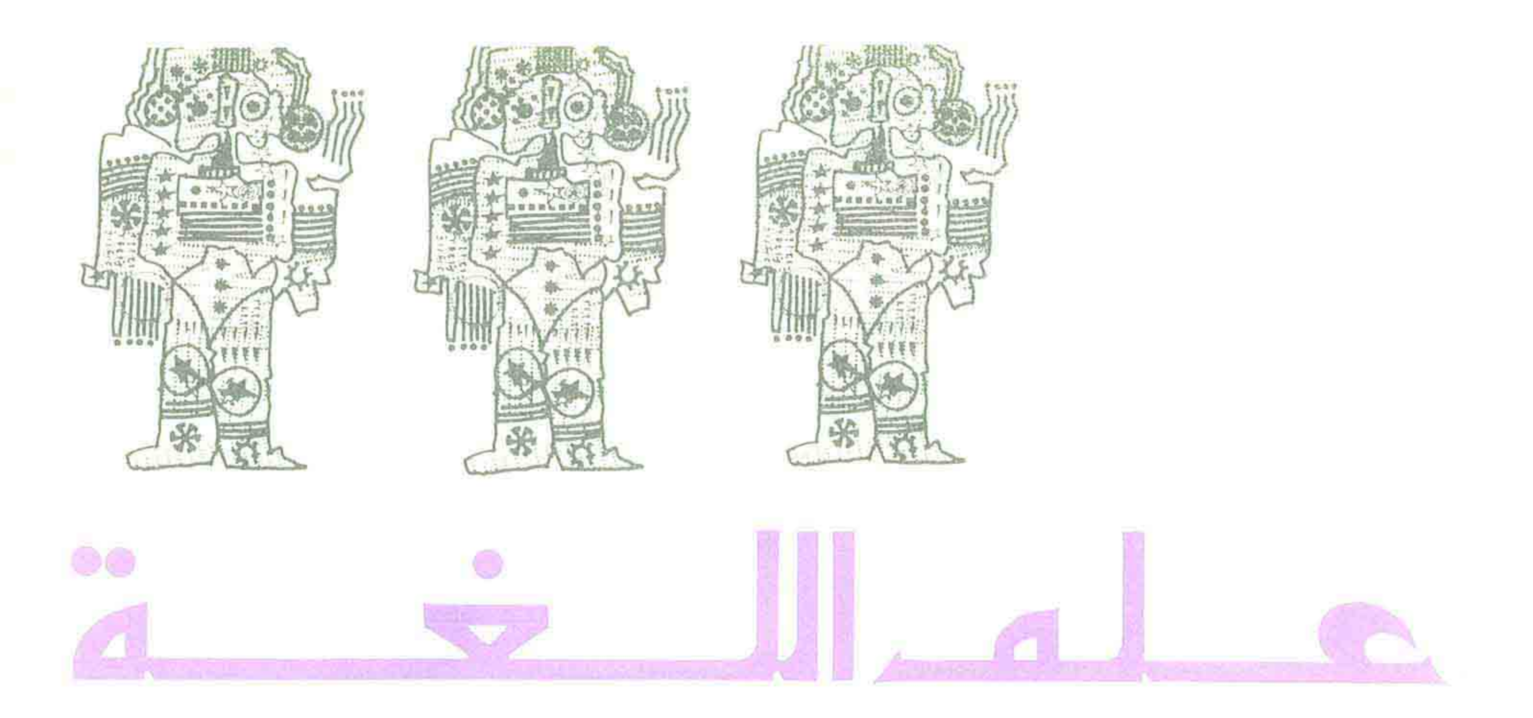
وقد وجد أن ١٨٪ من السيدات يشعرن بتحسن وتبدأ مظاهر الحمل بدون أخذ علاج معين، فقط مجرد زيارة للمستشفى يمكن الشفاء.

قد يكون السبب الرئيسي في ذلك هو **العامل النفسي** وتأثيره المباشر وغير المباشر على الغدد الصماء بالجسم، كما أن **هناك حالات لا يرجى الشفاء منها**. وقد يكون في كثرة التردد والعلاج مضيعة للوقت والمال، من ذلك عدم قدرة الخصية لدى الرجل على إنتاج الحيوانات المنوية نتيجة مرض خلقي أو ضمور. ومنها أيضاً ضمور المبيض لدى المرأة والالتهابات والالتصاقات الكبيرة في الأبواب التي يتعذر علاجها جراحياً.

والبحث الطبي في مجال العقم وتحديد أسبابه آخذ في التقدم وأصبح في الامكان معالجة الحالات التي لا يرجى لها الشفاء.. والمستقبل يبشر بالخير لكثير من حالات العقم المستعصي.

﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾.

صدق الله العظيم.



علم اللغة

يرتبط علم اللغة ارتباطا وثيقا بعلم الرياضيات المعاصر الذي تفرعت عنه النظرية الاعلامية . كانت الغاية من هذه النظرية هي حل القضايا العملية وذلك من أجل الحصول على معلومات سلكية بشكل اقتصادي ، بالاضافة إلى ذلك صنع أدوات الاتصال السلكية واللاسلكية وغيرها . وفي عام ١٩٤٨ م ، قام العالم الأميركي **كلود شينون** بإعداد دراسة عامية مطولة عن (**نظرية الاحتمال**) التي تبحث في النظرية الإعلامية والتي أخذت تظهر في مختلف العلوم . وسنقف الآن على بعض المفاهيم المتعلقة بهذه النظرية .

من المعروف جيداً بأن الغاية الرئيسية لأي مجموعة من الحروف هي إعلامنا عن شيء ما . فنحن عندما نضع حرفاً بجانب حرف نكون الكلمة ومن مجموعة كلمات نكون جملة تعطينا بدورها صيغة منطقية مقبولة أو مرفوضة ، لذا يمكن لنا هنا أن نسمي الحرف (**بالشيفرة**) ، وانطلاقاً من هذه التسمية التي أطلقناها على الحرف يمكن اعتبار اللغة على أنها (**شيفرة**) قابلة للإعلام وللقياس أيضاً كأية شيفرة أخرى ، ومن هذا المنطلق يمكن قياس الحقائق الإعلامية التي يقدمها لنا الحرف والكلمة ، والجملة .

فإذا كنا نعرف مسبقاً بالخبر الذي نتوقعه فإن مثل هذا الخبر لا يحمل أي موضوع إعلامي . فإذا قيل لنا بأن الحجر الذي يقذف إلى الأعلى سيسقط على الأرض فإننا لن نحصل من هذا الكلام على أي أخبار جديدة وذلك لأننا نعرف هذه البديهة مسبقاً . ولكن عندما نشاهد لاعبي كرة القدم يسددون الكرة في المرمى حيث يقف الحارس البارع الممتاز والذي لا تزال شباك مرماه نظيفة بعد فإن مثل هذا الخبر الذي سنحصل عليه سيكون وقعه وتأثيره عظيماً .

لقد حدد العالم الأميركي كلود شينون كمية المفاهيم التي يحملها الخبر . فالجواب البسيط لأي سؤال يمكن الاجابة عليه بإحدى هاتين الكلمتين (**نعم**) و(**كلا**) . فالأسئلة التي يجاب عليها بهذين الجوابين تدعى **بالأسئلة المزدوجة** وكمية الأخبار التي تحملها هي السلب أو الايجاب . وانطلاقاً من هذا يمكن اعتبار سؤال من هذا النوع من الوحدة الإخبارية البسيطة . ويسمى هذا النوع (**بالصف المزدوج** BINOPYDIGEST) وهناك أسئلة يمكن أن يجاب عليها بأكثر من صيغة منطقية واحدة كان يقال مثلاً :

١ ـ سأذهب إلى البيت بعد أن أنتهي من عملي .

٢ ـ وسأذهب إلى البيت إذا سمح لي رئيسي .

٣ ـ وسأذهب إلى البيت إذا وجدت سيارة .

فالذهاب إلى البيت كما نرى يرتبط بثلاث نتائج هي :

بعد أن أنتهي من عملي .

إذا سمح لي رئيسي .

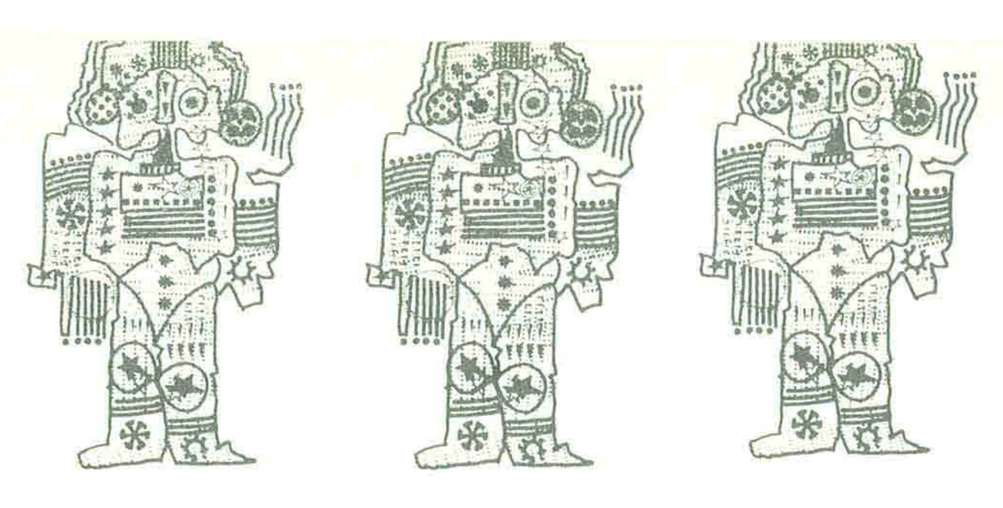
إذا وجدت سيارة .

فهذه الصيغ الإخبارية تعتبر من النوع المعقد إذ لا يمكن الاجابة هنا (بنعم) أو (كلا) لأننا وضعنا ثلاثة شروط أساسية للذهاب إلى البيت . فغياب أحد هذه الأسباب يؤدي إلى عدم الذهاب إلى البيت .

الفائض اللغوي

إن مضمون هذه الشروط الثلاثة تدعى بعلم اللغة **بالفائض اللغوي .**

وتعريف الفائض اللغوي : هو أنه **مقياس غير اقتصادي للغة الشيفرة .** ولدراسة الفائض اللغوي قام عالم اللغة **الطشقندي** خالد



والعقل الألكتروني

بقلم: أحمد فارس

وفيتش بمحاولة إحصائية اعتمد فيها على حروف **اللغة الروسية** البالغة ٣٠ حرفاً .

وبنى احتماله على أساس أن كل الكلمات تتكون من حرف واحد . فمعنى هذا أنه حصل على ٣٠ كلمة آحادية الحرف . وانطلاقاً من هذا فإن حرفين يمكن وضعهما على هذا الأساس $٣٠^{٢}$ = ٩٠٠ كلمة ثنائية الحرف . ومن ثلاثة حروف $٣٠^{٣}$ = ٢٧٠٠٠ كلمة ثلاثية الحرف . ومن أربعة حروف $٣٠^{٤}$ = ١٨٠٠٠٠ كلمة رباعية الحرف .

فلو أخذنا معجماً عربياً يحوي على ٥٠٠٠٠ ألف كلمة يضم كلمات ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية وسداسية فإننا سنرى بأننا لا نستعمل كافة الإمكانيات الموجودة في اللغة العربية . ويعود مرد هذا إلى الفائض اللغوي .

وقد يتساءل أحدنا وما الفائدة من الفائض ؟

إن الفائض ضروري لأنه يساعد على فهم الكلام عندما يكون هناك عائق أو أخطاء . فلنفرض بأننا استلمنا برقية تحوي على أخطاء مثل (حصر لندكم محد) فإننا سنشعر فوراً بهذا الخطأ بمجرد النظر إلى السطور ، وأنه يجب علينا أن نقرأها (حضر لعندكم محمد) . فلو أن هناك كلمات متمازجة تضم معنى واحداً فقط ولم يكن هناك فائض فإننا لن نفهم كل شيء بالكامل . **والفائض اللغوي يختلف من شخص إلى شخص آخر وذلك طبقا للمستوى الثقافي لهذا الشخص أو ذاك . وتجدر الاشارة إلى أن معظم لغات العالم تحوي على فائض يعادل على سبيل المثال من ٥٠ إلى ٦٠٪ وقد تزداد هذه النسبة أو تنقص طبقا لحالة اللغة . فاللغة العربية على سبيل المثال تحوي على فائض كبير ، فيكفي أن نقلب صفحات أي معجم ونجري إحصاء سريعا لصفحة من صفحاته فسنرى بأن ثلاثة أرباعها لا تستعمل في الحياة العادية أو الكتابة البسيطة .**

اللغة .. والعقل الالكتروني

وقد يتبادر إلى الذهن السؤال التالي : **هل يمكن الاستغناء عن الفائض ؟ .**

لقد حاول علماء اللغة الاجابة على هذا السؤال وذلك بانشاء لغة فنية بعيدة كل البعد عن الفائض وذلك باستخدام الأرقام العشرة المستعملة في الحساب وهي (٠ - ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ -) فهذه الأرقام يمكن لها أن تعطينا أرقاماً محددة مثل ١٢ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ٧٨ ، الخ ولكن هناك رقم (٧٨ و ٠٧٨) فإن هذين الرقمين يدلان على كمية واحدة فلذلك نرى بأن الصفر في الرقم الثاني لا فائد منه في مثل هذه الحالة .

إن البحوث الجدية في هذا المضمار قادت إلى ولادة علم جديد هو **علم العقل الالكتروني** ، وقد ظهر هذا العلم بشكله النهائي في عام ١٩٤٨ م ، وشاهد النور على يد العالم **هربرت فينر** في كتابه (**التحكم الآلي**[١] **وارتباطه بالأجسام الحية**) .

قام العالم المذكور بمجموعة من البحوث على علاقة الإنسان بالتحكم الآلي ، فدمجهما ببعض واعتبرهما مصطلحاً واحداً ، وانطلاقاً من هذه الفكرة تم صنع أول إنسان آلي . يستطيع أن يتذكر ويقوم بمجموعة من الأعمال التنفيذية . (**فبعض الآلات الالكترونية تستطيع أن تقوم بثانية واحدة بأعمال حسابية متنوعة دقيقة تصل إلى عشرات الأرقام**) .

بعد نجاح تجربة العقل الإلكتروني توجه العلماء إلى اجماع تجارب

متعددة لصنع آلات تقوم بأعمال الترجمة التي تعتمد على طريقة **(الاختزال)** حيث تقدم كافة المعلومات الضرورية لهذه الآلة (أي إن النص محول إلى أرقام) فالسمع عند الآلة يكون عن طريق خلية كهربائية ضوئية وخلايا عصبية ـ وحاكمة لأشكال الإشارة والشيفرة[٢] .

وعلى هذا الأساس تعطينا آلة نظام العد الحسابي (ALGORISM) الترجمة العملية بعد وضع القواعد السليمة والصحيحة لحل المسألة . فالآلة تقوم بالحل معتمدة على سؤالين رئيسيين . ولنأخذ على سبيل المثال الشكل المبسط التالي :

0 1 2 3 4 5 6 7

فهذه الأرقام الثمانية المذكورة أعلاه توزع كما في الشكل التالي .

4567 يمين — 6-7 يمين: 7 يمين | 6 يسار ؛ 4-5 يسار: 5 يمين | 4 يسار

0123 يسار — 2-3 يمين: 3 يمين | 2 يسار ؛ 0-1 يسار: 1 يمين | 0 يسار

بهذه الطريقة تحول الأرقام إلى اشارات حسابية . فالرقم الذي يقع في الجهة اليسرى نعطيه اشارة (+) أما رقم الجهة اليمنى فنعطيه اشارة (-) وبهذه الطريقة يمكن أن نترجم الأرقام إلى اشارات .

4 = + + −	0 = + + +
5 = − + −	1 = − + +
6 = + − −	2 = + − +
7 = − − −	3 = − − +

وكما نرى من الشكل المبين أعلاه فإن **مجموع اشارات الزائد تعني (نعم) واشارات السالب تعني (كلا)** فكل رقم له شكله الخاص به من الاشارات ، فلو وضعنا اشارات الناقص والزائد في الآلة فإنها ستعطينا وبسهولة كل رقم من هذه الأرقام .

وسنرى الآن كيف يبدو الشكل على آلة الترجمة التي تترجم من الانكليزية إلى العربية .

مكان توضيح النص الانكليزي	تحليل النص الانكليزي	تركيب النص العربي	خروج النص العربي

أما الشكل العام لآلة الترجمة فيكون على الشكل التالي :

دخول المعلومات المراد ترجمتها	جهاز التشفير	قناة الاتصال
جهاز التشغيل	خروج المعلومات	

والآن لننتقل من الأرقام إلى اللغة . إن الشكل اللغوي يعطي على الأرجح سلسلة من المعطيات التي تحقق الدقة المنشودة لكافة العمليات الموضوعية . فبفضل الصيغ الشكلية المقدمة للآلة يمكن أن تتم الترجمة حتى بدون فهم الصيغة أو الجملة المراد ترجمتها . فعلى سبيل المثال أمامنا جملة يونانية هي كالتالي :

HO GRAMMATION APEIROS U BLEPEI BLEPON

يجب ترجمتها إلى اللغة اللاتينية من قبل إنسان لا يفقه شيئاً باللغتين المذكورتين . إنه يستطيع القيام بهذا العمل إذا كان تحت تصرفه مجموعة من الصيغ الشكلية المستعملة في الترجمة .

نحن نعرف بأن تقسيمات القواعد اللغوية اليونانية تتطابق مع القواعد اللاتينية :

IMPERIZ	APEIR–
VIDE–	BLEP
LITTER	GRAMM
—	HO
NON	U

وأن نهايات التصريف للكلمة اليونانية يتطابق مع النهايات اللاتينية :

–ARUM	–ATON
–T	–ET
–US	–OS
–NS	–ON

نبحث عن مكان توضع كلمة (HO) فيكون رمزها (-) ثم كلمة (GRAMM) فيكون رمزها (+) ثم (ATON) فيكون رمزها (-) . نضع الإشارات ثم نقوم بانتقاء الكلمات المتطابقة في الإشارات ونضعها إلى جانب بعض فنحصل في النهاية على هذه الجملة .

LITTERARUM IMPERITUS NON VIDETVIDENS

وترجمتها إلى العربية كالتالي . (الغير عليم بالعلوم لا يمكن له أن يرى ما يرى) .

ومن هذا المثال الذي طرحناه يبدو واضحاً بأنه يمكن صيغ شكلية للترجمة وذلك بوضع لوائح للأشكال والنصوص المراد ترجمتها .

كيف تتم الترجمة ؟

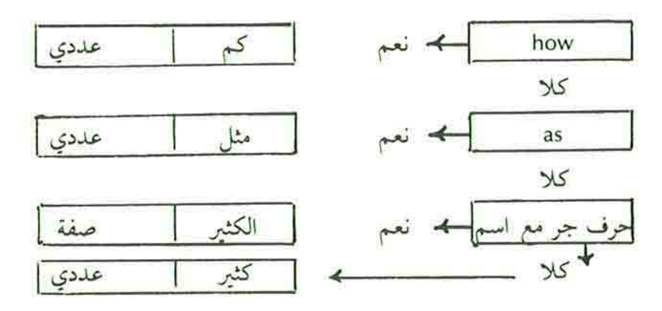
ولكن قد يظهر أمامنا السؤال التالي : **كيف تتم الترجمة بالمعنى الحقيقي ؟**

للاجابة على هذا السؤال نأخذ كلمة تحدث فيها اختلاطات بسبب تعدد المعاني . فمن أين للآلة أن تعرف أي معنى يجب الأخذ به ؟ .

هناك مثلا كلمة MANY الانكليزية فهي تحمل أكثر من معنى HOWMANY كم ، AS MANY مثل MANY تعني الكثير MANY كثيراً .

ففي آلات نظام العد الحسابي العشري (ALGORISM) وضعت مثل هذه الكلمة على الشكل التالي . فإذا قابلتنا كلمة MANY فإنه يحدد مكانها أولا ، وهل يوجد أمام هذه الكلمة كلمة (HOW) أم لا ؟ إذا

وجدت كانت (نعم) تترجم (كم) أما إذا كانت (كلا) فيتم تحديد ما إذا كان أمامها كلمة (AS) فإذا كانت (نعم) فتترجم (مثل) أما إذا تحددت بكلمة (كلا) فيتم تحديد ما إذا كان أمام الكلمة حرف جر يليه اسم فإذا كانت (نعم) تترجم (الكثير) أما إذا كانت (كلا) فتترجم (كثيراً). ولتسهيل ما ذكرنا نعرض الشكل التالي :



من هذا الشكل المعروض أمامنا نرى بأن عمل آلة الترجمة لا يتطلب حلولا فنية (تقنية) فحسب بل ويتطلب أيضاً الكثير من الحلول المتعلقة بعلم اللغة. وانطلاقاً من هذه الفكرة ظهرت أمام علماء اللغة قضايا هامة. **فمن أجل سهولة العمل يجب أن لا تترجم النصوص فورا من لغة إلى أخرى بل يجب أن تحصل ترجمة من الانكليزية إلى الفرنسية، من الفرنسية إلى الألمانية، من الألمانية إلى الاسبانية، وهكذا وذلك بغية الحصول على نماذج يمكن لها أن تفيدنا أثناء عملية المقارنة بين هذه اللغات والتي تؤدي إلى ايجاد (لغة مشتركة).**

في البداية يمكن ترجمة نص ما إلى اللغة المشتركة ومن ثم إلى لغة أخرى. **ولكن ما الذي يجب أن تحويه اللغة المشتركة هذه؟** بعض علماء اللغة يقولون بأن اللغة المشتركة يجب أن يتم اختيارها من بين أمهات اللغات المعروفة (كالانكليزية مثلاً) وبعضهم يفضل أن توضع لغة خاصة (كلغة الاسبرانتو)، وقسم آخر يفضل أن توضع لغة خاصة يتم انتقاؤها من اللغات العالمية المعروفة، والتي تسمح لعدد كبير من دول العالم أن تساهم في هذا العمل.

اللغة .. والرياضيات

إن دراسة أي لغة على أنها شيفرة كما ذكرنا قاد إلى وجود اتجاهات في علم اللغة المعاصر. فقد ظهر في علم اللغة اتجاه جديد هو **علم الترجمة الآلية**. ومثل هذه المواضيع يقوم بحلها علماء اللغة بالإضافة إلى علماء الرياضيات ولكن على نطاق ضيق.

في معظم اللغات المتطورة تجري الآن دراسة القواعد اللغوية من وجهة نظر رياضية. فقد قام العالم اللغوي **باكوبسون** بعرض طريقة رياضية لتحديد القواعد الصرفية للكلمة، وهو يعتقد بأن هذه الطريقة أفضل بكثير من الطريقة التقليدية المعروفة في أعمال النحو والصرف اللغوية. وقد اعتمد العالم المذكور في أمثلته التي طرحها على صرف كلمات **المؤنث والمذكر والمحايد**. فأثبت بأن المحايد لا يتأثر بالنهايات القواعدية التي يتعرض إليها المذكر والمؤنث لأنه ممنوع من الصرف. **وأثبت بأن ما هو ممنوع من الصرف في لغة ما قد يكون قابلا للتصريف في لغة أخرى**، وما هو مذكر في لغة قد يكون مؤنثاً في لغة ثانية. ففهوم المحايد الموجود في بعض اللغات غير موجود في لغتنا العربية.

لقد بين باكوبسون في أمثلته التي طرحها بأن المشكلة التي تقف أمام آلات الترجمة هي عدم توافق الأحوال الصرفية بين لغة وأخرى. ففي **اللغة اللاتينية** هناك ست حالات صرفية للكلمة الواحدة بينما لا نشاهد في **اللغة العربية** سوى ثلاث حالات هي الرفع والنصب والجر.

ونستنتج مما ذكر بأن الترجمة الآلية لا يمكن لها أن تتم إلا في حال توافق لغتين من الناحية القواعدية، أي أن هناك ما يربطها ببعض (كالأصل الواحد) مثلا.

ولكن تعقيدات الحياة المعاصرة تفرض علينا ايجاد حلول لمشاكل الترجمة التي أخذت تزداد أهميتها في الآونة الأخيرة. **ففي بداية الستينات من القرن الحالي** تم اصدار أكثر من (١٠٠) مئة ألف كتاب ومجلة علمية بستين لغة وقد ضمت هذه الكتب ٤ ملايين مقال كتبها ما يقارب من ٢٥٠ ألف عالم. إن ترجمة ما ذكر يبدو أمراً يفوق الخيال.

وبطلب من منظمة اليونسكو بدأت الولايات المتحدة الأميركية ببحوث تتعلق بتطوير آلات الترجمة وخصصت لهذه البحوث مبلغ ٣٠٠ مليون دولار.

وتجدر الاشارة إلى أن آخر المعلومات لعام ١٩٧٧م، تؤكد بأنه يصدر في العالم من الكتب خلال عام واحد ما يقارب الـ ٣ مليارات نسخة من الكتب. ولو أعطينا هذه الكلمة الكبيرة من الكتب للمترجمين لما استطاعوا حتى أن يقلبوا صفحاتها فما بالكم بترجمتها؟

لقد فشلت آلات الترجمة بترجمة النصوص الفنية الأدبية ولكن هذا لا يمنع من متابعة البحث لترجمة النصوص العلمية والتكنولوجية. وأعتقد بأن العلماء سيسعوا جاهدين لحل هذه المعضلة الملحة التي أخذت تزداد أهميتها يوماً بعد يوم في قرن عمت فيه الاكتشافات كافة جوانب الحياة.

هوامش

١ - مصطلح يوناني (KYBERNETIKE TEHNE)

٢ - تكون الشيفرة في الآلة على النحو التالي فمثلاً عندنا الحرف الانكليزي (A) والحرف (آ) موضوعان في الرقم ١٦ وكذلك الحرف الانكليزي (B) والحرف العربي (ب) في الرقم ٦ بهذه الطريقة يتم التشفير.

طالب عراقي ورسالة ماجستير عن شاعر من المدينة المنورة

عروة بن أذينة

- عروة بن يحيى (ولقبه أذينة) بن مالك بن الحارث الليثي .
- شاعر غزل مقدم .
- من أهل المدينة .
- معدود من الفقهاء والمحدثين أيضاً .
- الشعر هو الغالب عليه . وهو القائل :

ولقد علمت وما الإسراف من خلقي — أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى إليه فيعييني تطلبه — ولو قعدت أتاني لا يعنيني

تقدم الطالب العراقي (**ضياء عبد الرضا حمودي**) برسالة لنيل درجة الماجستير إلى قسم اللغة العربية وآدابها ، بجامعة القاهرة في موضوع : (**الجملة العربية في شعر عروة بن أذينة**) تحت إشراف **الدكتور محمود حجازي** ، وقد اشترك في مناقشتها ضمن لجنة من الأساتذة **الدكتور يوسف خليفة** ، رئيس قسم اللغة العربية بآداب القاهرة ، **والدكتور عبد العزيز مطر** ، رئيس قسم اللغة العربية بكلية البنات بجامعة عين شمس .

وعروة بن أذينة موضوع هذه الرسالة العلمية هو شاعر مدني ، حجازي بل إنه يعتبر من شعراء المدينة المنورة البارزين ، وقد عرف بالغزل ، وغلب عليه ، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين ، فكان عالماً ناسكاً شاعراً حاذقاً ، شارك في الغناء الذي انتشر في المدينة المنورة إذ كان شاعراً رقيقاً غزلا حلو الشعر ، عذب الأسلوب . فهو عند (**الأصفهاني**) مؤلف كتاب (**الأغاني**) و (**الزركلي**) و (**أبي علي البغدادي**) شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة .

وقال عنه (**المرزباني**) : «**وقد أكثر الشعراء في وصف بقاء الشعر الجيد على تطاول الأيام ، وغابر الزمان ، ومن أحسن ما جاء فيه تحول ابن أذينة**» .

وقد شارك ابن أذينة كذلك في حياة الصلاح والزهد ، والنسك ، والعبادة ، وتوفي في حوالي الثلاثين ومئة للهجرة .

وقد درس الطالب العراقي في رسالته لنيل درجة الماجستير ، نظام الجملة العربية في شعر عروة ، **دراسة وصفية تحليلية إحصائية** ، تقوم على تصنيف الجمل عنده إلى أنماطها المختلفة ، وبحث قضاياها من حيث التركيب والإعراب والدلالة ، مع مقارنة المادة اللغوية في شعر (**عروة**) بآراء النحاة .

وهذه الدراسة هي واحدة من الدراسات لاستقراء الشعر العربي . فقد سبق الطالب في هذا البحث ، أبحاث أخرى لدراسة شعر : **عروة بن الورد** ، **والنابغة الذبياني** ، **ولبيد العمري** ، **وامرىء القيس** ، وهناك دراسات تسير عليه أقسام تدريس اللغة العربية بجامعات مصر المختلفة .. نتمنى أن تحذو حذوه جميع الجامعات العربية لإحياء التراث العربي الإسلامي .

أقسام الرسالة

وتقسم رسالة الماجستير هذه إلى مقدمة وخمسة أبواب :

- تناول **الباب الأول** منها الجملة الخبرية من حيث التركيب والإعراب والدلالة .
- وفي **الفصل الأول** من الباب الأول درس الباحث الجملة الخبرية المثبة .
- وفي **الفصل الثاني** من نفس الباب درس الجملة الخبرية المنفية .
- وفي **الفصل الثالث** درس الجملة الخبرية المؤكدة .
- وفي **الفصل الرابع** بحث مواقع الجملة الخبرية .
- ويقوم **الباب الثاني** من الرسالة على دراسة الجملة الطلبية من حيث التركيب والإعراب والدلالة ، فبحث في **الفصل الأول** من هذا الباب : الأمر ، والنهي ، والتمني ، والترجي ، والنداء ، والدعاء . حسب أنماط كل منها .
- أما **الفصل الثاني** من **الباب الثاني** فيبحث في الاستفهام حسب الأدوات الحرفية والاسمية والظرفية .
- ويقوم **الباب الثالث** من الرسالة على دراسة الجملة الشرطية ، وقد قسم الباحث هذا الباب إلى فصلين شمل **الفصل الأول** أنماط الجملة الشرطية في شعر عروة بن أذينة حسب نوع جملة الشرط .
- وشمل **الفصل الثاني** دراسة القضايا التركيبية والإعربية والدلالية للجملة الشرطية . ودراسة بعض الأنماط ، وتوكيد الجملة الشرطية باللام أو بالقسم .

● وفي **الباب الرابع** ، بحث في **الفصل الأول** التخصيص بـ (الحال) و (المفعول فيه) و (التمييز) و (الاستثناء) و (المفعول لأجله) .

● وفي **الفصل الثاني** بحث التوابع . وهي : النعت ، والعطف ، والبدل ، موزعة حسب أنماطها المختلفة .

● أما **الفصل الثالث** ، فهو ملحق بهذا الباب ، وقد اشتمل على الإضافة بنوعيها .

● ويقوم **الباب الخامس** ، على دراسة الجملة في شعر عروة بن أذينة والقضايا النحوية الخلافية فيها . وقد جمع الدارس من شعر عروة ما يلقي ضوء على اختلافات النحاة ، وقد ناقش هذه الاختلافات على ضوء شواهد ملموسة من شعر عروة .

هذا وقد عمق الدارس بحثه بالنظر في شواهد أخرى مأخوذة من أمهات الكتب مثل : (**المفضليات**) و (**الأصمعيات**) .

وقد توصل الباحث في رسالته إلى وجود ظواهر لغوية اتفقت معها آراء الكوفيين ، وهي أكثر من الأولى ، وظواهر لغوية اتفقت معها آراء متفرقة .

★ ★ ★

مع الطالب صاحب الرسالة

ولو عدنا للطالب **ضياء عبد الرضا حمودي** ، الذي حصل على درجه الماجستير بتقدير (إمتياز) ، وطلبنا منه أن نحدثنا عن طبيعة نظرة النقاد القدماء والمحدثين لشعر **عروة بن أذينة** الذي عاش في الحجاز في القرن الثاني الهجري نجده يقول :

قال المرزباني : « وقد أكثر الشعراء في وصف بقاء الشعر الجيد على تطاول الأيام ، وغابر الزمان ، ومن أحسن ما جاء فيه قول عروة بن أذينة » .

وذكر ثلاثة أبيات أولها :

نبئت أن رجلاً خاف بعضهم
شتمي ، وما كنت للأقوام شتاما .

وقد ذُكِرَ (**عروة بن أذينة**) عند (**عمر بن عبد العزيز**) فقال : نعم الرجل أبو عامر ، على أنه يقول :

وقد قالت لأتراب
لها زهر تلاقينا

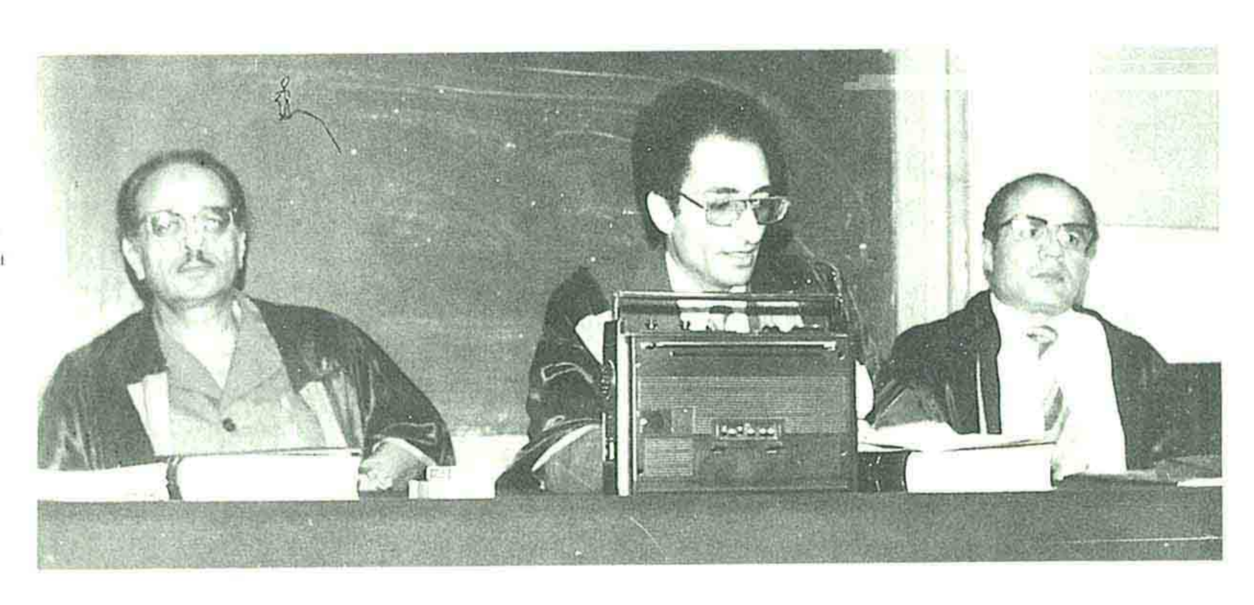
●● موضوعات شعر « عروة بن أذينة » :

اعتنى عروة بن أذينة بالغزل ، فهو الفن الأصيل الذي تجلت فيه براعته ، وحذقه ، وإبداعه ، فكان غزله مزيجاً من الآمال ، والآلام ، والتعاسة ، والحرمان . وكم خر صريعاً في محراب الحب يبكي آهاته الحزينة على قيثارة الفن الرائعة ، فهو قد اشتهر بالغزل على الرغم من صلاحه ، ونسكه ، وعلمه ، فقد سار بين الناس ، وتدبره النقاد ، وأعجب به رواة الشعر ، ومتذوقي الفن لما فيه من معانٍ ترضي أذواق السامعين ، وموسيقى تلائم ألحان المغنين ، وقيمة فنية وشعرية تعبر عن روح العصر ، وتمثل العواطف الجياشة ، والأحاسيس المرهفة .

وقد أقبل المغنون ، والمطربون ، على شعره ، **ولكن الروح الإسلامية ، والسلوك الديني القويم يظهر في شعره ، يظهر في الغزل ، كما يظهر في فنون شعره الأخرى ، ويصوغه (عروة) بمعان مشتقة من روح الإسلام وتعاليمه .**

★ ★ ★

هذا هو (**عروة بن أذينة**) الشاعر الغزل الرقيق الذي عاش في القرن الثاني الهجري في المدينة المنورة والذي أعجب به طالب عراقي فدرس شعره وقرأ عنه ، وحصل فيه على درجة الماجستير في الأدب من جامعة القاهرة .



★ لجنة المناقشة المكونة من الدكتور عبد العزيز مطر والدكتور محمود حجازي والدكتور يوسف خليفة .. وهم يناقشون الطالب في رسالته لنيل درجة الماجستير عن الشاعر الحجازي « عروة ابن أذينة » ★



الأصدقاء .. والعتاب

● قيل قديماً : مما يجب للصديق على الصديق الاغضاء عن زلاته .. والتجاوز عن سيئاته ، فإن رجع وأعتب وإلا عاتبته بلا إكثار ، فإن كثرة العتاب مدرجة للقطيعة .

وقيل أيضاً : إن معاتبة الأخ خير من فقده .

● وقد قال **علي بن أبي طالب** كرم الله وجهه : لا تقطع أخاك على ارتياب .. ولا تهجره دون استيعاب .

● أما « **الأحنف** » فإنه يرى أن من حق الصديق أن يتحمل ثلاثاً : ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة .

● وقال « **عبد الله بن معاوية** » :

ولست ببادي صاحبي بقطيعة
ولست بمفش سره حين يغضب
عليك بإخوان الثقات فإنهم
قليلٌ فَصِلْهم دون من كنت تَصْحَب



★ أول الأمراء « على المدينة » كان « **سهل بن حنيف** » وقد ولاه علي بن أبي طالب حين خرج إلى البصرة لقتال أصحاب الجمل .

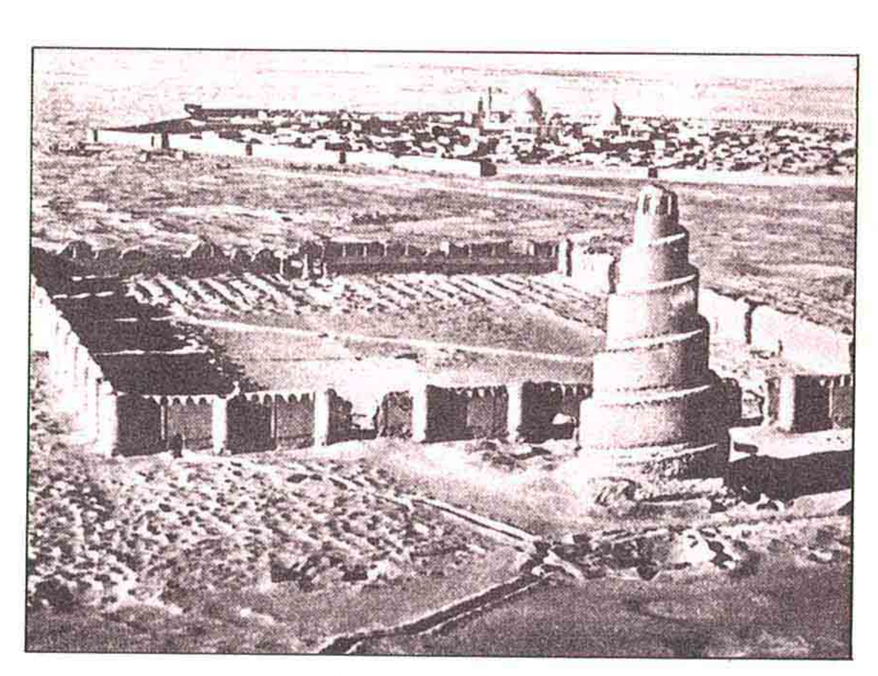
★ أول الأمراء « على مصر » كان « **عمرو ابن العاص** » وكان ذلك لمدة أربع سنوات .

★ أول الأمراء « على مكة المكرمة » كان « **عتاب بن أسيد** » حيث ولاه الرسول عليه الصلاة والسلام حين خرج إلى حجة الوداع .

طويلة .. بين القصار

★ الشعب الصيني ، معروف عنه أنه شعب قصير القامة بشكل عام .. ويندر وجود أشخاص طوال القامة فيه .. ولكنه قد ظهر مؤخراً أن أطول امرأة في العالم هي فتاة صينية .

● **عمرها** : (١٧ عاماً) .
● **اسمها** : شون شانغ .
● **طولها** : مترين وثلاثين سنتمتراً .


★ المسجد الكبير في سامراء ٨٥٢م ★

● مسجد « الملاوية » في سامراء ، العراق .
● بدأ البناء فيه سنة ٨٤٢م .
● انتهى بناؤه سنة ٨٥٢م .
● مساحته ٣٧١٢٨ متراً مربعاً . طوله ٢٣٨ متراً ، وعرضه ١٥٦ متراً .
● لم يتبق منه اليوم سوى بعض الأنقاض .

● مسجد « جاما » في نيودلهي .
● بدأ البناء فيه عام ١٦٤٤م .
● انتهى بناؤه عام ١٦٥٨م .
● مساحته : (٩٣٠ متراً مربعاً) .
● ارتفاع منارتيه : (٣٣ متراً) .
● لا يزال قائماً حتى اليوم .

رسومات

الفكرة الشاردة

★ أي «**فكرة**» يكون منبعها من داخل الإنسان، معبرة عن ذاته، ولذلك فإن لحظة الإمساك بها، لحظة غير عادية.. فالإنسان وقتها لا يعرف بداية تكوينها أو نهايتها.. ولا أين يقف.

ولكن..

إذا ساعدت الإنسان ظروف تكوينه «الابداعية»، فإنه يستطيع الإمساك بـ «**الفكرة**»، ويبدأ في الاستعداد لاختيار الإطار المناسب لوضعها فيه.. كأنه يضع صحبة من الورود الرقيقة في فازة جميلة.

ولصياغة أي «**فكرة**»، فإنه يتطلب من الإنسان «**الكاتب**»، إمكانية خاصة.. وتجربة حياتية.. ونفسية شاقة.. ولذلك، **فقد حاول الشاعر الإنجليزي.. «روبرت براوننج» أن يصور رحلة ميلاد «فكرة» في رأسه..** فكتب واحدة من قصائده الرائعة وقد أطلق عليها Two in The Campagna.

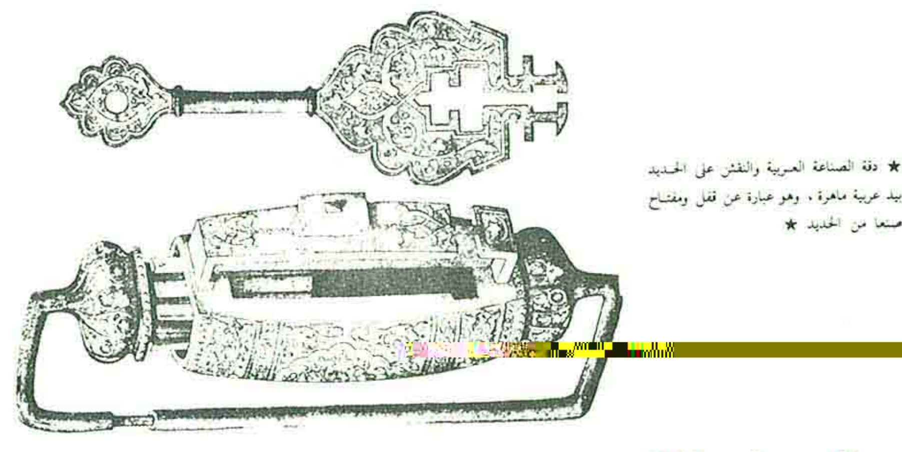
فالشاعر «**براوننج**»، بعد لمس الـ «**فكرة**» التي هزت جدران عقله ومشاعره، حاول أن يمسك بها، ولكنها كأي شيء صعب المنال، هربت منه... **فظل يطاردها وسط الحقول الخضراء.. وبين الأشجار.. وعلى أغصان الزهور.. إلا أنها اختفت، كما لو كانت طيفاً عابراً مر بخاطره برهة.. وبعدها تلاشى** ★



★ يعود تاريخ الصناعات اليدوية في إيران إلى عصور قديمة..، مثل التطريز المذهب، والحفر على الخشب، وفنون الخط، والصناعات النحاسية.. والذهبية والفضية والمجوهرات.. والسجاد.
وفوق هذه السطور نشاهد نموذجين من السجاد الإيراني، الذي يعتبر من أبرز مظاهر الفن الذي لم يندثر، ويتطور باستمرار ★

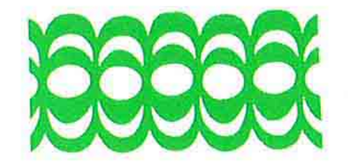
أكبر ماسة:

- اكتشفت سنة ١٩٠٥م، في إفريقيا الجنوبية.
- **وزنها**: ٣١,٦ قيراطاً.
- قدمت هدية للملك ادوارد السابع في عيد ميلاده الست والستين، من قبل حكومة ترنسفال.



★ دقة الصناعة العربية والنقش على الحديد بيد عربية ماهرة، وهو عبارة عن قفل ومفتاح صنعا من الحديد ★

السطور الأخيرة



★ العقل رائد الروح.. والعلم رائد العقل.. والبيان تَرْجُمَان العلم.

سهل بن هارون



طيف

شعر: عبدالمنعم الأنصاري

وقالوا سيعبرُ دربي غـداً
كما يعبرُ الطيفُ خلْفَ المدَى
وقد حَذَّروني .. لِكي أخْتفي
وأهرُبَ منه إذا ما بَدا
وحاولتُ أن أختفي عندما
يمرُّ .. وكان اختفائي سُدى
فقد كان بيتيَ وسط الطريق
وما كان للبابِ أنْ يُوصَدا
وكانت على شرفتي .. زَهراتٌ
عطاشٌ .. تحنُّ لقطر النَّدى

★ ★ ★

ونادى ، وما كان لي أنْ أَرُدَّ
عليه ، إذا ما سَمعْتُ النِّدا ؟
وأن أستجيبَ إليه إذا
ما أتاني ليسألني مَوْعِدا
ولكن بعيْنيهِ كانَ الربيعُ
يمُدُّ لقلبي الغَرير اليَدا
وكان الصباحُ على وجْههِ
جميلَ النهايةِ .. والمُبتَدا
فلمْ أدر كيف استجبتُ إليهِ ؟
وكيف همستُ : أرَاكَ غَدا ؟
وبادلتُه الحبَّ .. أعرفُ أني
تجاوزتُ في الحُبِّ كلَّ المدَى
وأني تسرعتُ .. فالحبُّ نارٌ
وهيْهات للنَّار أنْ تخمدا
ولكن بعَينَيهِ كان الربيعُ
يقولُ تعَالي .. لِكي نسعَدا !
فكيف أرُدُّ نِداءَ الحياةِ ؟
وأهرُبُ مِنْهُ إذا ما ابْتَدا ؟

★ ★ ★

وَراحَ .. وَقَدْ لا يعودُ قريباً
فما عُدتُ أدْري لَهُ .. مَوعِدا
وَلكِنَّما في فؤادي شعاعٌ
مِنَ الوَهمِ .. لَمَّا يَزَلْ مُوقَدا
أصيخُ له بين حِينٍ وَحِينٍ
يَقولُ : سَيأتي .. سَيأتي غَدا

قصة قصيرة

قصة من التاريخ الإسلامي

بقلم: د. عبد المجيد وافي

يوم الرضع.. محارب بكتيبة

كان الصباح ندياً ذلك اليوم، ما يظن من يطالع فجره يستعرض الأفق أن له مع التاريخ شأن، شمسه لم تزل في خدرها، والمدينة المنورة يلفها صمت العباد في الغداة، قد احتوى أهلها مسجد **الرسول صلى الله عليه وسلم**، ولم يبق بالدور إلا القواعد والصبيان، وشيوخ قد دب فيهم دبيب الوهن.

وهناك في الغابة، على مشارف المدينة، بات رجال شغلتهم رعاية إبل رسول الله ﷺ، **سلمة بن الأكوع الأسلمي**، قد استغرقه التسبيح بعد صلاته، وخلفه **رباح** غلام رسول الله ﷺ، بينما كانت فرس **لطلحة بن عبيد الله**، قد شد عنانها إلى سَمُرَةٍ قريبة، وعلى فرع من السمرة قد تدلى قوس سلمة وجعبة سهامه.

وعلى مرمى سهم كانت اللقاح ترعى متناثرة هنا وهناك، تحت عين راعيها **الغفاري** وزوجته، وكان حفيف أغصان الغابة رتيباً خفيفاً، وما من طير قد بدأ يضحو في وكناته، **صمت لا يقطعه إلا صرير جندب، أو حركة ضب يتسلل وراء دويبة من دويبات الأرض وحشراتها**.

وأغمضت عينا سلمة ولكن قلبه يقظ، ولسانه مع عقله في ذكر الله مستغرقان، والفرس تركض بحافرها وتصهل صهيل القلق، فرفع سلمة هامته وفتح عينه وأدار رأسه بأطراف الأفق، وكأنما تبين في غبش الظلام المدبر أشباحاً تتحرك، فقام إلى قوسه ونباله مسرعاً، منبهاً رباح مشيراً إلى مقود الفرس.

وما كاد أن يفعل حتى كانت صرخة امرأة مكتومة، وصيحة مطعون لم تلبث أن خمدت، وحركة الأشباح تصيح في الإبل تسوقها أمامها، وقد احتملوا المرأة بعد قتل زوجها.

بديهة المحارب سريعة، وتقديره للموقف كان واضحاً، هم جمع وهو واحد، ومعهم خيل وليس معه إلا فرس، وما هو بفارس، فأمر رباحاً أن يعتلي الفرس ويسرع إلى قلب المدينة نذيراً لرسول الله ﷺ ومن معه، وأسرع هو إلى مرتفع **ثنية الوداع**، وصاح صيحة النذير:

- واصباحاه... واصباحاه... واصباحاه!! صيحة يعرفها الناس وينذورن بها، فلا يؤخذون على غرة.

وانطلق سلمة وراء **الكتيبة** التي استاقت **الإبل**، وكان عداءً يسابق **الخيل**، طويل الأكارع خفيف الإهاب، وليس عليه من ثياب تثقله، اللهم إلا إزاراً قد لف حول وسطه، ورداء قد اضطبعه اضطباع الحاج.

عدا ملتفاً ليستقبل **الخيل النافرة والإبل الجافلة**، ثم استدار يواجههم ورمى سهماً مريشاً قد انتضاه من جعبته، فأصاب مقتلاً من فارس، سقط مجندلا، والقوم يسمعون صراخ سلمة، كأنه يحدو إبلاً يترنم.

● **خذها.. وأنا ابن الأكوع... واليوم... اليوم يوم الرضع.**

واضطربت أقدام الفرس في راكبها الذي سقط فكبت، وما كادت أن تنهض من كبوتها حتى كان سلمة يضرب عجزها، فارتدت إلى طريق المدينة سائقة أمامها بعضاً من الإبل المنهوبة.

وما أسرع ما عدت الخيل على سلمة، ولكنه كان إلى شرف مرتفع أسرع، وسهم وراء سهم ينوشان شبحين صاحا صيحة قتيل.

ويعود ترنيم سلمة.

..... وأنا ابن الأكوع... واليوم... اليوم يوم الرضع.

وتفر الخيل بفرسانها من نبله وقائلهم يصرخ، أكوعنا الغداة... أكوعنا صبحا.. ومدّ سلمة رأسه يعد الباقي من تلك الأشباح الهاربة في مضايق الطريق، ويستطلع أثقالهم، كانوا بين العشرين والثلاثين على أفراسهم، يسوقون أمامهم إبل رسول الله ﷺ حفاظاً عليها أن يفلت منها ما أفلت عند أول سهم وأول قتيل، وبعين الخبير يرى سلمة أن القوم يضعون أنفسهم في مأزق، إذ يسلكون ذلك الشعب الضيق بين الجبال، وبخفة الغزال كان ينتقل من ربوة إلى ربوة فوق مستوى أبصار القوم، وما هو إلا أن واجههم عند مخرجهم من الشعب، ورمى فيهم بسهامه فأصاب وعقر.

ولم يرض فارس منهم عن هذا الحرج الذي واجهوه، فآثر أن يواجه الخطر ليكفي القوم أمره، ويغطي فرارهم بسلبهم الذي استاقوه، ولم يكد فرسه يضرب الصخر بأرجله ميمماً شطر سلمة، وسلمة قاعد بأصل شجرة، حتى اقترب الفارس، فلبسه السهم خارجاً من كتفه ومعها

ترنيمة ابن الأكوع :

.... واليوم ... اليوم يوم الرضع .

وانطلق الغزال من ربوة إلى ربوة ، حتى كان فوق رؤوس القوم ثانية يدحرج عليهم صخور الجبال ، ويرميهم بالحجارة ، وثار الرعب في قلوبهم فأفلتوا الإبل ، وتخففوا فألقوا رماحاً وأبراداً لهم ، **وابن الاكوع** يضع على البرود علامات ليعرفها رسول الله ﷺ ..

* * *

هناك في قلب المدينة كان أسرع الناس إلى الصوت رسول الله ﷺ ، ورباح ينهب الأرض بفرس طلحة ، وما وافى إلا والقوم يتتابعون إلى رسول الله ﷺ فألق إليهم خبره : **عبد الرحمن بن عيينة** ... في خيل من **غطفان** قد أغار على سرحك يا رسول الله ... وتحفز الفرسان ، وجدوا مع رسول الله ﷺ في أثر القوم يتلاحقون ، والغبار يرتفع مع شمس الضحى يملأ السماء .

* * *

... أما خيل غطفان فقد نجدت على الطريق ، جاءهم **عيينة بن حصن** بالمدد ، لما استبطأ القوم ، فقعدوا ينضحون عن أجسامهم ، وسلمة على قمة أعلاهم .

جروا وهم على ظهور الخيل فما سبقوه ، وما خلاّهم ، وسلكوا الشعاب والثنايا ، لتعجزه الروابي والقنن ، فما أعجزه قفزها كوعل الجبال .

ونظر عينية إلى علي ، وسأل ما هذا الذي أرى ، قالوا :

والله لقد لقينا من هذا البرح .. ما فارقنا منذ الغلس يرمينا ... ، حتى استنفد كل شيء كان بين أيدينا .

● قال : وما صبركم ..؟ فليقم إليه أربعة منكم ، واختار من ظنهم أشجع القوم .

وما إن اقتربوا منه حتى كان سهم من سهامه مفوق إلى صدورهم مصوباً ، وصاح فيهم : **دونكم !**

فتسمروا حيث هم ..

فقال : **أتعرفوني ..؟**

فقالوا : من أنت ..؟

قال : سلمة بن الأكوع ، والذي كرم وجه محمد .. لا أطلب أحداً منكم إلا أدركته ، ولا يطلبني أحدكم فيدركني ... فقالوا : إن نظن إلا ذاك ... وارتدوا مدبرين .

وظل سلمة راكباً ظهر الثنية ... ، وطار الغبار من خلفه ، وما ينظر إلا خيل رسول الله ﷺ ، وفوارس المسلمين يتخللون الشجر .

واستقبل الخيل نازلا من ثنيته ، فإذا هو بقمير ، **محرز بن حنظلة الأسدي** ، **يدعونه الأحزم** ، فأخذ ابن الأكوع بعنان فرسه ، وقال : يا أحزم إن القوم عيا قليل .. فاحذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق بنا رسول الله ﷺ وأصحابه .

فقال يا سلمة .. إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة ..

* * *

لقد كان قمير قريباً من حائط **لمحمود بن مسلمة** ، وفرس محمود يسمع صاهلة الخيل ، ويجول جاذباً مقوده الذي ربط به ... فقالت نساء من **بني عبد الأشهل** : يا قمير .. هل لك في أن تركب هذا الفرس فتلحق برسول الله ﷺ وأصحابه ..؟ قال : نعم ، فأعطينه إياه ، فلم ينشب أن مد الخيل بجماحه ... حتى تلقاه سلمة .. وحاول احتجازه .. ثم خلى سبيله .

فما أسرع ما واجه القوم في جمعهم ومددهم ... ووقف لهم بين أيديهم ... صائحاً فيهم : قفوا **معشر اللكيعة** حتى يلحق بكم من وراءكم من **المهاجرين والأنصار** ، فابتدر **عبد الرحمن بن عيينة** ، فعقر الأحزم فرس عبد الرحمن ، وطعن عبد الرحمن الأحزم ، فاستشهد الأحزم .. ففاز بما ابتغى .. وركب عبد الرحمن فرس الأحزم .. وتتابعت خيل رسول الله ﷺ ، ولحق **أبو قتادة الأنصاري** بعبد الرحمن فقتله بطعنة نافذة ، بينما طعنه عبد الرحمن فعقر فرس أبي قتادة ، ومضات سيوف خاطفة تحيي وتميت بإذن الله ، في صراع ما أسرعه كلمح البصر ، وفرغ القاتل من قتيله ليتحول إلى فرس الأحزم ... وكانت الجولة فرصة



منحت القوم الفرار .

والذي كرم وجه محمد ﷺ ، ما تركهم ابن الأكوع يفلتون يعدو عدو الظباء حتى ما يرى خلفه من أصحاب رسول الله ﷺ ولا غبارهم شيئاً . . ومالت الشمس للمغيب . . . نهار منذ فجره يطول . . . وابن الأكوع يرمي ويعدو ، ويصعد ويكر ، وما ناله القوم وهو ينالهم وينال منهم ، حتى استرد ما استرد من الإبل ، واستنفد ما استنفد من المتاع والسلاح ، وخلى كل ذلك لمن خلفه من فوارس . . يتابع القوم طراداً .

ومال **عيينة بن حصن** بمن معه إلى ماء **بذي قرد** ، وقد ظنوا بأنفسهم النجاة ، فهموا أن ينالوا من الماء وقد جفت حلوقهم عطشاً ، فما إن رأوا ظبي الفلاة ، وأسد الغداة « سلمة » يعفر في عدوه ، فوالله ما نالوا من الماء قطرة ، وقاموا يبغون الفرار وعطف واحد منهم على سلمة رافعاً سيفه ، ولكن سهم سلمة كان أسبق واقعاً في نغص كتف عدو الله وترنيمة ترتفع . . .

خذها . . . وأنا ابن الأكوع . . . واليوم . . . اليوم يوم الرضع .

فصاح رشيق السهم . . . صيحة الألم : أكوعه . . . غدوة . . . وعشية .

فأجابه سلمة : « نعم يا عدو نفسه » وفر القوم ، ونظر سلمة فإذا فرسان على الثنية ، فاقتادهما عائداً إلى جمع رسول الله ﷺ ومن معه ، وقد بلغوا الماء الذي حال سلمة بين القوم وبينه .

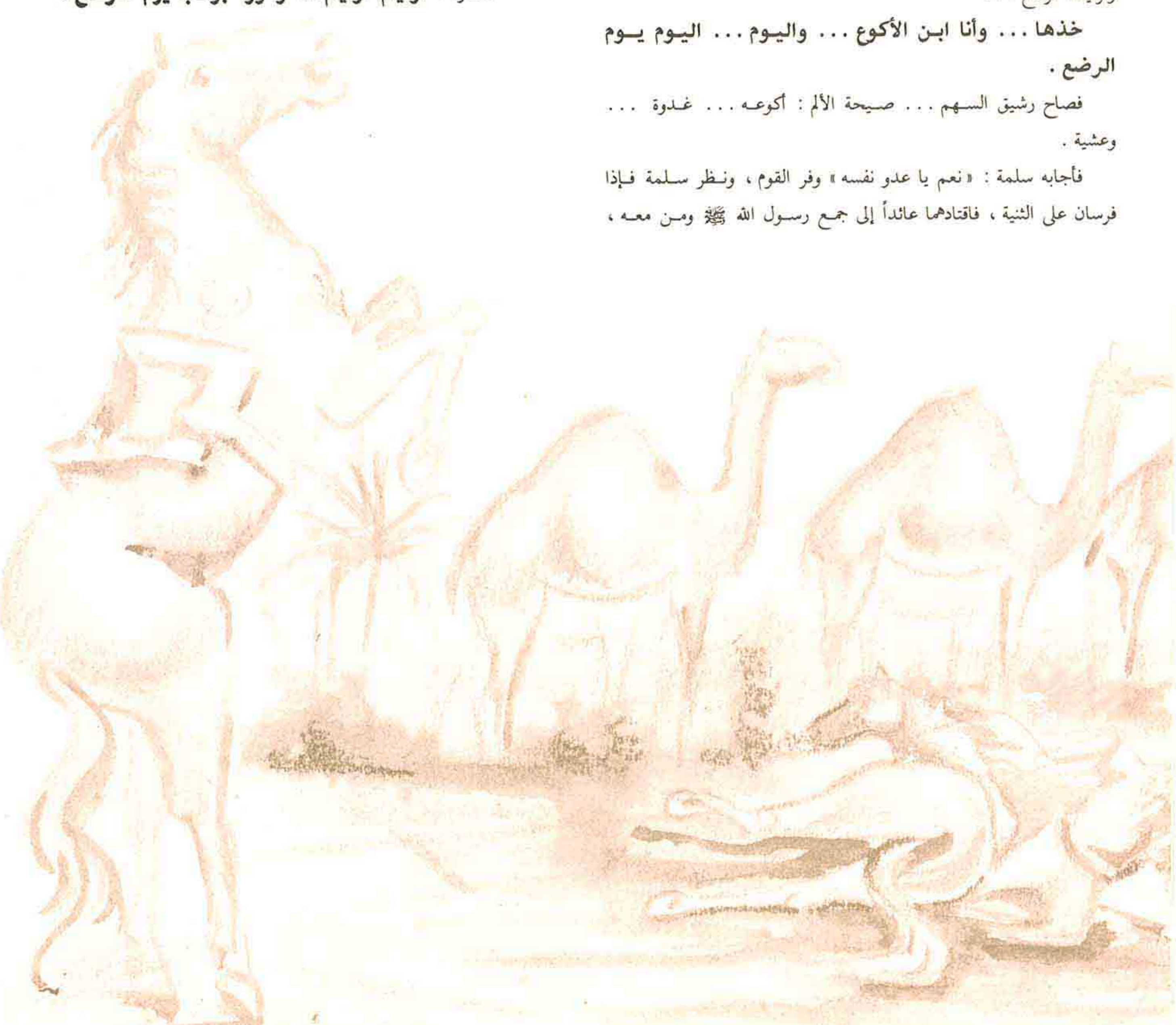
لقد فاتت **صلاة الظهر والعصر** ، **وأوشكت الشمس أن تغرب** ، وهذا عمه **عامر** ، يأتيه بشيء من **لبن في قربة وشيء من ماء في** أخرى ، فيتوضأ سلمة ، ويشرب ، **وما إن صلى حتى أتى رسول الله ﷺ** ، فوجد الإبل التي استنقذها خلف المسلمين ، **ومعهم كل رمح وبرد ألقاه** القوم .

قال سلمة : **يا رسول الله خلني فلأنتخب مائة رجل من القوم ، فاتبع القوم فلا يبق منهم عين ، فضحك رسول الله ﷺ** حتى بانت نواجذه . . وقال له :

« أكنت فاعلاً » . . قال سلمة : **أي والذي أكرمك بالحق . .**

وباتت الكتيبة الهاربة في **مضارب غطفان يولم لهم ، وذبحت لهم** الجزور وما إن همَّ ذابحها بسلخها حتى رأوا غباراً .

فقالوا : **أوتيتم أوتيتم . . وفروا برعب يوم الرضع .**





بقلم: عبد الله حسين بغدادي



بمناسبة
عام
الطفل



جنون أم

تلقي بنا الأسفار أحياناً كما تلقي بنا الأقدار إلى مجاهل الدنيا الغريبة ، فيبق لنا منها في خواطرنا ذكريات خفيفة كنسمة عابرة لم تترك ببال الأزهار التي حركتها غير صدى اهتزازها ، أو عميقة كأودية السيول تبق على مدى العمر محفورة . وهكذا الأيام ترتحل وئيدة وسريعة ، ثم لا يبقى لنا منها غير ارتجاف نبضات الحياة في لحظاتها .

ألا يحتفظ كل فرد منا بتذكارات أسفاره ومفارقاتها ؟

ألم يأخذك يوماً سحر بلد مجهول النواحي والأصقاع ، عند الصباح ، وأنت تجوب طرقاته الجبلية المعشبة بين أنفاس ربى مجهولة العبير ؟

ألا تلقي برأسك أحياناً إلى الخلف ، وأنت جالس ، ثم تغمض عينيك في لطف ، مسترجعاً ، تذكارات إحدى سفراتك ؟

شعرت اليوم بحاجة إلى الانفراد بنفسي ، والرغبة في التنزه بين النخيل ، كانت الشمس تميل إلى الغروب ، ومعظم الطيور قد أخذت على فروع الأشجار أماكنها استعداداً لاستقبال الليل في اضطراب وضجيج ، وكانت مجموعات من الغربان تمزق الفضاء بصرخاتها متجهة إلى مساكنها البعيدة المجهولة .

في الطريق أمامي كنت أرى أغصان الرمان وقد حركتها أذرعة الهواء الخفية تتدافع متهامسة ، كفتيات فوجئن بوصول غريب فأسرعن للتواري بين فزع ضاحك وقهقهات خجولة .

تعود إلى خاطري أحداث رحلة هي اليوم أبعد ما تكون ، يفصل ما بيننا ضباب السنين المتلاحقة ، حينما دعاني أحد أصدقائي لقضاء إجازتي معه في بلده الجميل البعيد . كان يسكن مدينة صغيرة تبعد عن العاصمة مسيرة نصف يوم بالسيارة ، قضيناها في حديث وضحك وتمتع بمناظر الجبال الأخاذة . كان الجو قائظاً في العاصمة بيد أننا كلما صعدنا الجبال أحسسنا باعتداله وبرودته .

ساحر جمال هذه المدينة إلى أبعد مدى بغاباتها المحيطة وبيوتها المتناثرة فوق التلال . غير أني كنت متعباً ولم أستطع التجول ذلك اليوم ، والمساء قد اقترب ، ففضلت البقاء في بيت صديقي نتجاذب أطراف الحديث حتى يحين موعد النوم .

الساعة تقترب من العاشرة مساء ، وأنا مستغرق في قراءة ما قبل النوم عندما استوقفني صوت نحيب امرأة ، صوت كئيب ويائس ، يتردد بين الحين والآخر ، وكأنه نداء قد مزقه وأبحه طول الترداد . قمت من مكاني .. اتجهت إلى النافذة لأعرف مصدر هذا الصوت . فعرفت أنه صادر من أحد البيوت المحيطة ...

في صباح اليوم التالي سألت صديقي عن ذلك الصوت ، فقال لي : « إنه صوت امرأة مجنونة تنادي ابنها الذي يعيش بعيداً عنها عندما تأخذها نوبات الجنون . ولا أعرف من أمرها سوى أنها كانت تحب ابنها حباً شديداً ، وقد جنت عندما أخذه منها أبوه الذي طلقها منذ أن حملت به . ولكن هل أزعجك صوتها فلم تستطع النوم ؟ » ... « لا .. لم يزعجني لكنه أحزنني حقيقة » .

وبعد أيام خرجت وحدي للنزهة في إحدى الغابات التي تشرف على واد عميق لا يبدو للناظر قاعه إلا ضباباً ، وكان هناك بعض الصخور الكبيرة المتناثرة على حافة الهوة وكأنها أعدت إعداداً .

كانت الشمس تميل إلى الغروب ، وكنت أحاول الوصول إلى صخرة بعيدة ، فإذا بي وجهاً لوجه أمام امرأة ، طويلة القامة ، شقراء ، تناهز الأربعين من عمرها ، ذعرت عند رؤيتي لها ، لم تعرف أتبقى أم تفر من وجهي ، ثم قالت وهي تحملق فيَّ : « ماذا تريد مني ؟ .... لماذا تلاحقونني أينما ذهبت ؟ من أرسلك في إثري ؟ » ، قلت لها ، وقد عرفت أنها تلك المرأة التي كانت تنادي ابنها ليلة وصولي : « عفوك يا سيدتي فلم أكن أقصد ازعاجك ، وما أردت ملاحقتك فأنا غريب هنا ولم يسبق لي معرفتك » . ثم هممت بالابتعاد عنها فإذا بها تتعلق بأطراف ثيابي وقد بدا عليها شوق كبير للتحدث معي ، وقالت : « أنت غريب هنا ؟ ... هل رأيته ؟ ... هل رأيت ابني ؟ أخبرني هل قال لك إنه سيأتي » ، ثم أخذت تبكي ، فقلت لها محاولا التخفيف عنها : « هوني عليك ، فما كل غريب يعرف ابنك . غير أنك لو قصصت عليَّ مصابك فربما استطعت مساعدتك في العثور عليه ، فأنت لا بد في كرب عظيم » . « بل إنني ضائعة كطفل صغير ضل بيته ، لقد سرقوه مني ، ولا يمكنك مساعدتي ... » ، قالت ذلك ثم أمسكت عن الكلام غير أني

أحسست أنها تريد مواصلة الحديث ، فلم أنبس بكلمة رغبة في المزيد من معرفة مكنونات نفسها ، وبعد دقيقة ألقت إليَّ في جمل متقطعة ومؤلمة بهذا الحديث الذي بقي محفوراً في شعوري وسوف يبقى إلى الأبد . . قالت : « جميع من في المدينة يقولون إني مجنونة لأني لا أذكر إلا اسمه ، لا أنادي إلا إياه ، ولا أريد . . . . آه ، ماذا أريد ؟ إنني لا أدري ما أريد ، فلو عاد اليوم لما عرفته . . . لما أنست له ، ومع ذلك فإنني أنتظر عودته ، وهو عالم بذلك ، لكنه أفهمني أنه ضاق بحبي وبما يردده الناس عني . . . . واليوم بل وكل يوم أبحث ، أنا ، المجنونة ، في هذا الوجود القاسي عن طفلي الصغير ، الذي لمع في حياتي كومض برق ، ثم في ظلام الحياة أخذ مني . كم قبلته وهدهدته ، وكم في عين الوجود أغليته . كنت أنتفض نشوة وأنا أتأمل لؤلؤة الحليب ، المرتعشة ، المتكورة على شفتيه المكتنزتين الحمراوين ، وهو يغط في نوم هنيء حالم ، تتخلله انتفاضة خفيفة يمد أثناءها كلتا ذراعيه ثم يقبض على الهواء ظاناً إنه ثديي ، فيأخذ في تحريك فمه بسرعة متلاحقة لا يلبث أن يخلد بعدها إلى الهدوء . كنت أستيقظ أثناء الليل متسللة نحو مهده أنقر الأرض حوله ، خوفاً ولهفة ، وأسهر حادبة عليه أحياناً حتى الفجر ، قائلة لنفسي : لماذا انفصل عن جسمي ، ولم يبق في أعمق أعماق تكويني ، في إحساسي ؟ لماذا انفصل ؟ أهي بداية ابتعاده عني . آه يا سيدي لو أصبح ذراعي في ذلك الوقت لما قنعت لأنها لو انفصلت عن جسمي لأصبحت شيئاً أراه ، ولا أحسه . كنت أريده الإحساس الذي يحرك ذراعي وعيني وجسمي . كم أنا مجنونة ، لكنني كنت خائفة أن يؤخذ مني هذا الجزء بل هذا الكل العزيز من نفسي . وأضل بعده . كنت أبكي لغير ما سبب . عندما ابتسم للمرة الأولى أثناء مداعبتي له ، حضنته إلى صدري بقوة ، وأخذت أنتحب طوال يومي . وكان الجميع منذ ذلك الوقت يشيعون أنني مجنونة ، فقد انشغلت عن الدنيا كلها بصغيري ، فلا يراني أحد إلا منكفئة عليه متأملة في وجهه . لقد جننت حقاً به وجننت بأملي ، يا سيدي ، كان يرضع ثديي فيندفق الحليب على جوانب فمه ، فأشعر بسعادة لا تعرفها السعادة نفسها وهو يمتص مادة حياته من كياني .

ثم سرقوه مني ، لست أدري كيف ، لست أدري متى ، جاء أبوه الذي طلقني منذ كنت حاملاً . بعد أيام أخذه ، لا تسلني كيف ، اختفى ابني فجأة من بين يدي وانقضى ما كان من ذلك الزمان . إنه لم يعد ملكي ، لم أره إلا بعد انقضاء سنوات سبع » .

ثم توقفت عن الكلام فجأة ، وكأنما برز أمام عينيها إنسان آخر التفتت إليه وأخذت توجه حديثها إليه وكأنني لم أعد موجوداً أمامها :

« آه يا ولدي !

« رأيتك ذلك اليوم بعد انقضاء سبع سنوات على فراقنا ، وأنت لي منكر .

« أما لمحت في عيني أمك هذا الشوق الظامىء إلى التملي بك ؟

« أما رأيت هذه الأذرع المشفقة الممتدة نحوك ، الباحثة أبداً عن احتضانك .

« أما سمعت نداء قلبي لك يريد حمايتك من واعر الدروب ، وقاسي الأيام ؟

« فيم أنت واجم تنظر إلى أمك الضائعة الغريبة في استحياء ، وخوف ، وأنا تسبقني إلى الظلام ، أدمعي ، فلا أنطق إلا بكلمات متقطعة ، مبتلة ، ومذعورة .

« أما كفاني تمزقاً طول انتظاري لك ، وحنيني إليك ؟ أما عرفت كيف ضيعتني الأيام من بعدك ، وكيف يستبد الذعر بي كل ما مر بخاطري ذكرك .

« يا حبيبي ، وأنت واقع بين أبوين كلاهما يحبك ويخشى عليك عوادي الزمان . . . بين أبوين لم يجمع بينهما سوى التنافر ، والتباغض ، تماماً كما تجمعك بهما المحبة والاشفاق ، إني أخاف عليك .

« آه يا نفسي ، التي أفلتت مني ، وحكمت عليَّ بالضياع والغربة . . . متى تعود ؟ »

ثم التفتت إليَّ وكأنها أفاقت من خيالها : « إن الأطفال يتغيرون بسرعة مذهلة يا سيدي ، فهذا ابني وهذه ملامحه ، لكنه تغير ، وكبر دون أن أراقبه وهو يكبر ، وهذا لعمري عذاب لا تحتمله أية أم . إنه يخطر أمامي بثبات غير أني لم أعد أجد فيه صغيري الذي على صدري كان ينام . كنت أناديه بالأمس فيضحك ، وأناديه اليوم فيجمح ولا يريد الاقتراب مني . لقد سرقوا مني طفولته وحبه وحنانه الذي انغرس في ضميري إلى الأبد .

« بعد سنوات طويلة لا أدري عددها مات أبوه ، ومات جميع أهلي ، فكأنما أنقذني ربي من الوحدة والوحشة إذ أعاد إليَّ ابني ، الذي لم يطق البقاء في هذه البلد . فاتخذني معه إلى العاصمة ، لقد أصبح رجلاً ، وله حياته التي حرصت على عدم التعرض لها . لكنه أخبرني يوماً أنه يريد السفر إلى الخارج ليتزوج من فتاة عرفها أيام الدراسة . . . فتوسلت إليه ألا يفعل ، لأنه إن سافر ، فسوف أبقى وحيدة لكنه أكد لي أنه لن يتأخر طويلاً .

« انقضى شهر عاد بعده مع زوجته التي أحببتها كثيراً ، غير أنها لم ترقها محبتي لابني ، فوضعت بيني وبينها حاجزاً لم أستطع برغم كل محاولاتي هدمه . حتى أصبحت في النهاية لا توجه إليَّ الحديث مطلقاً . وبعد مضي عام أفهمني ولدي ، أنني إنسان زائد في بيته . . . لم يصرح بذلك لي . لكنك تعرف يا سيدي أن من يحب محبة صادقة لا يخونه إحساسه أبداً في تفسير تصرفات من يحب ، فطلبت منه أن أعود إلى بيتي وأن يزورني بين وقت وآخر ، فوافق بعد إبداء معارضة ضعيفة .

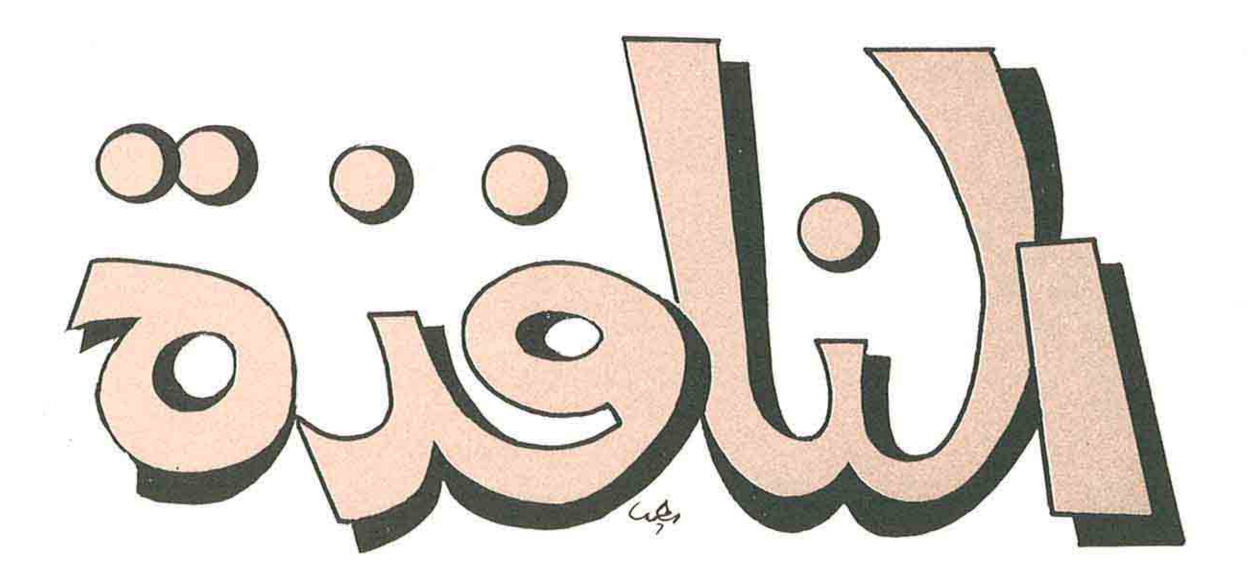
« وبالفعل فقد كان يتردد عليَّ خلال الأشهر الأولى ، ثم تباعدت زياراته ، حتى انقطع تماماً . فذهبت بنفسي إلى العاصمة لاستقصاء أخباره ، فعلمت أنه هاجر مع زوجته إلى بلدها ولم أعد أعرف عن أخباره شيئاً إلى اليوم .

وكما ترى الآن يا سيدي ، فأنا ضائعة ، ليس لي في هذه الدنيا غير ما امضغه من ذكرى حياة لم تدم طويلاً » .

حاولت أن أقول شيئاً أعزيها به ، غير أنها أدارت ظهرها لي وخطت بضع خطوات ، وكانت الشمس قد غربت ، فنظرت إليها قليلاً ، ثم تركتها وعدت مسرعاً إلى بيت صديقي مغمراً بإحساس المرارة .



بقلم الكاتب اليوناني المعاصر : أندوني ساماراكي
ترجمها عن اليونانية : د. نعيم عطية



كان هذا سره ، اكتشافه الخاص ، الذي تكامل رويداً رويداً في ضميره ، وفي قلبه . كان اكتشافاً له بدايته ونهايته على مدى ما عاشه حتى الآن من أعوام ، وكان عمره ٤٣ عاماً . **«نحن البشر نحيا في عزلة ، كل منا وحيد . ملايين الناس في عزلة تامة . كل منا كما لو كان هو الإنسان الوحيد على الأرض . إنها إنسانية العزلة»** .

كان هذا ما هداه إليه تفكيره ، وكان ينخر في أعماقه صباحاً وظهراً ومساء ، أيام العمل وأيام العطلة على السواء . بل وربما كان هذا الذي اكتشفه عن عزلة الإنسان أكثر أخذاً بخناقه عندما كان لا يذهب إلى المكتب ، فيتزاحم على عقله كل ما عاينه وخبره طوال سنوات عمره الثلاثة والأربعين .

وليس معنى ذلك أن حاله كان يتغير عند وجوده بالوزارة ، أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت من الساعة الثامنة والربع صباحاً إلى الثانية بعد الظهر . ثم من الخامسة والنصف إلى السابعة والنصف مساء **(فيما عدا السبت)** فقد مضى يحمل بداخله إحساساً بالعزلة وراح يجرجره حتى هناك ، وذلك كخم دامغ انطبع عليه على الدوام .

أكانت العزلة اكتشافه هو فحسب؟ إنه لم يكتشف شيئاً غير معروف . كلا ، إنه لم يخترع العزلة ، فهي تجري في دمائه ، ولكنها الآن عندما اكتشفها تبدو كأنها وجدت لأول مرة . كأنها أمر جديد في حياته . وهذا ما حدث بالنسبة لكل شيء في دنيانا ، كالحب والموت وغيرهما . فعندما يصوب الحب أو الموت إلى أحد سهامه ، فهو أول من أحب ، وغيره لم يمت قط .

كان اليوم الثاني والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) ، والنهار يقترب من الظهيرة . أخذ يقيد في دفتر المراسلات المكاتبات الواردة في بريد الصباح ، دخل ساعي مكتب المدير . أغلق الباب وأسند إليه ظهره . ثم جال ببصره فيهم جميعاً - في المستخدمين الثمانية الذين يتألف منهم قسم التخطيط - ودقق النظر فيهم واحداً واحداً بالترتيب .

وفي النهاية قال الساعي بلهجة من يطلعهم على سر يأتمنهم عليه . **«عندي لكم خبر . خبر غير عادي ! إن رئيس قسمكم ، الذي لم يظهر له أثر هذه الأيام الثلاثة الأخيرة ، نقل . أجل ، نقل إلى الأقاليم ، وقد سافر إلى مقر عمله الجديد ليلة أمس على وجه السرعة . وبذلك ، فمنذ صباح غد ، سيأتي إليكم رئيس جديد للقسم . خذوا حذركم !»** .

كان الساعي قد رفع الكلفة بينه وبين الجميع . أرادوا ذلك أو لم يريدوا ، وكان يروق له أن يمزح ، بل وأحياناً كان مزاحه من النوع الأسود . ذات مرة ، فتح الباب باندفاع وصاح فيهم **«رئيس الحكومة يمر للتفتيش»** ! فأسرع الجميع يرتبون مكاتبهم . اختفت الصحف والمجلات ، ودست في أعماق الأدراج كما أن آنسة الأرشيف التي كانت في تلك اللحظة ترفو جورباً ، وخزت نفسها بالإبرة من شدة ارتباكها . وألاعيب أخرى كثيرة من هذا القبيل كان الساعي طيب القلب ، المتفاني في خدمة المستخدمين يقدم عليها من وقت لآخر .

ولو لم يكن مكباً على دفتر المراسلات عندما أخبرهم الساعي بالنبأ لهز كتفيه كما لو كان يقول **«وماذا يعني هذا التغيير؟ رئيس قسم هو رئيس قسم ، لا شيء أكثر ولا شيء أقل»** لكنه كان غارقاً تماماً بين دفتي الدفتر الكبير ، ولم يكن بوسعه أن يأتي بكتفيه مثل هذه الحركة .

وما الذي يعنيه أن يتغير رئيس القسم . ليس لذلك من أهمية أكبر مما لتغيير ترس في آلة . عندما تخلع ترساً وتضع مكانه ترساً آخر فإن ذلك لا يغير شيئاً في ميكانيكا الوظيفة العامة ، فليس للتغييرات التي تجري على التروس أي دلالة خاصة .

لم ينبس ببنت شفة ، لم يأت حركة ، ولا بدت على وجهه بادرة . أخذ المراسلات الواردة وشرع يرتبها .

إنه آخر من يمكنه أن يفسر التغيير الذي جرى وعلى الرغم من ذلك كان هو البطل ، أو بعبارة أدق أحد البطلين لما حدث . ولم يكن ثمة ممثلون ثانويون . أو ربما



كان الأصح أن نقول إن الممثلين الثانويين كانوا سائر المستخدمين في قسم التخطيط، وذلك في غفلة من أمرهم. لم يدر بخلدهم قط أنهم يقومون بأدوار الكومبارس في تلك المسرحية التي كانت تؤدى كل يوم، صباحاً ومساء. لم يكن لديهم أدنى فكرة عن دورهم. على أن أحد البطلين أيضاً لم يكن لديه عن دوره أدنى فكرة، وهذا البطل هو الرئيس الجديد للقسم، الذي لم يكن قد انقضى على مجيئه إلى القسم أسبوعان ونصف أما عن البطل الثاني، فقد كان قد تورط في المسألة بمنتهى البساطة. ودون أن يتبين ذلك على الاطلاق. لم يكن بقادر على أن يفسر كيف استحوذ الرئيس الجديد على كل هذا الاهتمام من جانبه. ربما لأنه وافد جديد، ولا يعرف عنه شيئاً، مما يثير فضوله أو ربما كان لديه - **وهذا مجرد احتمال** - ما يمكن أن يبدد الإحساس بالعزلة الذي تجمد في قلب مستخدم من الفئة الدنيا الكتابية، يمسك الصادر والوارد منزوياً في الركن الأيمن من القاعة الكبيرة، بجوار النافذة.

الرئيس الجديد صغير في السن أيضاً - **٣٤ عاماً فحسب** - على ما ذكر ساعي الرياسة الذي يتقصى لهم عن الأخبار، طويل القامة، شديد في انتقاء ملابسه ولكن بلا تكلف، جم الأدب مع الجميع، متمسك بالأصول في معاملاته.

مضى من ركنه يرقبه، متجسساً عليه من وراء دفاتر المراسلات السميكة، كما لو كان مرابطاً في خندق. يراوده وهو يراقبه أمل، أمل أخير أن يدحض الرئيس الجديد فكرته عن أن البشر، نحن البشر، معزولون كل منا عن الآخر، محاصرون بغربتنا حصاراً محكماً، مستحوذاً على أعماقنا كلها. وقد ألقيت على عيوننا، بل وعلى قلوبنا أيضاً، غشاوة فعتمت الرؤية.

ومنذ أن أودع أمله الأخير في الرئيس الجديد، عله يجلب إليه تكذيباً ما لهذه العزلة التي تكاد تكون حقيقة دامغة ونهائية، انصرف إليه بكل جوارحه، كما لو كان مصباحاً كاشفاً صوب إليه أشعته كلها، وغمره بالضوء كي يتسنى له أن يتفحصه، ويلتقط على وجهه أي لفتة أو بادرة تدل على أنه رجل دافىء القلب، لا ينظر إلى الآخرين على أنهم مجرد أصفار، أو أرقام، أو قطع شطرنج، أو مجرد معابر في سفر العزلة.

وبظهور الرئيس الجديد ظهوراً غير متوقع على خشبة المسرح، أعطى نفسه مهلة أخرى لاصدار قراره الحاسم، النهائي، الذي لا رجعة فيه، القرار الذي يقضي **«بأننا جميعاً غارقون في العزلة»**.

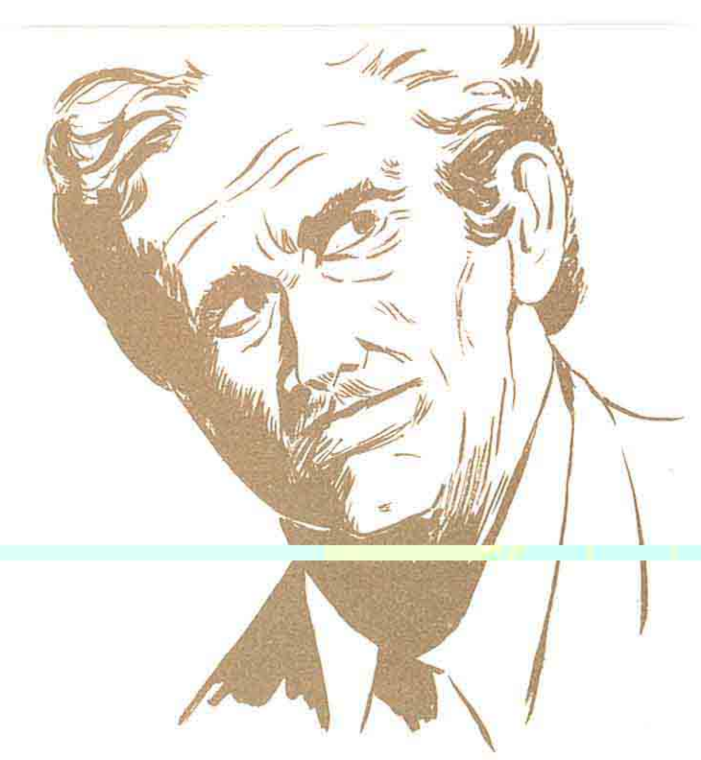
أصبحت لديه ورقة جديدة يلعب بها، ورقة أخيرة، الآن وقد جاء إنسان مجهول، يجلس أمامه، في الركن الآخر من القاعة الكبيرة، على يسار الباب. كانت أمامه فسحة صغيرة من الزمن يسبر فيها أغوار الرئيس الجديد، ويجري عليه اختباراته وتبعاً لما تسفر عنه، سيتخذ قراره.

يحدث كثيراً، أن ترتسم على وجه إنسان - قد لا نعرفه بل وقد لا يعرف هو أنه محط أنظارنا - ترتسم بادرة يتحدد على هديها مصير قيمة من القيم. فقد نخلص من حكمنا على تصرف من التصرفات أنه **«ما عاد في هذه الدنيا للخير وجود»**، أو إلى أنه **«لا زال هناك من يستجيبون لصوت الضمير»**.

الرئيس الجديد جم الأدب مع الجميع، ولكنه دقيق أيضاً في معاملاته. يتابعه سراً من ركنه. يتفحصه من بين ما على مكتبه من دفاتر مراسلات وسجلات. تارة يشعر به إنساناً دافىء القلب، ودوداً، ينفي فكرة عزلة الإنسان، وتارة أخرى يشعر به على العكس من ذلك تماماً. تحيره صرامته والتزامه لحدود تباعد بينه وبين الآخرين يتمسك بها ويحافظ عليها، كل هذا يحيره ويرديه في أفكار مظلمة، جد مظلمة. فيوشك على أن يترك نفسه تغوص عميقاً، وإلى الأبد، في مستنقع العزلة.

١٣ ديسمبر (كانون الأول)، الجمعة مساء. في المكتب.

الساعة السادسة وعشر دقائق.. قيد في دفتر الصادر مكاتبة عاجلة ثم جاء الآن



دور **«المكاتبات المطلوب الرد عليها»** . رئيس القسم هناك ، في الركن الآخر ، يراه يكتب ، ثم يتحدث في التليفون . يشعل سيجارة ، ويعاود الكتابة . ثلاثة أسابيع كاملة منذ أن تولى الرئيس الجديد مهامه ، ولم يتغير الحال . كلا ، ليس ثمة شيء واضح يعيبه ، ولكنه بدوره منطو على نفسه ، وتحية الصباح التي يلقيها في الصباح وهو يدخل المكتب ، وتحية المساء التي ينطق بها منصرفاً في المساء ، كلمات تبدو وكأنها ملصقة على شفتيه بورق من شريط لاصق . ينطق بها كي يؤدي بها فحسب ديناً تقليدياً ، ويمارس عادة مألوفة ، ولا شيء أكثر من ذلك . شفتاه تحت الشريط اللاصق جافتان على الدوام ، وقلبه مثلهما . **ما الذي يبقى من التجربة الجديدة؟ ما خاتمة المطاف؟ عزلة؟ عزلة؟**

الساعة السادسة واثنتان وعشرون دقيقة . ربما كان الخطأ خطأه . أن منى نفسه بأمل ، أن سمح بهذه اللعبة ، بهذا الوهم ، ظن أن الرئيس الجديد سيكون . . كلا ، الرئيس الجديد لم يغير شيئاً على الاطلاق .

الساعة السادسة وسبع وعشرون دقيقة . قال له ساعي الرياسة الذي جاء إليه بآخر الأخبار ، قال له بصفة خاصة جداً ، إن الجو سوف يمطر . وقد شعر ، وهو يميل عليه ويهمس له بذلك في أذنه ، شعر بأنفاسه تدغدغه ، ودون وعي منه انفلتت منه صيحة صغيرة **«اخ !»** .

الساعة السادسة وخمس وثلاثون دقيقة . جاء ساعي الرياسة من جديد . ولكن هذه المرة كان مجيئه لأن رئيس القسم طلب قدحاً من القهوة .

الساعة السادسة وخمسون دقيقة . كتب على علبة سجائره **«نحن البشر ، معزولون الواحد منا عن الآخر ، نحن في عزلة تامة . كل منا عالم مقصي عن الآخرين ، مقفل على نفسه»** ثم قرأ ما كتب فوجده مضحكاً . ولم يكن بقادر أن يحدد ما الذي يجعل ما كتبه مضحكاً . ربما تأمل ما كتبه فوجده كذلك .

الساعة السابعة وعشرون دقيقة . يستعد سائر المستخدمين للانصراف . فغر زميله الجالس إلى يساره فماً ضخماً متأهباً للابتلاع - **ترى من سيبتلع ؟** - ثم في النهاية تثاءب فحسب .

الساعة السابعة وسبع وعشرون دقيقة . مضى المستخدمون الواحد في أثر الآخر نحو باب الخروج . يقولون للرئيس **«طابت ليلتك»** فيرد عليهم بدوره **«طابت ليلتكم»** كانت تحيات الانصراف هذه كلها جافة ، آلية ، مثل دوي طلقات .

الساعة السابعة واثنتان وثلاثون دقيقة . لم يبق سواهما : الرئيس مكب على أوراقه ، ماض في الكتابة . بعد قليل ، بعد دقيقتين ، سيمر أمام مكتب الرئيس ، ويقول له **«طابت ليلتك»** وسوف يرد عليه الرئيس قائلاً **«طابت ليلتك»** ، وسوف تكون مكرمة كبيرة لو رفع إليه عينيه ساعة التحية . أما أن يقول الرئيس **«طابت ليلتك»** ويشد على يده مصافحاً ، فهذا ترف لا يتسع له المقام في دنيانا ، التي تعاني اختناقاً مطبقاً بسبب ما نحن فيه من عزلة .

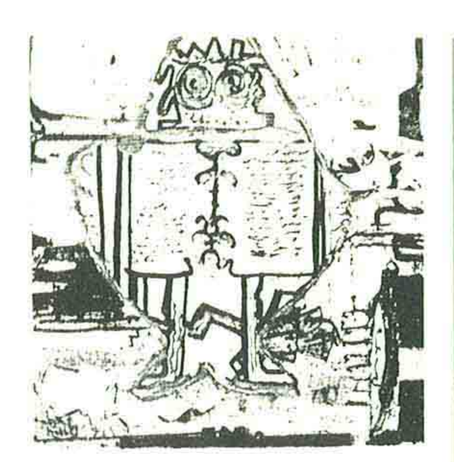
الساعة السابعة وثلاث وأربعون دقيقة . نهض تواً من مكتبه . تناول قبعته . يحملها في يسراه يمضي إلى باب الخروج . يتمهل أمام مكتب الرئيس الغارق بين أكوام من المحررات ، فلم يتنبه إليه . متر وقليل من السنتيمترات يفصل الواحد منهما عن الآخر . قال لنفسه **«يجب أن يعنى بشعره . بدا ينحل عند الفودين»** . [illegible] **ليلتك»** ولكن في الوهلة ذاتها ، ليس كالمعتاد هذه المرة ، مد إليه يده ، كما لو كان متأكداً أن الرئيس سيصافحه ، ويقول له **«طابت ليلتك»** وستكون اليدان اللتان تشد كل منها على الأخرى ، وتطبق عليها ، كما لو كانتا تصدقان على معاهدة وتعلنان شيئاً مؤكداً : **«كلا ، نحن البشر لا نعاني من العزلة ، لسنا غارقين في العزلة»** . ها هو الرئيس يرفع عينيه ، ويرى اليد التي تنتظر ، يمد يده - أخيراً ! - يرفع قدح القهوة الفارغ ويناوله اياه ، يضع القدح في اليد المتعطشة إلى الدفء الإنساني . قال له الرئيس **«طابت ليلتك ، وأشكرك على حسن خدمتك»** ثم أردف يقول **«حقاً ، كان القدح معوقاً لي»** .

أخذ القدح ، وذهب ليضعه على مكتب آخر ، بدلا من اليد الدافئة أعطي قدحاً بارداً . رأى رواسب البن أسود متجمداً في قاع القدح مثل دم أسود متجمد .

وقف عند النافذة المفتوحة ، تحتها بحر من الأضواء . أسند يده اليسرى إلى النافذة . وضع يده اليمنى على إطارها الخارجي . علقت بيده قطرة مطر ، قطرة صغيرة هشة . ومن وقت لآخر راحت قطرات المطر تتقاذف عليه .

سمع الرئيس بجواره إلى يساره يقول : **«أمطرت السماء ! لم أكن أتوقع ذلك»** . لم يره وهو ينهض ويذهب ليرى المطر . استطرد الرئيس يقول : **«المطر يتزايد . سرعان ما سينهمر بشدة . يجب أن أنصرف حالا . طابت ليلتك»** ، ولحظة أن قال له الرئيس **«طابت ليلتك»** ربت على يده المستندة إلى إطار النافذة الخارجي . تشبث بيد الرئيس ها هو قد كان مخطئاً ، ومض بداخله ضوء . وقال **«كلا ، لسنا في عزلة نحن البشر»** اختلطت قطرات المطر على وجهه بدموعه . كان اليأس على وشك أن يطمرني . فجددت فيَّ الأمل ، ومنحتني السعادة التي كنت انتظرها منذ وقت طويل . **«كلا ، ليست العزلة مكتوبة علينا . لسنا محكوم علينا بالعزلة . عندما يقول أحدنا للآخر «طاب نهارك» ، أو عندما يقول «طابت ليلتك» لا تكون هذه مجرد كلمات تلفظها الشفاه ، بل هي من القلب تنبع ! الآن ، وقد مددت إليَّ يدك لتقول لي «طابت ليلتك» منحتني اليقين الذي كنت أبحث عنه ، لسنا معزولين بعضنا عن البعض . كلا ! عندما ربتت يداك على يدي ابتهج قلبي . فإذ يشد أحدنا على يد الآخر محيياً فليس ذلك مجرد ضغطة من يد على يد ، بل هي ايقاظ في الأعماق للفرحة !»** .

تغيرت كثافة المطر الآن . اكتست الأضواء تحت بالمدينة ظلالا جديدة . لا يأتي الرئيس أدنى حركة للانصراف . يبقى هناك ، أمام النافذة المفتوحة ، أمام نافذة انفتحت بقوة ، فأبانت له هو أيضاً عن أمر لم يفكر فيه قط ، عن أمر لم يدر بخلده على الاطلاق . ها هو الآن لا يستطيع . ولكنه أيضاً لا يريد ، أن يسحب يده التي أسندها إلى يد أخرى . يد الرئيس التي كان قد مدها ليضعها على إطار النافذة فأسندها إلى يد أخرى ، أي بالمصادفة البحتة ، أي على سبيل الخطأ .




★ محمد فريد أبو حديد ★



محمد فريد أبو حديد

كاتب الرّواية

● تأليف: د. منصور الحازمي ● عرض وتعليق: عبد العليم القباني

★ لم تلق أعمال الكاتب «محمد فريد أبو حديد» - على الرغم من أصالتها - ما تستحقه فعلاً من الدراسة الجادة. وإذا كان قد جرى كثير من الحديث عنه وعن مؤلفاته في المجلات الأدبية أو في ثنايا بعض الكتب وموجزها. فقد اختفى هذا الحديث تماماً بعد وفاته.

ولا ينسحب هذا القول على البلاد العربية الشقيقة فحسب. وهو الذي عبر بأدبه عن كثير من أحداثها. وإنما ينسحب أيضاً على «مصر» التي أنجبته. وقد أضاف إلى ثروتها الفكرية عدداً ضخماً من المؤلفات التي لا يماري أحد في سموقها العلمي والأدبي ★

ولهذا أكبرت عمل الدكتور «**منصور الحازمي**» في تأليفه هذا الكتاب «**محمد فريد أبو حديد - كاتب الرواية**» الذي سدَّ ثغرة عميقة كانت واضحة في جدار الوفاء الثقافي، ولقد أثبت الدكتور الحازمي - **بهذا العمل** - أن العروبة لا تعرف التفرقة بين أقاليمها وبين أبناء هذه الأقاليم، وأن أي فرد من بنيها يمكن أن يقوم بما يجب على الفرد الآخر أن يقوم به.

أقول ذلك لأني ظننت - **وبعض الظن إثم** - أن بعض الدوافع التي حدت بالدكتور الحازمي إلى تأليف هذا الكتاب يرجع إلى أن «**فريد أبو حديد**» ينتمي إلى أصل حجازي، وكان «**أبو حديد**» قد تحدث بذلك إلى الدكتور «**الحازمي**» في مقابلة خاصة سنة ١٩٦٤م[١]، ولعل هذا الحديث هو الذي جعل الدكتور «**الحازمي**» يرى أن إنتماء أبي حديد إلى الحجاز هو أحد الحوافز التي جعلته يختار أن يكون بطل أولى رواياته «**ابنة المملوك**» حجازياً يهاجر إلى مصر في زمن «**محمد علي**» وهو نفس الزمن الذي هاجر فيه جد فريد أبي حديد إلى وادي النيل وأنه توجد في هذه الرواية مشابه من قصة جده[١].

على أني أشهد أن تأليف هذا الكتاب - الذي لم أطلع عليه إلا أخيراً[٢] - أرضى نزعة في نفسي، كانت تطالبني بالوفاء للرجل الذي قدمني إلى الناس سنة ١٩٤٨م، عند حصولي على جائزة الشعر الأولى في مسابقة عامة أقامتها وزارة المعارف المصرية، وكان «**فريد أبو حديد**» هو المشرف عليها بوصفه مديراً عاماً للثقافة.

وكان أن حفزني هذا الكتاب إلى كتابة مقال مطول بعنوان «**كيف تعرفت على محمد فريد أبي حديد**» بينت فيه، كيف بدأت هذه المعرفة، وكيف أثمر غرسها، وامتد عطاؤها من سنة ١٩٤٨م، إلى أن انتقل إلى رحمة الله سنة ١٩٦٧م، وكيف أخرجني أسلوبه التربوي السليم من العزلة التي أحطت نفسي بها، إلى مواجهة الناس في مجالاتهم الأدبية المختلفة.



★ الدكتور منصور إبراهيم الحازمي ★

وقد نشر هذا المقال في مجلة «**الكتاب**» التي يصدرها اتحاد المؤلفين والكُتَّاب العراقيين بعدد أغسطس (آب) سنة ١٩٧٥م، ثم بدا لي أن أكتب كلمات موجزة عن هذا الكتاب القيم أستعرض فيها بعض جوانبه، وأتعرض إلى بعض ما تعرض له مؤلفه الفاضل معلقاً بما أراه واجباً من إشارة حول بعض النقاط. ثم **لأقوم بالشكر الخالص لأستاذنا الدكتور «الحازمي» على ما قام به من جهد يذكر فيحمد طيلة صفحات هذا الكتاب.**

* * *

نعود بعد هذا التمهيد، فنقول إن الدكتور «**الحازمي**» بدأ كتابه بلمحات عن «أبي الحديد» فبين أن والده كان موظفاً صغيراً متنقلاً في الريف المصري، وأن والدته هي حفيدة الإمام الأكبر الشيخ **سليم البشري** (٣).

ثم تتبع مراحل دراسته، وأهمها تخرجه في **المعلمين العليا** سنة ١٩١٤م، وحصوله على **ليسانس الحقوق** سنة ١٩٢٤م، بعد دراسة مسائية، وبيّن كذلك الوظائف التي تقلدها، وكان آخرها وكالة وزارة المعارف، ثم تعيينه مستشاراً للوزارة في مصر ثم في ليبيا التي أسهم في إنشاء جامعتها بعد إحالته إلى المعاش سنة ١٩٥٣م، وأشار المؤلف بعد ذلك إلى أعمال «**أبي حديد**» غير الروائية كتأليفه لسيرتي «**صلاح الدين الأيوبي**» و«**السيد عمر مكرم**» وترجمته لكتاب «**فتح العرب لمصر**» من تأليف الكاتب الإنجليزي «**ألفرد بطلر**»، وهو كتاب منصف يقول عنه الأستاذ **أحمد أمين**: «**إنه لولا ما وضع على الغلاف من أن الكتاب ترجمة ما شك القارىء من أنه عربي الأصل. عربي الأسلوب. عربي التفكير..**» وقد نفى مؤلفه في كتابه هذا تهمة احراق العرب لمكتبة الإسكندرية.

وتحدث **الدكتور «الحازمي»** بعد ذلك عن قيام «**أبي حديد**» بتأليف بعض كتب الأطفال كـ «**عمرون شاه**» و«**كريم الدين**» وترجمته لبعض كتب أخرى لهم كـ «**دون كيشوت**» **لسرفانس** وغيره، وقد كان «**أبو حديد**» يؤمن بما للأطفال من دين في أعناق الذين يستطيعون الكتابة لهم.

ثم تحدث الدكتور الحازمي عن استعمال «**أبي حديد**» للشعر المرسل في مسرحياته «**مقتل سيدنا عثمان**» و«**خسرو وشيرين**» و«**ميسون الغجرية**» و«**سهراب ورستم**»، التي كانت في أصلها ملحمة شعرية للشاعر الإنجليزي «**ماثيو ارنولد**»، وتكلم في ايجاز عن المسرحية النثرية عند «**أبي حديد**» فذكر اسم مسرحية «**عبدة الشيطان**»، وقد ذكر أن بها شعراً مرسلاً ولم يذكر لنا شيئاً فيه عن مضمونها.

وأحب أن أقف قليلاً أمام هذه المسرحية لأقول إن أستاذنا **الدكتور «الحازمي»** جعل عنوانها «**عبدة الشيطان**» والواقع أن العنوان هو «**عبد الشيطان**» وليس عبدته، ولم يكن ذلك عن خطأ مطبعي، فقد ورد العنوان على هذا الشكل ثلاث مرات ص ٩ و٥٧ و١٢٧.

وقد يدفعني هذا إلى الظن بأن أستاذنا الدكتور الحازمي لم يقرأ هذه المسرحية وإنما نقل اسمها عن كتاب «**عشرة أدباء يتحدثون**» للأستاذ «**فؤاد دوارة**» (٤) الذي أعتقد أن الاسم ورد فيه خطأ عن إما عن طريق الطباعة، وإما عن طريق الاستماع إذا كان الأستاذ «**دوارة**» هنا سمعها، كما أني لم أقرأ بهذه المسرحية شعراً، أما مضمونها فكان نقداً شبه صريح لبعض انحرافات الحكم في الأربعينات من هذا القرن وهناك وجه شبه ضئيل في الفكرة والبناء بينها وبين «**صورة دوريان جراي**» للكاتب **أوسكار وايلد**.

* * *

نعود بعد ذلك إلى الموضوع الأساسي للكتاب وهو «**محمد فريد أبو حديد - كاتب الرواية**»، فنقول إن الدكتور «الحازمي» أعطاه الكثير من جهده باعتباره أغنى جوانب «**فريد أبي حديد**» الأدبية فكان أن قسم إنتاجه الروائي إلى ثلاث مراحل:

● **المرحلة الأولى** وتشمل سنوات ما بين الحربين العالميتين واتكأ على روايته «**ابنة المملوك**» باعتبارها العمل البارز له فيها.

ولي هنا وقفة هامشية، فقد ذكر الدكتور «الحازمي» أن هذه الرواية صدرت في جزءين عن مطبعة الاعتماد **سنة ١٩٢٦م، وأن صاحبها لم يعد طباعتها (ص ٥٣)**، ولهذا لفت نظري وجود نسخة منها تحت يدي في جزء واحد تبلغ صفحاته ٤٣٥ صفحة من القطع دون المتوسط، كما يروي لنا الأستاذ **فؤاد دوارة** عن الأستاذ **فريد أبي حديد** أنه ألف هذه الرواية سنة ١٩١٨م، **ونشرها سنة ١٩٢٤م**. (٥) وعلى كل حال، قد يكون للنسيان دور في هذا التناقض.

وكذلك يرى المؤلف أن هناك مشابهاً بين هذه الرواية وروايتي **استبداد المماليك والمملوك الشارد** وكلاهما **لجرجي زيدان**، ولكني أرى أن هذه الرواية أقرب شبهاً وجواً برواية «**المملوك المفقود**» تأليف الكاتب الانجليزي «**دافيد بدو**»، وهي أحد المراجع المهمة لكتاب «**فتح مصر الحديث**» تأليف «**أحمد حافظ عوض**»، ولها ترجمتان إلى اللغة العربية إحداهما **لأحمد فهمي أبي الخير**، والثانية **لعباس حافظ**.

* * *

● **وأما المرحلة الثانية**، فتشمل أعماله الروائية من سنة ١٩٣٩م، إلى سنة ١٩٥٢م، وهي «**الملك الضليل**» و«**زنوبيا ملكة تدمر**» سنة ١٩٤١م، و«**المهلهل سيد بني ربيعة**» ١٩٤٤م، و«**جحا في جانبولاد**» ١٩٤٤م، و«**عنترة أبو الفوارس**» ١٩٤٧م، و«**آلام جحا**» ١٩٤٨م، و«**الوعاء المرمري**» ١٩٥١م، ويحلل الدكتور «الحازمي» شخصيات أبطال «**أبي حديد**» في هذه الروايات، ويخرج من هذا التحليل بأن أبطال «**أبي حديد**» بعيدون عن سمات أبطال الملاحم العربية الشعبية، حتى التي استمد منها موضوع رواياته، فإن النصر الذي كان حليفاً مقدراً دائماً لأبطال الملاحم القديمة، تخلى عن مركزه في روايات «**أبي حديد**»، ويقول المؤلف في هذا الصدد: «**إذا نحن التفتنا إلى أبطال أبي حديد عنترة وسيف بن ذي يزن، والمهلهل ألفيناهم يختلفون كل الاختلاف، إنهم يقفون وحدهم يناضلون ويجاهدون ويحاولون أن يشقوا طريقهم بأيديهم في غابة شائكة تملؤها الصعاب والعقبات، وهم غالباً ما ينهزمون، لأنهم يتمادون في تقدير طاقاتهم البشرية، فإذا الأقدار تسخر منهم، وتناوئهم، وتقف لهم في كل درب يسلكونه بالمرصاد...**» ص (٧٦).

ثم يقارن المؤلف بين أبطال «**أبي حديد**» وأبطال «**إبراهيم رمزي**» في «**باب القمر**» و«**علي أحمد باكثير**» في «**وا إسلاماه**» و«**محمد سعيد العريان**» في «**على باب زويلة**». ويخرج من هذه المقارنة بأن «أبا حديد» لا يعمد مثلهم «**إلى تكثيف الخصائص الممتازة للأمة في أبطاله، بل إلى إبراز إنسانيتهم وضعفهم وصراعهم مع الحياة، وأن هدفه أقرب إلى أهداف كاتب المأساة، وليس مثلهم إلى كاتب الملحمة..**» ص ٧٦ و٧٧.

وقد تابع الدكتور الحازمي تحليله لأبطال روايات أبي حديد، فوجد أن أبا حديد رد أسباب هزائم أبطاله إلى عيوب كامنة في شخصياتهم، فالصلف وضعف الإرادة، والتهور، والاندفاع وراء الحصول على المتعة كل هؤلاء من النقائص في شخصية «**امرىء القيس**» وهي التي حالت بين «**الملك الضليل**» وبين النظرة الصحيحة، وهي التي أدت في النهاية إلى تحطيمه، وكبرياء «**كليب**» في رواية «**المهلهل**» تدفع به إلى إثارة

غضب «**جساس**» وقبيلته من جوره وعسفه وصلفه، وكذلك نجد في «**زنوبيا**» أن كبرياء «**اذينة**» ومزاجه الحاد يدفعان به إلى إهانة ابن أخيه .. ص ٧٨ وينتهي الدكتور الحازمي [illegible] .

«إن حجر في رواية الملك الضليل وأذينة في رواية زنوبيا، وكليب في رواية المهلهل إنما تحطمهم أعمالهم، ويقعون فريسة لبغيهم وظلمهم» ص ٧٨ .

* * *

● **أما المرحلة الثالثة** فتشمل روايتيه «**أنا الشعب**» **١٩٥٤م**، و«**أزهار الشوك**» **١٩٥٥م**، ويمكن أن نضم إليها مجموعته القصصية «**مع الزمان**»، وتبدأ هذه المرحلة من سنة ١٩٥٢م، وتنتهي بوفاته . ولم يكن هذا التقسيم من الدكتور المؤلف عشوائياً، فقد رده إلى الواقع التاريخي الذي عاشه العالم العربي خلال هذه المراحل، وقد بين فيها أن الفترة الأولى أوحت إلى «**أبي الحديد**» بالبحث عن الحقيقة في الماضي، وقد كان أبو حديد يرى : **«أنه ما من خلجة من خلجات نفوسنا إلا وفيها عرق متصل بمنابع الإنسانية الأولى ..»** ص ٣٣[٦] .

أما الفترة الثانية فقد أوحت إليه أن يبحث عن الحقيقة في القصص الشعبي، ففيه الكثير من تجارب الشعوب، ويمكنه تحت ردائه أن يقول ما يشاء نقداً وتوجيهاً .

هذا بينما طغى الواقع المعاصر على تفكيره، في الفترة الثالثة .

وهذه الفترات الثلاث - فيما أحسب أن المؤلف يراها مترابطة متداخلة لا انفصال بينها، وإن كان كل منها له دوره في التكوين الفني والأدبي «لمحمد فريد أبي حديد» .

* * *

وقد عمد **الأستاذ الدكتور** «**الحازمي**» إلى هذه الروايات التي أجملناها ففصل بعضها ورد مضمون عدد منها إلى بعض المؤثرات الخارجية التي أثرت في إنتاج «**أبي حديد**» والتي منها اهتمام «أبي حديد» بالروائي الإنجليزي «**ولتر سكوت**» وتأثره بطريقته في الكتابة، كما قارن المؤلف بين «**أبي حديد**» وقصاصي عصره من ناحية المنهج والأداء، وبين كيف استطاع «**أبو حديد**» أن يتخلص من الأساليب الروائية السابقة عليه، حيث كان «**جرجي زيدان**» - على سبيل المثال - يهتم بالأنباء والحوادث التاريخية والوصف التفصيلي للوقائع، أو بعبارة أخرى كان طغيان التاريخ تاماً على أعماله الروائية، وقد حاول «**فرح أنطون**» أن يخرج الرواية من قيد المنهج التاريخي، فاتبع المنهج التحليلي ولكنه - في النهاية - وقع في قيد التفكير الفلسفي مما أبعده - إلى حد كبير - عن الفن الروائي، وأصبحت رواياته مقالات لها طابع قصصي .

ثم أرجع المؤلف - بعد مقدمة موضحة - تخلص فريد أبي حديد النسبي من الوقوع في طرائق الذين كانوا قبله .. إلا أن أبا حديد كان قصاصاً بالسليقة .

ولقد لخص المؤلف الفاضل عدداً من روايات «**أبي حديد**» تلخيصاً يتراوح بين الضيق والسعة، ولا يتسع المقام هنا - بطبيعة الحال - لتلخيص هذا التلخيص - ثم ناقش آراء بعض النقاد في نقدهم لبعض هذه الروايات وبخاصة آراء الدكاترة «**محمود شوكت**»، و«**عز الدين إسماعيل**»، و«**عبد القادر القط**»، وفي نقدهم لرواية «**أنا الشعب**» بالذات .. وحاول المؤلف في رده عليهم أن يربط بين **أنا الشعب ١٩٥٤م**، **وابنة المملوك ١٩٢٦م**، وبين كيف كانت ثورة ١٩٥٢م، مؤثراً فعالا في الأولى وثورة سنة ١٩١٩م، مؤثراً فعالا في الثانية وقال : «إن الضجيج والهتاف والتأثر بالشعارات كل هذا ترك أثره في «أنا الشعب»، حتى بدا بطلها أشبه بدون كيشوت، حيث يضرب بسيفه الخشبي في كل اتجاه ... بينما رأينا أبا حديد في ابنة المملوك لا يعنى كثيراً بالنقد الاجتماعي أو إبراز الصراع الطبقي، ذلك لأن ما حدث في مصر عام ١٩١٩م، لم يكن سوى عمل وطني، يهدف في المقام الأول إلى إخراج الإنجليز من مصر ..» ص ٩٥ .

وهذه النتيجة التي استخلصها **الدكتور** «**الحازمي**» من تحليله لرواية «**ابنة المملوك**» إنما كانت من اجتهاد الدكتور الحازمي وحده، إذ إن الأستاذ أبا حديد قال إنه ألف هذه الرواية سنة ١٩١٨م، أي قبل اشتعال ثورة سنة ١٩١٩م، كما أوضحنا من قبل وعللنا هذا التناقض بأنه ربما كان من قبيل النسيان ونضيف هنا أنه ربما كان هذا النسيان من قبل الأستاذ أبي حديد نفسه .

* * *

ولم ينس **الأستاذ الدكتور** «**الحازمي**» أن يشير إلى سحابة الحزن التي تغشت أكثر روايات «**أبي حديد**» وردها إلى الصراع الداخلي الذي كان يموج بنفسه، وقد اتخذ من إحدى عبارات أبي حديد مفتاحاً لأحد فصول الكتاب ص (٥١)، فكان موفقاً في عرض نفسيته من خلال هذه العبارة التي يقول فيها على لسان «**زنوبيا**» ملكة تدمر عندما قوض عرشها واعتزلت الدنيا وأخلدت إلى الراحة والسكون ووقفت تتأمل النجوم من شرفة قصرها المطل على المياه الفضية لنهر التيبر ص ٨١ :

«... ماذا تقول النجوم لو كانت تستطيع أن تتكلم إذا نظرت إلى الإنسان ؟!

المجد، الذل، الفقر، الغنى، السكون، الزهد، الطمع، اللذة، الألم !!

ما معنى كل ذلك في عين الأبدية الساكنة ؟

اضطرب أيها الإنسان في حياتك الصغيرة، كما يضطرب النمل الصغير. ولا تتطلع إلى أعلى .. لئلا يلحقك اليأس ..»[٧] .

* * *

وقبل أن يختم **الدكتور** «**الحازمي**» كتابه القيم أراد أن يشير إلى عمق **الناحية الإيمانية** في شخصية «**محمد فريد أبي حديد**» فانتقى فقرات من مقالة لأبي حديد كان قد نشرها بمجلة «**الثقافة**» المصرية سنة ١٩٦٤م، بعنوان «**هل ترتقي الحياة على هدي عقولنا ؟**» .

ونحن بدورنا ننتقي من هذه الفقرات قوله :

«إن الإيمان هو الذي كان دائماً المحرك الذي يجعل العقل الإنساني يقوم بعمله في تحقيق الخير للإنسان» ص ١٠٨ .

ويحمل أبو حديد على أولئك الذين يدعون إلى التجرد من الإيمان بالله فيقول - في نفس المقال - : **«إنهم إنما يحاولون بدعاياتهم الخبيثة أن يصير الناس أشقياء في الحياة، لا يجدون ما تتعلق به نفوسهم من الأعمال المتجهة نحو تحقيق ما يؤمنون به . وهم يحاولون كذلك أن يحولوا الحياة نفسها إلى جدب أشد من جدب الصحراء الصخرية التي لا تنبت شيئاً، ولا تنطوي في باطنها على معدن من معادن الخير ..»** ص ١٠٨ .

هذا وقد اختتم **الأستاذ الدكتور** المؤلف كتابه بفهارس أربعة هي :

(١) فهرس روايات أبي حديد . (٢) فهرس للكتب والمجلات . (٣) فهرس للأعلام . (٤) فهرس للمحتويات .

الهوامش

(١) ص ٧ من الكتاب موضوع البحث .

(٢) أطلعني عليه الأستاذ عبد الفتاح قدري زوج الأستاذة الدكتورة «**ليلى فريد أبو حديد**» .

(٣) كان من أكبر المحدثين في العالم الإسلامي وتولى منصب الإفتاء في مصر وهو والد الأديب الشيخ عبد العزيز البشري ورثاه حافظ إبراهيم شاعر النيل بقصيدة طويلة مطلعها :

أيدري المسلمون بمن أصيبوا ... وقد واروا سليماً في التراب ؟

(٤) ص ١٣١ .

(٥) نال فريد أبو حديد جائزة الدولة في الإبداع الفني سنة ١٩٥١م، عن هذه الرواية ؟

(٦) في الأصل من مجموعة مع الزمان لفريد أبي حديد .

(٧) ص ٢٩١ من روايته زنوبيا .





اختزال :

طريقة للكتابة بالسرعة التي نتكلم بها ، وتوجد طرق كثيرة للاختزال ، وتستغرق كتابة الكلمة المختزلة جزءاً من الثانية في حين أن كتابتها بالطريقة العادية تستغرق نحو ثانيتين .



برجوازية :

كلمة من أصل **فرنسي** كان يقصد بها طائفة **العاملين في المدينة** ، الذين كانوا يمثلون اجتماعياً طبقة وسطى بين الجماهير المعدمة وطبقة **الأشراف** ، وهي الطبقة التي تضم **التجار** وأصحاب **المصانع** والعاملين في **المهن الحرة** كالأطباء والمحامين والموظفين الحكوميين ، وهم الذين يتميزون بثقافاتهم وخبراتهم الخاصة وأسلوب مشترك في حياتهم الاجتماعية .



تخثر تاجي :

هو توقف جريان الدم في شريان يغزو عضلة القلب ، وينجم **التخثر التاجي** غالباً عن **جلطة دموية** تتكون في شريان فوق بقعة من بطانته قد أتلفتها الرواسب الشحمية ، والحالة المترتبة على ذلك تسمى **بالنوبة القلبية** ، وهي تصطحب في شكلها الشديد بألم حاد وغثيان وقيء وقصر في النفس وهبوط وهذه الحالة تستلزم بصفة عاجلة عناية طبية فورية .



ثابت بن قيس الأنصاري :

هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الخزرجي الأنصاري ، **خطيب** الأنصار الشهير ، شهد **معركة أحد** مع رسول الله ﷺ ، وما بعدها من المشاهد الحربية حتى استشهد في **معركة اليمامة** . وهو الذي قال للرسول الكريم أول مقدمه إلى المدينة : نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فمالنا؟ فقال الرسول (**الجنة**) .



جاذبية :

الجاذبية هي القوة التي تجعل الأجسام تتحرك نحو بعضها البعض ، وسقوط الأجسام دائماً نحو **الأرض** هو التجربة العملية لهذه الظاهرة ؛ ذلك لأن **جاذبية الأرض** وهي جسم كبير تجعل الأجسام الصغيرة تتحرك نحوها بسرعة كبيرة . وجاذبية الأرض هي التي تحول بين القمر وبين الانطلاق في الفضاء ، كما أن **جاذبية الشمس** هي التي تجعل الأرض والكواكب الأخرى لا تترك مدارها .



حقنة :

الحقنة ادخال مادة سائلة إلى الجسم بوساطة محقنة أو جهاز متصل بإبرة جوفاء ، وتعطى جميع المواد المحصنة للجسم بالحقن ، كما أن الحقن هي الوسيلة الوحيدة **للعلاج والتغذية** في حالة الغيبوبة ، ويفضل الحقن على تناول الدواء بالفم ، إذا فقد هذا الدواء فعاليته بتأثير العصارات الهضمية أو خرج من الجسم دون أداء الغرض منه . وتستعمل الحقن أيضاً للاسراع في أثر الدواء أو لتخفيف هياجيته إذا أدخل الجسم بطريق آخر .



خوذة :

هي غطاء لحماية الرأس ، وقد ظل الجنود يستعملون الخوذات أثناء القتال في المعارك إلى أن بطل استعمال **السيوف** في القتال فاستغني عنها لسنوات عديدة . فلما قامت **الحرب العالمية الأولى** ، كان الجنود يقاتلون في خنادق وبذلك كانت الرأس هي أكثر أجزاء الجسم تعرضاً لنيران العدو ، لذلك رؤي صنع خوذات مسطحة من صلب رقيق لكنه شديد الصلابة لوقاية الجنود من الاصابات ، وهذه الخوذات لا زال يلبسها الجنود في ميدان القتال .



دحية الكلبي :

هو دحية بن خليفة الكلبي صحابي مشهور ، كانت أول مشاهده مع رسول الله ﷺ **غزوة الخندق** ، وكان جميل الصورة يضرب بوسامته المثل ، كما كان من أهل الرأي والشجاعة شهد **معركة اليرموك** ، وكان قائد إحدى الكتائب فيها ، عاش حتى خلافة **معاوية** .



ذات النطاقين :

هي **أسماء بنت أبي بكر الصديق** ، ولدت سنة ٢٧ قبل الهجرة وهي أكبر من أختها **عائشة أم المؤمنين بعشر سنين . لقبت بذات النطاقين** لأنها أخذت نطاقها فشقته شطرين ليلة خروج **النبي** ﷺ وأبي بكر إلى الغار ، فجعلت واحداً لسفرة الرسول والآخر عصاماً لقربته .

أسلمت بمكة المكرمة بعد إسلام سبعة عشر إنساناً وبايعت النبي ﷺ وآمنت به ايماناً قوياً ، عرفت برجاحة عقلها وعزة نفسها وقوة ارادتها ومضاء عزيمتها وشجاعتها ، **توفيت** سنة ٧٣ هجرية بخلافة **عبد الملك بن مروان** ، عن مائة سنة .



الرايخ الثالث :

اسم يطلق على ألمانيا إبان الحكم **النازي** (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥م) بزعامة **ادولف هتلر** . والرايخ **كلمة ألمانية** بمعنى **إمبراطورية** ، والمقصود بذلك أن هذه الفترة من تاريخ ألمانيا تمثل **العصر الذهبي الثالث** على أساس تقسيم التاريخ الألماني إلى ثلاثة عهود كبرى الأول عصر **الامبراطورية الرومانية** ، والثاني الفترة بين ١٨٧١ ـ ١٩١٨م ، والثالث العهد الذي قام بعد الحرب العالمية الأولى .



زنك :

عنصر معدني شائع يعرف في كتب الكيمياء العربية بالخارصين ، لونه **أبيض** ضارب إلى **الزرقة** ، يصدأ عند تعرضه للهواء الرطب ويصبح لونه **رماديا** وهو **قابل للسحب والطرق** ويصبح **هشا** في درجات الحرارة العالية ، ينصهر في درجة ٤١٩° . يوجد في الطبيعة على هيئة **مركبات سليكات** أو كربونات الخارصين ، ويدخل في إنتاج كثير من أنواع السبائك .



سمفونية :

السمفونية هي موسيقى تؤلف لتعزفها آلات **الأوركسترا** لا لتعزف على **الكمان** أو **البيانو** وحدهما ، وتتكون السمفونية عادة من أربع حركات ، الحركة الأولى **سريعة** ، والحركة الثانية **وئيدة** ، والحركة الثالثة **مرحة** ، والحركة الرابعة التي تختم بها السمفونية **سريعة مشرقة** .



شفرة :

لغة اصطلاحية تستخدم في نقل الرسائل في نطاق من السرية وذلك لمنع تسرب محتوياتها إلى الغير ، ويوضع أساس هذه اللغة بالاتفاق بين المرسل والمرسل إليه ، وعلى هذا الأخير حل الرسالة إلى اللغة العادية لمعرفة مضمونها . وتستخدم هذه اللغات منذ أمد بعيد في ميادين عديدة منها السياسية والعسكرية والتجارية وبذلت جهود بارعة لتعجيز الغير عن حل طلاسمها .



صرع :

اضطراب في **الجهاز العصبي** أبرز أعراضه **النوبات التشنجية** ، ونوبة الصرع تترتب على اضطراب مؤقت في الدفعات العصبية المنبعثة من **الدماغ** وهي تسمى أحياناً **باختلال النظم الدماغي** أي اضطراب نسقه النظمي السوي ، وفيما عدا ذلك الاستهداف لمعاناة هذا الاضطراب المؤقت يغلب ألا يكون في الدماغ علة ما ، من حيث كل ما يتعلق بالذكاء والعواطف .



ضرائب :

رسوم اجبارية واجبة الاداء للخزانة على الأفراد أو الهيئات بتوافر شروط خاصة في تقريرها وتحصيلها . والضرائب من مصادر الدخل الرئيسية في الميزانية العامة للدولة وتعرف الضرائب باسماء مختلفة **كالرسوم والعوائد والدفعات** ، وجميعها تعني شيئاً واحداً هو مبلغ من المال تجبيه الدولة من الأفراد باشتراطات صدرت بشأنها قوانين ضريبية .



طورانية :

حركة تركية قومية تهدف إلى **تتريك الدولة العثمانية** بما في ذلك العناصر غير التركية ، اشتقت اسمها من **طوران** وهو الموطن الذي انتشرت فيه القبائل التركية بما في ذلك العثمانيون ، وقد برزت هذه الحركة بصفة جادة بعد نجاح **جمعية الاتحاد والترقي** ، وتولي المناصب الكبرى في الدولة بعد عام ١٩٠٩م ، فأسست الجمعيات والنوادي ووضعت البرامج لبث الدعوة الطورانية . وبعد **الحرب العالمية الأولى** وبعد أن تفككت الدولة العثمانية ، انحصرت أهداف هذه الحركة في توكيد الفكرة التركية بين الأتراك أنفسهم .



الظهائر (أزمة) :

هي الأزمة التي وقعت أولا بين **السلطان محمد الخامس** وبين **المقيم الفرنسي الجنرال جوان** عام ١٩٥١م ، ثم بينه وبين **الجنرال جيوم** عام ١٩٥٣م ، حين أنذر المقيم الفرنسي السلطان في ١٣ آب (أغسطس) بأن استمرار رفضه التوقيع على هذه المراسيم («الظهائر») التي ظلت سنوات عديدة دون اعتماد (والتي كانت تتضمن اعتداء على استقلال المغرب) قد تكون سبباً في عزله عن العرش ، وفي ٢٠ آب (أغسطس) حاصرت القوات الفرنسية قصر السلطان ثم حملته طائرة إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر . فعرفت هذه الأزمة **بأزمة الظهائر** .



العلمين :

موقع **صحراوي** يقوم إلى الغرب من مدينة **الاسكندرية** وعلى مسافة ٦٠ ميلاً منها ، ارتبط اسمه بالمعركة الفاصلة أثناء **الحرب العالمية الثانية في** شمالي إفريقيا ، وهي المعركة التي امتدت جبهتها من ساحل البحر عند العلمين إلى منخفض **القطارة** في الجنوب ، وتمثل خطاً يبلغ طوله ٣٥ ميلاً ، ووقفت على جانبيه **قوات الحلفاء** ممثلة بالجيش الثامن بقيادة **الجنرال مونتجمري والقوات الألمانية والايطالية** بقيادة **المارشال رومل** . ابتدأت المعركة في ٢٤ تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٤٢م ، وانتهت بالنصر للحلفاء في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢م .



غازات سامة :

عناصر أو مشتقات أو مركبات غازية تستخدم في الحرب ضد القوى البشرية المحاربة ، بما تسببه هذه الغازات عن طريق الاستنشاق أو التعرض للجلد باصابات وأضرار تعوق أو تشل المجهود الحربي . وتسبب مضاعفاتها عاهات مستديمة أو تنتهي بالموت .



فيزوف :

هو بركان يقع بالقرب من مدينة **نابولي في إيطاليا** ، وقد ثار ثورة عنيفة في سنة ٧٩ ميلادية بعد هدوء دام عدة قرون ، وكانت **بومبي** إحدى المدن الثلاث [illegible] في المدينة القديمة ، وفي عام ١٦٣١م ثار فيزوف مرة ثانية وتسبب في قتل ألوف من الناس ومنذ ذلك التاريخ والبركان لم يهدأ تماماً .



قنفذ :

حيوان **ثديي** صغير جسمه مغطى بالأشواك ، وإذا واجهه خطر كور نفسه فلا تظهر منه إلا أشواكه الحادة مسددة في كل اتجاه ، وبذلك يدافع عن نفسه ، وتخشى معظم الحيوانات الاقتراب منه ، ويتغذى القنفذ **بالفاكهة** وجذور **النبات والحشرات** مثل الصراصير والخنافس ، ومن عادته أن يتغذى جيداً قبل أن يبدأ نومه الذي يستغرق فصل الشتاء كله .



الكاشي :

هو غياث الدين بن مسعود بن محمد الكاشي ، ولد في أواخر القرن الثامن الهجري في مدينة **كاشان** ، وعاش معظم حياته في مدينة **سمرقند** . يعتبر الكاشي عملاق **الرياضيات** في القرن التاسع الهجري ، ولم يكن علمه مقصوراً على ذلك فحسب ، بل كان على علم تام **بالنحو والصرف** وحجة **في الفقه** على المذاهب الأربعة ، كما درس **المنطق** واستفاد من دراسته له بدراسة الرياضيات والتعمق فيها . **بنى في سمرقند مرصداً** امتاز بالدقة ، سماه (**مرصد سمرقند**) وابتكر **الكسور العشرية** لأول مرة ، حيث استعملها في كتابه (**مفتاح الحساب**) . توفي عام ٨٣٩هـ .



لوغاريتمات :

اللوغاريتمات هي أعداد خاصة استخرجت بعمليات حسابية من أعداد عادية وادرجت في جداول بجانب هذه الأعداد العادية ، وأهم استعمالاتها أنها تمدنا بطريقة سريعة لاجراء عمليات **ضرب أعداد كبيرة** جداً . وكذلك عمليات أخرى مختلفة ، **ولضرب عددين كبيرين** نستخرج لوغاريتمات هذين العددين من الجدول وما علينا إلا أن نجمع هذه اللوغاريتمات فنحصل على لوغاريتم جديد . . والعدد الموجود بجانب هذا اللوغاريتم في الجدول هو حاصل الضرب المطلوب .



مارية القبطية :

مارية بنت شمعون القبطية **أم إبراهيم** من سراري النبي ﷺ **مصرية** الأصل . أهداها المقوقس القبطي سنة ٧هـ إلى النبي فولدت له **إبراهيم** ، فقال : أعتقها ولدها . ولما توفي النبي تولى الانفاق عليها **أبو بكر الصديق** ثم **عمر بن الخطاب** رضي الله عنهما ، وماتت في خلافة عمر بالمدينة ودفنت بالبقيع .



نجران :

مدينة في أقصى جنوب المملكة العربية السعودية ، كانت مركزاً لحضارات قديمة ما زالت آثارها منقوشة على الصخور ، وهي **مدينة الأخدود** الذي ورد ذكرها في القرآن الكريم ﴿ **قتل أصحاب الأخدود** ﴾ حيث لا زالت الآثار باقية تدل على ذلك . وقد أصبحت مدينة نجران مدينة حديثة بحكم التطور السريع الذي تمر به مدن المملكة عموماً .



وزارة ائتلافية :

هي هيئة وزارية مؤلفة من أعضاء ينتمون إلى **أحزاب** مختلفة كما تضم غيرهم من المستقلين الذين لا ينتمون إلى حزب بذاته ، **والوزارة الائتلافية استثناء للقاعدة** ، إذ الأصل في أعضاء الوزارة التجانس من حيث السياسة العامة للحكومة ووسائل تحقيقها . تقوم الوزارات الائتلافية لدواعي مختلفة أبرزها عدم حصول حزب من الأحزاب السياسية على أغلبية تؤهله للاضطلاع منفرداً بمسؤولية الحكم ، ومنها **تأليف جبهة وطنية من عدة أحزاب لمواجهة حالة استثنائية** قد تعرض الوطن للخطر أو أنها تشكل للتكاتف على رسم سياسة قومية تخرج الوطن من أزمة نازلة كحالة **حرب** أو **كارثة** اقتصادية .



هانيبال :

قائد من قواد الجيش **القرطاجي** البارزين ، عاش بين عامي ٢٤٧ - ١٨٣ **قبل الميلاد** ، زحف بجيوشه لغزو **روما** من شمال إفريقيا ، واخترق **إسبانيا** ثم عبر **جبال البرانس** ونهر **الرون** ، ثم جبال **الألب** إلى أن وصل إلى روما ، وكان جيشه حين بدأ زحفه يتكون من ٩٠,٠٠٠ من الجنود **المشاة و ١٢,٠٠٠ من الفرسان** وأربعين **فيلا** ، وقد انتصر على الرومان في عدة مواقع رغم فقده أكثر من نصف جيشه أثناء زحفه .



يرقان :

هو اصفرار الجلد والعينين نتيجة ازدياد نسبة خضاب الصفراء في الدم ، وأول ما يظهر اليرقان بالعينين وقد يخفى على مخالطي المريض إذا ظهر تدريجياً بحيث تصعب عليهم ملاحظته . واليرقان عرض لعدد من **أمراض الكبد والمرارة والدم** ، كاحتباس الصفراء **بقناة الصفراء** التي تصل بين الكبد والامعاء فتتراكم الصفراء في الدم وتتسرب منه إلى البول فيصبح داكناً ، وتعالج هذه الحالة بازالة السدة جراحياً قبل أن تتلف الكبد .

مناقشات

و تعليقات

المسلمون في يوغسلافيا

ضمن البحث الذي نشره الأستاذ محمد إبراهيم في العدد (١٨) من مجلة (**الفيصل**) الموقرة تحت عنوان (**المسلمون داخل المجتمعات الأوروبية**)، كتبت أسرة **الفيصل** تعريفاً ببعض المسلمين في بعض البلدان الأوروبية ومنها تعريف **بالمسلمين في يوغسلافيا**، وحول المسلمين في يوغسلافيا أود أن أضيف بعض المعلومات إلى ما سجلته أسرة **الفيصل**.

كما هو معروف فقد **دخل الدين الإسلامي إلى بلاد البلقان في بداية القرن الخامس عشر على أثر الفتح العثماني**. والبعض وقف في وجهه على أساس أن الإيمان برسالة الإسلام، يعني بالضرورة التخلي عن الدين النصراني، وآخرون من شعوب البلقان استجابوا لدعوة الإسلام وأيدوها وانخرطوا تحت لواء العثمانيين على أساس أن الشعار الذي رفعوه لدولتهم هو **شعار الإسلام** وكان بين تلك الشعوب الشعب الألباني حتى تبوأ بعض الألبانيين مناصب رفيعة في الدولة العثمانية وعين البعض منهم ولاة حتى غدت العلاقات بين الألبانيين والعثمانيين علاقة تحالف غير مكتوب، وعندما ضعفت الدولة العثمانية للأسباب المعروفة في آخر أمرها استقلت (**ألبانيا**) عنها فنشأة بينها وبين جيرانها صراعات وحروب انتهت إلى سقوط إقليم (**كوسوفا**) بيد مملكة (**صربيا**) عام ١٩١٢ م، واقتطعت بعض الأقاليم الأخرى من ألبانيا حين سقطت بيد (**اليونان**) وحكومة (**الجبل الأسود**) المحازية **للبحر الأدرياتيكي**، وحين أنشئت **عصبة الأمم** اعترفت بالوضع الذي كان لألبانيا بعد التقسيم وبالتالي اعترفت بضم إقليم كوسوفا إلى يوغسلافيا التي تشكلت بعد الحرب العالمية الأولى. **وهكذا انفصل إقليم كوسوفا عن ألبانيا الأم**،

ولما تشكلت **هيئة الأمم المتحدة** بعد الحرب العالمية الثانية، اعترفت تلقائياً بما اعترفت به عصبة الأمم ليوغسلافيا، ولما اعتمد **النظام الفدرالي ليوغسلافيا** الحديثة أعطي إقليم كوسوفا استقلالا ذاتياً وسكان الإقليم في وقتنا الحالي هم قرابة (١٢٠٠,٠٠٠) نسمة جلهم من المسلمين والأكثرية منهم البانيين، ومن ذلك الإقليم نزحت عائلتي عام (١٩٣١ م) إلى دمشق هروباً من الظلم والإرهاب الذي مورس ضد المسلمين في ذلك الإقليم من قبل جنود الملك في ذلك الوقت. أما في مدينة (**سرايفو**) عاصمة جمهورية **البوسنة والهرسك**، فهناك مكتبة قديمة تحوي آلافاً من المخطوطات العربية في شتى العلوم وبعضها لا مثيل له في العالم. وفي نفس المدينة افتتحت في العام الماضي **كلية الدراسات الإسلامية** بدعم من الدول العربية والإسلامية.

محمود الأرناؤوط
دمشق ـ سورية

المسلمون في كوريا

وبعد فقد قرأت في العدد ١٨ من المجلة الصادر في ذي الحجة ٩٨ هـ ـ نوفمبر ٧٨ م. في الصفحات ١٣٤ حتى ١٣٨. موضوعاً حول «**المسلمون داخل المجتمعات الأوروبية**» وقد أعجبني المقال المذكور، إلا أن ما لفت نظري ما ورد في الصفحة ١٣٨ حول **الإسلام في كوريا**، وما ورد عن عدد المسلمين في كوريا الجنوبية.

لقد اطلعت على بعض المعلومات التي وردت في أحد كتب السياحة والإعلان الخاصة بالسفارات الكورية في الدول العربية، حيث قرأت أن **دخول الإسلام إلى كوريا كان في عام ١٩٥٥ م**، عن طريق أحد الجنود الأتراك وكان عدد المسلمين في ذلك الوقت ما يقارب ٢٠٠ مسلم. وفي عام ١٩٦٦ م، تكون **اتحاد المسلمين الكوريين**.

وفي عام ١٩٧٢ م، أرسلت بعض الحكومات العربية وفوداً لتعليم اللغة العربية، حيث بدأ أعداد المسلمين في ازدياد وخاصة بعد افتتاح **المركز الإسلامي والجامع المركزي** فوصل عددهم حوالي ٧ آلاف مسلم.

محمد أحمد عبد الكريم
المحرق ـ البحرين

وجهة نظر

أكتب هذه الكلمات القصيرة التي تعبر عن واقعنا الراهن. فبعد اطلاعي على **مجلة الفيصل** عدد (١٧) حول أصل صلاح الدين **فأقول**:

لا أدري لماذا نقسم مجتمعاتنا إلى عربي وكردي وشركسي... ثم إلى سني وشيعي... ثم إلى سوري وسعودي وأردني... ثم نقوم بتعميق هذه الاختلافات إلى خلافات تصل بنا إلى الوقوع في شراك الأعداء. ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد بل حتى إن الأقدمين لم يسلموا من هذا التقسيم فهذا ينسب صلاح إلى الأصل الكردي، وذاك يشك في ذلك وينسبه إلى الأصل العربي، وأنا أنسب ابن سينا إلى الأصل الفارسي، وأنت تنسبه إلى الأصل العربي، وهو ينسبه إلى التركي.. ويا للأسف لم يقف الأمر عند مجرد دراسة وتحليل بل يمارس من الناحية التطبيقية العملية فتؤتي ثمارها التي ليست إلا أشواكاً تغرز في حناجرنا وبطوننا.

وليكن معلوماً لدينا أن علماءنا الأقدمون لم يعملوا إلا تحت راية الإسلام ولم يكونوا يعتزون إلا بنسبهم إلى عالم المسلمين.

محمود التمو
سورية ـ حلب

مناقشات وتعليقات

مدينة إشبيلية

تلقيت بحمد الله وشكره عدد **الفيصل** ...... **العدد ٢٢** ... وهو كما عودتنا « الفيصل » دسم حافل بالثقافة الرفيعة الجادة الراقية ..

وكان استطلاع هذا العدد عن (**إشبيلية**) .. وكاتبه هو الأستاذ **الدكتور عبد الرحمن زكي** .. ورأيت بعد قراءة هذا الموضوع الرائع حقاً أن أمسك بقلمي وأعرض على سيادتكم هذه الملاحظات كي يكتمل هذا البحث القيم عن إشبيلية .. وهذه الملاحظات هي :

● أول هذه الملاحظات اسم إشبيلية نفسه .. فالاسم الحالي للمدينة هو (**سيبليا أو سبيا** Seville) وهو تحريف بسيط للاسم العربي (إشبيلية) .. وهذا الاسم العربي كان تعريباً للفظ (**هيسباليا**) الذي أطلقه **الرومان** على منطقة إشبيلية ، أما البلد نفسه فسموه (**هسباليس**) وهذا الأخير أصله البعيد فينيقي من كلمة (سبالوس) الفينيقية الأصل .. والفينيقيون عرب قدماء .. أي إن الأصل عربي والصورة الأخيرة للاسم عربية أيضاً .

● يقول أستاذنا تحت عنوان : (**بنو عباد**) : « انتهز النصارى الفرصة ـ بعد انتصار **يوسف بن تاشفين** وعودته إلى المغرب ـ فاعتدوا على أملاك المسلمين فاضطر المعتمد مرة أخرى إلى الاستعانة بالمرابطين فأنجده يوسف ، لكن لم يمض وقت طويل حتى استولى بدوره على مملكته . ففي عام ٤٨٤ هـ سقطت إشبيلية وقرطبة والمرية ومرسية ودانية في أيدي **المرابطين** ونهب جنودهم البربر المدينة الجميلة وهدموا قصور بني عباد وأسروا **المعتمد** ونفوه إلى **مراكش** حيث مات في **مدينة أغمات** عام ٤٨٨ هـ » .

وللحقيقة أن **الفونس الثالث** أراد أن ينتقم من مملكة ابن عباد ، لأنه كان السبب في دخول المرابطين إلى الأندلس ووقوع غزوة **الزلاقة** .. فأخذ يهاجم إشبيلية من **حصن لبسيط** Calédo المتاخم لها ... وهنا أنجده يوسف الذي عندما وصل إلى الأندلس تلقاه ابن عباد وكتب إلى ملوك الأندلس يدعوهم إلى الجهاد وقال لهم الموعد بيننا حصن لبسيط ، فلم يصل إليه ممن كتب إليهم إلا صاحب **مرسية** .. ثم وقع شنآن بين **ابن عباد وابن عبد العزيز** صاحب مرسية .. وفي هذا يقول **ابن خلدون** : « **وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .. فساء نظره فيهم وأفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والأندلس بخلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم وصارت إليه بذلك فتاوى أهل المشرق الأعلام مثل الغزالي والطرطوشي** وغيرهما ... » .

هذا إلى توالي استنجاد أهل **الأندلس** وطلبهم منه انقاذهم مما هم فيه ..

فنازل **طليطلة** سنة ٤٨٣ هـ وحاصرها ، والفونس بها ، فهتكها وقطع ثمارها وخرب ناحيتها انتقاماً مما فعله جيش الفونس بالمسلمين .. ومع هذا .. كما يقرر أستاذنا **عبد الله كنون** .. لم يأته أحد من ملوك الأندلس ولا عرج عليه . فلما شفى نفسه من **طليطلة** سار إلى **غرناطة** وكان صاحبها **عبد الله بن بسلكين** قد ظاهر الفونس على يوسف فأخذها من يده هي **ومالقة** التي كانت بيد أخيه .. وهنا طمع **المعتمد بن عباد** في غرناطة فتجافى عنه يوسف ورجع إلى مراكش .. وقدم على الأندلس قائده **سير بن أبي بكر اللتموني** .. وفوض إليه يوسف في مصير الأندلس وإن لم يأمره في ابن عباد بشيء فسار نحو إشبيلية وهو يظن أن ابن عباد سيخرج إليه ويتلقاه بالضيافة ، فلم يفعل وتحصن منه فراسله سير في أن يسلم إليه البلاد فامتنع المعتمد فلم يكن بد من القتال .. وهكذا سقطت إشبيلية سنة ٤٨٤ هـ في يد المرابطين ونفي المعتمد إلى المغرب .. وبعد ذلك سقطت العواصم الأندلسية في يد المرابطين ..

وهكذا أنقذت الأندلس من يد هؤلاء الزعماء والقادة الذين لم يكونوا يقدرون مسؤوليتهم قبل حدوث كارثة إنهاء السيادة الإسلامية على هذه البلاد .

● وتحت عنوان **الجامع الكبير** يصف لنا دكتورنا الفاضل **مئذنة الجامع** فيقول : « تقدر مساحة قاعدة المئذنة بثلاث وأربعين قدماً مربعة ـ ١٨٥ م٢ ـ وسمك جدرانها سبع أقدام تتخللها نوافذ .... » .

وأضيف أن ارتفاع المئذنة كان ٧٠ متراً ، وكان يرتفع فوق هذا الارتفاع المتبقي إلى الآن ، بناء دقيق ارتفاعه ١٢ متراً كان يحمل ثلاث كرات مغطاة بالذهب .. أرادهم الخليفة **أبو يعقوب يوسف** لكي تضاف إلى زينة المنارة ، وهذا البناء الأخير أزيل وبنى **فيليب الثاني** عام ١٥٥٠ م مكانه أبراجاً للنواقيس ووضع فيها ٢٥ جرساً من أجراس الكنائس .. وفوق ذلك وضع **الإسبان** تمثالاً يحمل مؤشراً للريح يدور مع الهواء .. هذا المؤشر هو الذي يسمى **الخيرانديا** La jirandilla ومنه جاء اسم **الخيرالدا** للمنارة كلها .. والخيرالدا أي الدوارة .

● بقيت لي ملاحظة أخيرة هي أن إشبيلية قد أنجبت رجالاً يكفي أن نذكر منهم **ابن رشد وابن العربي والقاضي عياض بن موسى** وغيرهم .. كما عاش فيها **ابن عمار وابن حمديس وابن زيدون** ومن إليهم . وأخيراً ففيها ولد **كريستوف كولمبس** وفيها دفن .

وبعد أرجو أن أكون قد أضفت إضافة ... علنا نعي تاريخنا الذي نستمد منه واقعنا ..

مع تمنياتي « للفيصل » بمزيد من التقدم والسداد إن شاء الله رب العالمين .

عادل محمد علي النشار
طالب بطب القاهرة ـ السنة الثالثة

مناقشات و تعليقات

مديرون .. لا مدراء

منذ صدور مجلتكم الغراء وأنا أتتبع باهتمام بالغ المقالات القيمة التي تنشر على صفحاتها، والتي يقضي القارئ لحظات ممتعة في مطالعتها.. وقد كان من بين المواضيع التي استرعت انتباهي، موضوع منشور في **العدد العاشر من السنة الأولى** تحت عنوان «من هو المدير وما هي مهمته؟» **للاستاذ محمد عبد الله الوابلي**، وفيه ورد جمع مدراء ثلاث مرات، وهو جمع غريب لا يستند فيه إلى قاعدة أو قياس خصوصاً:

١) أن المفرد من الجمع المذكور هو ـ أصلاً ـ اسم فاعل، وليس صفة.

٢) أن وزن مدير مفعل، وهو مضموم الميم، مكسور العين لأنه من أدار، يدير.. الرباعي المزيد بالهمزة.

٣) أن صيغة فعيل لا تأتي إلا من الفعل الثلاثي اللازم الذي وزنه فعل، وهو مضموم العين كشرف شريف، وظرف ظريف.. الخ.

وبناء على ما تقدم لا يكون جمع مفعل إلا جمع مذكر سالم: مفعلون (مديرون) في حالة الرفع، ومفعلين (مديرين) في حالتي النصب والجر. أما جمع فعيل (كريم) فجمع تكسير لكثرة: فعلاء (كرماء)، وهو قياسي من الصفات الست المشهورة.

وأخيراً أتساءل إذا كان جمع مدير هو مدراء، فما هو جمع محسن ومؤمن إذن؟

هذه ملاحظة أرجو أن تؤخذ بعين الاعتبار، وتساعد على الحد من شيوع هذا الخطأ الفاحش.

وفقكم الله لخدمة لغة الضاد.

عبد الرحمن القباج
الدار البيضاء (المغرب)

● **المجلة:** شكراً للأخ عبد الرحمن القباج.. ونحن معه فيما جاء به.. وما حدث رغم تكراره جاء سهواً، مع أن «مدير» جمعت في أكثر من مكان في الموضوع نفسه صحيحاً على أساس «مديرون» في حالة الرفع، و«مديرين» في حالتي النصب والجر، وهذا يؤكد أن ما حدث كان سهواً ـ وهو قليل ـ لاعتياد الكثير من الكتاب على جمع مدير على أساس مدراء.. خاصة كتاب الصحافة أو الذين تهمهم الفكرة والموضوع، إلى جانب عدم رغبتهم في مخالفة الخطأ الشائع والمعروف الذي لا تؤيده المجلة بأي شكل من الأشكال.

رد على تعقيب
«عبد الله كنون»

سرني كثيراً أن يكون السيد عبد القادر الإدريسي رئيس تحرير مجلة «دعوة الحق» أول من يبدي بملاحظاته حول موضوع اللقاء الذي أجريته مع العلامة الأستاذ عبد الله كنون، المنشور بمجلة ـ الفيصل ـ عدد ١٦ ـ شوال ١٣٩٨ هـ/سبتمبر ـ اكتوبر (أيلول ـ تشرين أول) ١٩٧٨ م ـ وأريد هنا أن أوضح للسيد عبد القادر الإدريسي أنني لم أتعمد الخطأ لأجل الخطأ ولا داعي للانزعاج. ففي ما يخص الملاحظة الأولى: أقول إن اسم الكتاب كان اختصاراً فقط، لأنه كتاب مشهور متداول كثيراً سواء في المشرق أو في المغرب وعرف دائماً «بالنبوغ المغربي»... والقارئ النبيه وخصوصاً المهتم بالأدب يدرك أنه كتاب في الأدب العربي.

ويجدر بي هنا أن أذكر السيد عبد القادر الإدريسي بما جاء في مقدمة الكتاب الطبعة الثالثة ص ١٠، يقول **طه حسين**: «وأراني قد بعدت عن كتاب «النبوغ المغربي» فأعود إليه لأهدي إلى مؤلفه أصدق التحية وأعمق التهنئة بكتابه الممتع الذي قلما نرى مثله».

ويقول الأستاذ عبد الله كنون في مقدمة الطبعة الثانية ص ١٤ «... وجمعت ذلك كله في كتاب «النبوغ» ودفعت به إلى المطبعة منذ بضع وعشرين سنة...».

ويقول **الدكتور محسن جمال الدين** في نفس المقدمة ص ١٥ «والذي يدرس منا كتاب «النبوغ المغربي» فستدهشه هذه الوفرة الزاخرة من أسماء الرجال والمؤلفات والنصوص». ويقول الأستاذ العلامة عبد الله في نفس المقدمة ص ١٦ «... قد منحتني درجة دكتوراه شرف للآداب من جامعة مدريد بمناسبة صدور كتابي «النبوغ المغربي» في ترجمته الإسبانية... ويضيف قائلاً.. هذه قصة كتاب «النبوغ المغربي» باختصار...».

وجاء في ص ٢٣ «كتب أمير البيان **الأمير شكيب أرسلان** رحمه الله بحثاً مستوفي عن كتاب «النبوغ المغربي».

وجاء في ص ٢٦ «وقد أصاب الأستاذ صاحب (النبوغ المغربي)».

وجاء في ص ٣٠ «وقد ذكر صاحب (النبوغ المغربي)».

وجاء في ص ٣٣ «كان أول تقريظي «للنبوغ المغربي»» الخ...

فما رأي السيد عبد القادر الإدريسي؟ هل ينزعج لهذه الأخطاء الأساسية في حق الكتاب؟

أما الملاحظة الثانية عن موسوعة «**ذكريات مشاهير رجال المغرب**». أوضح هنا أن هذه الموسوعة عبارة عن كتيبات صدرت متسلسلة أي لم تنزل الأسواق دفعة واحدة ولا داعي للتقيد بعدد ما، وأما ذكري للعدد (٣٠) ليس تجاهلاً ولا خطأ. فهل نعتبر الأستاذ عبد الله كنون مؤلف الموسوعة جاهلاً أو مخطئ حينما ذكر في كتابه النبوغ المغربي في الأدب العربي ص ٣٤٤: (٢٥) كتيباً. وماذا سيكون موقف السيد عبد القادر الإدريسي حين يصبح العدد غداً (١٠٠)؛ نكون معاً قد أخطأنا في العدد الصحيح!

وأخيراً أشكر رئيس تحرير مجلة الفيصل والسلام.

محمد القاضي/مراكش ـ المغرب



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

الرحلة الحجازية

تأليف **محمد السنوسي**، تحقيق **علي الشنوفي** يتضمن التعريف بمجموعة من الرجال والأعلام والمشاهير في العلم والحديث والأدب والسياسة والحرب والذين اجتمع بهم أثناء رحلته، ويذكر مؤلفاتهم **والإجازات** العلمية التي حصل عليها كل منهم. يقع الكتاب في ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسط. من مطبوعات الشركة التونسية للتوزيع في تونس.

لهاث الحياة

ديوان شعر يسكب فيه الشاعر **يوسف عز الدين** احاسيسه في مجموعه من القصائد الوطنية والغزلية ويفيض فيها وجدانه الشاعري في خيال مجنح رقيق. يقع في ١٠٥ صفحات من القطع الصغير. إصدار مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[illegible] صناعة الكتابة

كتاب من تأليف الدكتور **مصطفى الرافعي** والدكتور **عبد الحميد جيدة** يوضحان فيه كيف ارتقت اللغة بارتقاء قدرة النطق عند الإنسان وكيف تحولت إلى أداة عمل وإنتاج خلال مواجهة الإنسان للطبيعة. الكتاب صادر عن المكتبة الحديثة، طرابلس، شارع المكتبات - لبنان.

قصص للأطفال

من إصدار **الشركة التونسية للتوزيع**. «**قنطرة الصفصاف**»، «**والرابحون**»، تأليف **محمد الحبيب بن سالم**. «**أغاني الطفولة**» تأليف **محيي الدين خريف**، «**الجار الحسود**» تأليف **عمر عبد الباري**. تدور هذه القصص حول مواضيع مختلفة تهدف جميعها إلى تغذية عقول الأطفال بمفاهيم تربوية عن طريق القصة المكتوبة بأسلوب قد يتناسب مع مستواهم.

في التدريس الأصيل

صدر هذا الكتاب عن **الشركة التونسية للتوزيع** لمؤلفه: **محمد الهاشمي زين العابدين**، يدور حول التدريس وأصوله والتعريف به وتبسيطه مع إلقاء بعض الأضواء على التربية وفلسفتها. يقع الكتاب في ٤٩٥ صفحة من الحجم المتوسط.

مصطلح السياسة عند العرب

هذا الكتاب «دراسات في مصطلح السياسة عند العرب» من تأليف **أحمد عبد السلام** نشرته الشركة التونسية للتوزيع ويقع في ١٦٨ صفحة من الحجم المتوسط. يتناول فيه المؤلف بالدراسة المقارنة «**مقدمة ابن خلدون**» من ناحية وكتابي «**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**» **لخير الدين**. و«**اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**» **لابن أبي الضياف** من ناحية ثانية.

اختيارات من كتاب الأغاني

كتاب من تأليف الدكتور **إحسان النص**، تناول فيه مؤلفه **العصر الجاهلي**، وصنف فيه الشعراء وفق اتجاهاتهم ومنازعهم، كما تناول الأحداث المشهورة والأخبار المتفرقة التي ذكرها أبو الفرج. يقع الكتاب في ٣٠٤ صفحات من الحجم المتوسط، صدر عن مؤسسة الرسالة.



رحلة القلصادي

تأليف «**أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي**» دراسة وتحقيق **محمد أبو الأجفان** يتناول تاريخ الحركة الفكرية في مملكة **غرناطة** خلال المئة الهجرية التاسعة.

كما يتحدث القلصادي في كتابه هذا عن المناطق التي رحل إليها - من الأندلس - عبر تلمسان وتونس وطرابلس الغرب والقاهرة والحرمين الشريفين. إصدار الشركة التونسية للتوزيع في تونس.

تقرير سنوي

إعداد المكتب الرئيسي للرئاسة العامة للشباب **بحائل** عن العام ١٣٩٨ - ١٣٩٩ هجرية، يضم هذا التقرير معلومات وبيانات عن حائل ونشاط الشباب فيها مع تدعيم ذلك بالصور والبيانات والجداول التوضيحية. يقع في ١٥٤ صفحة، وقد نشرته مطابع النصر الحديثة بالرياض.

ديوان عبد الله الفاضل وقصة حياته

ديوان يضم أشعار الشاعر البدوي عبد الله الفاضل وما امتاز به من فروسية وكرم وخصال عربية أصيلة. كما يروي قصة مأساة وقعت أحداثها في منطقة **وادي الفرات** ويحوي لمحات من تاريخ **دير الزور**، ويقع في ٧٨ صفحة من الحجم المتوسط.

حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور

بحث أصدرته **وزارة الإعلام العراقية** «السلسلة الإعلامية (٧٩)» يتناول قصة حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، ويبحث الدور الذي لعبته **جزيرة العرب** في تكوين **الحضارات السامية** في ضوء ما تركته من تراث أصيل يعد من أهم عناصر التقدم في مسيرة التمدن البشري. يقع البحث في ٣١٦ صفحة من الحجم المتوسط.

مجلة اللسان العربي

المجلد الخامس عشر من مجلة « اللسان العربي » التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط ـ المغرب . وتتألف من ثلاثة أجزاء :

- الجزء الأول : أبحاث ودراسات .
- الجزء الثاني : معاجم .
- الجزء الثالث : عدد خاص عن مؤتمر التعريب الثالث .

مؤلفات للدكتور منير سلطان

من الكتب التي وردت إلينا ثلاثة كتب تأليف الدكتور منير سلطان هي :

- « المزيناني والموشح » .. ويقع في ٥٤٠ صفحة ـ الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة .
- « إعجاز القرآن .. بين المعتزلة والأشاعرة » .. سلسلة كتب الدراسات القرآنية .. الناشر منشأة المعارف ـ جلال حزي وشركاه ـ الإسكندرية .. يقع في ٢٦٧ صفحة .
- « ابن سلام وطبقات الشعراء » .. الناشر منشأة المعارف ـ جلال حزي وشركاه ـ الإسكندرية .. يقع في ٣٣٦ صفحة .

المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية

كتاب يشتمل على توصيات المؤتمر السادس للآثار الذي عقد في طرابلس ـ ليبيا عام ١٩٧١ م ، تنظمه الجامعة العربية إلى جانب مجموعة من البحوث التي قدمت إلى المؤتمر ، والمحاضرات التي ألقيت خلال اجتماعاته .. إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ـ القاهرة .. يقع في ٦٤٣ صفحة من القطع الكبير .. وفي نهاية الكتاب نص مشروع قانون الاتحاد العربي للآثار .

الموجز في تاريخ "الطب والصيدلة عند العرب"

كتاب تناول بالدراسة تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، ومن مواضيعه الأمراض الباطنة ، أمراض القلب والدورة الدموية ، الجراحة عند العرب ، بالإضافة إلى أمراض العين ، أمراض الفم والأسنان ، ثم يورد تراجم قصيرة لبعض مشاهير الأطباء العرب .. إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ بإشراف الدكتور محمد كامل حسين .. يقع في ٤٧٢ صفحة من القطع المتوسط .

النساء والحب

مجموعة قصص قصيرة للقاص السعودي خليل إبراهيم الفزيع .. تعرض شرائح اجتماعية صاغها الكاتب بأسلوب قصصي غير معقد .. تتألف المجموعة من ١٨ قصة .. الناشر مؤسسة العهد للصحافة والطباعة والنشر ـ الدوحة ـ قطر .

التحفة الملوكية في الآداب السياسية

الكتاب منسوب للإمام أبي الحسن الماوردي المتوفى عام ٤٥٠ هـ ، وهو أحد كتب التراث ، وضع الدكتور فؤاد عبد المنعم الذي حقق الكتاب مدخلاً ضافياً لتراث الفكر السياسي الإسلامي .. والكتاب من مخطوطة مكتبة محافظة الإسكندرية (المشهورة بمكتبة البلدية) .. يقع في ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط ـ الناشر مؤسسة شباب الجامعة ـ الإسكندرية ـ طبع مطابع جريدة السفير ـ الإسكندرية .

داود باشا

من تأليف الدكتور يوسف عزالدين . يتناول هذا الكتاب فترة من تاريخ العراق ويدور حول الوالي **داود باشا** ونهاية حكم المماليك في بلاد الرافدين . من منشورات **دار البصري** . يقع في أكثر من ٧٠ صفحة من الحجم المتوسط .

لحظات ضريرة

مجموعة قصص قصيرة يضمها كتاب صغير صادر عن **دار الكتاب ـ الدار البيضاء** ، لمؤلفه **عبد السلام العزيز** . يقع في ٨٠ صفحة من القطع الصغير .

نحو اقتصاد إسلامي

من الكتب التي تصدر ضمن سلسلة **المكتبة الإسلامية** . من تأليف الدكتور **محمد شوقي الفنجري** ، يتناول فيه بالدراسة أصل الاقتصاد الإسلامي وتطور دراساته . صدر الكتاب عن دار الزايدي للطباعة والنشر . ويقع في ٦١ صفحة من القطع الصغير .

محمد ومكارم الأخلاق

من تأليف **أحمد حامد** ومن سلسلة **المكتبة الإسلامية** . شرح فيه المؤلف مكارم الأخلاق الحميدة عند النبي صلى الله عليه وسلم في عرض سريع . صدر الكتاب عن دار الزايدي للطباعة والنشر ويقع في ٨٣ صفحة من الحجم الصغير .

حكاية محراث

قصة جاءت على لسان **محراث قديم** يتحدث فيها عما كان يؤديه من عمل عظيم قبل عصر الآلة . وكيف أنه أصبح الآن قطعة من تلك القطع المعروضة في زوايا المتاحف كنموذج تنعكس عليه حياة الإنسان في الماضي . القصة من تأليف **محمد الحبيب بن سالم** . صادرة عن الشركة التونسية للتوزيع .

رسالة الألوان

للإمام **ابن حزم الأندلسي** . قام بتحقيق عدد من الباحثين . صدر عن النادي الأدبي بالرياض في سلسلة كتاب الشهر . يقع الكتاب في ٧٠ صفحة من الحجم الصغير .

وكان لقاء

مجموعة قصص من تأليف **رستم كيلاني** ، يستمد أحداثها ومادتها من حياة المجتمع الذي يعيش فيه . من هذه القصص : « ليلة العرس » ، « زفاف مؤجل » ، « عم درويش » . صدرت المجموعة عن **دار غريب للطباعة** ، وتقع في ١٣٢ صفحة من الحجم الصغير .

على ضفاف العقيق

ديوان شعر للشاعر **محمد هاشم رشيد** يضم مجموعة من القصائد الشعرية يستعرض فيها خواطره وذكرياته في **وادي العقيق** . طبع الديوان في **دار الأصفهاني بجدة** . يقع في أكثر من ١٢٠ صفحة من الحجم الصغير .

أناديك يا ملكي وحبيبي

ديوان شعر صغير للشاعر **محمد علي شمس الدين** يضم مجموعة من القصائد الوطنية بأسلوب شعري حديث . صدر الديوان عن دار الآداب يقع في ٩٦ صفحة من الحجم الصغير .

في ظلال لواء الإسلام

كتاب صادر في سلسلة **المكتبة الإسلامية** يتضمن مجموعة من الأحاديث عن مصير الإنسان في النهاية في إطار من نور الآية الكريمة ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ . صدر الكتاب عن **دار الزايدي للطباعة والنشر** ويقع في ٨٥ صفحة من القطع الصغير .



● الأخ أحمد حسن الشريف ـ السليوم ـ مصر .

نشكر لك ملاحظاتك التي وردت في رسالتك إلى هذه المجلة ، وسنحاول مستقبلاً عدم تكرار مثل ذلك ، والكمال لله وحده .

● الأخت إقبال عبد الرحمن ـ جامعة الكويت ـ

شكراً لك على مشاعرك نحو المجلة ، وبإمكانك أن تتعلمي أنواع الخط في مدارسه المتخصصة التي لا يخلو منها أي بلد . . وقد تناولت المجلة جوانب من الطب ، وكتب الطب عند العرب المسلمين ، وسوف تطالعين في المستقبل مواضيع أخرى . . مع تحياتنا .

● الأخ خير الله عبد الدايم ـ حمص ـ شارع النيسابوري ـ سورية .

الفوز في المسابقة لا يحصل بعدد القسائم ، ولكن بالإجابة الصحيحة ، وإذا تعددت الإجابات السليمة تكون القرعة . تمنياتنا لك بالتوفيق ، وحظاً سعيداً في مسابقات قادمة .

● الأخت حسناء شامي ـ حلب ـ سورية .

بإمكانك الكتابة إلى مدير عام الصحافة بوزارة الإعلام ـ الرياض ـ فربما وجدت ضالتك ، لأنه لا توجد لدينا نسخة من هذا الكتاب .

● الأخوان (ليث وارهام أحمد ـ مراكش ـ المغرب) ، (رياض خالد ـ درب القريعة ـ الدار البيضاء ـ المغرب)

شكراً لكما على المشاعر الطيبة نحو المجلة وأسرة تحريرها ونتمنى من الله أن يوفقنا دائماً لما فيه خير بلادنا وأمتنا وأن نكون عند حسن ظن الجميع .

● الأخ عقيل مطهر ـ فولوفانچيان ـ قاع ٤١/٢ فرسي ، أندونيسيا .

شكراً لك على اهتمامك بالمجلة وتفحصك لما يكتب فيها ، وملاحظاتك عما نشر في العدد السابع عشر عن **أبي الأسود الدؤلي** يبرهن على ذلك مع أن للكتاب والنقاد فيما يكتبون مذاهب . أما عن المجلة فإنها لا ترسل إلى القراء إلا عن طريق الاشتراك . تمنياتنا .

● الأخ محمد السهلي ـ دمشق ـ سورية .

قصتك باللهجة العامية ونحن لا نشجع اللهجات ويبدو من خلالها أن المشوار ما زال أمامك طويلاً . كما أن الكتابة للصحف والمجلات يجب أن تكون بخط جيد وعلى وجه واحد من الورق الذي تسهل قراءة ما يكتب عليه . نتمنى لك التوفيق .

● الأخ محمد صالح جعرب ـ الحديدة ـ اليمن .

عندما يوجد لدينا الموضوع المناسب حول ما اقترحته فلن نبخل بنشره . وشكراً لك على مشاعرك الطيبة .

● الأخ عبد الملك عبد الله العولقي ـ صنعاء ـ اليمن .

شكراً لك على إعجابك بالمجلة وسوف نلبي دعوتك لأن زيارة المدن اليمنية جزء من خطتنا الرامية إلى الكتابة عن كل المدن العربية والإسلامية . وبالنسبة للاشتراك ستجدون الإيضاح الكافي عنه في الصفحة ١٦٢ في كل عدد من أعداد المجلة . تمنياتنا الطيبة .

● الأخ يوسف أحمد سلطان ـ القاهرة ـ مصر .

نحن نؤمن معك بأن الوطن العربي يزخر بكفاءات شابة قادرة على أن تواكب التقنية وتتناغم مع العصر ، ونتمنى هذه الكفاءات أن تؤتي ثمارها فيما يعود على أمتنا بالخير كما نعتذر عن نشر قصتك التي تريد كتابتها في حلقات راجين لك التوفيق .

● الأخ زياد السواح ـ دمشق ـ سورية .

ملاحظتك التي ذكرت فيها أن الأعداد الأخيرة من المجلة تهتم بالجانب العلمي أكثر من الأدبي . نحيطك بأن عدداً كبيراً من رسائل القراء قد وصلت إلينا يذكر أصحابها بأن المجلة تهتم بالناحية الأدبية أكثر من الناحية العلمية . على أي حال نحن نعمل جاهدين على أن نحقق التوازن بين النواحي العلمية والأدبية وغيرها من الاهتمامات الثقافية .

● الأخ بسام خضر السلفيتي ـ جامعة البنجاب ـ باكستان .

نشكر لك مشاعرك الطيبة وإعجابك بالمجلة ونتمنى أن نقدم الأفضل دائماً . كما نعتذر عن نشر الموضوع المرفق برسالتك الرقيقة ، ونرجو أن تكون كتابتك في المرات القادمة على وجه واحد من الورقة . ولك تحياتنا .

● الأخ المطاعي نور الدين ـ القنيطرة ـ المغرب .

الكتب الإسلامية التي تريد تخصيص باب لما ينشر منها حديثاً فكرة جيدة لكننا للأسف الشديد لا نستطيع الإلمام بالأعداد الكبيرة من هذه الكتب التي تصدر في مختلف أنحاء العالم ، ومع ذلك فقد قدمنا بعضاً منها في باب «رحلة في كتاب» وباب «في دائرة الضوء» . تحياتنا ، وشكراً لاهتمامك .

● الأخ سليمان حسين ـ دمشق ـ سورية .

نشكرك على رسالتك المتضمنة مجموعة من الخواطر والمشاعر الإنسانية مع تمنياتنا لك بمستقبل زاهر في عالم الشعر والنثر .

● الأخت ياسمين علي الزعابي ـ الكويت ـ

حاولي أكثر من مرة قراءة الموضوع الذي صعب عليك فهمه ، فما كل موضوع يُفهم لأول مرة وخاصة المواضيع العلمية . أما زيارتنا فسوف تتم ضمن خطتنا التي تهدف إلى الكتابة عن كل أقطار العالم العربي بما في ذلك الكويت .

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا - الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب - الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

جـ - الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢ - المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الاجابات على العنوان التالي :

(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص . ب . (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ - ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ - من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

أسماء الفائزين في .. مسابقة العدد (٢٣)

★ فاز **بالجائزة الأولى** وقيمتها ثلاثة آلاف ريال سعودي (٣٠٠٠) الأخ **إبراهيم جمال خان ، وعنوانه مكة المكرمة القشلة ، الهاتف الآلي ، بواسطة والده السيد جمال .**

★ ومن **الرياض** - جامعة الرياض - كلية الآداب - قسم الإعلام ، فاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (٢٠٠٠) ريال سعودي ، الأخ **عبد صالح اليوسف .**

★ ومن **المغرب** - ٦٩ رأس القليعة - باب الحمراء **مدينة فاس** ، فاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٥٠٠) ريال سعودي ، الأخ **المقيس حسن بن محمد الفيلالي .**

وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) ريال سعودي فاز ، بها كل من الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

★ من **سورية** بواسطة أسامة الجندي - مؤسسة الكهرباء المنطقة الوسطى - حمص - الأخت **وفاء سري الجندي .**

★ من **السودان**/ إدارة وقاية النباتات/ الخرطوم بحري ص ب ١٤ ، الأخ **عبد الحليم الفاتح أحمد .**

★ من **تونس** / ١٤ شارع الحرية تونس/ الأخ **محمد بن حسين بن محمد خليل** الطالب بكلية الشريعة وأصول الدين .

★ من **مصر** /بنك التنمية والأئتمان الزراعي بالزقازيق الأخت **منى سمير عواد عطية** بواسطة والدها السيد سمير عطية .

★ من **سورية** /دمشق مخيم اليرموك/ شارع طبريا جادة ٦ - منزل ١/ الأخ **أحمد صالح الموعد .**

★ من **اليمن الشمالي /صنعاء**/ الإدارة العامة للصحافة وزارة الإعلام والثقافة/ الأخ **إبراهيم عبد الحبيب عبد الفتاح .**

★ من **الأردن** / الهاشمي الشمالي/ جسر كرشيان مطعم الشعب لصاحبه أبو نضال/ الأخ **عبد الحليم عبد الله إسماعيل العملة .**

السؤال الأول :

من هم بناة المدن التالية :

القاهرة ــ سامراء ــ القيروان ــ الفسطاط ــ الكوفة .

السؤال الثاني :

كم من الدم يمر يومياً في الكليتين ؟

السؤال الثالث :

من أول من اخترع بندول الساعة ؟

السؤال الرابع :

ملكة كانت لها شهرة عظيمة ، تولت الحكم بعد أبيها وزوجها ، ذكرتها المراجع الحبشية باسم (ماكدة) ، كما ذكرتها المراجع الحميرية باسم (الفارعة) ، أما ابن خلدون فقد ذكر أنها كانت تسمى (بلقمة) .. من هي ؟

السؤال الخامس :

اذكر اسم الخليفة الذي أوصى ابنه بهذه الوصية :

« انظر إلى أهل الحجاز ، منهم أصلك وعزتك ، فمن أتاك منهم فاكرمه ، ومن قصّر عنك فتعاهده ، وانظر إلى أهل العراق ، فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله ، فإن عزل عامل واحد أهون عليك من سل مائة ألف سيف ، ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار » .

السؤال السادس :

أذكر أسماء أمهات المؤمنين ؟

السؤال السابع :

ما معنى الكلمات التالية :

الغارب ــ السالفة ــ الزور .

السؤال الثامن :

ما الفرق بين (الظهر) ، و (الظهيرة) ، و (الهاجرة) ؟

السؤال التاسع :

أين تقع بحيرة (بالكاش) ، وكم تبلغ مساحتها .. ومتوسط عمقها ، وما أهم الأنهار التي تصب فيها .. وهل مياه هذه البحيرة مالحة أم عذبة ؟

السؤال العاشر :

ما لون علم الألعاب الأولمبية الحديثة .. وماذا يمثل الشعار على هذا العلم ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

• العدد ٣٠ •

الاسم : --

المهنة : --

العنوان : --

أجوبة مسابقة العدد الثالث والعشرين

ج ١ للقنص عند العرب ـ ويطلق عليه البيزرة ـ مكانة هامة في التاريخ العربي والإسلامي . وأول من صاد بالصقر : الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة . وأول من صاد بالفهود : يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

ج ٢ اللغات الرسمية للبلدان الآتية هي :

في أفغانستان : الأفغانية أو البشتوية .

في سويسرا : الألمانية ، الفرنسية ، الإيطالية .

في إسبانيا : الإسبانية ، القشتالية .

في الحبشة : الأمهرية .

في رومانيا : الرومانية وهي مشتقة من اللاتينية .

ج ٣ تنبعث من أنثى الفراشُ مواد عطرية خاصة تبدأ في إرسالها حتى وهي لا تزال عذراء داخل الشرنقة ثم تصل هذه الرائحة إلى قرون الاستشعار لدى الذكر ومن ثم تبدأ عملية المداعبة حيث يطير الذكر تتبعه الأنثى وتتسم المداعبة لدى بعض الأصناف بالنشاط الحاد كما قد تكون الأرض هي مجال مداعبة بعضها الاخر فإذا استجابت الانثى لمداعبة الذكر تمت عملية التلقيح . وتفضل ذكور بعض أنواع الفراش أحياناً الانتظار بجوار العذراء فإذا تم نموها وكانت أنثى بادر إلى تلقيحها بمجرد ظهورها .

ج ٤ **بلال بن رباح أول مؤذن في الإسلام** . . كان مولى ثم اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه . . أذن عام الفتح . . اشترك مع أبي عبيدة في فتح الشام وتوفي فيها .

ج ٥ **رباعيات الخيام** ترجمت شعراً ونثراً إلى اللغة العربية من اللغتين **الإنجليزية والفارسية** وفيما يلي أسماء الأدباء الذين نقلوها إلى العربية وهم :

- **وديع البستاني ، محمد السباعي ، محمد الهاشمي :** شعراً من الإنجليزية .
- **عبد الحق فاضل ، أحمد الصافي النجفي ، أحمد رامي ، الدكتور أحمد زكي أبو شادي :** شعراً من الفارسية .
- أما **أحمد حامد الصراف** فقد ترجمها نثراً .

ج ٦ **الوقائع المصرية** عام ١٨٢٨ م أول جريدة صدرت باللغة العربية .

ج ٧ المناسبة التي تضرب فيها الأمثال الآتية هي :

- **سبق سيله مطره :** يضرب هذا المثل لمن يسبق فعله تهديده .
- **ثار حابلهم على نابلهم :** يضرب في فساد ذات البين وتأريث الشر في القوم .
- **تحكحكت العقرب بالأفعى :** يضرب لمن ينازع من هو أقوى منه .
- **أتبع الدلو الرشاء :** يضرب في استتمام الضيعة .
- **كالحادي وليس له بعير :** يضرب لمن ينتفخ بما لا يملك أو لمن ينتحل ما لا يحسنه .

ج ٨ سباق في العدو لمسافة طويلة . . ارتبط اسمه بقرية **إغريقية** . . ويروى أنه في عام ٤٩٠ ق . م ، عدا شاب من هذه القرية إلى مدينة **أثينا** لينقل نبأ انتصار الأثينيين على الفرس . . أدخل هذا السباق في **الدورة الأولى للألعاب الأولمبية الحديثة** عام ١٨٩٦ م ويقام هذا السباق في **الولايات المتحدة** سنوياً برعاية **جمعية بوسطن للألعاب الرياضية** . . يطلق على هذا السباق اسم ـ **الماراثون** ـ .

ج ٩ في ١٣٧٩/٣/١٤ هـ ، الموافق ١٩٥٩/٩/١٧ م ، صدرت **مجلة الروضة** وهي **أول مجلة أطفال في المملكة العربية السعودية** .

ج ١٠ أول من وضع أصول علم النحو : **أبو الأسود الدؤلي** .

أول من وضع النقاط على الحروف : **نصر بن عاصم** .

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4641968



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف ٤٦٤١٩٦٨



EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	100
Denmark	DKR	15
Finland	FMK	15
France	FF	10
F. R. G.	DM	7
Greece	DR	100
Italy	L	2000
Netherlands	DFL	7.5
Norway	NKR	15
Pakistan	RS	10
Portugal	ESC	80
Spain	PTS	100
Sweden	SKR	15
Switzerland	SF	7
United Kingdom	£	1.25
U. S. A.	$	2.50



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بيسة
الأردن	٢٥٠ فلساً
ج. ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٢٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ ريال سعودي
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 100
Others : S.R. 200
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

مطابع شركة الطباعة العربية السعودية العمارية، الرياض